شرح
الأحاديث القدسية

كتاب يجمع الإتحافات السنية

للمناوى وشرحها للدمشقى،

مع التعليق عليها وإضافة

الأحاديث التى لم يذكرها ..

تحقيق وتعليق

أ.د / حمزة النشرتى

الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى

أ.د / عبد الحميد مصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا﴾

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد . .

فنقدم للقراء الكرام كتاباً يجمع الأحاديث القدسية ، كما أوردتها كتب الصحاح ، لما رأينا من مسيس الحاجة إلى ذلك .

فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، بعد القرآن الكريم الذي يضيء أفق حياتنا ، وينظم لنا أمورنا ، ويأخذ بأيدينا إلى سعادتي الدنيا والآخرة . .

ويجدر بنا أن نقدم بين يدي هذا الكتاب كلمة تتحدث عن السنة ومكانتها ، ونشير فيها إلى الحديث القدسي ومعناه وأهميته . .

السنة ومكانتها

جاء في بحث لفضيلة الإمام الشيخ على الخفيف يرحمه الله :

تطلق السنة في اصطلاح الأصوليين على أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وتقريراته ، مما يدل على حكم شرعي ، وكتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - هما المصدران الأساسيان لتقرير الأحكام وبيانها ، وإليهما ترجع جميع المصادر الأخرى . .

ولكن الكتاب الكريم يُعَدُّ المصدر الأول والأساسي الذي تقوم عليه السنة ، ولا تختلف عنه ، وكان لذلك هو أصل الأدلة بقول الله - تعالى - ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾

- النساء ١٠٥ -

وجاءت السنة مفسرة للقرآن تبين مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتفصل أحكامه ، وتوضح مشكله ، قال الله - تعالى - : ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ - النحل ٦٤ -

وقال - تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾

(النحل ٤٤)

ومن هنا يتضح أهمية السنة باعتبارها معينة للقرآن الكريم ، ومفصلة له .

وقد أمر القرآن الكريم بالتزام ما يجيء به النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ - الحشر ٧ -

فالسنة - اذن - أصل من أصول الدين ، وهي الأصل الثاني للأحكام الشرعية ، والعمل بها واجب ، لأنه طاعة لله ولرسوله ، وأن تركها ومخالفتها ترك لكتاب الله ورفضه لما أمر به [(١)]

تقسيم الحديث باعتبار موضوعاته ودرجاته

والعلماء يقسمون الحديث الشريف باعتبار موضوعاته إلي ما يتناول العقائد وما يتناول الأحكام ، وما يتناول الرقاق ، والآداب ، والتفسير ، والشمائل ، والمناقب، والفتن . .

كما يقسمونه باعتبار درجته إلى صحيح وحسن وضعيف ، وبعضهم نظم ذلك في منظومات ، كما جاء في منظومة العراقي المشهورة ، التي يقول فيها : -

وأهل هذا الفن قسموا السُّنَنْ … إلى صحيح وضعيف وحسن
فالأول : المتصل الإسناد … بنقل عدل ضابط الفؤاد
عن مثله من غير ما شذوذ … وعلة قادحة فتؤذى
وبالصحيح والضعيف قصدوا … في ظاهر لا القطع ، والمعتمدُ

(١) من بحث ألقى في المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية في جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ .

إمساكنا عن حكمنا على سند بأنه أصح مطلقا ، وقد
خُصَّ به قوم ، فقيل : مالك عن نافع بما رواه الناسك
مولاه ، واختر حيث عنه يُسْنِد الشافعي ، قلت : وعنه أحمد [1]

العناية بالسنة وجمعها

ونظرا لأهمية السنة ووجوب المحافظة عليها وحرص المسلمين على جمعها وتدوينها ، بعد أن كانت محفوظة في الصدور يتناقلها الثقات بعضهم عن بعض

وقد نبه إلى ضرورة تدوين السنة عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - الملقب بخامس الخلفاء الراشدين ، حين تولى الخلافة سنة تسع وتسعين من الهجرة . فى آخر القرن الأول الهجري ، لذلك أطلق عليه أول المجددين الذين بعثهم الله فى مطلع كل قرن يجددون للناس دينهم .

وقيض الله لهذه المهمة جماعة من أولى العلم والثقة ، وانتهى الأمر إلى زمن جماعة من الأئمة مثل عبد الملك بن جريج ، ومالك بن أنس وغيرهما . حتى قيل : إن أول كتاب صنف فى جمع الحديث هو كتاب «ابن جريج» وقيل : موطأ مالك .

ثم جاء بعد ذلك من سار على الدرب ، فجمع أحمد بن حنبل مسنده وبعده جاء البخاري ومسلم وغيرهما ، حتى كثرت الكتب والمسانيد والسنن .

واشتهر من ذلك كتب الصحاح الستة : صحيح البخاري ، ومسلم ، وسنن النسائى ، وسنن أبى داود ، وسنن الترمذى ، وسنن ابن ماجه .

الحديث القدسى :

وإذا كان كتابنا هذا يتناول قسما من السنة هو «الحديث القدسى» فإن الحاجة تدعو إلى بيان مفهومه ، ومعرفة الفرق بينه وبين القرآن والحديث النبوى . .

---

(١) ألفية مصطلح الحديث للعراقى ص ١٦٩

ولنرجع في ذلك إلى ما جاء في الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، نقلا عما قال الإمام شهاب الدين ابن حجر الهيثمي في شرح الأربعين النووية .

قال في شرحه للحديث القدسي : **«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»** :

الكلام المضاف إليه - تعالى - أقسام ثلاثة :

أولها وهو أشرفها القرآن الكريم ، لتميزه عن البقية بإعجازه من أوجه كثيرة :

منها كونه معجزة باقية على مر الدهور ، محفوظة من التغيير والتبديل .

وبحرمة مسه لمحدِث ، أو تلاوته لنحو الجنب ، أو روايته بالمعنى .

وبتعينه في الصلاة ، فلا تصح بغيره .

وبتسميته قرآنا ، ولا يسمى بذلك غيره .

وبأن كل حرفٍ منه بعشر حسنات

وبامتناع بيعه في رواية عند أحمد ، وكراهة ذلك عند غيره . .

وبتسمية الجملة منه آية ، والآيات سورة . .

أما غيره من الكتب المنزلة ، أو الأحاديث القدسية فلا يثبت لها شيء من ذلك ، إذ يجوز مسُّه وتلاوته للمحدث والجنب ، ويجوز روايته بالمعنى ، ولا يجزي في الصلاة بل يبطلها ، ولا يُسمَّى قرآنا ، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشرا ، ولا يمنع بيعه ، ولا يكره اتفاقا ، ولا يسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقا أيضا .

ثانيها : كتب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قبل تغييرها وتبديلها .

ثالثها : الأحاديث القدسية .

وهي ما نقل إلينا آحاداً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مع إسناده لها عن ربه - عز وجل - فهي من كلامه - تعالى فتضاف إليه وهو الأغلب .

ونسبتها إليه ـ تعالى ـ نسبة إنشاء لأنه المتكلم بها أولا ، وقد تضاف للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه المخبر بها عن الله ـ تعالى بخلاف القرآن وإنه لا يضاف إلا إلى الله ـ تعالى ، أما الأحاديث القدسية فيصح أن يقال فيها : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يروى عن ربه ـ تعالى ـ .

هل بقية السنة وحى ؟

أغلب الفقهاء يقولون : إن السنة كلها وحى لقوله ـ تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم « **ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه** » ـ رواه أبو داود فى سننه . .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : ولا تنحصر الأحاديث القدسية في كيفية من كيفيات الوحى التى تكون عن طريق الملك ، أو الإلهام ، أو الرؤيا المنامية بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من هذه الكيفيات ، ولراويها صيغتان :

إحداهما أن يقول : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه . وهذه هى عبارة السلف .

أو يقول : قال الله ـ تعالى ـ فيما رواه عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

والخلاصة هى أن القرآن الكريم هو اللفظ الذى نزل به جبريل عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

والحديث القدسى هو ماأخبر الله ـ تعالى ـ معناه للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالإلهام أو المنام فأداه النبى ـ صلى الله عليه وسلم إلى أمته بعبارة نفسه والأحاديث النبوية لم يضفها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الله تعالى ـ ولم يروها عنه ـ تعالى ـ

تفرقة ذوقية

وقد فرق الشيخ عبد العزيز الدباغ بين القرآن الكريم والحديث القدسى والحديث النبوى تفرقة ذوقية ، وقد نقل ذلك عنه تلميذه الشيخ أحمد بن المبارك في الكتاب المشهور « بالإبريز» قال : سألت شيخي الدباغ - قدس الله سره عن الفرق بين هذه الثلاثة وإن كانت كلها قد خرجت من بين شفتيه - صلى الله عليه وسلم - وكلها معها أنوار من أنواره - صلى الله عليه وسلم - إلا أن النور الذي في القرآن قديم من ذات الحق - سبحانه وتعالى - لأن كلامه - تعالى - قديم .

والنور الذي فى الحديث القدسى ، من روحه - صلى الله عليه وسلم - وليس هو مثل نور القرآن ، لأن نور القرآن قديم .

والنور الذي فى الحديث الذى ليس بقدسى ، من ذاته - صلى الله عليه وسلم -

فهذه أنوار ثلاثة اختلفت بالإضافة ، فنور القرآن من ذات الحق - سبحانه -

ونور الحديث القدسى من روحه - صلى الله عليه وسلم -

ونور الحديث الذي ليس بقدسى من ذاته - صلى الله عليه وسلم - وهناك فرق يلوح بين معانى الأحاديث القدسية والأحاديث غير القدسية .

فالأحاديث القدسية تتعلق بالحق - سبحانه وتعالى - بتبيين عظمته ، أو بإظهار رحمته ، أو بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه .

فمن الأول حديث : « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم . . . . »
أخرجه مسلم من حديث أبى ذر .

ومن الثانى حديث : «أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت . . »

أخرجه الشيخان فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق

ومن الثالث حديث « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحّاء الليل والنهار . . . »

أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة .

أما الأحاديث التى ليست بقدسية فإنها تتكلم على ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحلال والحرام ، والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد (1)

الكتب التى تناولت الأحاديث القدسية

والأحاديث القدسية مبثوثة في بطون كتب السنة ، وبخاصة الصحاح منها ، وقد اعتنى بها على وجه الخصوص بعض أهل الحديث فأفردوا لها مؤلفات خاصة ، مثل كتاب «مشكاة الأنوار فيما يروى عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ من الأخبار» للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ـ رضى الله عنه ـ المتوفى سنة ٦٣٨ هـ .

قال صاحب كشف الظنون عنه : أول هذا الكتاب «الحمد لله رب العالمين . . .» جمعت هذه الأربعين بمكة المكرمة في شهور سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وشرطت فيها أن تكون من الأحاديث المسنده إلى ـ الله تعالى ـ خاصة ، وربما أتبعتها بأحاديث عن ـ الله تعالى ـ مرفوعة اليه غير مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مما رويتها وقيدتها ، ثم أردفتها بأحد وعشرين حديثا فجاءت واحدا ومائة حديث إلهية . . .

قال حاجي خليفة : وشرحه الإمام محيى الدين بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٧هـ .

وذكر أيضا صاحب كشف الظنون عن هذا الكتاب حديثا آخر قال فيه :

الأحاديث القدسية : مختصر للشيخ محيى الدين بن عربى ذكر فيه : أنه لما وقف علي الحديث المروى فى فضائل الأربعين بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة جمعها ـ أي هذه الأحاديث ـ بشرط أن تكون من المسندة إلى الله ـ تعالى ـ ، ثم أتبعها بأربعين عن الله مرفوعة إليه غير مسندة إلى ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ثم أردفها بواحد وعشرين حديثا . .

---

(١) راجع الابريز من كلام سيدي عبد العزيز لأحمد بن المبارك جـ١ صـ٦٦

فكأنَّ محيى الدين بن عربى هو رائد المتخصصين في جمع الأحاديث القدسية في مؤلف مستقل . .

ومن المؤلفات المشهورة في ذلك كتاب « الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية» للإمام عبد الرءوف المناوى المتوفى سنة إحدى وثلاثين وألف بالقاهرة . .

جمع فيه اثنين وسبعين ومائتى حديث . . مرتبة ترتيبا أبجديا .

وقد شرحَه الشيخ محمد منير الدمشقى الأزهرى في كتاب سماه « النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية» قال فى مقدمته :

أما بعد ، فيقول أفقر الورى إلى ربه ، الغنى محمد منير بن عبده أغا الدمشقى الأزهرى : طلب منى جماعة من طلبة العلم في المعاهد الدينية أن أختار لهم كتابا فى الأحاديث القدسية وأنشره كي ينتفعوا به مع بيان مخرج الحديث ، فنقبت عن ذلك مدة ، فعثرت على رسالة للشيخ الولى المحدث عبد الرءو ف المناوى الحدادى، والد محمد تاج الدين في دار الكتب المصرية ، فندبت أحد علماء الأزهر إلي نقلها عن أصلها . وبعد أن تم ذلك قابلتها وصححتها ، ولما وجدت فيها بعض أحاديث يحتاج إلي شرح وإيضاح علقت عليه بقدر الحاجة الماسة إلى ذلك ، وأرجو الله أن يوفقنى إلى نشر الكتب النافعة التى تنهض بالأمة وتذكرها بسلفها ، وما كانوا عليه من المجد والعز والسيطرة علي غالب ممالك المعمورة(١)

وهناك كتاب آخر للشيخ محمد المدنى المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ بنفس عنوان كتاب المناوى «الإتحافات السنية» ضمنه جامعه ثمانمائة وأربعة وستين حديثا ، وقد اتبع في ترتيب هذا الكتاب ما يأتى : ـ

أولا : الأحاديث المبدوءة بلفظ قال .

ثانيا : الأحاديث المبدوءة بلفظ يقول .

---

(١) مقدمة الإتحافات السنية ـ مكتبة ومطبعة صبيح

ثالثا : الأحاديث التي ليست مبدوءة بأحد اللفظين، وهــذه مـرتبة تـرتيبا أبجديا . .

ومن الكتب التى عنيت بجمع الأحاديث القدسية الكتاب الذى أعده المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ، وهو يتناول أربعمائة حديث مرتبة ترتيبا موضوعيا ، وعدد هذه الموضوعات اثنان وأربعون موضوعا أولها ما جاء فى فضـل ذكـر ـ الله تعالى ـ وكلمة التوحيد . . وآخرها ما جاء فى رؤية المؤمنين ربهم ـ تعالى ـ وخطاب الله ـ تعالى ـ لأهل الجنة . .

وقد طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة وقدمته دور النشر المختلفة . .

و من الكتب الجامعة في الأحاديث القدسية الكتاب المسمى «بجامع الأحاديث القدسية» لمؤلفه الأستاذ أبي عبد الرحمن عصام الدين الصَّبابطي ، وقد قدم فيه مجهوداً مشكورا واستقصى الأحاديث من مظانها ، وأضاف ما لم تكن الكتب السابقة عليه قد ذكرته ، ونبه إلي درجة الحديث ، والمصادر التي ذكرته ، مع تخريج هذه الأحاديث . .

وقد بلغت أحاديث هذا الكتاب خمسين ومائة وألف . .

ولقد قدم بعمله العظيم وجهده الطيب ما يستحق الثناء والشكر . . .

كتابنا هذا

ونحن نقدم للقراء الكرام كتاب الإمام عبد الرءوف المناوى المسمى «بالإتحافات السنية» الذى يعتبر الرائد المستقصى لجماع الحديث القدسى بعد محيى الدين بن عربى . .

وشرحه للدمشقى . . مضيفين إليه ما فاته من أحاديث لم يذكرها فى أبوابها وموضوعاتها . . مع تعليقنا بما يفيد ويسعف به الوقت والجهـد . . . بمشيئة الله

تعالى ـ وقد جعلنا عنوانا للحديث يشير إلي مضمونه ليسهل البحث عنه والعثور عليه .

وسيجد القاريء ـ إن شاء الله ـ تنبيها إلي ما أضيف في موضعه . .

نرجو الله ـ تعالى ـ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يرزق به النفع لنا وللمسلمين إنه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .

ترجمة المناوى

هو الإمام عبد الرءوف بن تاج العارفين على بن زين العابدين المناوى ، الحدادى ، المصرى ، الحافظ ، الملقب بزين الدين الفقيه الشافعى .

والمناوى ـ بضم الميم ـ وقال بعضهم : أُلمَنَوى ـ بضم الميم أيضا ـ نسبة إلى قرية من قرى مصر كانت بمصر قديما تسمى «مُنَى» وقيل : بل هو منسوب إلى منية ابن خصيب ، وهى مدينة المنيا حاليا ، والتى كان يقيم فيها الإمام القرطبى صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبى .

ونسبته إلى منية ابن خصيب هو الأشهر . وقد ذكر ذلك السيوطى فى ترجمة جده يحيى المناوى فى كتابه حسن المحاضرة .

وقد وصفه بالحافظ كثير من العلماء والمؤرخين ، وهذا اللقب لا يظفر به الا من كان حجة في الحديث . قال عنه الإمام محمد بن الطيب بن عبد السلام الفاسى الحسنى القادرى فى كتابه «نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر والثانى» : هو خاتمة الحفاظ المجتهدين ، ولا شك أنه أعلم معاصريه بالحديث ، وأكثرهم فيه تصنيفا وإجادة وتحريرا .

وقال عنه صاحب «خلاصة الأثر فى تراجم أعيان القرن الحادى عشر» محمد أمين بن فضل الله بن محب الله الحموى : هو أجل أهل عصره من غير ارتياب .

وقال عنه أيضا : هو أعظم علماء التاريخ آثارا .

ووصفه الشيخ الأديب أحمد بن محمد المغربى المقرى نزيل مصر والمتوفى سنة ١٠٤١ هـ - فى كتابه «فتح المتعال» بأنه علامة مصر ومحدث العصر . وقال عنه : لقيته وزرته في بيته ، وجاءنى إلى منزلى ، ثم نقل عن شرحه الكبير علي الجامع الصغير وقال فيه : الذي مزج فيه الشرح بالمشروح امتزاج الحياة بالروح .

مـولده :

ولد المناوى سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة وتوفى بمصر سنة احدى وثلاثين وألف عن تسعة وسبعين عاما مباركة الغدوات والروحات وتلقى على علماء عصره.

فأخذ التفسير عن نور الدين على بن غانم المقدسى ، ونجم الدين المغيطى وشمس الدين الرملى ، وأخذ التصوف عن شيخه الإمام الشعرانى وغيره ، وأخذ الحديث عن أئمة الحديث في عصره . .

وكان دءوبا شغوفا بالعلم لا يكل عن طلبه . .

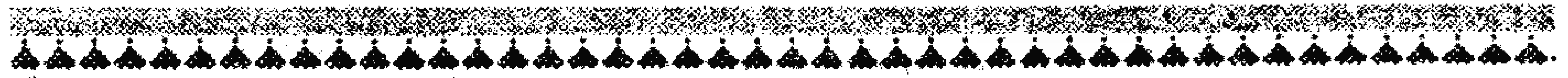
وقد وصل إلى منزلة سامية أوغرت الحاسدين ، وما أكثر تحاسد العلماء ، وقد أدى ذلك إلى الطعن فيه ظلما وعدوانا لا لشيء إلا بدافع الحسد ، وقد دسَّ له بعضهم السم ، وما أصدق قول الشاعر الكريم : .

كل العداوة قد ترجى مودتها   إلا عداوة من عاداك عن حسد

مـؤلفاته :

ترك المناوى من بعده ثروة علمية كبيرة . ذكرها البغدادى فى كتابه هدية العارفين وهى : -

١ - الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ، وهو الذي بين يدى القارىء مع شرحه وتعليقنا وإضافتنا إليه .



٢ ـ إتحاف الطلاب بشرح كتاب العباب فى الفقه الشافعى

٣ ـ نتيجة الفكر فى شرح نخبة الفكر ـ فى مصطلح أهل الأثر في أصول الحديث. ونخبة الفكر مؤلفها جمال الدين أبو البركات محمد بن موسى بن على المكى الشافعى . وهذا الكتاب سماه «اليواقيت والدرر»

٤ ـ إتحاف الناسك بأحكام المناسك .

٥ ـ الإحسان فى بيان أحكام الحيوان .

٦ ـ إحسان التقرير بشرح التحرير في الفقه

٧ـ فيض القدير في شرح الجامع الصغير في عدة مجلدات .

٨ ـ الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور في ثلاثة مجلدات ، بين فيه الزيادة على الجامع الكبير للسيوطى .

٩ ـ مفتاح السعادة بشرح الزيادة ـ أى الزيادة على الجامع الصغير .

١٠ ـ المجموع الفائق من حديث خاتمة رسل الخلائق فى الأحاديث القصار .

١١ ـ كنز الحقائق فى حديث خير الخلائق ـ انتقاه من لسان الميزان، بين فيه الموضوع والمنكر والمتروك والضعيف ، ورتبه كالجامع الصغير يجمع عشرة آلاف حديث . وهو مطبوع على ذيل الجامع الصغير للسيوطى .

١٢ ـ إحسان التقرير بشرح التحرير للقاضى زكريا في الفقه

١٣ ـ إحكام الأساس في مختصر أساس البلاغة فى اللغة

١٤ ـ إرسال أهل التعريف فى التصوف .

١٥ ـ إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن

١٦ ـ إسفار البدر عن ليلة القدر .

١٧ ـ أسماء البلدان .

١٨ ـ إعلام الأعلام بأصول فنى المنطق والكلام .

١٩ ـ بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح المحدثين

٢٠ ـ بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج .

٢١ ـ تفسير سورة الفاتحة وبعض سورة البقرة .

٢٢ ـ الجواهر المضية فى الأحكام السلطانية .

٢٣ ـ الروض الباسم فى شمائل المصطفى أبى القاسم .

٢٤ ـ الكواكب الدرية فى مناقب السادة الصوفية .

إلى غير ذلك من الكتب . .

والمطلع على هذه القائمة وغيرها يدرك أن هذا الإمام كان من العلماء الموسوعات ، فقد كان له باع طويل فى مختلف العلوم والفنون . .

رحمه الله رحمة واسعة ونفع بما قدمه العلماء والمتعلمين .

الكتـــاب

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذى نزل أهل الحديث أعلى منازل التشريف ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الشريف العفيف ، وآله وصحبه المعصومين فى المقال عن التبديل والتحريف .

وبعد ، فيقول العبد الضعيف الراجى عفو ربه الرءوف اللطيف محمد المدعو تاج الدين بن المناوى الحدادى ، كفاه الله شر المناوىء والمعادى :

هذا كتاب أوردت فيه ما وقفت عليه من الأحاديث القدسية الواردة على لسان خير البرية مرتبا على حروف المعجم ، سائلا الله أن يغفر لى ما ارتكبته من الزلل ويرحم ، انه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير وسميته «الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية»

تعليق الدمشقى على هذه المقدمة

قال الدمشقى محمد منير بن عبده أغا معلقا على هذه المقدمة :

وجد في خطبة هذه الرسالة : لمحمد المدعو تاج الدين بن المناوى الحدادى ، وفى طرة الرسالة : جمع الحقير والفقير الراجى فضل ربه القدير محمد المدعو تاج الدين المناوى الحدادى .

وفى فهرس دار الكتب المصرية : محمد تاج الدين على بن زين العابدين .

وفى كشف الظنون هو للشيخ المعروف بعبدالرءوف المناوى الحدادى المتوفى سنة ١٠٣٥ ـ ثم صححت ب ١٠٣١ ـ

أوله : الحمد لله الذى نزل أهل الحديث أعلى منازل الشرف . . .

وهذا كله خلاف الحقيقة ، والصواب على ما يظهر من ترجمة الحافظ عبد الرءوف ابن تاج العارفين على بن زين العابدين الحدادى ثم المناوى القاهرى أنه لعبد الرءوف إلا أنه لم يكمله ، بل تركه مسودة ، فجاء ولده المدعو تاج الدين وأكمله بعد أن بيضه ، ونسبه إلى نفسه ، لأن والده عبد الرءوف عجز فى آخر عمره بسبب الأمراض من تكميل كثير من مؤلفاته ، على ما جاء فى كتاب خلاصة الأثر

فكان ولده محمد تاج الدين يستملى منه التأليف ويسطرها ، لذلك نسب ولده محمد تاج الدين هذه الرسالة لنفسه فى خطبتها . وهذا ما اهتديت إليه بعد بحث عميق . والله هو الهادى للصواب واليه المرجع والمآب :ـ

(الفاتحة بين الرب وعبده)

الحديث الأول

قال الله ـ تعالى ـ «ابنَ آدمَ ، أنزلت عليك سبْعَ آيات : ثلاثٌ لى ، وثلاثٌ لك ، وواحدةٌ بينى وبينَك ، فأما التى لى فالحمدُ لله ربِّ العالمين ـ الرحمنِ الرحيمِ . مالك يومِ الدين ـ والتى بينى وبينك : إيَّاك نعبدُ وإيَّاك نستعينُ ، منك العبادةُ وعلىَّ العونُ ـ وأمَّا التى لك : اهدنا الصراطَ المستقيم ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوبِ عليهِم ولا الضالِّين»

رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى بن كعب (1)

شرح الحديث

خاطب الله ـ تعالى ـ عباده بخطاب عام شامل ، المؤمن ، الكافر ، الذكر والأنثى ، الحر والعبد بقوله : «ابن آدم»

أى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنزل سبع آيات ثلاثاً مختصه بالله ـ تعالى ـ

أولها : الحمد لله .

---

(1) هذا الحديث أخرجه النسائى فى سننه جـ٢ صـ ١٣٩ بلفظ مختصر .
قال : أخبرنا الحسين بن حريث قال : حدثنا الفضل بن موسى عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : « ما أنزل الله ـ عز وجل فى التوارة ولا فى الإنجيل مثل أمِّ القرآن ، وهى السبع المثانى ، وهى مقسومة «بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل»
وعلق عليه صاحب «جامع الأحاديث القدسية بقوله : الحديث صحيح ـ إسناده صحيح ررجال ثقات . رجال البخارى ومسلم . . . جـ١ صـ٢٢٩
وهذا الحديث المذكور فى الإتحافات أورده السيوطى فى الدر المنثور بلفظه جـ١ صـ١٢ وعزاه كذلك إلى الطبرانى فى الأوسط عن أبى بن كعب . . .

الحمد والثناء على الحقيقة لا يكون إلا لله ، جل اسمه ، وتنزهت صفاته ـ فكل فرد من أفراد الحمد إنما هو لله ـ سبحانه وتعالى ـ حقيقة ، لأن النعم منه وإليه .

والثانية : الرحمن الرحيم .

يعني أن هذين الوصفين هما من خواص أسمائه ونعوت جلاله ، فهو ـ جل جلاله ـ الرحمن ، أي المنعم بجلائل النعم ، الرحيم ـ أي المنعم بجلائل النعم ، بدقائقها

قال أبو علي الفارسي [٢] : الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به ـ تعالى ـ

والرحيم : إنما هو في جهة المؤمنين . قال الله ـ تعالى ـ : «وكان بالمؤمنين رحيما [٣]»

والثالثة : مالك يوم الدين . أي مالك يوم الحساب والجزاء ، يوم يدين الله العبادبأعمالهم ، ويجازي كل عامل بما عمله والنسبه .

وثلاثا مشتركة بين الرب ـ تعالت أسماؤه ـ وبين العبد وهي :

إياك نعبد وإياك نستعين : أي لا نعبد الا إياك ، ولا نستعين إلا بك ، فنخصك بالعبادة والاستعانة في جميع الأمور ، لا نفعل عبادة ما إلا لذاتك وعظمة جلالك ، فكل عبادة لغيرك أو فيها غيرك شرك ومردودة على صاحبها .

والاستعانة والالتجاء والمعونة لا تكون إلا بك ـ جل اسمك وعز ثناؤك ـ ومنك . فمن استعان بغيرك وأشرك معك غيرك فقد أشرك وجحد نعماءك ، وضل سواء الطريق .

---

(٢) أبو علي الفارسي : هو أبو علي بن أحمد بن عبد الغفار النحوي ، من أئمة اللغة ، له مؤلفات منها : كتاب الحجة ، كتاب التذكرة ، كتاب أبيات الأعراب ، كتاب شرح أبيات الإيضاح وغيرها .
توفى قبل السبعين وثلاثمائة ـ الفهرست لابن النديم صـ١٠١ .
(٣) الآية رقم ٤٣ من سورة الأحزاب .

منك العبادة وعلى العون : أى فعلى العبد المخلوق القيام بالعبادة التى أمره الله ـ جل ذكره بها . وحضه عليها ، ومنه طلبها . ومن الله ـ جل جلاله ـ المعونة والتسديد ، والإقدار عليها وتسهيلها ، والتوفيق لها والتيسير لفعلها والمحافظة عليها .

وأما التى هى خاصة بالعبد فاهدنا الصراط المستقيم . . الخ : بأن يدعو الله ـ سبحانه ـ فى السراء والضراء بأن يهديه إلى دين الحق الواضح الذى لا اعوجاج فيه ، والصراط السوى الذى هو دين الإسلام ، الدين الخالص ، الدين المشتمل على سعادة الدارين ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

غير المغضوب عليهم : الذين فسدت إرادتهم ، فعلموا الحق وعدلوا عنه ، ولا صراط الضالين الذين فقدوا العلم ، فهم هائمون فى الضلالة ، لا يهتدون إلى الحق .

اللهم أصلح حال الأمة الإسلامية . واهدهم للتمسك بالكتاب الحكيم ، وسنة من هو بالمؤمنين ـ رءوف ـ رحيم .



(العبادة توسع الرزق وتبعد الهم وتسعد القلب)

الحديث الثانى

«ابن آدم ، تَفَرَّغ لعبادتى ، أَمْلأ صدرك غِنىً ، وأَسُدُّ فَقْرَكَ ، وإلاَّ تفعلْ ملأت صدرك شغلاً ، ولم أسد فقرك»

رواه الترمذي ـ والبيهقي عن أبي هريرة (٤)

---

٤ ـ وردت بهذا المعنى عدة أحاديث قدسية . .

منها ما رواه أحمد من حديث أبي هريرة : قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله ـ عز وجل ـ «يا بنَ آدم تفرغْ لعبادتي املأ صدرَك غنيً ، وأسُدُّ فقرك وإلا تفعلْ ملأتُ صدرك شغلاً ، ولم أسد فقرك»

المسند جـ١٦ برقم ٨٦٨١

وعلق عليه صاحب الأحاديث القدسية بقوله : صحيح لغيره .

وأخرجه الترمذي جـ٤ برقم ٢٤٦٦ ، وقال عنه ، حديث حسن غريب .

وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٤٧٧ .

وأخرجه ابن ماجه ، والحاكم في المستدرك .

وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة جـ٣ صـ١٣٥٩ ، وفي صحيح الجامع الصغير جـ٢ صـ ١٩١٠ معزوا لأحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم ، وقال : صحيح .

ومنها ما رواه الحاكم من حديث معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ ـ : يقول ربكم تبارك وتعالي : **يا بن آدم تفرغْ لعبادتي أملأ قلبك غنيً ، وأملأ يديك رزقاً ، يا بن آدمَ لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرا ، واملأ يديك شغلا»**

الحاكم في المستدرك جـ٤ صـ٣٢٦

وعلق عليه صاحب الأحاديث القدسية بقوله : ضعيف .

ومنها ما أخرجه عبد الرزاق مقطوعا . . من حديث معمر عن ليث .

قال : «إن الله قال : يا بن آدم تفرغ لعبادتي املأ قلبك غني ، وأسد عليك فقرك ، فإن لم تفعل ملأت قلبك شغلا ، ولم أسدد فقرك ، يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني فإني أغفر لك على ما كان وحق عليَّ ألاَّ أضل عبدي وهو يسألني الهدي وأنا الحكم»

المصنف لعبد الرزاق جـ١١ ـ ٢٠٣٥ ـ

ومنها : ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس .

قال : يقول الله ـ عز وجل ـ « **ابن آدم إن تقبل علي أملأ قلبك غني ، وأنزع الفقر من بين عينيك ، وأكف عليك ضيعتك فلا تصبح إلا غنيا ، ولا تمسي الا غنياً ، وإذا أدبرت عني أو وليت عني نزعت الغني من قلبك ، وجعلت الفقر بين عينيك ، وأمشيت عليك ضيعتك فلا تصبح إلا فقيرا ولا تمسي إلا فقيرا»**

كنز العمال جـ٥ ١ صـ٤٣٦١٣ ـ

شرح الحديث

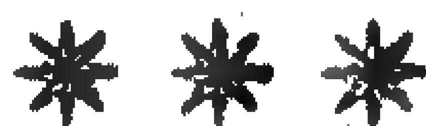
أمر من الله - تعالي - لعباده أن يفرغوا قلوبهم إلي عبادته - تعالي لا يشغلوها بالسوي(٥) ، فيملأ صدروهم غني ، فلا ينظروا إلي الدنيا وزهرتها ، ولا إلي ما في أيدي الناس . بل الدنيا بأيديهم دون قلوبهم ، يأخذون الزاد للآخرة كمثل المسافر ، ليس له من سفره إلا المرور إلي مقصده ، وهذه طريقة السلف الصالح والقرون الأول .

ويسد فقره : بألا يحتاج إلي أحد ، وتشبع نفسه وتزهد في الدنيا .

وإن لم يفعل : ما أمره الله من ذلك ملأ الله صدره شغلا و بأنه يكون همه الدنيا ، لا يشبع من حطامها لانهماكه فيها ، وشرهه .

ولم يسد فقره : بل يكون دائما محتاجا فيها ، ظاهر الفقر وإن كان لديه مال كثير .

فأسأل الله السلامة من الدنيا والميل إليها .



٥ - بالسوي : أي بما سوي الله تعالي من أعمال وأشغال وأفكار وتطلعات .

الحديث الثالث

«ابن آدم اذكرني بعد الفجر وبعد صلاة العصر أكفك ما بينهما»

رواه مسلم فى الزهد ، وأبو نعيم عن أبى هريرة (٦)

* * *

الحديث الرابع

«ابن آدم ، اكفنى أوّلَ النهار أربَعَ ركعاتٍ أكفك بهن آخِرَ يومك»

رواه الإمام أحمد ، وأبو يعلى عن عقبة بن عامر الجهنى

* * *

---

(٦) هذا الحديث لم يتناوله الدمشقى بالشرح فى كتابه «النفحات السلفية» .
وهذا الحديث يشير إلى أهمية الذكر بالنسبة للإنسان وأنه حافظ لصاحبه ضامن له الكلاءة والرعاية من الله .
كما قال ـ تعالى ـ «**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**» وقوله تعالى «**فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون**»
ومن أنواع الذكر ما تشير إليه الأحاديث الواردة بعد ذلك .
وقد أخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل هذا الحديث فى زوائد الزهد لأبيه أحمد بن حنبل .. من حديث أبى هريرة .
قال : حدثنا عبد الله بن سندل ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جبير عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فيما يذكر عن ربه ـ عز وجل :ـ
«ابن آدم اذكرنى بعد الفجر وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما»
وعلق صاحب جامع الأحاديث القدسية بقوله : ضعيف

الحديث الخامس

«ابن آدم صَلِّ لى أربع ركعاتٍ من أول النهار أكفك آخره»

رواه أحمد عن أبى مرة الطائفى (٧)



---

(٧) ورد بهذا المعني أحاديث عدة منها :
ما أخرجه أحمد في مسنده من حديث مكحول عن أبي مرة الطائفي قال سمعت النبي ﷺ ـ يقول :
«قال الله ـ عز وجل ـ : ابن آدم صل لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره»
المسند جـ٥ صـ٢٨٧
وعلق صاحب جامع الأحاديث بصحة هذا الحديث
ورواه أحمد أيضا برواية أخري :هي «لا تعجزن من الأربع ركعات من أول نهارك أكفك آخره»
ومنها :ـ ما أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء وأبي ذر :
« عن رسول الله ـ ﷺ ـ عن الله ـ عز وجل أنه قال : ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره»
صحيح الترمذي جـ٢ صـ٤٧٥
وهو حديث صحيح
ومنها ما أخرجه أحمد من حديث أبي الدرداء :
عن النبي ـ ﷺ ـ قال : «إن الله ـ عز وجل يقول : ابن آدم ، لا تعجز من أربع ركعات أول النهار أكفك آخره»
المسند جـ٦ صـ٤٥١
وهو حديث صحيح .
ومنها ما أخرجه أبو داود من حديث نعيم بن همار قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول « يقول الله عز وجل ، يا بن آدم لا تعجزني من أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره
سنن أبي داود جـ٢ صـ١٢٨٩
وهو حديث صحيح .
ومنها ما أخرجه أحمد في مسنده من حديث عقبة بن عامر قال إن رسول الله ﷺ ـ قال : «إن الله ـ عز وجل ـ يقول : يا بن آدم اكفني أول النهار بأربع ركعات أكفك بهن آخر يومك»
وهو حديث صحيح . المسند جـ٤ صـ١٥٣
ومنها ما أخرجه الطبراني في الكبير : من حديث ابن عمر :
قال رسول الله ﷺ : يقول الله : ابن آدم صل لي ركعتين أول النهار ـ أضمن لك آخره
ورمز له صاحب جامع الحديث بالضعف
ومنها ما رواه الطبراني في الكبير أيضا من حديث أبي أمامة
قال رسول الله ﷺ « ان الله يقول يابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره»
ورمز له أيضا صاحب جامع الأحاديث القدسية بالضعف وعلة الضعف في الاسناد لا في المعني ..
ما تشير اليه هذه الأحاديث =

(القناعة كنز لا يفنى)

الحديث السادس

« ابن آدم ، عندك ما يكفيك ، وأنتَ تطلب ما يُطغيك لا بقليل تقنع ، ولا من كثير تشبع ، إذا أصبحت معافًى فى جسدك ، آمِناً فى سِرْبك ، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء »

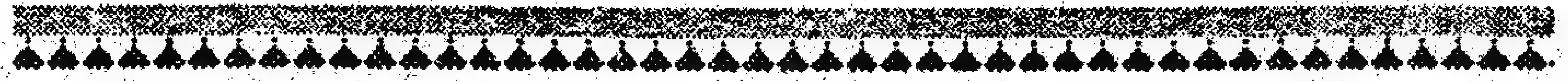
رواه ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر (٨)

شرح الحديث

أى يا بن آدم عندك ما يسد حاجتك على وجه الكفاف ، وأنت تحاول أخذ ما

= ترغب هذه الأحاديث فى صلاة الضحى . .
والضحى انبساط وامتداد النهار قال تعالى « والضحى والليل اذا سجى » وما أقسم الله به إلا لمزيد فضله . .
قال النووى : أكثر صلاة الضحى ثمانى ركعات ، وقيل : اثنا عشر ركعة ، فعليك أخى بالمداومة عليها لتجعل من وقتك دقائق تسبح الله فيها فيتجلى عليك الرب برضوانه ويعمك بإحسانه .
ولكن الأحاديث المذكورة تشير إلى أن أقل الضحى ركعتان ، وقد رأيت أنها سبب غفران الذنوب وتكفير الخطايا وزيادة الحسنات . . . الترغيب والترهيب للمنذرى جـ١ صـ٤٦٤ .

ومن معانى الكلمات اللغوية فى الأحاديث
اكفنى أول النهار : يعنى أدِّ فى أول النهار هذه الركعات . .
ومعنى أكفك آخره : أحفظك من الشرور وأيسر لك الأمور
وجاء الأمر باكفنى على سبيل المشاكلة لأكفك كما جاء فى قوله تعالى ـ « انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا»
«ويمكرون ويمكر الله» .
٨ ـ هذا الحديث فى كنز العمال جـ٣ صـ٧٠٨١
وأورده ابن عدى فى كتابه «الكامل» والبيهقى فى شعب الإيمان . .
وقد علق عليه جامع الأحاديث القدسية بالضعف
والحديث وارد فى جامع الأحاديث القدسية فى باب : ماورد فى ذم الدنيا
وهو الباب السابع عشر فى موضوعات الكتاب .
وعلة الضعف إسناد الحديث ، وإن ذكر بعضهم أنه موضوع



يطغيك ويحملك على الظلم ومجاوزة الحدود الشرعية والحقوق المرعية .

يا ابن آدم : لا بقليل من الرزق تقنع ، أى ترضى وتكتفى بماقسم الله لك .

ولا من كثير تشبع : أى لا تزال شَرِهاً نهِماً ، تتطلع إلى ما فى أيدى الناس .

يا بن آدم اذا أصبحت : أى دخلت فى وقت الصباح . والحال أنك معافى . أى سالما من الآلام والآثام فى جسدك وبدنك .

آمنا فى سربك : ـ السرب ـ بكسر وسكون أى نفسك . أو بفتح وسكون أى مذهبك وملكك

عندك قوت يومك : وهو ما يقوم بكفايتك فى يومك وليلتك ، ، أو ما يسد الرمق .

فعلى الدنيا العفاء : بفتح العين المهملة : أى الهلاك والدروس وذهاب الأثر .

قال الزمخشرى(٩) : ومنه قولهم عليه العفاء ، إذا دعا عليه ليعفو أثره .

والمعنى اذا كنت كذلك فقد جمع الله لك ما تحتاجه من الدنيا فدع عنك ما عداه ، واشتغل بما يقربك الى الله .

قال الغزالى (١٠) : ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث ، مع أنه وبال عليهم ، لا يشكرون نعمة الله فيها .

حكاية : ـ

ومر سليمان ـ عليه السلام ـ على بلبل بشجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه .

---

٩ ـ الزمخشري : هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري الملقب بجار الله . الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ، من تأليفه : الكشاف في التفسير ، وأساس البلاغة في اللغة ، والفائق في تفسير الحديث والمفصل في النحو ، وغيرها توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ليلة عرفة ـ وفيات الأعيان جـ٢ صـ٥١٢

١٠ ـ الغزالي : هو الامام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام ، صاحب كتاب احياء علوم الدين ، وغيره من الكتب النافعة القيمة ولد سنة ـ ٤٤٥ هـ بطرس ، وتوفي بالطابران سنة ٥٠٥ هـ ـ وفيات الأعيان جـ٢ صـ ٢٤٦

فقال : أتدرون ما يقول ؟

قالوا : الله ونبيه أعلم .

قال : يقول : أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء .

وصاحت فاختة[١١] . فأخبر أنها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا .

وقال صالح بن جناح لابنه : إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيهما دينك ومالك وبدنك وعيالك فأكثر الشكر لله، فكم من مسلوب دينه ومنزوع ملكه ومهتوك ستره ذلك اليوم ، وأنت فى عافية .

ومن هنا نشأ زهد الزاهدين فاستراحت قلوبهم بالزهد ، واكتفوا بالورع عن الله ، وتفرغت قلوبهم وأعمالهم لبذل الجد فى سبيل الحمد ، ومُيِّزَ القريب من البعيد والشقى من السعيد والسادة من العبيد .

وهذا هو المهيع[١٢] الذى قبض بسطه وجوه القلوب ، فلم يبق للعاقل حظ فيما زاد على كسرة تكسر شهوته ، وسترة توارى عورته ، وما زاد متجر إن أنفقه ربحه ، وإن ادخره خسره .

وفيه حجة لمن فضل الفقر على الغنى . .

مايستفاد من الحديث : ـ

وقد أفاد مطلع الحديث أن الصحة نعمة ، عظيم وقعها ، جزيل نفعها ، بل هى أجل النعم على الإطلاق ، وفى إشعاره إعلام بأن العالم ينبغى له ألاّ يغفل عن وعظ الناس ، إذ الإنسان لما جُبل عليه من الغفلات لابد له من من ترغيب يشده ، وترهيب يرده ، ومواعظ ترققه ، وأعمال تصدقه ، وإخلاص يحققه بالترفع أستار الغفلة عن عيون القلوب ، وتكتسب الأخلاق الفاضلة لتصقل الصدأ عن مراثى

---

١١ ـ فاختة : نوع من الطيور : هو ضرب من الحمام المطوق اذا مشي توسع في مشيه وباعد بين جناحيه وابطيه وتمايل .

١٢ ـ المهيع : من الطرق : البين ، ويجمع علي مهايع .

النفوس .

ولقد هز القلوب بحسن هذا النظم وبلاغة تناسبه ، وبراعة ربطه ، وحسن انسجامه . «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد»

أفاده المؤلف فى فتح القدير . والحديث فيه مقال[١٣] .

* * *

(الدين النصيحة)

الحديث السابع

«أحبُّ ما تَعبَّدَنى به عبدى النصحُ - وفى رواية - : لكل مسلم»

رواه أحمد عن أبى أمامة الباهلى - والحكيم ، وأبو نعيم[١٤]

* * *

---

١٣ - أي لم نوف حقه من البيان ، ومازال فيه مزيد لمن أراد الحديث .

١٤ - هذا الحديث لم يتعرض له الشارح

ومعني تعبدني : عبدني وأخلص لي في عبادتي

والنصح : يشير إلي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد أورد صاحب كتاب جامع الأحاديث القدسية هذا الحديث في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهو الكتاب السابع من بين موضوعات الكتاب السابع

هذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده جـ٥ ص٢٥٤ .

والحكيم المذكور في رواة الحديث : هو الحكيم الترمذي صاحب كتاب جامع الأصول .

وقد رمز لهذا الحديث بالضعف ، ومرد الضعف إلي الاسناد لا إلي معني الحديث ، فقد تواترت أحاديث كثيرة تحث علي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(تعجيل الفطر فى الصوم)

الحديث الثامن

(أحبُّ عبادى إلى أعجلهم إلى فطرا)

رواه أحمد ، والحكيم ، وأبو نعيم عن أبى أمامة ، والترمذى عن أبى هريرة (١٥)

* * *

الحديث التاسع

(إن أحبَّ عبادى إلى أعجلهُم فِطراً)

رواه أحمد ، والترمذى ، عن أبى هريرة

شرح الحديث ـ من النفحات السلفية

فيه استحباب تعجيل الفطر للصائم رمضان كان أو غيره . وورد فى ذلك أحاديث . منها ما رواه سهل بن سعد أن النبى ـ ﷺ ـ قال : «لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» ـ أخرجه الشيخان فى صحيحيهما وغيرهما .

وعن أبى ذر : أن النبى ﷺ : قال : لا تزال أمتى بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر» ـ أخرجه أحمد .

---

١٥ ـ وهذا الحديث لم يتعرض له الشارح أيضا .
ومعني أعجلهم : أسرعهم
والحديث يدعو إلي تعجيل الإفطار في الصوم . وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة منها : عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» رواه البخاري ومسلم .
وهذا الحديث الذي ذكره المناوي في الإتحافات السنية . رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ـ قال رسول الله ﷺ ـ قال الله ـ عز وجل ـ : «إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا»
وقال رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وقد أشارت بعض الأحاديث إلي علة الدعوة إلي تعجيل الفطور . فعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون»
ـ رواه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان

وجاء فى سنن أبى داود ما يبين حكمة ذلك - فقد روى بسنده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ - قال : «لايزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر ، لأن اليهود والنصارى يؤخرون»

ففى هذا إشارة إلى أن هذا الفعل دخل فيه التحريف من أهل الكتاب فبمخالفتهم وردّ تحريفهم قيام الملّة .

التعليق

هذا الحديث مكرر مع ما قبله - وترتيبه فى الإتحافات الرابع والثلاثون ، وقد قدمناه لمناسبته لما قبله . وقد ذكرنا فى تعليقنا على الحديث السابق فى الهامش درجة الحديث .



(وجوب الصبر على الآلام والكوارث)

الحديث العاشر

«إذا ابتليت عبدىَ المؤمنَ فصبر فلم يشكنى إلى عُوَّاده ، أطلقتهُ من إسارى ، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، ثم يستأنفُ العملَ»

رواه الحاكم عن أبى هريرة(١٦)

---

١٦ - الحديث كما جاء في الحاكم جـ١ صـ٣٤٨ وهو :-
عن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : قال الله - تعالي - : «إذا ابتليت عبدي المؤمن ولم يشكني إلي عواده أطلقه من إساري ، ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ، ودما خيرا من دمه ، ثم يستأنف العمل» قال الحاكم : هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه
ومعني (يستأنف العمل) : أي يبتديء العمل . يقال : استأنفت الشيء إذا ابتدأته بعد توقف .
وهناك أحاديث أخري فيها هذا المعني
جاء في موطأ مالك صـ٥٨٤ - الباب الخامس :
عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال:=

شرح الحديث

الابتلاء : الاختبار والامتحان والتجربة .

قال القتيبي : يقال من الخير أبليتُه أبليه إبلاءً ، ومن الشر : بلوته أبلوه بلاء .

«المعروف أن الابتلاء يكون فى الخير والشر معاً من غير فرق بين فعليهما ، ومنه قوله ـ تعالى ـ ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ (١٧)

والعُوَّاد : الزُوَّار ، وكل من اتاك مرة بعد أخرى فهو عائد ، وإن اشتهر ذلك فى عيادة المريض .

والمعنى ـ والله أعلم ـ : أن العبد المؤمن إذا ابتلاه الله ، بإحدى بلايا الدنيا فليصبر ، وليحتسب بالله فى أجره ، واذ اجتمع بأحد من أصدقائه وأوليائه فلا يظهر له الجزع والضجر والألم ، وأنه أصيب بكذا وكذا ، لأن هذا شكوى من الله إلى عباده ، وهذا لا يليق ، بل يبدى الفرح والسرور لأن أكثر الابتلاء يكون للعظماء المقربين ،

- «إذا مرض العبد بعث الله ـ تعالي ـ اليه ملكين . فقال : انظروا ماذا يقول لعواده ، فإن هو إذا جاءوا حمد الله وأثني عليه ، رفعا ذلك إلي الله ـ عز وجل ـ وهو أعلم ـ فيقول : لعبدي علي أن توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدل له لحماً خيرا من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، وأن أكفر عنه سيئاته»

وقد روي المنذري هذا الحديث في كتابه «الترغيب والترهيب» جـ٤ ص٥٥٣ .

وقال : رواه مالك مرسلا .

وهو في كنز العمال جـ٣ برقم ٦٧٠٤

ورمز له صاحب كتاب جامع الأحاديث القدسية بالضعف لأن أحد رواته ضعيف الحديث ..

والحديث المذكور في الإتحافات . يندرج تحت موضوع «الحث علي الصبر وعدم الشكوي من البلاء»

ومن الأحاديث الواردة في ذلك :ـ

«ثلاث من كنوز البر : إخفاء الصدقة ، وكتمان الشكوي ، وكتمانُ المصيبة ، يقول الله ـ تعالي ـ : اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلي عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ، فإن أبرأته أبرأته ولا ذنب له ، وإن توفيته فإلي رحمتي»

أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء عن أنس جـ٧ صـ١١٧

ومنها ما رواه الطبراني في الأوسط :

« قال الله عز وجل : أذا اشتكي عبدي فأظهر المرض قبل ثلاث فقد شكاني»

وقال صاحب جامع الأحاديث عن هذا الحديث : إنه ضعيف جدا ، وعن سابقه : إنه موضوع ولكن معناهما يتفق مع الأحاديث السابقة الصحيحة ..

١٧ ـ سورة الأنبياء آية رقم ٣٥

والأتقياء المصلحين ، ليثبتوا ويصبروا ، فيكونوا قدوة وأسوة لغيرهم من الضعفاء ومرضى القلوب . فإذا فعل ذلك أطلق من إسار التقليد والتكليف ، وغفر له ذنوبه وكفر عنه سيئاته . فكان من النبيين والشهداء و الصالحين.

اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين

* * *

الحديث الحادى عشر

« إذا اشتكى عبدى فَأظْهَرَ المرض من قبل ثلاث فقد اشتكانى »

رواه الطبراني في الأوسط عنه

شرح الحديث (من النفحات السلفية)

الشكوى والشكاة والشكاية : المرض

« المعنى إذا مرض العبد فأظهر مرضه وأخبر به من يراه أو يزوره قبل ثلاثة أيام فقد شكى مولاه الرحيم إلى عبده الضعيف ، وأخبر بما يقاسيه من ألم المرض الذى أوجده فيه ربه وخالقه .

وليس هذا حال المؤمن القوى الإيمان ، بل حال ضعفاء القلوب .

اللهم اجعلنا من عبادك الصابرين فى السراء والضراء .

التعليـق

الضمير فى عنه يعود إلى أبى هريرة ، وقد سبق له رواية حديث سابق ، وقدجاء هذا الحديث فى مجمع الزوائد ـ ذكره الهيثمى ـ جـ٢ صـ٢٩٥

وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العمرى وهو متروك .

ولذلك علق صاحب جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا . .

والحديث فى كنز العمال جـ٣ ص ٦٧٣٨

ومن الأحاديث التى تدعو إلى الصبر عند البلاء حديث أبى أمامة عـن النبى ﷺ قال : « إن الله ـ عز وجل ـ يقول لملائكته : انطلقوا إلى عبدى فصبوا عليه البلاء صباً . قال : فيأتونه ، فيصبون عليه البلاء صباً فيحمد الله ، فيرجعون فيقولون : يا رب ، إنا صببنا عليه البلاء صباً كما أمرتنا ، فيقول : ارجعوا فإنى أحب أن أسمع صوته» أخرجه البغوى فى شرح السنة جـ٥ صـ٢٣٦

وعلق عليه جامع الأحاديث بالضعف ، وقد تابع فى ذلك العراقى فى تخريج أحاديث إحياء علوم الدين جـ١ صـ٣٠٨

وهذا الحديث ترتيبه فى الاتحافات الرابع والعشرون ، وقد قدمناه لمناسبته لما قبله

* * *

(وجوب الصبر على فقد العينين)

الحديث الثانى عشر

«إذا ابتليتُ عبدى بحبيبتيه ، ثم صبرَ ، عوضته عنهما الجنه ـ يعنى عينيه ـ»

رواه أحمد عن أنس ، والطبرانى عن جرير (١٨)

---

١٨ ـ لهذا الحديث الشريف روايات كثيرة .

أحدها هذه الرواية ، ولها رواية أخرى هي « من سلبتُ كريمتيه عوضته عنهما الجنة» الطبراني في الكبير جـ٢ برقم ٢٢٦٣

وثانيهما : ما رواه أنس وأخرجه البخاري في صحيحه رهر «إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة» ـ البخاري جـ٧ صـ١٥١

وثالثهما : ما رواه الترمذي في صحيحة جـ٤ برقم ٢٤٠٠ عن أنس أيضا :. « إن الله يقول إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة» قال أبو عيسي الترمذي : هذا حديث حسن غريب

ورابعها : ما رواه أحمد في مسنده جـ٣ ص١٥٦ من حديث أنس أيضا

: قال رسول الله ـ ﷺ ـ قال الله عز وجل : «إذا أخذت بصر عبدي فصبر عليه واحتسب فعوضته عندي الجنة»

وخامسها: ما أخرجه أبو يعلي في المطالب العالية جـ٢ برقم ٢٤٢٧ من حديث أنس أيضا .. قال رسول الله ـ ﷺ ـ «قال الله ـ عز وجل ـ إذا أخذت كريمتي عبد لم أرض له ثواباً دون الجنة . قلت : يا رسـول الله : ـ

شرح الحديث

حبيبتيه : تثنية حبيبة ، والمراد بهما عيناه ، وأطلق عليهما ذلك لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه ، وأنفعها .

وليس الابتلاء بالعمى لسخط ، بل لدفع مكروه يكون بالبصر ، ولتكفير ذنوب ، وليبلغه إلى درجة لم يكن يبلغها بعمله .

وسبب الحديث ما أخرجه البيهقى عن أنس أيضا بلفظ قال : «مَرَّ ابن أم مكتوم(١٩) فسلم ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ألا أحدثكم بما حدثنى جبريل ؟ إن الله يقول : حق على من أخذت كريمتيه أن ليس له جزاء إلا الجنة»

- وإن كانت واحدة ؟ قال : وإن كانت واحدة»

ورمز جامع الأحاديث القدسية لهذا الحديث بالضعف

وسادسها: ما أخرجه الطبراني في الأوسط : « إن الله قال : يا جبرائيل ، ما ثواب عبدي إذا أخذت كريمتيه إلا النظر إلي وجهي ، والجوار في داري»

وقد ذكر الطبراني مناسبة حول هذا الحديث :

عن أبي ظلال القسملي أنه دخل علي أنس بن مالك . فقال له : يا أبا ظلال متي أصيب بصرك ؟ قال : لا أعقله . قال : ألا أحدثك حديثا حدثنا به رسول الله ـ ﷺ ـ عن جبرائيل عليه السلام عن ربه تبارك وتعالي ؟ فذكر الحديث ...

ثم قال «ولقد رأيت أصحاب النبي ـ ﷺ ـ يبكون حوله يريدون أ ن تذهب أبصارهم .

ورمز كتاب جامع الأحاديث له بالضعف

وسابعها: ما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة :

«يقول الله عز وجل : من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة ..»

وثامنها : ما أخرجه ابن حبان من حديث العرباض بن سارية : «إذا سلبت من عبدي كريمتيه، وهو بهما ضنين لم أرض له ثوابا دون الجنة أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٧٠٦

وتاسعها : ما أخرجه ابن حبان أيضا من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما « يقول الله تبارك وتعالي : إذا أخذت كريمتي عبدي ، فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة» ابن حبان برقم ٧٠٥ .

وعاشرها : ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير جـ٢ برقم ١٧٢٣

« ان الله أوحي إلي أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ، ومن سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة ، وفضل في علم خير من فضل في عبادة ، وملاك الدين الورع» ..

١٩ ـ هو عبد الله بن زائدة بن الأصم . وقيل : عبد الله بن قيس بن زائدة يعرف بنسبه إلي أمه . وقيل في اسمه أيضا : عمرو بن قيس بن زائدة وأم مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله ، وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها . كان صادق الإيمان ، شهد كثيرا من غزوات النبي ﷺ واستشهد في القادسية ـ اسد الغابة ـ

ورواه البيهقى أيضا عن أنس بلفظ قال : قال رسول الله ﷺ : «حدثنى جبريل عن رب العالمين أنه قال : جزاء من أخذت كريمتيه الخلود فى دارى والنظر إلى وجهى»

وعبر هنا بكريمتيه لكرمهما عند الإنسان لما فيهما من المنافع .

ولذلك نفى المولى ـ جل ذكره ـ الحرج عن فقدهما ، ومما يناسب المقام قول حبر الأمة عبد الله بن العباس رضى الله عنهما لما عمى فى آخر عمره :

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دَخَلٍ ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور (٢٠)

***

الحديث الثالث عشر

«إذا قبضت كريمة عبدى وهو بها ضَنِينٌ ، فحمدنى على ذلك لم أرض له ثواباً دُونَ الجنة»

رواه الطبرانى وابن حِبّان عن العرباض بن سارية (٢١)

***

٢٠ ـ البيتان في أسد الغابة ، وروايتهما

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دَخَلٍ ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

يقال : سيف مأثور ، في متنه أثر الوشي والزينة .

٢١ ـ جاء هذا الحديث في صحيح ابن حبان ٧٠٦ (مورد الظمآن)

بلفظ : عن العرباض بن سارية عن النبي ـ ﷺ ـ يعني عن ربه تبارك وتعالى ـ أنه قال : «إذا سلبت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرض له ثوابا دون الجنة إذا حمدني عليهما»

وهذا الحديث في الإتحافات ترتيبه الثامن عشر وقدمناه لمناسبته لما قبله .

الحديث الرابع عشر

« إذا أخذتُ كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاءٌ عندى إلا الجنة إذا حمدنى عليهما »

رواه الترمذى عن أنس (٢٢)

* * *

الحديث الخامس عشر

«إذا أخذت كريمتى عبدى فصبر واحتسب لم أر له ثوابا دون الجنة »

رواه البخارى عن أنس ، وأحمد عن أبى أمامة (٢٣)

شرح الحديث

تقدم شرح الحديث ، وعبر هنا فى الحديث الأول بالكريمة بالإفراد ، وفى الثانى

---

٢٢ ـ ما رواه الترمذي في هذا الحديث جـ٤ صـ٢٤٠٠
حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي، حدثنا عبد العزيز بن مسلم أبو ظلال عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقول : إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة»
قال أبو عيسي : هذا حديث حسن غريب .
وأبو ظلال هذا هو هلال بن أبي هلال القسملي ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم وهذا الحديث في الإتحافات ترتيبه التاسع عشر وقدمناه لمناسبته لما قبله .
٢٣ ـ حديث البخاري في ذلك هو :
عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول «إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة»
البخاري جـ٧ صـ١٥١

وحديث أحمد عن أبي أمامة هو :
قال رسول الله ـ ﷺ ـ «يقول الله عز وجل : يا بن آدم ، إذا أخذت كريمتيك فصبرت واحتسبت عند الصدمة الأولي لم أرض لك بثواب دون الجنة» . مسند أحمد جـ٥ صـ٢٥٨
ورمز له صاحب جامع الأحاديث بالصحة ..
وترتيب هذا الحديث في الإتحافات العشرون وقدمناه لمناسبته لما قبله وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب وعنوانه في كتاب جامع الأحاديث القدسية «في الصبر علي فقد العينين»
ويبدو أن كثرة الأحاديث الواردة في هذا الموضوع للتأكيد علي أهمية الصبر عند مواجهة ما يتعرض له الإنسان من فقد عينيه وبخاصة عند الكبر ، وهو أمر كثير الحدوث ..
لطف الله بنا ووقانا ببره وعفوه ضراوة الامتحان ، وسلكنا في زمرة من يعاملهم بالإحسان .

بالتثنية - كريمتي - وفي الثالث كذلك .

والكريمة : العين - وعبر عنها بذلك لأنها أكرم الأعضاء ، وأنفعها للإنسان .

وقوله «ضنين» أي بخيل .

ففيه حث على الصبر إذا بلي الإنسان بمصائب الدنيا بأن كل شيء بحسبه من الأجر والثواب .



(الحمد على البلاء لا يقطع إجراء الثواب على ما فات)

الحديث السادس عشر

«إذا أَبْتَلَيْتُ عبداً من عبادي مؤمناً فحمِدَني على ما ابتليتهُ فاجْرُوا له ما كنتم تجرون له»

وهو صحيح رواه أحمد والطبراني في المعاجم الثلاثة عن أبي الأشعث الصنعاني (٢٤)

---

٢٤ - أبو الأشعث الصنعاني . مختلف في اسمه فقيل : شراحيل بن آده . ويقال : كليب بن آده . وقيل : شرحبيل بن شرحبيل الشامي ، ونسبته إلي صنعاء الشام .
شهد فتح دمشق ، وروي له مسلم والبخاري في الأدب . وله سماع من عبادة بن الصامت وشداد بن أوس . وروي عنه أبو قلابة .
وجاء في معني هذا الحديث عدة أحاديث قدسية .
منها : ما رواه أحمد من حديث شداد بن أوس - المسند جـ٤ صـ١٢٣
قال أحمد : حدثنا هيثم بن خارجة ، حدثنا اسماعيل بن عباس عن راشد بن داود الصنعاني ، عن أبي الأشعث الصنعاني أنه راح إلي مسجد دمشق ، وهجر بالرواح فلقي شداد بن أوس ، والصنابحي معه ، فقلت : أين تريدان - يرحمكما الله - ؟
قالا : نريد ها هنا الي أخ لنا مريض نعوده .
فانطلقت معهما حتي دخلا علي ذلك الرجل . فقالا له : كيف أصبحت ؟
قال : أصبحت بنعمة .
فقال له شداد : أبشر بكفارات السيئات وحط الخطايا ، فإني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :-
«إن الله عز وجل يقول - : إني اذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمنا ، فحمدني علي ما ابتليته ، فإنه يقوم من مضجعه ذلك اليوم كيوم ولدته أمه من الخطايا ، ويقول الرب - عز وجل :- أنا قيدت عبدي وابتليته ، واجروا له كما كنتم تجرون له وهو صحيح»
ومنها : ما أخرجه الحاكم من حديث أبي أمامة - المستدرك ج٤ ص٣١٣ .
قال رسول الله ﷺ - : «إن العبد إذا مرض أوحي الله إلي ملائكته يا ملائكتي ، أنا قيدت عبدي بقيد من =

شرح الحديث

فى الحديث دلالة على أن العمل الذى يعمله المبتلى قبل ابتلائه مكتوب له ، ومدخر عند الله ثوابه ، لا ينقطع بابتلائه ، كقيام الليل والأوراد وغير ذلك مما كان يعتاده قبل أن يحل به الابتلاء .

فسبحانك يا رب من خالق كريم ، وإله بعبادك رءوف رحيم

***

(الصبر على البلاء مكفر للذنوب)

الحديث السابع عشر

«إذا ابتليتُ عبداً من عبادى مؤمناً ، فحمدنى وصبرَ على ما ابتليتهُ فإنه يقومُ من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمُّه من الخطايا ، ويقول الربُّ للحفظة : إنى قيَّدتُ عبدى هذا وابتليته فاجْرُوا عليه ما كنتم تجرون له من قبل ذلك من الأجر»

وهو صحيح رواه أحمد وأبو يعلي حميد بن زنجويه وأبو نعَيم وابن عساكر عن شداد بن أوس[(٢٥)]

= قيودي ، فإن أقبضه أغفر له ، وإن أعافه فحينئذ يقعد ولا ذنب له»
ومنها ما أخرجه الطيالسي من حديث ابن مسعود في مسنده ص٤٦
قال عبد الله بن مسعود : قال رفع رسول الله ـ ﷺ ـ بصره إلي السماء ثم خفضه فقلنا : يا رسول الله ، مم صنعت هذا ؟ قال : «عجبت لملكين نزلا إلي الأرض يلتمسان عبدا في مصلاه فلم يجداه ، ثم عرجا إلي ربهما . فقالا : يا رب كنا نكتب لعبدك المؤمن في يومه وليلته من العمل كذا وكذا ، فوجدناه قد حبسته في حبائلك ، فلم نكتب له شيئا ».
فقال ـ عز وجل : «اكتبوا لعبدي عمله في يومه وليلته ، ولا تنقصوه منه شيئا علي أجر ما حبسته ، وله أجر ما كان يعمل»
وقد رمز كتاب جامع الأحاديث القدسية لهذا الحديث بالضعف من جهة الإسناد
وهذا الحديث ترتيبه في الإتحافات الحادي عشر .
٢٥ ـ ذكرنا هذا الحديث ومناسبة حول روايته .
وقد رمز له صاحب الأحاديث القدسية بالحسن
وترتيب هذا الحديث في الإتحافات الرابع عشر وقدمناه لمناسبته لما قبله .

شرح الحديث

قوله «مؤمنا» قيْد في ذلك ، لأنَّ من اتصف بالإيمان عمل بأحكامه من صلاة وصيام وحج وزكاة . . . الخ .

ولا جدال في أن من كان كذلك وابتُلي بأشياء منعته من أداء نوافله وأوراده لجديرٌ باستحقاق الثواب حين كان صحيحا سليما .



الحديث الثامن عشر

« إذا وجهتُ إلى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده . ثم استقبل ذلكَ بصبر جميلٍ استَحْيتُ منه يومَ القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر لهَ ديواناً»

رواه القضاعى والديلمى والحكيم الترمذى عن أنس (٢٦)

شرح الحديث

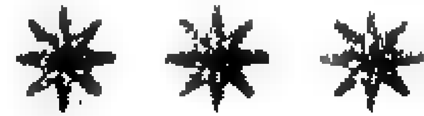
سئل رسول الله - ﷺ - عن الصبر الجميل ؟

قال : «صبر لا شكوى فيه»

وقال : «من بثَّ فلم يصبر»

والاستحياء صفة من صفات الرب - جل ذكره وفيه - أي الحديث - الكلام السابق .

والديوان هو ما يكتب فيه أعمال العبد .



---

٢٦ - ترتيب هذا الحديث في الإتحافات الرابع عشر ، وقدمناه لمناسبته لما قبله وقد ذكر الحكيم الترمذي هذا الحديث عن أنس ، وهو في كنز العمال جـ٣ برقم ٦٥٦١
وعلق عليه كتاب جامع الأحاديث القدسية بالضعف .
وهناك أحاديث تناسبه في المعنى :
منها رواه الدار قطني في الأفراد وابن عساكر عن الزهري مرسلا :-
« ما من امريء مسلم تصيبه مصيبه تحزنه ، فيرجع إلا قال الله - عز وجل - لملائكته : أوجعتُ قلبَ عبدي فصبر واحتسب ، اجعلوا ثوابه منها الجنة ، وما ذكر مصيبته فرجع إلا جدد الله له أجرها ».
ورمز له أيضا كتاب جامع الأحاديث بالضعف . وضعفه بسبب إرساله . ومعني يرجع : يقول إنا لله وإنا راجعون ..
وهذا الحديث وغيره مما مضي يدعو إلي وجوب الصبر عند الابتلاء .. والصابرن يقول الله تعالي في حقهم : «إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب» .

(فرح الله بتقرب عبده إليه)

الحديث التاسع عشر

« إذا تقرب إلى العَبْدُ شبراً تقرَّبتُ إليه ذراعًا ، وإذا تقَربَ إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإذا أتى إلىْ مَشياً أتيته هرولة »

رواه البخارى عن أنس وأبى هريرة ، وأبى عوانه ، والطبرى عن سلمان (٢٧)

شرح الحديث

هذا الحديث يدل على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يتصف بالتقرب والهرولة .

وللعلماء فى ذلك مذهبان أهل الرعيل الأول من لدن الصحابة إلى آخر القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية ، وهو أن الله ـ تعالى وتبارك ـ متصف بجميع ما ورد فى الكتاب الحكيم وما جاء فى السنة الصحيحة السمحة « والتى ليلها كنهارها .

وعلى الخلق أن تؤمن بذلك ، وتقر بلسانها ، وتعتقد بجنانها أن الرب ـ تعالت أسماؤه ، وتنزهت صفاته ـ يتصف بها اتصاف ربٌ خالق ، ليس كمثله شىء ، وليس كمثلها شىء .

---

٢٧ ـ ترتيب هذه الأحاديث في الإتحافات الثالث عشر
وقد وردت عدة أحاديث في هذا الموضوع
منها ما أخرجه إلبخاري من حديث أبي هريرة جـ٩ صـ١٩٢
«إذا تقرب العبد مني شبرا تقربت منه ذراعا ، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً أو بوعاً» والحديث صحيح .
ورواه مسلم من حديث أنس بن مالك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «قال الله ـ عز وجل ـ إذا تقرب عبدي مني شبرا تقربت منه ذراعاً ، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعا ـ أو بوعا ـ وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»
والباع : مسافة بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينا وشمالا .
والباع والبوع ـ بضم الباء ـ والبوع ـ بفتح الباء وسكون الواو ـ بمعنى واحد .
والهرولة : الإسراع في المشي ..
والحديث يشير إلي رحمة الله بعبده وحبه إياه ، وفرحه بالإقبال عليه بالتوبة والاستغفار والعبادة ..
وصدق الله إذ يقول «إن الله بالناس لرءوف رحيم»

ولا شك ولا ريب أن ما اتصف به خالقنا ورازقنا يغاير ما اتصف به العبد المخلوق المربوب ، لأن الله ـ تعالى ـ قد أطلق كثيرا من الأوصاف على ذاته المقدسة فى القرآن المجيد التى ليس كمثلها شىء ، وأطلقها نفسها على عبده المخلوق الضعيف ـ راجع كتاب التوحيد لابن[٢٨] خزيمة تجد ما يسرك ويذهب ما اختلج فى ضميرك ـ

وانى لأعجب كل العجب من بعض علمائنا المتقدمين وأساطين المحققين كيف يفرون كل الفرار عندما يسمعون مثل هذه الألفاظ ، وأنها تسند إلى الله ـ جل ذكره وتعالت أسماؤه حقيقة ـ ويجتهدون لتأويلها طاقتها ، ويوردون تشكيكات واحتمالات توقع العامى فى أمر دينه ، وتذهب به المذاهب ، وتصرفه عما فطر عليه .

وماذا عليهم لو وافقوا علماء السلف فى ذلك ، ووصفوا الله بما وصف به نفسه فى محكم تنزيله ، وعلى لسان رسوله وحبيبه محمد سيد الأولين والآخرين ؟

وعليه كان الصحابة أجمعون حقيقة لا مجازا . قالوا عند ذكر كل صفة من صفات الرب الحكيم وليس كمثله شىء وهو السميع العليم .

وليس كذلك فى جانب صفات المخلوق الحادث ، فإن صفاته لها مثل ، وتتغير وتتفاوت ، ويطرأ عليها ما يضعفها أو يزيدها قوة إلى غير ذلك مما نشاهده ونراه .

وهاك جملة من كلام المؤولين تحاميا من الوقوع فى التشبيه على ظنهم ، وفراراً من اعتقاد أن الرب يتصف بصفات هى تشبه صفات العبيد على زعمهم ، فرحم الله المتقدمين وغفر ما للمتأخرين .

قال الحافظ خاتمة المتأخرين ابن حجر العسقلانى فى كتابه «فتح البارى بشرح صحيح البخارى» عند الكلام على هذا الحديث فى باب ذكر النبى ـ ﷺ ـ وروايته عن ربه :

قال ابن بطال : وصف ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ، ووصف العبد بالتقرب إليه ، ووصفه بالإتيان والهرولة . كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز .

---

٢٨ ـ كتاب التوحيد وإثبات الصفات لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري المتوفي سنة ٣١١ هـ . ولابن خزيمة مؤلفات كثيرة تزيد علي مائة وأربعين كتابا متنوعة الفنون .

فحملها على الحقيقة يقتضى قطع المسافات وتدانى الأجسام ، وذلك فى حقه - تعالى - محال . فلما استحالت الحقيقة تعين المجاز لشهرته فى كلام العرب ، فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبرا وذراعاً ، وإتيانه ومشيه معناه التقرب إليه بطاعته وأداء مفترضاته ونوافله .

ويكون تقربه - سبحانه - من عبده وإتيانه المشى : عبارة عن إثابته على طاعته وتقربه من رحمته .

ويكون قوله : أتيته هرولة أى أتاه ثوابى مسرعا .

ونقل عن الطبرى : أنه إنما مثل القليل من الطاعة بالشبر منه ، والضِّعف من الكرامة والثواب منه بالذراع . فجعل ذلك دليلا على مبلغ كرامته لمن أدْمَن على طاعته أن ثواب عمله الضعف ، وأن الكرامة مجاوزة حده إلى ما يثيبه الله - تعالى -

وقال ابن التين : القرب هنا نظير ما تقدم فى قوله - تعالى - « فكان قاب القوسين أو أدنى » فإن المراد به قرب الرتبة وتوفير الكرامة .

والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه ورضا الله عن العبد وتضعيف الأجر قال : والهرولة ضرب من المشى السريع وهى دون العدو .

وقال صاحب المشارق (٢٩) : المراد بما جاء فى هذا الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد أوتيسير طاعته وتقويته عليها وتمام هدايته وتوفيقه . والله أعلم بمراده .

وقال الراغب (٣٠) : قرب العبد لله من التخصيص بكثير من الصفات التى يصح أن يوصف الله بها ، وإن لم تكن على الحد الذى يوصف به الله تعالى نحو الحكمة والعلم والرحمة وغيرها بقدر طاقة البشر ، وهو قرب روحانى لابدنى ، وهو المراد بقوله : «اذا تقرب العبد منى شبرا تقربت منه ذراعا»

وهنا كلام كثير للعلماء المتأخرين كالفخر الرازى وإمام الحرمين وأضرابهما .



٢٩ - لعله كتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة ، وهي الموطأ والبخاري ومسلم . للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المتوفي سنة ٥٤٤ هـ - كشف الظنون -

٣٠ - هو الراغب الأصفهاني : أبو القاسم حسين بن محمد المتوفي ببغداد سنة ٥٠٠ هـ وله كتاب : درة التأويل في متشابه التنزيل ، وله أيضا كتاب مفردات ألفاظ القرآن .

(ذكر الله لعبده)

الحديث العشرون

«إذا ذكرنى عبدى خالياً ذكرته خالياً ، وإذا ذكرنى فى ملأٍ ذكرتُه فى مَلأٍ خيرٍ من الملأِ الذى ذكرنى فيه»

رواه الطبرانى عن ابن عباس[٣١]

شرح الحديث

قوله خاليا : أى منفردا ليس معه أحد إمَّا سراً فى نفسه أو جهراً .

والملأ ـ مهموز ـ جمعه أملاء : الجماعة . وقد جاء تفسيره فى كثير من كتب اللغة كالنهاية[٣٢] وغيره : أشراف القوم ورؤساؤهم ومقدموهم ، الذين يرجع إلى قولهم .

وعلله بعضهم بقوله : سُمُّوا بذلك لملاءتهم ، بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأى ، أو لأنهم يملأون العيون أبَّهةً والصدور هيبةً ، والأنسب بالمقام أن يُفسَّر بالأعم .

ولا يخفى على العاقل ما فى هذا الحديث من اعتناء الرب ـ تباركت أسماؤه ، وتنزهت صفاته بعبده المؤمن الذاكر . اللهم اجعلنا من الذاكرين الله فى السر والجهر



---

٣١ ـ أخرج البيهقي في شعب الإيمان هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما.
« قال الله ـ تعالي ـ : عبدي إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا ، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكثر»
كنز العمال جـ١ ١٧٩٧
ورمز له صاحب كتاب جامع الأحاديث القدسية بالصحة وفي مجمع الزوائد ، جـ١٠ ص ٧٨
بلفظ « يا بن آدم إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا ، وإذا ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خيرمن الذين ذكرتني فيهم»
وحديث الطبراني : عن معاذ بن أنس :
قال الله تعالي «لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلي» .
كنز العمال جـ١ ١٧٩٦
ورمز له صاحب كتاب جامع الأحاديث القدسية بالحسن .
٣٢ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

الحديث الحادى والعشرون

« إذا بَلَغ عبدى أربعين سنةً عافيتُه من البلايا الثلاث : من الجنون وأُلجذام والبرص ، وإذا بلغ خمسين سنةً حاسبته حساباً يسيرا ، وإذا بلغ ستين سنةً حبّبتُ إليه الإنابة ، وإذا بلغ سبعين سنة أحْبَبْتُه للملائكة ، وإذا بلغ ثمانين سنة كتبت حسناته وألقيتُ سيئاته ، وإذا بلغ تسعين قالت الملائكة : أسيرُ الله فى أرضه فَغُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر ، وشَفّع ، فإذا بلغ أرذلَ العُمُر كتب الله مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير ، وإنْ عمل سيئةً لم تُكْتَبْ »

رواه الترمذى عن عثمان بن عفان (٣٣)

شرح الحديث ـ من النفحات السلفية

قوله : عبدى ـ الإضافة إضافة تشريف ، والمراد بالعبد : العبد الصالح المتقى ، المتّبع المأمورات ، المجتنب المنهيات .

والجذام : علة رديئة تنتشر فى البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها .

والبرص : بياض يظهر فى ظاهر البدن يشوه هيئة الإنسان ، وهما داءان ـ عافانا الله وإياك منهما ـ

وأرذل العمر : ما إذا بلغ الهرم حتى يعود كهيئته فى حال صباه ، لا يعقل من بعد عقله الأول شيئا ، وهو سن الخرف والعته ـ نسأل الله السلامة منه ـ

ففى الحديث ترغيب من الله ـ تعالى ـ إلى عباده أن يواظبوا على الطاعات

٣٣ ـ هذا الحديث أخرجه الحكيم الترمذي عن عثمان وهو في كنز العمال جـ١٥ برقم ٤٣٠٠٦ ورُمِز له بالضعف والحديث في مسند أحمد جـ٨ ٥٦٢٦ تحقيق أحمد شاكر ، ورد فيه علي من وصفه بالضعف وذكر له طرقاً تقويه وتصححه ..

ويجتهدوا فى الأعمال المرضية من حين نشأتهم ، فيحفظوا من البلايا والأمراض فى حال كبرهم .

التعليق

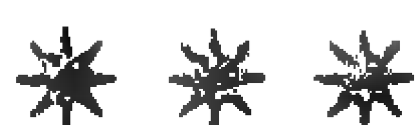
يشير الحديث إلى متابعة الله تعالى عبده فى مراحل عمره ، وأنه يتولاه برحمته منذ نشأته حتى بلوغه أرذل العمر . .

والإنابة التى وردت فى الحديث لها مفهوم لغوى وذوقى . ففى اللغة أناب : رجع إلى الله وتاب ، وفى ذلك يقول ـ تعالى ـ «منيبين إليه» « وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له» أى توبوا إليه وارجعوا « الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب»

أما من جهة الذوق فإنها مرحلة تأتى بعد التوبة وقبل الأوبة ، لأن التوبة على ثلاثة أقسام : أولا التوبة ، ثم الإنابة ، ثم الأوبة . فكل من تاب لخوف عقوبة فهو صاحب توبة . ومن تاب طمعا للثواب فهو صاحب إنابة ، وأما من تاب مراعاة للأمر لا لرغبة فى الثواب ولا خوفا من العقاب فهو صاحب أوبة .

وقيل التوبة صفة المؤمنين ، والإنابة صفة الأولياء المقربين ، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين ـ الرسالة القشيرية ـ

وهذا الحديث رقمه السادس عشر فى الإتحافات السنية . .



« حب الله لقاء عبده إذا أحب العبد ذلك »

الحديث الثانى والعشرون

«إذا أحبَّ عبدى لقائى أحببتُ لقاءَه ، وإذا كره لقائى كرهت لقاءَهُ»

رواه مالك والبخارى والنسائى عن أبى هريرة (٣٤)

---

٣٤ ـ هذا الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ صـ١٦٥ .
وأخرجه البخاري جـ٩ صـ١٧٧
وأخرجه النسائي في سننه جـ٤ صـ١٠ .

شرح الحديث من النفحات السلفية

فيه إثبات صفة المحبة لله تعالى ، وكذلك الكراهة

وفيهما ما تقدم من الاختلاف بين العلماء فى ذلك مع إبقائهما على حقيقتهما مع التنزيه . أوتأويلهما بأن المحبة إرادة الخير للعبد وهدايته إليه وإنعامه عليه .

وكذلك يقال فى الكراهة .

والأسلم التفويض كما هو مذهب السلف . .

ويؤخذ من الحديث

وفى الحديث ترغيب المؤمن بأن يحب الموت ، لأنه لقاء الله ، فيلاحظ العبد لقاء الله فيجتهد فى الطاعات ، ويكثر من النوافل ليكون أبيض الوجه نقى العمل ذا صفات حميدة ، فيستحق الإنعام وإن كان كل ذلك بفضل الله وإحسانه .

التعليق

جاء فى تفسير القرطبى : قال الأزهرى : محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما . ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران ، قال تعالى : «إن الله لا يحب الكافرين» أى لا يغفر لهم .

وقال سهل بن عبد الله : علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب القرآن حب النبى ﷺ ، وعلامة حب النبى ﷺ حب السنة ، وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبى وحب السنة حب الآخرة .

ورقم الحديث المذكور فى الإتحافات السنية السابع عشر .



(سعة رحمة الله بعباده)

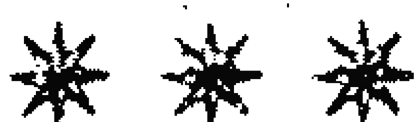
الحديث الثالث والعشرون

« إذا همَّ عبدى بحسنةٍ ولم يعملها كتبتُها له حسنةً ، فإن عملها كتبتُها عشر حسناتٍ إلى سبعمائة ضعف ، وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عَمِلَها كتبتها سيئةً واحدةً »

رواه الشيخان والترمذى وابن حبان عن أبى هريرة(٣٥)

التعليق

لم يشرح صاحب النفحات السلفية هذا الحديث ولا الذى بعده ، وسيشرح الحديث الذى يليهما ، لأن الأحاديث الثلاثة يتصل بعضهما ببعض



٣٥ ـ نص حديث البخاري : جـ٩ صـ١٧٧

«يقول الله : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة»

وهو حديث صحيح . رواه المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ..

ونص حديث مسلم جـ١ صـ١١٧ هو بلفظ ما جاء في الإتحافات وهو حديث صحيح حدث به إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ .

ونص حديث الترمذي جـ٥ برقم ٣٠٧٣

عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «قال الله ـ عز وجل ـ وقوله الحق ـ : إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها ، وإذا هم بسيئة فلا تكتبوها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، فإن تركها ـ وربما قال : لم يعمل بها ـ فاكتبوها له حسنة» . ثم قرأ «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»

وعلق عليه الترمذي بالحسن والصحة ونص حديث ابن حبّان : برقم ٢٤٦١ في موارد الظمآن بالإسناد السابق : «إذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له عشرا لأمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها سيئة ، فإن تاب منها فامحوها عنه»

الحديث الرابع والعشرون

«إذا هَمَّ عبدى بسَيِّئة فلم يَعْمَلْها فاكتبوها له حسنةً ، فإن عمِلَها فاكتبوها له سَيِّئَةً ، فإن تاب منها فامحوها عنه ، وإذا هَمَّ عبدى بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حَسَنَةً ، فإن عمِلَها فاكتبوها بعشرة أمثالِها إلى سبعمائة ضِعْفٍ

رواه ابن حِبان عن أبى الدراء(٣٦)



الحديث الخامس والعشرون

« إذا هَم عبدى بسيِّئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها سَيِّئَةً وإذا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلم يَعْمَلْها فاكتبوها حَسَنَةً فإذا عمِلها فاكتبوها عشراً»

رواه الشيخان عنه(٣٧)

شرح الحديث : من النفحات السلفية

الهم : ترجيح قصد الفعل : ـ

تقول : هممت بكذا أى قصدته بهمتى ، وهو فوق مجرد خطور الشىء

---

٣٦ ـ هكذا في الإتحافات ـ عن أبي الدرداء ـ وفي صحيح ابن حبان ـ كما في موارد الظمآن برقم ٢٤٦١ عن أبي هريرة وهو الحديث الذي ذكرناه قبل ـ
وقد علق عليه صاحب جامع الأحاديث القدسية بأنه صحيح .
٣٧ ـ الضمير يعود علي راوي الحديث السابق وهو أبو هريرة ـ وليس أبا الدرداء كما جاء سهوا في مطبوعة صبيح للإتحافات

بالقلب .

قال ابن فارس : الهم ما هممت به ، وهممت بالشيء همّاً من باب قتل : إذا أردته ولم تفعله .

ووقع لمسلم- في رواية همام [٣٨] عن أبي هريرة بلفظ : إذا تحدث . وهو محمول على حديث النفس لتوافق الروايات الأخرى .

قال الحافظ ابن حجر : ولكن ليس قيدا فى كتابة الحسنة ، بل بمجرد الإرادة تكتب الحسنة .

نعم ورد ما يدل على أن مطلق الهم والإرادة لا يكفى ، فعند أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث خريم بن فاتك ـ رفعه ـ : من هم بحسنة يعلم الله أنه قد أشعر بها قلبه وحرص عليها»

وقد تمسك به ابن حبان ، فقال بعد إيراد حديث الباب فى صحيحه : المراد بالهم هنا العزم . ثم قال : ويحتمل أن الله يكتب الحسنة بمجرد الهم بها وإن لم يعزم عليها ، زيادة فى الفضل .

وقوله «ولم يعملها» : يتناول نفى عمل الجوارح . وأما عمل القلب فيحتمل نفيه أيضا إن كانت الحسنة تكتب بمجرد الهم ، كما فى معظم الأحاديث ، لا أن قيدت بالتصميم كما فى حديث «خريم» ويؤيد الأول حديث أبى ذر عند مسلم «إن الكف عن الشر صدقة ، وقوله فى الحديث : «كتبتها له حسنة» أى لمن هم بالحسنة ولم يعملها ، وفى رواية البخارى حسنة كاملة .

ومعنى قوله «كتبتها»آمر الملائكة الحفظة بكتابتها بدليل ما فى الحديث الثانى والثالث ، وما فى رواية البخارى عن أبى هريرة فى كتاب التوحيد بلفظ «إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها»

وفيه دليل على أن الملك يطلع على ما فى قلب الآدمى ، إما بإطلاع الله إياه أو

٣٨ ـ يقصد همام بن منبه ، وحديثه في صحيح مسلم جـ١ صـ١٧٧ .

يخلق له علماً يدرك به ذلك . ويؤيد الأول ما أخرجهُ ابن أبى الدنيا عن أبى عمران الجونى« قال : ينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول يا رب إنه لم يعمله فيقول إنه نواه»

وقيل بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحةً خبيثة وبالحسنة رائحةً طيبة ، وأخرج ذلك الطبرى عن ابن معشر المدنى ، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة .

ورأيت فى شرح مغلطاى(٣٩) أنه ورد مرفوعا قال الطوفى : إنما كتبت الحسنة بمجرد الإرادة لأن إرادة الخير سبب إلى العمل ، وإرادة الخير خير لأن إرادة الخير من عمل القلب واستشكل بأنه إذا كان كذلك فكيف لا تتضاعف لعموم قوله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾(٤٠)

وأجيب بحمل الآية على عمل الجوارح ، والحديث الهم على المجرد .

واستشكل أيضا بأن عمل القلب إذا اعتبر فى حصول الحسنة فكيف لم يعتبر فى حصول السيئة ؟

وأجيب بأن ترك عمل السيئة التى وقع الهم بها يكفرها لأنه قد نسخ قصده السيئة وخالف هواه .

ثم إن ظاهر الحديث حصول الحسنة بمجرد الترك سواء كان ذلك لمانع أم لا .

ويتجه أن يقال : يتفاوت عظم الحسنة بحسب المانع فإن كان خارجيا مع بقاء قصد الذى هم بفعل الحسنة فهى عظيمة القدر ، ولا سيما إن قارنها ندم على تفويتها ، واستمرت النية على فعلها عند القدرة . وإن كان الترك من الذى هم من

---

٣٩ ـ هو مغلطاي بن قليج الحنفي ، الامام الحافظ علاء الدين . ولد سنة ٦٨٩ بمكة ، وكان حافظا عارفا بفنون الحديث ، علامة في الأنساب ، وله أكثر من مائة تصنيف ، منها شرح البخاري ، وشرح ابن ماجه . توفي سنه ٧٦٢ هـ .

حسن المحاضرة للسيوطي

٤٠ ـ الأنعام ١٦٠ .

قبل نفسه فهى دون ذلك إلا أن قارنها قصد الإعراض عنها جملة والرغبة عن فعلها ولا سيما إن وقع العمل فى عكسها كأن يريد أن يتصدق بدرهم مثلا فصرفه بعينه فى معصية فالذى يظهر فى الأخير أن لا تكتب له حسنة أصلا ،

وأما ما قبله فعلى الاحتمال ، أفاده الحافظ ابن حجر فى فتحه .

والضعف فى اللغة : المثل ، وضعفاه مثلاه ، وأضعافه : أمثاله ، قال الخليلى التضعيف أن يزاد على أصل الشىء فيجعله مثليه وأكثر وكذلك الأضعاف والمضاعفة ، وقال الأزهرى الضعف فى كلام العرب : المثل ، هذا هو الأصل ثم استعمل الضعف فى المثل وما زاد وليس للزيادة حد .

قال الحافظ : والتحقيق أنه اسم يقع على العدد بشرط أن يكون معه عدد آخر فإذا قيل ضعف العشرة فُهِمَ أن المراد عشرون ، ومن ذلك لو أقر بأن له عندى ضعفَ درهم لزمهُ درهمان ، أو ضعفى درهم ولزمه ثلاثة .

وقوله «وإذا هم بسيئة» الخ ظاهره إطلاق كتابة الحسنة بمجرد الترك ، وقد جاء مقيداً فى صحيح البخارى من حديث الأعرج عن أبى هريرة ولفظه «إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة»

ونقل القاضى عياض عن بعض العلماء أنه حمل حديث ابن عباس على عمومه ثم صَوَّب حملَ مطلقه على ما قيد فى حديث أبى هريرة .

قال الحافظ ابن حجر قلت : ويحتمل أن تكون حسنة من ترك بغير استحضار ما قيد به دون حسنة الآخر لما تقدم أن ترك المعصية كف عن الشر والكف عن الشر خير .

ويحتمل أيضا أن يكتب لمن هم بالمعصية ثم تركها حسنة مجردة فإن تركها من

مخافة ربه سبحانه كتبت حسنة مضاعفة .

وقال الخطابى : محمل كتابة الحسنة على الترك أن يكون التارك قد قَدر على الفعل ثم تركه لأن الإنسان لا يسمى تاركا إلا مع القدرة ويدخل فيه من حَال بينه وبين حرصه على الفعل مانع كأن يمشى إلى امرأة ليزنى بها مثلا ، فيجد الباب مغلقاً ويتعسر فتحه ، ومثله من تمكن من الزنا مثلا فلم ينتشر أو طرقه ما يخاف من أذاه عاجلا ، ووقع فى حديث أبى كبشة الأنمارى ما قد يعارض ظاهر حديث الباب وهو ما أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه بلفظ «إنما الدنيا لأربعة» فذكر الحديث وفيه «وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً فهو يعمل فى ما له بغير علم لا يتقى ربه ولا يصل فيه رَحِمَهُ ولا يرى لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل ، ورجل لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهوَ يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهما فى الوزر سواء» فقيل الجمع بين الحديثين بالتنزيل على حالتين فتحمل الحالة الأولى على من هم بالمعصية هماً مجرداً من غير تصميم والحالة الثانية على من صمم على ذلك وأصر عليه وهو موافق لما ذهب اليه الباقلانى وغيره

قال المازرى : ذهب ابن الباقلانى - يعنى ومن تبعه - إلى أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن عليها نفسه أنه يأثم وحمل الأحاديث الواردة فى العفو عمن هم بسيئة ولم يعملها على الخاطر الذى يمر بالقلب ولا يستقر قال المازرى : وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، ونقل ذلك عن نص الشافعى ، ويؤيده قوله فى حديث أبى هريرة فيما أخرجه مسلم من طريق همام عنه بلفظ «فأنا أغفرها له ما لم يعملها» فإن الظاهر أن المراد بالعمل هنا عمل الجارحة بالمعصية المهموم به ، وتعقبه عياض بأن عامة السلف وأهل العلم على ما قال ابن الباقلانى لاتفاقهم على المؤاخذة بأعمال القلوب ، لكنهم قالوا : إن العزم على السيئة يكتب سيئة مجردة لا السيئة التى هم أن يعملها ، كمن يأمر بتحصيل معصية ثم لا يفعلها بعد حصولها فإنه يأثم بالأمر المذكور لا بالمعصية

ومما يدل على ذلك حديث «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى

النار : قيل : هذا القاتل فما بال المقتول : قال : «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» والذى يظهر أنه من هذا الجنس وهو أنه يعاقَب على عزمه بمقدار ما يستحقه ولا يعاقب عقاب من باشر القتل حساً .

وهنا قسم آخر وهو أن من فعل المعصية ولم يتب منها ، ثم همَّ أن يعود إليها فإنه يعاقب على الإصرار ، كما جزم به ابن المبارك وغيره فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا ﴾ ويؤيده أن الإصرار معصية اتفاقا فمن عزم على المعصية وصمم عليها كتبت عليه سيئة فإذا عملها كتبت عليه معصية ثانية ، قال النووى : وهذا ظاهر حسن لا مزيد عليه وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر كقوله تعالى ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ﴾[41] الآية وقوله ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن ﴾ [42] وغير ذلك .

وقال ابن الجوزى إذا حدث نفسه بالمعصية لم يؤاخذ ، فإن عزم وصمم زاد على حديث النفس وهو من عمل القلب قال : والدليل على التفريق بين الهم والعزم أن من كان فى الصلاة فوقع فى خاطره أن يقطعها لم تنقطع ، فإذا صمم على قطعها بطلت

وأجيب عن القول الأول بأن المؤاخذة على أعمال القلوب المستقلة بالمعصية لا تستلزم المؤاخذة على عمل القلب بقصد معصية الجارحة إذا لم يعمل المقصود للفرق بين ما هو بالقصد وما هو بالوسيلة ، وقَسَّم بعضهم ما يقع فى النفس أقساماً يظهر منها الجواب عن الثانى أضعفها أن يخطر له ثم يذهب في الحال وهذا من الوسوسة وهو معفو عنها وهو دون التردد وفوقه أن يتردد فيه فَيَهمّ به ثم ينفر عنه فيتركه ثم يهم به ثم يترك كذلك ولا يستمر على قصده ، وهذا هو التردد فيعفى عنه أيضاً وفوقه أن يميل إليه ولا ينفر عنه لكن بل لا يصمم على فعله ، وهذا هو الهم فيعفى عنه أيضاً وفوقه أن يميل إليه ولا ينفر عنه يصمم فهذا العزم وهو منتهى الهم وهو

---

٤١ ـ النور ١٩

٤٢ ـ الحجرات ١٢

على قسمين :

(القسم الاول) أن يكون من أعمال القلوب صرفاً كالشك فى الوحدانية أو النبوة أو البعث ، فهذا كفر ويعاقب عليه جزماً ، ودونه المعصية التى لا تصل إلى الكفر كمن يحب ما يبغض الله ويبغض ما يحبهُ الله ويحب للمسلم الأذى بغير موجب لذلك ، فهذا يأثم ويلتحق به الكِبْر والعُجْب والبغى والمكر والحسد ، وفى بعض هذا خلاف ، فعن الحسن البصرىّ أن سوء الظن بالمسلم وحسده معفو عنه وحملوه على ما يقع فى النفس مما لا يقدر على دفعه لكن من يقع له ذلك مأمور بمجاهدة النفس على تركه .

(والقسم الثانى) أن يكون من أعمال الجوارح كالزنا والسرقة فهو الذى وقع فيه النزاع ، فذهبت طائفة إلى عدم المؤاخذة بذلك أصلا ، ونقل عن نص الشافعى ، ويؤيده ما وقع فى حديث خُرَيْم بن فاتك المنبه عليه قبل ، فإنه حيث ذكر الهم بالحسنة قال : علم الله أنه أشعرها قلبه وحرص عليها وحيث ذكر الهم بالسيئة لم يقيد بشىء بل قال فيه ومن هم بسيئة لم تكتب عليه والمقام مقام الفضل فلا يليق التحجير فيه .

وذهب كثير من العلماء إلى المؤاخذة بالعزم المصمم وسأل ابن المبارك سفيان الثورى أيؤاخذ العبد بما يهم به ؟ قال إذا جزم بذلك واستدل كثير منهم بقوله تعالى ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾(٤٣) وحملوا حديث أبى هريرة الصحيح المرفوع «إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم» على الخطرات كما تقدم .

ثم افترق هؤلاء فقالت طائفة : يعاقب عليه صاحبه فى الدنيا خاصة بنحو الهم والغم .

وقالت طائفة : بل يعاقب عليه يوم القيامة ، لكن بالعتاب لا بالعذاب ، وهذا

---

٤٣ - البقرة ٢٢٥

قول ابن جريج والربيع بن أنس وطائفة ، ونسب ذلك إلى ابن عباس أيضاً ، واستدلوا بحديث النجوى الماضى شرحه فى باب ستر المؤمن على نفسه من كتاب الأدب ، واستثنى جماعة ممن ذهب إلى عدم مؤاخذة من وقع منه الهم بالمعصية ما يقع فى الحرم المكى ولو لم يصمم : لقوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾[44] ذكره السدى فى تفسيره عن مُرَّة ، عن ابن مسعود ، وأخرجه أحمد من طريقه مرفوعاً ، ومنهم من رجحه موقوفاً ، ويؤيد ذلك أن الحرم يجب اعتقاد تعظيمه فمن هم بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك حرمته ، وتعقب هذا البحث بأن تعظيم الله آكد من تعظيم الحرم ومع ذلك فمن هم بمعصيته لا يؤاخذه فكيف يؤاخذه بما دونه؟ ويمكن أن يجاب عن هذا بأن انتهاك حرمة الحرم بالمعصية تستلزم انتهاك حرمة الله لأن تعظيم الحرم من تعظيم الله فصارت المعصية فى الحرم أشد من المعصية فى غيره ، وإن اشترك الجميع فى ترك تعظيم الله تعالى . نعم من هم بالمعصية قاصداً الاستخفاف بالحرم عصى ، ومن هم بمعصية الله قاصداً الاستخفاف بالله كفر ، وإنما المعفو عنه من هم بمعصية ذاهلا عن قصد الاستخفاف ، وهذا تفصيل جيد ينبغى أن يستحضر عند شرح حديث «لا يزنى الزانى وهو مؤمن» .

وقال السبكى الكبير : الهاجس لا يؤاخذ به إجماعاً ، والخاطر وهو جريان ذلك الهاجس وحديث النفس لا يؤاخذ بهما للحديث المشار إليه ، والهم - وهو قصد فعل المعصية مع التردد - لا يؤاخذ به لحديث الباب ، والعزم وهو قوة ذلك القصد أو الجزم به ورفع التردد قال المحققون : يؤاخذ به ، وقال بعضهم : لا : واحتج بقول أهل اللغة : هم بالشىء عزم عليه : وهذا لا يكفى . قال : ومن أدلة الأول حديث «إذا التقى المسلمان بسيفيهما» الحديث ، وفيه «أنه كان حريصا على قتل صاحبه» ، فعلل بالحرص واحتج بعضهم بأعمال القلوب ، ولا حجة معه لأنها على قسمين : أحدهما لا يتعلق بفعل خارجى ، وليس البحث فيه .

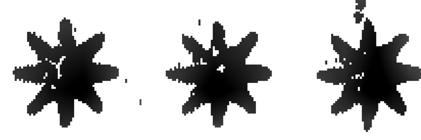
---

٤٤ - الحج ٢٥ .

والثاني : يتعلق بالملتقيين عزم كل منهما على قتل صاحبه واقترن بعزمه فعل بعض ما عزم عليه وهو شهر السلاح ، إشارته به إلى الآخر ، فهذا الفعل يؤاخذ به سواء حصل القتل أم لا انتهى ، ولا يلزم من قوله «فالقاتل والمقتول في النار ، أن يكونا في درجة واحدة من العذاب بالاتفاق والله أعلم

التعليق

يشير هذا الحديث الشريف إلى سعة رحمة الله الكريم بعباده . وينبه إلى أن يكون العبد جديرا بملاحظة ذلك فيتأدب بالأدب العالى ، فيحفظ قلبه وخاطره من الهواجس السيئة والأفكار الخبيثة . وينقى سريرته ، ويكون رحيما بمن هو أضعف منه ، صفوحا عن زلات إخوانه وأصحابه ومن أساء إليه . مراعاة للأمر «تخلقوا بأخلاق الله» .



(إجابة الله للعبد وسعة عطائه له)

الحديث السادس والعشرون

« أَربعِ خصال : واحدةٌ فيما بَيْنى وبَيْنَكَ وَواحدة فيما بيْنكَ وَبينَ عبادَىَ وَواحدةٌ لى وواحدة لكَ . فَأَمَّا الَّتى لِى فَتَعْبدُنى لا تُشْرِكْ بى شَيْئاً ، وَأَمَّا التى لك فمَا عملت منْ خَير جزَيْتُكَ به وأَمَّا التَّى بَيْنى وَبينك فمنْك الدُّعاءُ وَعلىَّ الإجابَةُ وَأَمَّا التى بَيْنكَ وَبينَ عبادِى تَرْضَى لَهُمْ ما تَرْضَى لِنَفْسكَ »

رواه أبو نعيم عن أنس (٤٥)

٤٥ ـ هذا الحديث ذكره صاحب جامع الأحاديث القدسية من عدة مصادر ، في كتاب الزهد لأحمد صـ٤٧ ، في مسند البزار جـ ١ صـ١٩ ، وفي المطالب العالية جـ٣ برقم ٣٢٨٦ وقد رمز للأخيرين بالضعف .

فى الحديث أربع خصال .

الخصلة الأولي تختص بالله جل ذكره ، أعنى العبادة ، وهى فى اللغة من الذلة ، يقال طريق مُعَبَّد و وبعير مُعَبَّد أى مذلل .

وفى الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . قال الراغب الأصفهانى فى مفرداته : العبودية إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الافضال وهو الله تعالى ولهذا قال : ﴿ أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾(٤٦)

والعبادة ضربان : عبادة بالتسخير ، وهى الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة ، وأنها خلق فاعل حكيم . وتكون للإنسان وا لحيوانات والنبات .

وعبادة بالاختيار وهى لذوى النطق وهى المأمور بها فى نحو قوله تعالى.

﴿ واعبدوا ربكم ﴾(٤٧) ﴿ واعبدوا الله ﴾(٤٨) ولا يجوز فعلهاشرعا ولا عقلا إلا لله تعالى لأنه المستحق لكونه مولياً لأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعهما ، لذلك يحرم السجود لغيره سبحانه وتعالى لأن وضع أشرف الأعضاء على أهون الأشياء وهو التراب ومواطىء الأقدام والنعال غاية الخضوع .

وقيل : لا تستعمل إلا فى الخضوع له سبحانه وما ورد من نحو قوله تعالى ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله ﴾(٤٩) وارد على زعمهم تعريضاً لهم ونداء على غباوتهم .

وتستعمل بمعنى الطاعة ومنه ﴿ أن لا تعبدوا الشيطان ﴾(٥٠) وبمعنى الدعاء ومنه ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتى ﴾(٥١) وبمعنى التوحيد ومنه ﴿ وما خلقت

٤٦ ـ الإسراء ٢٣
٤٧ ـ الحج ٧٧
٤٨ ـ النساء ٣٦
٤٩ ـ الأنبياء ٩٨
٥٠ يس ٦٠
٥١ ـ غافر ٦٠

الجن والإنس إلا ليعبدون[٥٢] ﴾ وكلها متقاربة المعنى .

والخصلة الثانية : هى مختصة بالعبد وهى استحقاق الأجر وجزاؤه على عمله الصالح ، يعنى أن الله سبحانه وتعالى يجزى العبد على ما عمل من الخير ، وأما ما عمل من الشر فأمره موكول إلى ربه وموجده ، إن شاء حاسبه عليه وعاقبه ، وإن شاء غفر له وسامحه .

سبحانك يا رب ما أحلمك وأرأفك بعبدك المذنب !!

والخصلة الثالثة : مشتركة بين الله تنزهت صفاته وبين العبد الضعيف ، وهو أن العبد إذا دعا الله سبحانه وتعالى فى السر والعلن استجاب له ولباه .

وقد ورد فى ما ورد فى فضل الدعاء وفضله آثار كثيرة نأتى بنبذة منها : ـ روى أصحاب السنن الأربع وأخرجه ابن حبان فى صحيحه ، وابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «الدعاء هو العبادة» ثم تلا قوله تعالى ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى**[٥٣] ﴾ الآية .

وأخرج الترمذى من حديث أنس رضى الله قال قال رسول الله ﷺ : «الدعاء مخ العبادة» وأخرج الترمذى وابن حبان وصححه من حديث سلمان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : **« لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر »** وأخرج الحاكم فى المستدرك والبزار عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : **«لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة»** ومعنى يعتلجان يتصارعان ويتدافعان وأخرج الترمذى وابن حبان من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : **«ليس شىء أكرم على الله من الدعاء»** .

وأخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث أنس رضى الله عنه **«لا تعجزوا من الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد»** .

---

٥٢ ـ الذاريات ٥٦

٥٣ ـ غافر ٦٠

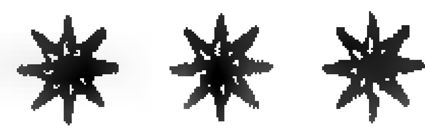
وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض» .

والإجابة مشروطة بأن لا يكون في الدعاء دعوة فيها إثم أو قطيعة رحم ، روى أحمد في مسنده والبزار وأبو يعلى - قال المنذري بأسانيد جيدة - وأخرجه أيضا الحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي سعيد الخدري «أن النبي ﷺ قال : **ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث ، إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها - زاد في المشكاة - قالوا : إذاً نكثر ؟ قال : الله أكثر**» أي فضله رواه أحمد وأخرج الترمذي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : «**ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**» وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين من حديث سلمان قال قال رسول الله ﷺ : «**إن الله حَيِيٌّ كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين**» وفي قوله تعالى ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾ وما تقدم من الأحاديث دليل على أن دعاء المسلم لا يُهْمَل بل يُعْطَى ما سأله إما معجلا وإما مؤجلا بفضل الله عز وجل

والخصلة الرابعة : مشتركة بين العبد وبين إخوانه الآدميين وهي أن يرضى لأخيه من الخير والطاعات ما يرضى أن يكون مثله له ، ومقابله أن يكره لأخيه من الشر ما يكره لنفسه أن تلقاه ، وهذا معنى ما رواه البخاري ومسلم عن أبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» قال الإمام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى : الأولى أن يُحمل ذلك على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام ، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحباً» والحديث محمول على نفي الإيمان الكامل عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، والمراد المحبة بإرادة الخير والمنفعة ثم المراد المحبة الدينية لا المحبة البشرية فإن الطباع البشرية قد تكره حصول الخير وتمييز غيرها عليها ، والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية ويدعو لأخيه ويتمنى له ما

يحب لنفسه ، والشخص متى لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان حسوداً ، فعلى الإنسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضا بالقضاء ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس .

وقال أبو الزناد : ظاهر هذا الحديث التساوي وحقيقته التفضيل لأن الإنسان يحب أن يكون أفضل الناس فإذا أحب لأخيه مثله فقد دخل هو فى جملة المفضولين ، ألا ترى أن الإنسان يحب أن ينتصف من حقه ومظلمته فإن أكمل إيمانه وكان لأخيه عنده مظلمة أو حق بادر إلى إنصافه من نفسه وإن كان عليه فيه مشقة ، قال المدنى فى هذا الحديث : أخرجه أبو يعلى الموصلى وأبو نعيم عن أنس وضَعُفَ .



(جزاء الذكر مع الطاعة المغفرة)

الحديث السابع والعشرون

« اذكُرُونى بطاعتى أذكُرُكمْ بمَغْفِرتى فمَنْ ذكرَنى وَهُو مُطيعٌ فحَقٌ علىَّ أن أذكُرَه وَهوَ منِّى بمَغْفِرَتى وَمن ذكرنى وَهوَ لِىَ عاصٍ فحَقٌ علىَّ أن أذكُرَهُ وَهوَ لِىَ بمَقْتٍ »

رواه الديلمى وابن عساكر عن أبى هند الرازى (٥٤)

شرح الحديث من النفحات السلفية

أمر الله تعالى عبيده بأن يذكروه وهم متلبسون بالطاعة ليكون الذكر مقبولا يثاب عليه ويدخر لديه (**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** (٥٥)) ثم فصَّل

---

٥٤ ـ أبو هند الرازي : الصواب أبو هند الداري . ويبدو أن ذكر الرازي بدل الداري تصحيف أو خطأ من النسخ أو سهو .
وأبو هند الداري ومن بني الدار بن هانيء .. من بني عدي بن الدار من لخم ، وهو ابن عم تميم الداري .
وقيل : أخوه .
وقد رمز صاحب جامع الأحاديث القدسية لهذا الحديث بالضعف .
٥٥ : الشعراء ٨٨ ، ٨٩

ذلك فى الحديث بأن العبد إذا ذكر خالقه وهو مطيع ، فحق على الرب تباركت أسماؤه أن يذكره وهو من حزب أولياء الله تعالى وذاكريه بالمغفرة ، بحيث إذا بدرت منه بادرة أو وقع فى هفوة يغفرها له ويسامحه ، وإذا ذكره العبد وهو عاص فحق على الله جل ذكره أن يذكره وهو ـ مملوك لله عبده ـ بمقت ، والمقت فى الأصل أشد البغض ، وهذا من الصفات التى سبق الكلام فيها فى حديث «إذا تقرب» الخ صـ١٨ فارجع إليه .

التعليق

من الأدب أن يذكر العبد ربه وهو مطيع . فلا يكون متلبسا بالمعاصى ثم يزعم أنه يذكر الله ، وذكر الله ناتج عن حبه ، وعلامة الحب الطاعة . وقد صدق الشافعي حين يقول :

تعصي الإله وانت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع



(من أقسى أنواع الظلم ظلم الضعيف)

الحديث الثامن والعشرون

« اشْتَدَّ غضَبِي عَلى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لا يَجِدُ لهُ ناصِراً غيرِي »

رواه الطبراني فى الكبير والقضاعي عن علي (٥٦)

شرح الحديث من النفحات السلفية

الغضب صفة من صفات الله جل ذكره التى ليس كمثلها شىء ، وفيها ما تقدم بين السلف والخلف .

---

٥٦ ـ هو في الصغير جـ١ صـ٣٠ .
وقد رمز له صاحب جامع الأحاديث بالضعف ، وكذلك ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ورمز له بالضعف كذلك . وضعفه من جهة الاسناد .

وهو فى وصف المخلوق به ثوران دم القلب إرادةَ الانتقام ، ولذلك قال النبى ﷺ : «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد فى قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه ؟» .

وقد قسم فى جانب المخلوق إلى محمود ومذموم ، فالأول ما كان فى جانب الدين والحق ، والثانى ما كان فى خلافه ، والظلم وضع الشىء فى غير موضعه المختص به إما بنقصان أو زيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه ، وهو قبيح عند جميع الملل وعاقبته وخيمة ، وقد ورد فى ذم من اتصف به آيات كثيرة وآثار يكل القلم عن إحصائها ، وهو يتفاوت ضعفاً وقوة ولا شك أن ظلم من يجد أنصاراً أمثاله يغيثونه من مظلمته وينصرونه من ظالمه أقل ممن ظلم من لا يجد ناصراً يأخذ بيمينه ويمنعه من ظالمه إلا رب الأرباب ، من يجيب دعوة المظلوم من غير حجاب ، فظلم من هذا حاله أشد جرما وأكبر إثما من حال من ظلم من له حمية أو شوكة أو ملجأ ، والله أعلم

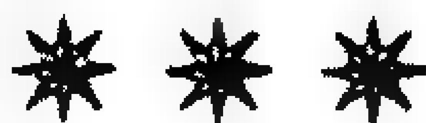
التعليق

أشد أنواع الشجاعة هى السيطرة على النفس عند استفزازها للغضب . وقد قال النبى - ﷺ فى ذلك : «ليس الشديد بالصُّرَعة ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب»

ومن مساوىء الظلم أنه يضيع الحقوق على الغاضب ، ويحمله على التصرفات الحمقاء ، وقد أحسن شوقى أمير الشعراء حين قال :

مالى غضبت فضاع أمرى من يدى ؟ والأمـر يخـرج من يد الغضبان

أما ظلم الضعيف فيكفى تعنيفا فيه ما جاء فى الأثر : «إذا دعتك قدرتك على ظلم من لا يقدر عليك فتذكر قدرة الله عليك»



(رحمة الله عند الرحماء)

الحديث التاسع والعشرون

«اطْلُبوا الْخيرَ عِنْدَ الرُّحمَاء منْ أمَّتى تَعيشوا فى أكْنَافهم فإنَّ فيهـمْ رَحْمَتى وَلا تَطْلبُـوهُ مَنَ القـاسِيَةِ قُلوبُهمْ فإنَّ فِيهِـمْ سَخَطى»

رواه القضاعى عن أبى سعيد[57]

شرح الحديث من النفحات السلفية

الرحماء جمع رحيم وهو مبالغة راحم ، والأكناف جمع كنف بالتحريك الجانب والناحية .

وهذا ترغيب فى أن يكون الإنسان رحيما ، فيكون له حمى وظل وجانب يلجأ إليه البشر ويحتمون فيه لأن الله سبحانه وتعالى وضع رحمته فيه .

وفيه ذم للقاسية قلوبهم المنزوع منهم الرحمة والحال فيهم سخط الله وعقابه .

والمعنى اطلبوا الخير عند الرحماء الرقيقة قلوبهم السهلة عريكتهم ، فإنكم إن فعلتم ذلك عشتم فى أكنافهم لأن فيهم رحمة الله تعالى وكرمه وجوده ، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم الغليظة أفئدتهم فإنكم لا تنجحوا ولا تحظوا ببغيتكم لأن الله جل ذكره وضع فيهم سخطه وكراهته وشدة غضبه .

اللهم اجعلنا من الرحماء الذين يعيشون تحت كنفك وظلك .

***

٥٧ ـ هذا الحديث في كنز العمال بلفظ «اطلبوا الحوائج إلي ذوي الرحمة من أمتي ترزقوا وتنجحوا ، فإن الله ـ تعالي ـ يقول : ﴿رحمتي في ذوي الرحمة من عبادي ، ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا﴾ ، فإن الله ـ تعالي ـ يقول : ﴿إن سخطي فيهم﴾ كنز العمال جـ٦ برقم ١٦٨٠١
وقد رمز له صاحب جامع الأحاديث بالضعف ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات .

(ماذا أعد الله لعباده الصالحين؟)

الحديث الثلاثون

«أَعْدَدْتُ لعبادِيَ الصّالحينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خطَرَ عَلى قَلْبِ بَشر»

رواه أحمد ، والشيخان والترمذى ، وابن ماجه عن أبى هريرة ، والطبرانى فى الأوسط عن أنس ، وابن جرير عن أبى سعيد ، وعن قتادة مرسلا(٥٨)

شرح الحديث من النفحات السلفية

أعددت : هيأت لعبادى الصالحين شيئا لم تر العيون مثله ولا سمعت الآذان به ولا خطر على قلب أحد من البشر ، ولا شك أن نعيم الجنة وتحفها شيء لا يمكن للإنسان أن يصفه لأنه باق لا يلحقه التغيير والانحلال ، ولا العطب والاضمحلال بخلاف ملذات الدنيا ونعيمها فإنها سريعة الفناء ، قليل الانتفاع بها قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : سبب هذا الحديث أن موسى عليه السلام سأل ربه من أعظم أهل الجنة منزلة ؟ **« قال غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»** أخرجه مسلم والترمذى من طريق الشعبى سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر رفعه إلى النبى ﷺ **«أن موسى سأل ربه»** فذكر الحديث بطوله

---

٥٨ ـ جاء هذا الحديث في مصادر كثيرة مما يدل علي تواتره وقد علق عليها جميعها بالصحة باستثناء ما جاء في بعض روايات الطبراني ، ففي حديثين منها علق صاحب جامع الأحاديث القدسية عليهما بالضعف ، وهو من جهة الإسناد ..

. جاء في الترمذي جـ٥ برقم ٣٢٩٩ :

«يقول الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علي قلب بشر ، واقرءوا إن شئتم :« فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» السجدة ١٧ ـ

وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، واقرءوا إن شئتم : «وظل ممدود» الواقعة ٣٠ وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، واقرءوا إن شئتم : فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» ـ آل عمران ١٨٥ ..

وقال الترمذي عنه : حديث حسن صحيح

التعليق

الحديث الذى أشار إليه الشارح عن موسى - عليه السلام - ذكره القرطبى فى تفسيره مفصلا كما ذكره مسلم فى صحيحه عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى النبى ﷺ قال «**سأل موسى عليه السلام ربه فقال : يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال : هو رجل يأتى بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : أى رب ، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول : رضيت ربِّ.**

فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله معه ومثله ومثله ومثله . فقال فى الخامسة : رضيت رب . **فيقال : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك** . فيقول : رضيت رب» .

قال - أى موسى - : فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدى ، وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر - قال : ومصداقه من كتاب الله قوله تعالى : ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾ - تفسير القرطبى -

اللهم اجعلنا منهم ومعهم يا رب



(مع الحديث السابق)

الحديث الحادي والثلاثون

«أعْدَدْتُ لعبادى الَّذين آمَنُوا وَعملوا الصَّالحات مَالاَ عَيْنٌ رَأتْ وَلا أذنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطرَ عَلَى قَلْبِ بَشرٍ»

رواه ابن جرير عن أنس بلاغاً

تقدم شرح مثله قريباً .



(الصلاة طريق الجنة)

الحديث الثاني و الثلاثون

« افترَضْتُ على أمَّتكَ خمْسَ صلوات وَعهدْت عنْدى عَهْداً أنَّه مَنْ حافَظَ عَليْهنَّ لوَقْتهنَّ أدْخَلْتُه الجنَّة وَمنْ لَمْ يُحافظْ عَليْهِنَّ فَلا عَهدَ لهُ عِنْدِي »

رواه ابن ماجه وأبو نعيم عن قتادة(٥٩)

شرح الحديث من النفحات السلفية

العهد الموثق ووضعه لما شأنه أن يراعى ويتعهد كالقول والقرار واليمين والوصية والضمان والحفظ والأمان والأمر ، يقال : عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره .

---

٥٩ ـ الحديث عن أبي قتادة الربعي ـ وليس عن قتادة ـ رواه عنه سعيد بن المسيب .
أبو قتادة صحابي ، وقتادة تابعي
وقد أخرجه ابن ماجة في سننه جـ١ برقم ١٤٠٣
ورمز له له بالحسن ..
وهناك أحاديث أخري في هذا الباب .
منها : ما رواه عبادة بن الصامت . قال أما أنا فأشهد أني سمعت رسول الله ﷺ ـ يقول : «أتاني جبرائيل ـ ﷺ ـ من عند الله ـ تبارك وتعالي ـ فقال : يا محمد ، إن الله ـ عز وجل ـ قال لك : إني فرضت علي أمتك خمس صلوات من وافاهن علي وضوئهن ومواقيتهن وسجودهن ، فإن له عندك بهن عهداً أن أدخله بهن الجنة ، ومن لقيني قد أنقص من ذلك شيئاً ـ أو كلمة نسيتها ـ فليس له عندك عهد ، إن شئت عذبته وإن شئت رحمته»

أخرجه الطيالسي في مسنده ٥٧٣

ومنها ما رواه الطبراني عن ابن مسعود .
قال : مر النبي ـ ﷺ ـ علي أصحابه يوما ، فقال لهم : هل تدرون ما يقول ربكم تبارك وتعالي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ـ قالها ثلاثا ـ قال : وعزتي وجلالي ، لا يصليها لوقتها إلا أدخلته الجنة ، ومن صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته وإن شئت عذبته»

ويقال للنار من حيث إنها تراعى بالرجوع إليها ، و للتاريخ لأنه يحفظ .

وقوله ﴿ومن لم يحافظ عليهن﴾ أى على الصلوات الخمس بأن ضيعها كلها أو بعضها ، وذلك يصدق على من أخر صلاة واحدة عن وقتها المضروب لها فلا عهد له عند الله فى دخول الجنة .

قال السندى فى تعليقه على سنن ابن ماجه : بل أمره مفوض إلى الله فى تعذيبه أو إدخاله الجنة .

وفى الزوائد في إسناده نظر من أجل ضبارة وَدُوَيْد (٦٠)

التعليق

لا شك أن هذا الحديث يشير إلى أهمية الصلاة ووجوب المحافظة عليها .

وأن المحافظة عليها هى الطريق الموصل إلى الجنة ، و فى حديث « سبعة يظلهم الله تحت ظله أن منهم رجلاً معلقا قلبه بالمساجد . . يعنى يرقب وقت الصلاة فيمضى إلى المسجد ، وهى من غير شك عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين . . وأول وصف للمؤمنين المفلحين هو الخشوع فى الصلاة ثم المحافظة عليها» ـ اقرأ الآيات العشر من أول سورة «المؤمنون»



٦٠ ـ ضبارة : هو ضبارة بن عبد الله بن السّليل أحد رواة الحديث
ودويد : هو دويد بن نافع الذي روي هذا الحديث عن الزهري .

(سعة قلب المؤمن)

الحديث الثالث والثلاثون

« إنَّ السَّمَواتِ والأرْضَ ضَعُفَتْ عَنْ أنْ تَسَعنى وَوَسِعَنى قَلبُ المؤمن »

رواه أحمد عن وهب بن منبه [٦١]

شرح الحديث

هذا إشارة إلى أن المؤمن أفضل من السموات والأرض ، لأن قلبه أوسع منهما وفيه ما تقدم من الخلاف فى ذلك بين السلف والخلف ، فعلى الإنسان أن يؤمن بذلك ويسلم .

التعليق

لاشك أن القلب له منزلة كبرى بالنسبة للإنسان ، وأنه محل نظر الرب فى العبد ، وقد نبه النبى - ﷺ - إلى أن صلاحه فيه صلاح للإنسان ، وفساده فيه فساد للإنسان فقال : «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب» وجاء فى حديث أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير : «القلب ملك وله جنود ، فإذا صلح الملك صلح جنوده ، وإذا فسد الملك فسدت جنوده»



٦١ ـ هذا الحديث ورد في إحياء علوم الدين بلفظ «لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع» الإحياء جـ٣ صـ١٤

وقد علق عليه الحافظ العراقي الذي خرج أحاديث الإحياء بقوله :لم أجد له أصلا ..

وذكر صاحب كتاب جامع الأحاديث القدسية أن الديلمي في مسند الفردوس ذكره بلفظ مقارب ، وفيه إضافة هي «وموضع سري الذي أودعته تسعة وتسعين رحمة من رحمتي» جامع الأحاديث جـ٢ صـ٤٥٣

وتسعةً صوابها « تِسعاً»

(حقيقة الإيمان)

الحديث الرابع والثلاثون

« إنّ الّذى قالَ مُطرْنا بنَوْء كَذا وكَذا فَقد كَفرَ بى وآمَنَ بذلكَ النَّجْم وَإنّ الّذى يَقُول إنّ الله سَقانَا فَقدْ آمَنَ بِى وكَفر بذلِكَ النَّجْمِ »

رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن مسعود [٦٢]

شرح الحديث من النفحات

النوء : النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواء ونوآن ـ بضم الأول ـ حكاه ابن جنى ، مثل عبد وعبدان وبطن وبُطنان . قال حسان بن ثابت شاعر الإسلام رضى الله عنه :

ويثرب تعلم أنا بها إذا قحط الغيث نوآنها

وقيل : معنى النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته فى المشرق فى كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما وهكذا ، كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما فتنقضى جميعها مع انقضاء السنة وإنما سمى نوءاً لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ـ أى نهض وطلع ـ وذلك الطلوع هو النوء .

وبعضُهم يجعل النوء السقوط كأنه من الأضداد . قال أبو عبيد : ولم يسمع فى

---

٦٢ ـ أخرج مالك في الموطأ عن زيد بن خالد الجهني قال :
صلي لنا رسول الله ـ ﷺ ـ صلاة الصبح بالحديبية علي إثْر سماء كانت من الليل ـ فلما انصرف أقبل علي الناس فقال : «أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : قَال : أصبح من عبادي مؤمن وكافر بي : فأما من قال مطرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي ، كافر بالكوكب . وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»
الموطا صـ١٣٦

ورواه البخاري في صحيحه عن مسدد عن سفيان عن صالح بن كيسان جـ٩ صـ١٧٧
وأخرج النسائي مثله في سننه جـ٣ ص١٦٤
والحديث صحيح في مختلف مصادره .

النوء أنه سقوط إلا فى هذا الموضع .

وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ـ وقال الأصمعى إلى الطالع منها ـ فى سلطانه ، فتقول مطرنا بنوء كذا .

قال أبو عبيد : الأنواء ثمانية وعشرون نجما معروفة فى أزمنة السنة كلها ، من الصيف والشتاء والربيع والخريف ، يسقط منها فى كل ثلاث عشرة ليلة نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته ، وكلاهما معلوم مسمى ، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة ، وكانت العرب فى الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لابد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم ، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك اهـ .

قال شمر : هذه الثمانية والعشرون التى أراد أبو عبيد هى منازل القمر وهى معروفة عند العرب وغيرهم من الفرس والروم والهند لم يختلفوا أنها ثمانية وعشرون ، ينزل القمر كل ليلة فى منزلة منها . ومنه قوله تعالى : ﴿**والقمر قدرناه منازل**﴾[٦٣] قال : وقد رأيتها بالهندية والرومية والفارسية مترجمة ، قال : وهى بالعربية فيما أخبرنى به ابن الأعرابى :

(السرطان ، والبطين ، والنجم ، والدبران ، والهقعة ، والهنعة ، والذراع ، والنثرة ، والطرق ، والجبهة ، والخراثان ، والصرفة ، والعواء ، والسماك ، والغفر ، والزباني ، والإكليل ، والقلب ، والشولة ، والنعائم ، والبلدة ، وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، وفرغ الدلو المقدم ، وفرغ الدلو المؤخر ، والحوت) قال : ولا تستنيء[٦٤] العرب بها كلها إنما تذكر بالأنواء

---

٦٣ ـ يس ٩

٦٤ ـ تستنيء . تقول : ناء واستناه واستنأي إذا نظر إلي النجم وهو النوء ـ وانتظر أثره .

بعضها وهى معروفة فى أشعارهم وكلامهم .

وإنما غلظ الشرع فى ذلك لأن العرب كانت تزعم أن المطر الذى جاء بسقوط نجم هو فعل النجم ، وكانت تنسب المطر إليها ولا يجعلونه سُقيًا من الله وإن وافق سقوط ذلك النجم المطر يجعلون النُّجْم هى الفاعلة .

قال أبو إسحق : وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ولم يردْ ذلك المعنى ، ومراده أنا مطرنا فى هذا الوقت ولم يقصد إلى فعل النجم فذلك والله أعلم جائز كما جاء عن عمر رضى الله عنه أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس : كم بقى من نوء الثريا ؟ فقال : إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض فى الأفق سبعاً بعد وقوعها فوالله مضت تلك السبع حتى غيث الناس ، فإنما أراد عمر رضى الله تعالى عنه كم بقى من الوقت الذى جرت به العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر ؟

والصحيح أنه لا يجوز نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز فقد صرح ابن مفلح فى الفرع بأنه يحرم قول مُطرنا بنوء كذا ، وجزم فى الإنصاف بتحريمه ولو على طريق المجاز ولم يذكر خلافًا ، قال فى فتح المجيد : وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذى لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شىء فيكون ذلك شركا أصغر والله أعلم .

التعليق

جاء الإسلام ليصحح عقائد الناس ، ويضع أقدامهم على الطريق الصحيح ، ويدلهم على الله تعالى مبدع الوجود ورب الكائنات وخالق الأرض والسموات وما فيهما من مخلوقات . .

فلا رب فى الحقيقة غيره ، ولا رازق سواه . . جلَّ جلاله فى علاه . .

كان المسلمون الصادقون - حين ينزل المطر ويسمعون الناس يقولون : مطرنا بنوء كذا - يقولون هم : مطرنا بنوء الفتح ويقرءون ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ فاطر٢



(عبادى هم الذين أُذْكَر بذكرهم)

الحديث الخامس والثلاثون

« إِنَّ أَوْلِيَائِى مِنْ عِبَادِى وَأَحِبَّائِى مِنْ خَلْقِى الذينَ يُذْكَرُونَ بِذِكْرِى وَأُذْكَرُ بِذِكْرِهِمْ »

رواه الطبرانى فى الكبير والحكيم وأبو نعيم عن عمرو بن الجموح (٦٥)

شرح الحديث من النفحات

هذا ترغيب فى ذكر الله تعالى وبيان منزلة أولياء الله تعالى وأحبابه ، أسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .

ومعنى - والله أعلم - الذين يذكرون بذكرى أن الناس إذا رأوا من كان مستقيما فى عمله مواظبا على صلواته وصيامه مقبلا على مرضاة ربه ذكروا الله تعالى ، وقالوا : لا إله إلا الله سبحانه القادر جل الخالق عز الموفق ، وإذا ذكر الناس الله ذكروهم لمحاسن أوصافهم وجمال صفاتهم وحسن سيرتهم .

التعليق

يشير الحديث إلى ما يجب أن يكون عليه المؤمن من صفات حسنة وأخلاق كريمة وخصال سامية . . ومادام كذلك فإنه يرغب غيره فى الإسلام ، ويحببه فى الإيمان وذكر الله .

---

٦٥ - جاء هذا الحديث في عجز حديث ذكره أحمد في مسنده جـ٣ صـ٤٣٠ وهو بتمامه : «لا يُحقُّ العبدُ حق صريح الإيمان حتي يحب لله تعالي ويبغض لله ، فإذا أحب لله تبارك وتعالي ، وأبغض لله تبارك وتعالي ، فقد استحق الولاء من الله ، وإن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم»
وقد علق صاحب جامع الأحاديث القدسية بالضعف .
والحديث المذكور أورده أبو نعيم في حليته جـ١ صـ٦ ، وعلق عليه صاحب الأحاديث القدسية أيضا بالضعف

وقد فهم بعض العلماء من قوله تعالى ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا﴾ الممتحنة ٥

أنهم يدعون الله أن يرزقهم الأخلاق الصالحة التي يدعو إليها الإسلام والتي ترغب الكفار في التأسي بهم ، ويجنبهم الأخلاق السيئة التي ينفر منها الدين والتي تحمل الكفار على الابتعاد عن الدين الصحيح حين يرون متبعيه يتخلقون بها . .

اللهم ارزقنا الخلق الفاضل والعمل الصالح والقدوة الطيبة . .

* * *

(بيوت الله المساجد)

الحديث السادس والثلاثون

« إنَّ بيُوتِي في الأضِ المَساجِدُ وإنَّ زُوّارِي فيها عُمَّارُها »

رواه أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري (٦٦)

شرح الحديث من النفحات السلفية

البيوت الأماكن التي يصطفيها المولى جل ذكره لتنزلات رحمته وصعود وهبوط ملائكته في الأرض .

والمساجد جمع مسجد وهو بيت الصلاة

وإن زوار الله ـ تنزهت ذاته وتباركت أسماؤه ـ في هذه البيوت عمارها الذين يقيمون فيها الصلوات ويحيون فيها السنن ، ويميتون البدع ، ويذكرون الله تعالى ، ويتدارسون العلم أولئك الزوار حقا .

---

٦٦ ـ أورد ابن كثير في تفسيره جـ٤ صـ٦٣ ـ تفسير سورة براءة ما يشير إلي معناه من أقوال الصحابة ـ قال عبد الرزاق عن معمر عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي قال : ادركت أصحاب النبي ـ ﷺ ـ وهم يقولون : إن للمساجد بيوت الله في الأرض وإنه حق علي الله ان يكرم من زاره فيها .

التعليق

يشير الحديث الشريف إلى فضل بناء المساجد وتعميرها .

وفى فضل البناء يقول النبى - ﷺ - «من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة» وفى رواية : «بنى الله له مثله فى الجنة»

- رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وفى فضل التعمير يقول - تعالى - **«إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين»** - التوبة ١٨ -

قال . الزمخشرى : العمارة تتناول رم ما استرم منها وقمّها ، وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح ، واعتيادها للعبادة والذكر ، ومن الذكر درس العلم ، بل هو أجله ، وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا ، فضلا عن فضول الحديث .

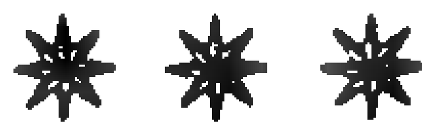


(الله يحب من عباده أن يزوروه فى بيته)

الحديث السابع والثلاثون

« إنَّ عَبْدا أصْحَحْتُ لهُ بَدنهُ وأوْسَعْتُ علَيْهِ فى الرِّزْق ، ثمَّ لمْ يَفِدْ إلىَّ بَعْدَ أرْبعَةِ أعْوَامٍ لَمحْرومٌ »

رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو يعلى عن أبى الدرداء [٦٧]



---

٦٧ - جاء في جامع الأحاديث القدسية عن ابي سعيد الخدري - فيما اخرجه البيهقي «إن عبدا اصححت له جسمه ووسعت عليه في المعيشة فاتي عليه خمسة اعوام لم يفد إلي لمحروم»

(الحديث الثامن والثلاثون)

« إنّ عبْدا أصححْتُ لهُ جسْمَهُ وأوْسَعْتُ عَلَيهِ فِى مَعِيشَتِهِ فَمَضَى عَلَيْهِ خَمْسَةَ أعْوَامٍ لاَ يَفِدُ إلىَ لَمحْرُوم »

رواه ابن حبان وأبو يعلى عن سعيد وابن عدى وابن عساكر عن أبى هريرة (٦٨)

شرح الحديثين من النفحات السلفية

الوفد : هم القوم يجتمعون ويردون البلاد ، واحدهم وافد . وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارةٍ واسترفادٍ وانتجاعٍ وغير ذلك .

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن العبد إذا كان صحيح الجسم كثير الرزق فحق عليه أن يتذكر ذلك ، ويعلم أن هذا من مولاه تفضل منه وإحسان ، فيقوم ببعض حق الشكر له تبارك وتعالى للزيارة فى بيته ـ وهو الكعبة ـ ومن لم يفعل ذلك وتناءى وكسل فهو محروم من نعم الله جل ذكره وإحساناته ، ولا يخفى أن من كان هذا حاله لحقيق بالحرمان والله أعلم .

التعليق

جاء فى الترغيب فى الحج والعمرة أحاديث كثيرة . منها غير هذين الحديثين القدسيين قوله ـ ﷺ ـ فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه حين سئل ـ ﷺ ـ : أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور ـ رواه البخارى ومسلم ـ

وروى عبد الله بن مسعود عن النبى ـ ﷺ ـ : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما

---

٦٨ ـ وجاء فيه ايضا عن ابي هريرة «قال الله عز وجل : إن عبدا اصححت جسمه واوسعت عليه في الرزق لا يفد إلي في كل خمسة اعوام مرة لمحروم»
وعلق عليه صاحب جامع الأحاديث القدسية بقوله : صحيح .
اخرج البيهقي الحديثين في سننه جـ٥ صـ٢٦٢ ..

ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة - رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

***

(المؤمن يحمد الله على كل حال)

الحديث التاسع والثلاثون

« إِنَّ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنُ بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ يَحْمَدُنِى وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ »

رواه أحمد عن أبى هريرة [(٦٩)]

شرح الحديث من النفحات

يعنى أن العبد المؤمن يحمد الله سبحانه وتعالى فى كل حال فى السراء والضراء فهو بمنزلة الخير لا يأتى إلا بنفع وفائدة ، ومع هذا فإن الله جل ذكره ينزع نفس عبده من بين جنبيه ، أى يقبض روحه إليه إذا حان أجله وهو صابر لأمر ربه مستسلم لقضائه ، وهذا مثل للعبد الحقيقى فإنه لا يرى من مولاه إلا كل خير ، ولا يفتر عن عبادته فى كل حال ، لأن حق المولى لا يُقَدَّر بزمن ولا عمل ، ولا سيما أن الله جل ذكره الذى أوجد عبده من العدم وألبسه حلة ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** [(٧٠)] ﴾ وأسبغ نعمه ظاهرة وباطنة .

اللهم وفقنا لطاعتك

وزاد المدنى فى كتابه الإتحافات السنية فى آخر الحديث ورواه البيهقى فى شعب الإيمان .

---

٦٩ - أخرجه أحمد في مسنده جـ١٦ برقم ٨٤٧٣ .
وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير جـ٥ ١٩٠٦ وهو صحيح .
وفي رواية لأحمد :«إن المؤمن عندي بمنزلة كل خير ...» جـ٢ صـ٣٦١
٧٠ - التين ٤

التعليق

تعددت طرق هذا الحديث ، وهو يشير إلى شدة محبة العبد لربه والإكثار من ذكره ، وعلامة محبته أن يحمد الله فى كل حال فى السراء والضراء ، وهذا هو علامة الحب الصادق الذى لا تشوبه شائبة النفعية . ومن طرق هذا الحديث ما أخرجه الحكيم الترمذى عن ابن عباس وأبى هريرة . .

قال تعالى : «وإن المؤمن منى بمنزلة كل خير ، أنى أنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمدنى » ـ كنز العمال جـ٣ ٦٦٩٠ ـ



(المؤمن يذكر ربه وقت الشدة)

الحديث الأربعون

«إنَّ عبْدِى كلَّ عبْدِى الَّذِى يَذكرنِى وهُوَ مُلاقٍ قِرْنَهُ»

رواه الترمذى عن عمارة بن دسكرة [٧١]

شرح الحديث من النفحات السلفية

القِرْن بكسر الأول وسكون ثانيه ـ الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب ويجمع على أقران

والمعنى أن عبدى الحقيقى ، الذى أخلص فى العبادة ولم يغفل عن ذكرى هو من ذكرنى فى ساحة القتال مع قرنه وخصمه لأن هذه الحالة تنسى الإنسان كل شىء حيث يريد أن يخلص من خصمه ويستنقذ روحه من براثن عدوه فهو فى هذه اللحظة إذا ذكر الله سبحانه وتعالى فإنه لا ينساه ولا يغفل عن ذكره فى غيرها ، فهو

٧١ ـ هو عمارة بن زعكرة لا ابن دسكرة كما جاء في مطبوعة صبيح وقد أخرجه الترمذي جـ٥ برقم ٣٥٨٠ ، وجاء في كنز العمال جـ٤ برقم ١٠٨٨٠ من رواية الترمذي ، ورمز له صاحب جامع الأحاديث القدسية بالضعف

عبد يحق له أن يتصف بما فى الحديث من قوله « إن عبدى كل عبدى » الـخ والله أعلم .

قال المدنى : أخرجه ابن سعد والترمذى وضعفه ، والطبرانى فى الكبير ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

التعليق

يشير الحديث الشريف إلى فضيلة المؤمن الحق ، وعلامته أنه لا يوجد فى قلبه سوى الله تعالى ، وبخاصة حين تشتد الأهوال . وتضيق الأحوال . . وسوف يجد الله عنده يفرج ضائقته وينصره على عدوه ، أو يجعله من الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون .



(من فضائل الصلاة)

الحديث الحادى والأربعون

« إنَّ لعَبْدى علىَّ عهداً إنْ أقامَ الصَّلاةَ لِوقْتِها أنْ لا أعَذِّبَهُ وأن أدْخِلَهُ الجَنَّة بِغَيْرِ حِسابٍ »

رواه الحاكم عن عائشة (٧٢)

٧٢ـ ورد في فضل الصلاة عدة أحاديث . منها هذا الحديث وقد جاءت فيه عدة روايات .
منها حديث عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : أتاني جبرئيل ـ ﷺ ـ من عند الله ـ تبارك وتعالي ـ فقال : « يا محمد ، إن الله ـ عز وجل ـ قال لك : إني قد فرضت علي أمتك خمس صلوات ، من وافاهن علي وضوئهن ومواقيتهن وسجودهن فإن له عندك بهن عهداً أن أدخله بهن الجنة ، ومن لقيني قد أنقص من ذلك شيئا ـ أو كلمة نسيتها ـ فليس له عندك عهد ، إن شئت عذبته وإن شئت رحمته »
ـ ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير جـ١ صـ٧٧
وأخرج الطبراني مثله عن ابن مسعود قال : إن النبي ﷺ ـ مر علي أصحابه يوما فقال لهم : « هل تدرون ما يقول ربكم ـ تبارك وتعالي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قالها ثلاثا . قال : وعزتي وجلالي لا يصليها لوقتها إلا أدخلته الجنة ، ومن صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته وان شئت عذبته » مجمع الزوائد ٣٠٢/١ وعلق صاحب جامع الأحاديث القدسية عليه بقوله : حسن لغيره
وروي مثله ابن ماجه عن أبي قتادة بن ربعي ـ سنن ابن ماجة جـ١٤٠٣١
وأخرج أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة مثله مع طول في متنه جـ٤ صـ٢٤٤

شرح الحديث من النفحات

العهد الموثق وتقدم تفسيره [٧٣] ، وإقامة الصلاة لوقتها المحافظة عليها فى أوقاتها المشروعة . وأل فى الصلاة للعهد وهى الصلاة الكاملة المستوفية للأركان والشروط والسنن والمستحبات .

ولا شك أن من أتى بها كذلك يكون عبداً مؤمنا حقا فيجتنب المنهيات ويفعل المأمورات ، يشغل نفسه فى طاعات ربه ، لأن الله تعالى يقول فى كتابه المنزل على رسوله المكرم ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر** [٧٤] ﴾

ومن كان هذا حاله فإنه حقيق أن لا يعذب بعذاب الله وأن يدخل الجنة بغير حساب ، و الله أعلم .

وهنا عزا المصنف الحديث إلى الحاكم وظاهره إلى كتابه المستدرك وليس كذلك ، بل ذكره فى تاريخه كما بينه المدنى [٧٥] فى كتابه .

التعليق

يشير الحديث إلى أهمية الصلاة وفضلها. وأن المحافظة عليها من أسباب قرب العبد من ربه ، وغفران ذنوبه ، ودخوله الجنة بغير حساب . . وهى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة . .



---

٧٣ ـ تقدم تفسير العهد والميثاق في حديث ، افترضت علي أمتك خمس صلوات ...،

٧٤ ـ العنكبوت ٤٥

٧٥ ـ المدني صاحب كتاب الإتحافات السنية ، وحديثه فيه بارقام ٢٦٨ ، ٧٦١ ، ٤٤ ، ٧٥٧ .

(نعمة المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة)

الحديث الثانى والأربعون

« إنَّا أنزَلْنا المالَ لإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة ، ولَوْ كانَ لابنِ آدمَ وَادٍ لأحَبَّ أنْ يكونَ لهُ ثانٍ ، ولَوْ كَانَ لهُ وَاديان لأحَبَّ أنْ يكُونَ لهُما ثالثٌ ولا يمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدمَ إلاَّ التُّرابُ ثُمَّ يتُوب اللهُ على منْ تابَ »

رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبي واقد الليثى [٧٦]

شرح الحديث من النفحات السلفية

يعنى أن الله سبحانه وتعالى أنزل المال وأوجده وجعله بين يدى خلقه ليقيموا به شعائر الدين ، ويظهروا معالم الشرع من صلاة وزكاة وغيرهما ، لا أن يضعوا ما رزقهم الله من المال فى غير موضعه ، يصرفوه فى الملاهى والمذات وفى غير طاعات الله وإحياء سنة نبيهم ﷺ فإن قيام العالم بإحياء قوانين دينهم وسلوك نهج كلياته وإبراز مفروضاته وسننه ومستحباته ، ففى ذلك سعادتهم دنيا وأخرى ويكون وضع الشىء فى محله المشروع له ، وما تأخرت الأمم وانتشر الفساد فيها إلا بنبذ تعاليم الرسل والأنبياء وطرح ما أتوا به من المحاسن والمشروعات والأخذ بما تسوله لهم أنفسهم من السوء والفحشاء والانقياد لما تزينه لهم شياطينهم من المعتقدات الباطلة والأعمال الفاسدة

فأرجو الله تعالى أن يوفق الأمم أجمع إلى الأخذ بدين الإسلام دين العز والقوة والرحمة والرأفة والسلام والأمان والسهل الممكن لكل إنسان .

---

٧٦ ـ هذا الحديث اخرجه احمد في مسنده جـ٥ صـ٢١٨
وعجزه في صحيح البخاري جـ٨ صـ١١٥ . وهو حديث صحيح ..

ولما كان الإنسان بطبعه ميالا إلى حب المال شرها طمعا لا يشبع وليس له حد ينتهى إليه الاما كان من مادته والجزء الأكبر فيه ، قال لله تعالى فى الحديث : « **لو كان لابن آدم واد ـ أى من ذهب أو فضة ـ لأحب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب الخ ، ولا يملأ جوفه إلا التراب لأنه منه خلق وإليه يعود** » والله أعلم .

التعليق

يشير الحديث الشريف إلى طبيعة الإنسان وشرهه فى جمع المال ورغبته فى الاستكثار منه . . ويدعو إلى أن يكون الإنسان معتدلا فى طلب الدنيا ، قانعا بما قسم الله له ، مُشْرِكاً غيرهَ فيما أنعم الله به عليه ، فلم يعط الله الإنسان المال ليكنزه ، بل ليستعين به علَى عبادة ربه والجهاد فى سبيل الله ، وتمكين دين الله فى الأرض . . ﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ الحج ٤١

* * *

(تظالم الناس وعدل الله ورحمته)

الحديث الثالث والأربعون

« إنَّك إن ذَهَبْت تَدْعُو عَلى آخرَ منْ أجْل أنَّه ظَلمَكَ ، وإنَّ آخرَ يَدْعو عَليْك إنَّك ظَلْمتَه فإن شئتَ استجْبنا لكَ وَعليْك ، وإنْ شِئت أخَّرتُكما إلى يومِ القِيامةِ ، أوْسعُكما عفْوى »

رواه الحاكم عن أنس (٧٧)

---

٧٧ ـ هذا الحديث للحاكم في التاريخ عن أنس ، وهو في كنز العمال جـ٣ ٧٠١٧
وذكره المدني في الإتحافات السنية ٩٩
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .

شرح الحديث من النفحات السلفية

فيه أن الله سبحانه وتعالى حليم ورءوف بعباده يحب تأخير الجزاء إلى الآخرة ، ولا يجازى عبده عقب ارتكابه الجرم ، ليشمله عفوه جل وعز يوم القيامة ويثيب صاحب الحق بحسب مظلمته وتعدى الغير عليه .

وفيه أيضاً أن الله تبارك يستجيب للمظلوم ، ويحبس شكايته عنده ذخرا له فى وقت يكون أحوج ما يكون إليه .

سبحانك يا رب ما أحلمك بعبادك وأرأفك بهم .

التعليق

يدعو الله عباده إلى طرح الظلم ، وإلى أن تكون الرحمة والمودة والصفح هى اللغة السائدة بينهم ، فالله قد حرم الظلم على نفسه وحرمه على عباده ، جاء فى إحياء علوم الدين للغزالى جـ٣ صـ١٧٨ : « **ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة : يا أمة محمد ، إن الله ـ تعالى ـ يقول : ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم ، وبقيت التبعات فتواهبوها ، وادخلوا الجنة برحمتى** »

فما أوسع رحمة الله ، وأجلَّ مغفرته !



(ممن تُقْبَل الصلاة؟)

الحديث الرابع والأربعون

« إنما أَتقبّل الصَّلاةَ ممَّنْ تَواضَعَ بهَا لعَظَمَتى ، ولَم يَسْتطِلْ عَلى خَلْقى ، ولَم يَبِتْ مُصراً على مَعصيَتى ، وقَطعَ نهَارَه فى ذكْرى ، ورَحمَ المسْكين ، وابن السَّبيل والأرملة ، ورَحم المُصَابَ ، ذلكَ نُورهُ كنُور الشَّمْس ، أكْلؤهُ بعزّى ، واسْتَحفظُه بملائكتى ، أجْعَلُ لهُ فى الظّلمة نوراً ، وفى الجهَالةَ حِلماً ، ومَثَلهُ فى خَلْقى كمثَلِ الفرْدَوْسِ فى الجَنَّةِ »

رواه البزار عن ابن عباس (٧٨)

شرح الحديث من النفحات السلفية

أعظم أعمال الدين بعد الإقرار بالشهادتين الصلاة ، لذلك كانت صلة بين الرب والعبد ، ولها فوائد كثيرة ومنافع عظيمة .

منها أنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، ومن نجده يصلى الصلوات الخمس ويواظب عليها وهو مقبل على شهوات نفسه مطيع لهواه ليس عليه سمات أهل الصلاح والتقوى ، نعلم أن صلاته غير مقبولة لأنها لم تستوف الشروط المعتبرة شرعاً حسية كانت أو معنوية ، بدليل ما ذكر فى الحديث .

وليست الشروط والأركان والمستحبات التى تذكر فى كتب الفقه كافية فى أن يكون المصلى ناجيا من عذاب الله يوم القيامة ، بل لابد من أشياء أخر تضاف إليها كما فى الحديث وقال الله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم

---

٧٨ ـ هذا الحديث ذكره المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب جـ١ صـ٣٤٩ برقم ٢٦ فى كتاب الصلاة وقال : رواه البزار من رواية عبد الله بن واقد وبقية رواته ثقات .

خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذى هم على صلواتهم يحافظون (٧٩) ﴾ فبين الله تعالى فى هذه الآيات أوصاف المؤمن الذى نجا وفاز من العقاب والعتاب ، ولم يتصف بهذه الصفات فحاله حال خوف وخطر ، ولذلك قال الله فى الحديث « **إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى** » أى إنما تقبل صلاة من تواضع بصلاته لله جل وعلا ولم يستطل على الناس ويحتقرهم ويترفع عليهم ، ولم يبت مصراً على معصية الله تعالى بل إذا فعل معصية ووقع فى جريمة فليبادر إلى الله بتوبة نصوح قبل أن يمضى عليها الوقت وتسجل فى كتاب الأعمال ، وكان غالب نهاره فى ذكر المولى تبارك وتعالى ورحم الفقير والمسكين وابن السبيل المسافر ورحم الغريب الذى ليس له أنيس ولا مأوى ورحم من كان أرملة خالية من الزوج وتعول نفسها ، ورحم من كان أصيب بجائحة أو مرض أو فاقة ولم يجدما يسد حاجته أو يدفع مصيبته .

فمن اتصف بهذه الأوصاف الحميدة كان نوره كنور الشمس يظهر لأهل الله من ملائكة وأنبياء وأولياء ويستظل به أهل الفسوق .

اللهم اجعلنا ممن اتصف بهذه الصفات الكاملة ووفقنا لأن نموت ونلقاك ونحن على حبك .

فيحفظه المولى جل ذكره بعزته أى بقوته وشدته ، ولا يخفى على الفطن ما فى هذا التعبير من الاعتناء والحماية والصيانة لعبده المطيع المتصف بهذه الخصال ومع كل هذا الإكرام يجعل له المولى نوراً فى الظلمة وحلما فى الجهالة وما أحلى هذا التشبيه فى قوله تعالى : (**ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة**) فإن الفردوس من أحاسن الجنان وأرفعها وأعلاها منزلة ، والله أعلم .

---

٨٠ ـ سورة «المؤمنون» ١ : ١٠

التعليق

جاء في الترغيب والترهيب : شبه الله تعالى - من حاله هكذا في الناس بأعلى مكان في الجنة ، فكما أن الفردوس قطعة جميلة بديعة راقية ، أبهى وأسمى من غيرها كذلك المتحلي بالأخلاق الكاملة أجل من غيره . ومعنى الفردوس : البستان الذي فيه الكرم والأشجار ويجمع على فراديس ، مصداق ذلك قوله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** ﴾ أي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها . .

اللهم وفقنا لتحبنا . .



(لا إله إلا الله حصني)

الحديث الخامس والأربعون

«إني أنا الله لا إلهَ إلا أنا ، من أقرَّ لي بالتوحيد دَخَلَ حِصْنِي ، ومن دخلَ حِصْنِي أمن من عذابي»

رواه الشيرازي في الألقاب عن علي (٨١)

---

٨١ ـ ذكر جامع الأحاديث القدسية عدة أحاديث تحت هذا الموضوع .
منها : ما أخرجه أبو نعيم في الحلية جـ٣ ص١٩١ ، قال الله ـ عز وجل ـ : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ، من جاءني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل في حصني ، ومن دخل في حصني أمن من عذابي»
ومنها ما أخرجه ابن عساكر «يقول الله ـ تعالي ـ :ـ لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي
كنز العمال جـ١ ص١٥٨
ـ ومنها ما أخرجه الشيرازي ، قال الله تعالي :ـ أنا الله لا إله إلا أنا من أقر لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»
كنز العمال جـ١ ص١٢٧
وكلها عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :ـ
ـ ومنها ما أخرجه ابن النجار عن أنس : «قال الله : لا إله إلا الله حصني من قالها أمن من عذابي»
وقد علق جامع الأحاديث القدسية علي هذه الأحاديث كلها بالضعف وعلة الضعف الإسناد ..
وإلا فمتن الحديث لا غبار عليه ..

شرح الحديث من النفحات السلفية

التوحيد : إفراد الله ـ جل وعلا ـ بالتأثير والضر ، والنفع والرزق والخلق والإيجاد ، إلى غير ذلك مما لم يكن لغير الله أن يتصف به .

والحِصْن : المكان الذى لا يُقْدَر عليه لارتفاعه ومنعته ، وجمعه حصون .

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن العبد إذا اعتقد وأقر لله ـ سبحانه وتعالى ـ بالوحدانية ، أى فى ذاته وصفاته وأفعاله أمن من عذاب الله ـ جل ذكره ـ لأنه دخل فى حصنه وحماه الذى لا يصل إليه أحد ، ولا يلحق من ولجه أذى .

التعليق

هذا الحديث له شواهد من أحاديث النبى ـ ﷺ ـ تشهد بصحته ، فقد أخرج البزار عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة** » وأخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالصحة والحسن .

حكاية

ذكر الشبلنجى فى كتابه «نور الأبصار» ص١٥٤ : لما دخل الإمام على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق نيسابور عرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسى ، ومعهما كثير من أهل العلم والحديث ، فقالا أيها السيد الجليل ، ارو لنا حديثا عن آبائك عن جدك نذكرك به . فقال : حدثنى أبى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق ، عن أبيه محمد الباقر ، عن أبيه على زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء عن أبيه على المرتضى قال : حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله ـ ﷺ ـ قال : حدثنى جبريل ـ عليه السلام ـ قال ـ حدثنى رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ قال : كلمة لا إله إلا الله حصنى ، فمن قالها دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى» قال أبو نعيم الأصفهانى : هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين ، وكان بعض سلفنا من المحدثين ـ ومنهم الإمام أحمد فيما يذكر صاحب نور الأبصار ـ إذا روى هذا الإسناد قال : لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لأفاق . .

والمقصود بالإخلاص فى الحديث : طاعة الله عز وجل كما فسرها بذلك على الرضا .

وقال أبو القاسم القشيرى - رضى الله عنه : - اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية ، فكتبه بالذهب ، وأوصى أن يدفن معه فى قبره ، فرئى فى المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بتلطفى بلا إله إلا الله وتصديقى أن محمدا رسول الله - ﷺ - وأورده المناوى فى شرحه الكبير على الجامع الصغير .

فى النهى عن الظلم : -

* * *

(حرمت الظلم على نفسى)

الحديث السادس والأربعون

« إِنِّى حرمتُ الظلمَ على نفسى ، وجعلتُه مُحَرَّمًا بينكم فلا تظالَموا ، يا عبادى كلكُمْ جائع إلا من أطعمتُه ، فاستطعمونى أطعمكم ، يا عبادى كلكُم عارٍ إلا من كسوتُه ، فاستكسونى أكْسُكُمْ يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوبَ جميعاً غير الشركِ ، فاستغفرونى أغفرْ لكم .

يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضُرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنْسكم وجنكُم كانوا على أتقى قَلْبِ رجلٍ واحد منكم ماَ زاد ذلَك فى مُلكى شيئاً .

يا عبادَى لوَ أن أولَكُمْ وآخرِكم وإِنسكم وجنَّكُمْ كانوا على

أفجر قلبِ رجلٍ واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا .

يا عبادى ، لو أنَّ أوَّلكُم وآخركم وإنسكم وجنَّكم ، قاموا فى صعيد واحد فسألونى ، فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألتَه ، ما نقص ذلك مما عندى شيئاً إلا كما ينقص المخيطُ إذا دخلَ البحر ، يا عبادى ، إنما هى أعمالكم أحصيَها لكم ، ثم أُوفيكُم إياها فمن وجد خيرا فليحَمدِ الله ، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يُلُومَنَّ إلا نفسه»

رواه مسلم وأبو عوانة وابن حبان والحاكم عن أبى ذر (٨٢)

شرح الحديث من النفحات السَلفية

هذا الحديث شريف القدر ، عظيم المنزلة ، جليل الموقع ، جامع الفوائد شتى ، قد تضمن من قواعد الدين العظيمة من العلوم والأعمال والأصول والفروع وغير ذلك مما لا يحصره قلم ، ولا يحصيه عادٌّ .

لذلك كان الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ يقول : هو أشرف حديث لأهل الشام .

وكان أبو إدريس الخولانى إذا حدث به جثا على ركبتيه ، كما ذكره مسلم فى صحيحه .

---

٨٢ ـ جاء هذا الحديث في صحيح مسلم جـ٤ صـ ١٩٩٤ من عدة طرق . وهو حديث صحيح .
ورواه الحاكم في المستدرك جـ٤ صـ٢٤١ وفي آخره : «إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم»
ورواه الترمذي جـ ٤ صـ٢٤٩٥
ورواية الترمذي هي :ـ
«يقول الله ـ تعالي ـ : يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فسلوني الهدي أهدكم وكلكم فقير الا من أغنيته فسلوني أرزقكم ، وكلكم مذنب إلا من عافيته فمن علم منكم أني ذو قدرة علي المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا علي أتقي قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا علي أشقي عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه ، ذلك بأني جواد ماجد أفعل ما أريد ، عطائي كلام وعذابي كلام ، إنما أمري بشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»

وأخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ قريبة .

وراويه هو إمام أهل الصوفية الذي قيل فيه : «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة منه [٨٣]، فالله سبحانه وتعالى نفى الظلم على نفسه بقوله : (إنى حرمت الظلم على نفسى)أى لا يليق ولا ينبغى أن أتصف به وهو مستحيل فى حقه تعالى لأن الظلم قبيح ، ونفاه البارى تعالى فى غير موضع من كتابه فقال ﴿وما ظلمناهم [٨٤]﴾ وقال ﴿ ولا يظلم ربك أحدا [٨٥]﴾وقال ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [٨٦] وقال ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ [٨٧] وقال ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾[٨٨]ونفى تبارك ذكره ارادته الظلم أيضا بقوله﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين[٨٩]﴾ وقوله ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد[٩٠]﴾ ونفى خوف العباد له بقوله : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما[٩١]﴾ قال أهل التفسير من السلف فى هذه الآية : لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم فينقص من حسناته ، يعنى أن المحسن لا يظلم فى الآخرة فينقصه الله جل ذكره من إحسانه أو يجعله لغيره و لا يظلم مسيئا فيجعل عليه سيئات غيره بل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى ، أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى[٩٢]﴾ وللعلماء فى تفسير الظلم المنفى هنا أقوال وتنازع ، فبعضهم قد شذ ، وبعضهم قد غلا وتجاوزه والقول الوسط فى

---

٨٣ ـ أخرجه الامام أحمد في مسنده والترمذي والحاكم وغيرهم عن عبد الله عبد عمرو وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن .

٨٤ ـ هود ١٠١

٨٥ ـ الكهف ٤٩

٨٦ ـ فصلت ٤٦

٨٧ ـ النساء ٤٠

٨٨ ـ النساء ٧٧

٨٩ ـ آل عمران ١٠٨

٩٠ ـ غافر ٣١

٩١ ـ طه ١١١

٩٢ ـ النجم ٣٦ ـ ٤١

ذلك ما أشرنا إليه قبل ، وهو أن الظلم الذى حرمه الله على نفسه ونفى إرادته كما تقدم هو مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ويعاقب البرىء على ما لم يفعل من السيئات ، ويعاقب هذا بذنب غيره أويحكم بين الناس بغير القسط ونحو ذلك من الأفعال التى ينزه الرب لقسطه وعدله وهو قادر عليها وإنما استحق الحمد والثناء لأنه ترك الظلم وهوقادر عليه . كما أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص والعيب فهو أيضاً منزه عن أفعال النقص والعيب .

وقوله (وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) - هو بفتح التاء - وتخفيف الظاء فى الأصول المعتبرة ونقل ابن حجر أنه روى مشدداً والأشهر تخفيفها أى جعلت الظلم بينكم يا عبادى محرماً فلا يظلم بعضكم بعضاً .

والخطاب للثقلين لاختصاصهم بالتكليف وتعاقب التقوى والفجور ولأن ما بعده من الألفاظ كالطعام والكسوة ينص على ذلك .

وهذه الجملة تجمع الدين كله فإن ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم وكل ما أمر به راجع إلى العدل . ولهذا قال تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب**[93]﴾ .

قال الإمام تقى الدين بن تيمية فى شرح هذا الحديث : فأخبر أنه جل ذكره - أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط ، وذكر أنه أنزل ، الحديد الذى به ينصر هذا الحق ، فالكتاب يهدى والسيف ينصر وكفى بربك هادياً ونصيراً ، ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد كما قال من قال من السلف : صنفان إذا صلحوا صلح الناس : الأمراء والعلماء ، وقالوا فى قوله تعالى ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**[94]﴾ أقوالا تجمع العلماء والأمراء ، ولهذا نص أحمد وغيره على دخول الصنفين فى هذه الآية إذ كل منهما

٩٣ - الحديد ٢٥
٩٤ - النساء ٥٩

تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله . وكان نواب رسول الله ﷺ في حياته كعلى . ومعاذ . وأبى موسى (٩٥) . وعتاب ابن أسيد (٩٦) . وعثمان بن أبى العاص (٩٧) وأمثالهم يجمعون الصنفين ، وكذلك خلفاؤه من بعده كأبى بكر . وعمر . وعثمان . وعلى ونوابهم ، ولهذا كانت السنة أن الذى يصلى بالناس هو صاحب الكتاب والذى يقوم بالجهاد هو صاحب الحديد اهـ .

وقال العلامة السعد في شرح الأربعين النووية : إذ الظالم يُنحط عن رتبة النبوة ﴿لا ينال عهدى الظالمين(٩٨)﴾ وعن درجة الولاية ﴿ألا لعنة الله على الظالمين (٩٩)﴾ وعن مرتبة السلطنة «بيت الظالم خراب ولو بعد حين» وعن نظر الخلائق «جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء إليها» ، وعن حظ نفسه وتبقى خسارته فى الدنيا والعقبى ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين(١٠٠)﴾ وفى الترمذى مرفوعاً «ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين» .

وحكى أن الأمير نوحا لما وضع الخراج على سمرقند فبعث بريداً إلى أميرها فأحضر الأئمة والمشايخ وأعيان البلد وقرأ عليهم الكتاب ، فقال الفقيه أبو منصور الماتريدى للبريد : قد أديت رسالة الأمير فاردد إليه الجواب وقل له : زدنا ظلما حتى نزيد فى دعاء الليل ، ثم تفرقوا فلم تذهب إلا أيام حتى وجدوه قتيلا وفى بطنه زج رمح مكتوب :

بغى والبغى سهام تنتظرْ ... أتته من أيدى المنايا والقدرْ
سهام أيدى القانتات فى السحرْ ... يرمين عن قوس لها الليل وتر

---

٩٥ ـ هو أبو موسي الأشعري واسمه : عبد الله بن قيس صحابي جليل .

٩٦ ـ هو عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية أسلم يوم الفتح واستعمله النبي ﷺ علي مكة بعد الفتح . توفي يوم مات أبو بكر رضي الله عنهما .

٩٧ ـ هو عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان ، يكني أبا عبد الله وفد على النبي ـ ﷺ ـ في وفد ثقيف فأسلم ، واستعمله النبي ﷺ علي الطائف وكان أحدثهم سنا لأنه كان أحرصهم علي الفقه وأحفظهم للقرآن

٩٨ ـ البقرة ١٢٤

٩٩ ـ هود ١٨

١٠٠ ـ الزخرف ٧٦

ولا شك أن كل خير وصلاح داخل فى القسط والعدل ، وكل شر وفساد داخل فى الظلم .

والظلم يتفاوت وبعضه أشد ضرراً من بعض ، فهو فى جميع أنواعه وأفراده ممنوع ينفر عنه الطبع السليم وتأباه الفطرة ، وكذلك يمتنع عموماً من حيث متعلقه سواء كان الظلم ظلما لمسلم أو لكافر . قريب أو بعيد ، صاحب أو عدوٌ ، اعتدى عليك أم لم يعتد ، فهو محرم فى كل شىء ولكل أحد قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم** ﴾ أى يحملنكم بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل ﴿ **على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**[101] ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**[102] ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها**[103] ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**[104] ﴾

وقوله « **يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته** » . . الخ بعد ما ذكر جل شأنه فى أول الحديث ما أوجبه من العدل وحرمه من الظلم على نفسه وعلى عباده عموما عَقَّب ذلك بذكر إحسانه إلى عباده وإنعامه عليهم مع غناه عنهم وفقرهم إليه وأنهم لا يقدرون على جلب منفعة لأنفسهم ، ولا دفع مضرة إلا أن يكون هو الميسر لذلك ، وأمر عباده أن يسألوه ذلك وأخبر أنهم لا يقدرون على نفعه ولا ضره مع عظم ما يوصل إليهم من النعماء ويدفع عنهم من البلاء .

وجلب المنفعة ودفع المضرة إما أن يكونا فى الدين أو فى الدنيا ، فصارت أربعة أقسام : الهداية والمغفرة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة فى الدين ، والكسوة والطعام وهما جلب المنفعة ودفع المضرة فى الدنيا .

وإن شئت قلت : الهداية والمغفرة يتعلقان بالقلب الذي هو ملك البدن وهو

---

١٠١ ـ المائدة ٨
١٠٢ ـ البقرة ١٩٤
١٠٣ ـ الشورى ٤٠
١٠٤ ـ النحل ١٢٦

الأصل فى الأعمال الإرادية . والطعام والكسوة يتعلقان بالبدن الطعام لجلب المنفعة واللباس لدفع المضرة وفتح الأمر بالهداية ، فإنها وإن كانت الهداية النافعة هى المتعلقة بالدين فكل أعمال الناس تابعة لهدى الله إياهم والله أعلم ، أفاده الإمام المجتهد ابن تيمية فى شرحه مع بسط . وقوله «**كلكم ضال**» أى من شأنكم وجبلتكم الضلالة كما روى «أن الله خلق الخلق فى ظلمة الطبيعة فألقى عليهم من نوره» الخ ، أى فى ظلمة الطبيعة من الميل إلى الشهوات والركون إلى المحسوسات والغفلة عن أسرار عالم الغيب ومالك السموات ، فألقى عليهم من نوره أى بسبب ما نصب لهم من الحجج النيرة ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل عن الطريق المستقيم وغوى .

فالناس خلقوا لا يهتدون إلى طريق الصواب والنهج السوى إلا بمرشد وهاد فمن هداه الله يشرح صدره ، وينور قلبه ويصفى استعداده عما ينافى قبول الحق والصراط المستقيم من ظلمات الشكوك والشبه ، واتباع الهوى والعمل بالبدع التى تصادم الشرع الشريف ، فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار كما أخبر بذلك شفيع المذنبين من النار ، فينبت فيه شجر التصديق والإيقان بما جاء به سيد ولد عدنان من أصول الدين وفروعه فينمو بأغصان الطاعات فى كل حين ووقت ثم يثمر بثمار المشاهدة والتجليات وعلم اليقين فيرى الحق حقا فيتبعه ويرى الباطل باطلا فيجتنبه ، وهذا لا ينافى قوله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة(١٠٥)» الحديث .

فإن هذه ظلمة طارئة على الفطرة الأولى كما يشير إليه ما روى «خلق الله الخلق على معرفته فاغتالتهم الشياطين» .

وقال ابن المبارك رضى الله عنه : يولد على ما يصير إليه من سعادة أو شقاوة فمن علم أنه يصير مسلماً موحداً ولد على فطرة الإسلام والتوحيد ، ومن علم أنه يصير كافراً جاحداً نعماء ربه ولد على فطر الكفر . ويستدل لذلك بقوله تعالى وهو

---

١٠٥ ـ أخرجه الطبراني والبيهقي عن الأسود بن سريع ، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة والحسن .

أصدق القائلين ﴿هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن(١٠٦)﴾ .

وقوله «فاستهدونى أهدكم» أى اطلبوا منى الهداية الموصلة إلى أدلكم عليها وأوصلكم إليها . ولعل الحكمة فى طلبه سبحانه وتعالى سؤال الهداية مع أنه سبحانه يهدى من يشاء بحسن الرعاية ، وجميل العناية إظهار الافتقار والإشعار بأنه لا هداية قبل سؤاله إياه فربما قال : إنما أوتيته على علم عندى فيضل بذلك ويشقى ، فإذا سأل ربه الأمور الدنيوية والأخروية فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية ، وهذا مقام شريف ومشهد لطيف ، وفيه دليل لأهل السنة والجماعة على أن المهتدى من هداه الله تعالى وبإرادته اهتدى من اهتدى لا بما سواه ، وأن غير المهتدى لم يرد الله هدايته ، فلم يهتد لذلك ولو أرادها له لاهتدى ، قال الله تعالى : ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾(١٠٧) وقال تعالى : ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾(١٠٨) وقال تعالى : ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾(١٠٩) وقال تعالى : ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا﴾(١١٠) وقال تعالى : ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾(١١١) إلى غير ذلك من الآى والله أعلم .

وقوله فى الحديث : «يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته»، لما فرغ من الامتنان بالأمور الدينية شرع فى الامتنان فى الأمور الدنيوية فقال : يا عبادى الخ وكرر النداء زيادة فى تشريفهم وتعظيمهم ، ولذا أضافهم إلى نفسه جل شأنه ، قال الإمام العلامة تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية فى شرحه : فيقتضى أصلين عظيمين ، وجوب التوكل على الله فى الرزق المتضمن جلب المنفعة كاطعام ودفع المضرة كاللباس . وأنه لا يقدر غير الله على الإطعام والكسوة قدرة مطلقة ، وإنما

---

١٠٦ ـ التغابن ٢
١٠٧ ـ النحل ٩
١٠٨ ـ الأنعام ٣٥
١٠٩ ـ الأنعام ١٠٧
١١٠ ـ الأنعام ١٢٥
١١١ ـ الكهف ١٧

القدرة التى تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ولهذا قال ﴿**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾ (١١٢) وقال ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم**﴾ (١١٣) فالمأمور به هو المقدور للعباد وكذلك قوله : ﴿**أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة**﴾ (١١٤) وقوله : ﴿ **وأطعموا القانع والمعتر**﴾ (١١٥) وقوله : ﴿**فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير**﴾ (١١٦) وقال : ﴿**وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه**﴾ (١١٧) فذم من يترك المأمور به اكتفاء بما يجرى به القدر..

ومن هنا يعرف أن السبب المأمور به أو المباح لا ينافى وجوب التوكل على الله فى وجود السبب بل الحاجة والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب إذ ليس فى المخلوقات ما هو وحده سبب تام لحصول المطلوب ، ولهذا لا يجب أن تقرن الحوادث بما قد يجعل سببا إلا بمشيئة الله تعالى ، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

فمن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل ، وأخل بواجب التوحيد ولهذا يُخذل أمثال هؤلاء إذا اعتمدوا على الأسباب ، فمن رجا نصرا أو رزقا من غير الله خذله الله كما قال على رضى الله عنه لا يَرْجُوَنَّ عبدٌ إلا ربَّه ولا يخافَنَّ إلا ذنبه . وقد قال تعالى ﴿**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم**﴾ (١١٨) الخ ما قال ، يعنى أن الله جل ذكره خلق الخلق كلهم ذوى فقر إلى الطعام فكل طاعم كان جائعا حتى يطعمه الله بسوق الرزق إليه وتصحيح الآلات التى هيأها له فلا يظن ذو الثروة أن

---

١١٢ ـ البقرة ٢٢٣
١١٣ ـ النساء ٥
١١٤ ـ البلد ١٤ ـ ١٦
١١٥ ـ الحج ٣٦
١١٦ الحج ٢٨
١١٧ ـ يس ٤٧
١١٨ ـ فاطر ٢



الرزق الذى فى يده وقد رفعه إلى فيه أطعمه إياه أحد غير الله تعالى وفيه أيضا أدب الفقراء كأنه قال لا تطلبوا الطعام من غيرى فإن هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذى أطعمهم فاستطعمونى أطعمكم وكذلك ما بعده أفاده الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد فى شرحه والله أعلم .

قوله «تخطئون» بضم التاء وسكون الخاء المعجمة وكسر الطاء المشالة هذه هى الرواية المشهورة : وروى بفتح أوله وثالثه .

والخطأ يطلق على معان قال الراغب فى مفرداته : الخطأ العدول عن الجهة وذلك أضرُب [١١٩] ، أحدها أن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان يقال خطئ يخطأ خطأ وخطاءة ـ أى بكسر الأول فيهما .

والثانى أن يريد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال : أخطأ إخطاء فهو مخطئ وهذا قد أصاب فى الإرادة وأخطأ فى الفعل .

والثالث أن يريد ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهذا مخطئ فى الإرادة ومصيب فى الفعل فهو مذموم بقصده وغير محمود على فعله

وجملة الأمر أن من أراد شيئا فاتفق منه غيره يقال أخطأ وإن وقع منه كما أراده يقال أصاب .

وقد يقال لمن فعل فعلا لا يحسن أو أراد إرادة لا تجمل أنه أخطأ ولهذا يقال : أصاب الخطأ وأخطأ الصواب ، وأصاب الصواب وأخطأ الخطأ ، وهذه اللفظة كما ترى مترددة بين معان يجب لمن يتحرى الحقائق أن يتأملها ـ انتهى بنوع تصرف .

وقوله : «بالليل والنهار» أي فى ساعاتهما وأوقاتهما ، وقدم الليل على النهار لأن الليل ظلمة وهى الأصل والنور طارئ عليها يسترها : ولأن المقام يقتضى تقديمه إذ أكثر المعاصى والآثام تعمل فى الليل .

والاستغفار من الذنوب طلب المغفرة ، والعبد أحوج شئ إليه لما تقدم ، وقد

---

١١٩ ـ أضرب : أي أنواع مفردها : ضَرْب بفتح الضاد وسكون الراء

جاء فى القرآن الحكيم ذكر الاستغفار والتوبة والأمر بهما والحث عليهما فى غير آية ، فلا حاجة إلى إيرادها خوف الإطالة .

أحاديث تحث على التوبة

وأما من الحديث النبوى فلا مانع من ذكر نبذة من ذلك ، روى الترمذى ، وابن ماجه من حديث أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : «كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» .

وأخرج البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **و الله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة** » وأخرج أيضا من حديث الأغر المزنى سمع النبى ﷺ يقول : « **يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة** » ، وخرجه النسائى ولفظه : « **يا أيها الناس توبوا إلى ربكم واستغفروه فإنى أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم مائة مرة** » وخرج الإمام أحمد بن حنبل من حديث حذيفة قال : «كان فى لسانى ذرب - أى حاد اللسان لا أبالى بما أقول - على أهلى لم أعده إلى غيره ، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال : « **أين أنت من الاستغفار يا حذيفة إنى لأستغفر الله كل يوم مائة مرة** » وخرج الإمام أحمد بن حنبل ، وأبو داود . والترمذى والنسائى . وابن ماجه من حديث ابن عمر قال إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة يقول « **رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم** » .

أنواع المغفرة

والمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان : أحدهما المغفرة لمن تاب كما فى قوله تعالى : ﴿**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا**﴾ إلى قوله : ﴿**ثم تنصرون**﴾ (١٢٠) فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى لا ييأس مذنب من مغفرة الله تعالى ولو كانت ذنوبه ما

---

١٢٠ - الزمر ٥٣ - ٥٤

كانت ، فإن الله جل ذكره لا يتعاظمه ذنب من أن يغفره لعبده التائب ، وقد دخل في هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب فإن الله تعالى يغفر ذلك لمن تاب منه ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين - إلى قوله - فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ (١٢١)، وقال في الآية الأخرى : ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ (١٢٢)

وقال : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة - إلى قوله - أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾ (١٢٣)، قال الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية : وهذا القول الجامع بالمغفرة لكل ذنب للتائب منه كما دل عليه القرآن والحديث هو الصواب عند جماهير أهل العلم ، وإن كان من الناس من يستثني بعض الذنوب كقول بعضهم أن توبة الداعية إلى البدع لا تقبل باطنا للحديث الاسرائيلي الذي منه «فكيف من أضللت ، وهذا غلط فإن الله قد بين في كتابه وسنة رسوله أن يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع وقد قال تعالى : ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ (١٢٤).

قال : الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم عذبوا أولياءه وفتنوهم ثم هو يدعوهم إلى التوبة ، كذلك توبة القاتل وغيره إلى آخر ما قال ، وثانيهما المغفرة بمعنى تخفيف العذاب أو بمعنى تأخيره إلى أجل مسمى وهذا عام مطلقا . لهذا شفع النبي ﷺ في عمه أبي طالب مع موته على الشرك ، فنقل من غمرة من نار حتى جعل في ضحضاح من نار ، في قدميه نعلان من نار يغلي منهما دماغه قال : «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» على هذا المعنى دل قوله تبارك وتعالى : ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ (١٢٥) وقوله جل ذكره : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾(١٢٦) وغير ذلك من الآيات .

١٢١ - التوبة ٥
١٢٢ - التوبة ١١
١٢٣ - المائدة ٧٣ ، ٧٤
١٢٤ - البروج ١٠
١٢٥ - فاطر ٤٥
١٢٦ - الشوري ٣٠

قال العلامة الحافظ تقى الدين بن دقيق العيد فى شرح الأربعين حديثا النووية : فى هذا الكلام من التوبيخ ما يستحى منه كل مؤمن ، وكذلك أن الله خلق الليل ليطاع فيه ويعبد بالإخلاص من حيث تسلم الأعمال فيه غالبا من الرياء والنفاق ، أفلا يستحى المؤمن أن لا ينفق الليل فيما خلق له من الطاعات حتى يخطىء فيه ويعصى الله تعالى فى مواطنه؟ وأما النهار فإنه خلق مشهودا من الناس فينبغى من كل فطن أن يطيع الله فيه أيضا ، لا يتظاهر بين الناس بالمخالفة ، وكيف يحسن بالمؤمن أن يخطىء سرا أو جهراً لأنه سبحانه وتعالى قد قال بعد ذلك «وأنا أغفر الذنوب جميعا» فذكر الذنوب بالألف واللام التى للتعريف وأكدها بقوله «جميعا» وإنما قال ذلك قبل أمره إيانا بالاستغفار لئلا يقنط أحد من رحمة الله لعظم ذنب ارتكبه اهـ .

وقوله « **يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى** »الخ الضر - يفتح أوله ويضم - الضرر ضد النفع وهو منصوب بنزع الخافض ، أو لن تصلوا إلى ضررى كذا فى بعض شروح الأربعين .

قال الأزهرى : كل ما كان سوء حال وفقر وشدة فى بدن فهو ضر بالضم ، وما كان ضد النفع فهو بفتحها - اهـ .

ولما كانت الجبلة والعادة فى الخلق أن يوصل بعضهم إلى بعض نفعاً أو ضراً ، وكان هذا مألوفاً لهم فيما بينهم فإذا رأيت إحساناً من أحد أو إساءة من أحد إليك فتجتهد لأن توصل إليه نظير صنعه من خير أو شر أو منفعة أو مضرة فالناس وراء المنافع أيا كان وكل بحسبه ، أراد المولى جل ذكره أن يبين لخلقه وعبيده أنه سبحانه لا يصله شىء من طاعتكم فينتفع به ولا يصله شىء من معصيتكم فتضرونه به ، بل أعمالكم الطيبة الصالحة تثابون عليها يوم القيامة وتنتفعون بها فى الآخرة وكذلك أعمالكم الخبيثة فإنكم تجازون عليهايوم الموقف الأعظم ، وتعذبون بسبب ما ارتكبتموه من الأمور المخلة ، فليجتهد كل إنسان ويدخر لنفسه من الاعمال الصالحات ما يعود نفعه عليه فى وقت شدة حاجته إليه وليجهد نفسه على منعها من

ارتكاب ما يخل بالآداب الإنسانية والقواعد الشرعية لئلا يكون وزر ذلك عليه فى يوم لا شفيع يشفع إلا بإذن الله سبحانه وتعالى . قال قتادة : إن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم .

وقد ورد فى ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات وما الأرض وكان الله غنيا حميد** ﴾(١٢٧) أى لم يزل كذلك . قال حاكياعن موسى : ﴿ **وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد** ﴾(١٢٨) وقال : ﴿ **ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا** ﴾(١٢٩) وقال : ﴿ **ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا** ﴾(١٣٠) وقال : ﴿ **ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾(١٣١) وقال تعالى : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾(١٣٢) والمعنى والله أعلم أنه تعالى يحب من عباده أن يتقوه ويطيعوه كما أنه يكره منهم أن يعصوه . ولهذا يفرح بتوبة التائبين أشد من فرح من ضلت راحلته التى عليها طعامه وشرابه بفلاة من الأرض وطلبها حتى أعيى وأيس منها واستسلم للموت وآيس من الحياة ثم غلبته عيناه فنام واستيقظ فإذا هى قائمة عنده .

وهذا أعلى ما يتصوره المخلوق من الفرح والسرور ، وهذا كله مع غناه عن طاعات عباده وتوبتهم إليه وأنه إنما يعود نفعها إليهم دونه ، ولكن هذا من كمال جوده وإحسانه إلى عباده ومحبته لنفعهم ورفع الضر عنهم ، فهو يحب من عباده أن يعرفوه ويحبوه ويخافوه ويتقوه ويطيعوه ويتقربوا إليه و ويحب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوبَ أحدٌ غيرُه وأنه قادر على مغفرة ذنوب عباده كما فى رواية عبد الرحمن

---

١٢٧ ـ النساء

١٢٨ ـ إبراهيم ٨

١٢٩ ـ آل عمران ١٧٦

١٣٠ آل عمران ١٤٤

١٣١ ـ آل عمران ٩٧

١٣٢ ـ الحج ٣٧

ابن غنم عن أبى ذر لهذا الحديث «من علم منكم أنى ذو قدرة على المغفرة ثم استغفرنى غفرت له ولا أبالى» وفى الصحيح عن النبى ﷺ قال : والله لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها .

وقوله ﴿يا عبادى لو أن أولكم وآخركم﴾ الخ بعد ما ذكر الله تعالى أنه جل ذكره لا ينتفع من عباده بطاعتهم إياه ولا يحصل له ضرر بسبب عصيانهم إياه بل الانتفاع والضرر عائدان عليهم ومجازون بذلك عقب ذلك بأن ملكه جل ثناؤه لا يزيد بطاعة الخلق ، ولو كانوا كلهم بررة أتقياء ، قلوبهم على قلب أتقى رجل منهم . كذلك لا ينقص ملكه بمعصية العاصين ولو كان جميع الإنس والجن عصاة فجرة قلوبهم على قلب أفجر رجل منهم ، فإنه سبحانه الغنى بذاته عمن سواه وله الكمال المطلق فى ذاته وصفاته وأفعاله فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أى وجه كان .

وفيه دليل على أن الأصل فى التقوى والفجور هى القلوب ، فإذا بر القلب واتقى برت الجوارح ، وإذا فجر القلب فجرت الجوارح ، أفاده الحافظ بن رجب فى جامع العلوم والحكم بنوع تصرف .

وقوله« لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى» الخ بألسنة مختلفة حوائج مؤتلفة .

قال السعد : وقيد السؤال بالاجتماع فى صعيد واحد لأن تزاحم الأسئلة وترادف الناس فى السؤال مع كثرتهم وكثرة مطالبهم مما يضجر المسئول منه ويدهشه ، وذلك يوجب حرمانهم وتخييبهم ، أى تعسر إنجاح مطالبهم وإسعاف مآربهم . وليس كذلك فى حقه سبحانه وتعالى .

وفيه إشارة إلى كمال قدرته سبحانه وتعالى وكمال ملكه ، وأن ملكه وخزائنه لا تنفذ ولا تنقص بالعطاء . ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه فى مقام واحد .

وفي ذلك حث الخلق على سؤاله وإنزال حوائجهم به . روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء**» وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضيَ الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**يد الله ملأى لا يغيضها**[133] **نفقة سَحَّاء**[134] **الليل والنهار ، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه**» .

وقوله «**لا يغيضها**» أي ينقصها وقال أبو سعيد الخدري : إذا دعوتم الله فارفعوا في المسألة فإن ما عنده لا ينفده شيء وإذا دعوتم فاعزموا فإن الله لا مستكره له .

وقوله «لم ينقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» .

المخيط والخياط : ما يخاط به وهي الإبرة إذ الفعال والمفعل والمفعال من صيغ الآلات التي يفعل بها كالمسعر والحلاب والمنشار ، وهو بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء .

وقوله «أُدْخِل البحر» بصيغة المجهول » ونصب البحر علي أنه ثاني المفعولين ، وهذ التشبيه منَ باب تشبيه المفعول بالمحسوس للتفهيم ، وقوله ذلك لتحقيق أن ما عنده لا ينقص البتة كما قال تعالى : ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾[135] فإن البحر إذا غمست فيه إبرة ثم أخرجت لم تنقص من البحر بذلك شيئا ، وكذلك لوفرض أن شرب منه عصفور مثلا فإنه لا ينقص البحر البتة ، ولهذا ضرب الخضر لموسى عليهما السلام هذا المثل في نسبة علمهما إلى علم الله عز وجل ، وذلك لأن البحر لا يزال تمده مياه الدنيا وأنهارها الجارية ، فمهما أخذ منه لم ينقصه شيء لأنه يمده ما هو أزيد مما أخذ منه . وهكذا طعام الجنة وما فيها فإنه لا ينقص كما قال تعالى ﴿ **وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾[136] .

---

١٣٣ ـ لا يغيضها : لا ينقصها ولا يذهب ما فيها .
١٣٤ ـ سحاء : كثيرة العطاء .
١٣٥ ـ النحل ٨٦
١٣٦ ـ الواقعة ٣٢ ، ٣٣

وقد تبين فى الحديث الذى خرجه الترمذى وابن ماجه السبب الذى لأجله لا ينقص ما عند الله بالعطاء بقوله « **ذلك بأنى جواد واجد ماجد أفعل ما أريد ، عطائى كلام ، وعذابى كلام ، إنما أمرى لشىء إذا أرت إنما أقول له كن فيكون** » .

وقال بعضهم فى ذلك :

لاتخضعن لمخلوق علي طمع   فإن ذاك مُضِرٌ منك بالدين
واسترزق الله مما في خزائنه   فإنما هي بين الكاف والنون

لما بين الله جل جلاله كمال قدرته وتمام ملكه وسعة نعمائه وقوة نفوذه أراد أن يبين لخلقه أنه تعالى ذكره مع كونه موصوفا بهذا الصفات الفائقة الحد والحصر فلا يترك لعبد من عباده عملا من الأعمال قل أو كثر صغر أو عظم خيراً أو شراً إلا أحصاه وكتبه عليه ثم يرد عليه جزاء ذلك ويوفيه له على حسبه تاما لا ينقص منه شيئا .

قال الإمام العلامة أبو العباس تقى الدين أحمد بن تيمية فى شرح هذه الجملة : فبين أنه محسن إلى عباده فى الجزاء على أعمالهم الصالحة إحسانا يستحق به الحمد لأنه هو المنعم بالأمر بها والإرشاد إليها والإعانة عليها ثم إحصائها ثم توفية جزائها فكل ذلك فضل منه وإحسان إذ كل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، وهو وإن كان قد كتب على نفسه الرحمة وكان حقاً عليه نصر المؤمنين كما تقدم بيانه فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذى يكون عدلا لا فضلا لأن ذلك إنما يكون لكون بعض الناس أَحْسَنَ إلى البعض واستحَق المعاوضة وكان إحسانه إليه بقدرة المحسن دون المحسَن إليه ، ولهذا لم يكن المتعاوضان ليخص أحدهما بالتفضل على الآخر لتكافئهما ، وهو قد بين فى الحديث أن العباد لم يبلغوا ضره فيضروه ولن يبلغوا نفعه فينفعوه ، فامتنع حينئذ أن يكون لأحد من جهة نفسه عليه حق بل هو الذى أحق الحق على نفسه بكلماته ، فهو المحسن بالإحسان وبإحقاقه وكتابته على نفسه ، فهو فى كتابة الرحمة على نفسه وإحقاقه نصر عباده المؤمنين ونحو ذلك محسن إحسانا مع إحسان ، فليتدبر اللبيب هذه التفاصيل التى يتعين بها فصل الخطاب فى هذه المواضع التى عظم فيها الاضطراب ، فمن بين

موجب على ربه بالمنع أن يكون محسنا متفضلا ومن بين مُسَوٍّ بين عدله وإحسانه وما تنزه عنه من الظلم والعدوان وجاعل الجميع نوعا واحداً ، وكل ذلك حيد عن سنن الصراط المستقيم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وكما بين أنه محسن فى الحسنات متم إحسانه بإحصائها والجزاء عليها بَيَّن أنه عادل فى الجزاء على السيئات فقال : « ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » كما تقدم بيانه فى مثل قوله : ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ (١٣٧) وعلى هذا الأصل ستقرب الشريعة الموافقة لفطرة الله التى فطر الناس عليها كما فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن شداد بن أوس عن النبى ﷺ أنه قال « سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ففى قوله «أبوء لك بنعمتك على» اعتراف بنعمته عليه فى الحسنات وغيرها وقوله «وأبوء بذنبى» اعتراف منه بأنه مذنب ظالم لنفسه وبهذا يصير شكورا لربه مستغفرا لذنبه يستوجب مزيد الخير وغفران الشر ، من الشكور والغفور ، الذى يشكر اليسير من العمل ويغفر الكثير من الزلل .

وقد ورد فى إحصاء أعمال العباد وتوفيتهم إياها بالجزاء عليها آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ (١٣٨) وقوله : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ (١٣٩) وقوله : ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾ (١٤٠) وقوله ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه﴾ (١٤١) إلي غير ذلك .

---

١٣٧ ـ هود ١٠١
١٣٨ ـ الزلزلة ٧-٨
١٣٩ ـ آل عمران ٣٠
١٤٠ـ الكهف ٤٩
١٤١ ـ المجادلة ٦

وقوله : « **ثم أوفيكم إياها** » الظاهر أن المراد توفيتها يوم القيامة كما قال تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿**وإنما توفون أجوركم يوم القيامة**﴾[142] ويحتمل أن المراد يوفى عباده جزاء أعمالهم فى الدنيا والآخرة كما فى قوله تعالى : ﴿**من يعمل سوءا يجز به**﴾[143] وقد روى عن النبى ﷺ أنه فسر ذلك بأن المؤمنين يجازون بسيئاتهم فى الدنيا وتدخر لهم حسناتهم فى الآخرة فيوفون أجورهم ، وأما الكافر فإنه يعجل له فى الدنيا ثواب حسناته وتدخر له سيئاته فيعاقب بها فى الآخرة ويوفيه جزاءها من خير أو شر ، فالشر يجازى به مثله من غير زيادة إلا أن يعفو الله عنه والخير تضاعف الحسنة عنه بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا يعلم قدرها إلا الله كما قال تعالى : ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾[144] أفاده الحافظ ابن رجب .

وقوله « **فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه** »

أى فمن وجد ما يثاب عليه من الخير فليحمد الله تعالى على توفيقه لطاعته ، وليعلم أنه من فضل الله ورحمته .

ومن وجد غير ذلك الخير ـ وهو الشر ـ أو مالا ثواب عليه [فليوجه اللوم إلى نفسه][145] ولذا ورد « **ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها** » .

---

١٤٢ ـ آل عمران ١٨٥

١٤٣ ـ النساء ١٢٣

١٤٤ ـ الزمر ١٠

١٤٥ ـ زيادة ليست في الأصل تقيضها السياق .

فمن وجد غير محض الخير ولو لم يكن صريح الشر ينبغى أن يلوم نفسه فى مقام المراقبة وحال المحاسبة ولذا قال الشيخ البستى (١٤٦)

زيـــادة المرء فـى دنيـاه نقـصــان   وربحه غير محض الخير خسران

فلا يلومن إلا نفسه لبقائها على الظلمة الأصلية فآثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا خالقها ورازقها ، فكفرت بنعمه ولم تذعن لحكمه فاستحقت أن يعاملها ربها بمقتضى عدله ، وأن يحرمها من أيادى كرمه وفضله .

ففى الحديث إشارة إلى أن الخير كله فضل من الله على عباده من غير استحقاق ، والشر كله من عند ابن آدم من اتباع هوى نفسه كما قال عز جل : ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ (١٤٧) فالله سبحانه وتعالى إذا أراد توفيق عبد وهدايته أعانه ووفقه لطاعته ، وكان ذلك فضلا منه ورحمة ، وإذا أراد خذلان عبد وكله إلى نفسه وخلّى بينه وبينها فأغواه الشيطان لغفلته عن ذكر الله واتبع هواه وكان أمره فرطا وكان ذلك عدلا منه فإن الحجة قائمة على العبد بإنزال الكتب وإرسال الرسل فما بقى لأحد من الناس على الله حجة بعد الرسل الخ

وقوله « **فمن وجد خيرا** » الخ يحتمل أن يكون ذلك فى الدنيا ، ويحتمل أن يكون ذلك فى الآخرة .

أما الأول فيكون حينئذ مأمورا بالحمد لله على ما وجده من جزاء الأعمال الصالحة الذى عجل له فى الدنيا كما قال الله تعالى : ﴿**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا**

---

١٤٦ ـ البستي : هو أبو الفتح علي بن محمد البستي ـ الكاتب الشاعر ينسب إلي مدينة بُست من بلاد كابل .. توفي سنة ٤٠٠ هـ .

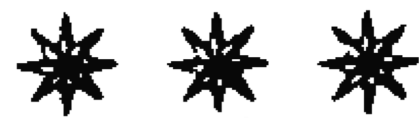
والبيت المذكور من قصيدة طويلة تشتمل علي مواعظ وحكم ، وهذا البيت مطلعها ، وبعده :

وكـل وجـــدان حـظ لاثـبـــات لـــه   فـإن مــعــنـاه فـي الـتـحـقـيـق فـقـدان
يـا عـــامـرأ لـخــراب الـدهـر مـجـتـهـدا   بـالله ، هـل لـخـراب الـعـمـر عـمـران ؟

١٤٧ ـ النساء ٧٩

يعملون﴾[١٤٨] ويكون مأمورا بلوم نفسه على ما فعلت من الذنوب التى وجد عاقبتها فى الدنيا كما قال الله تعالى : ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾[١٤٩] فالمؤمن إذا أصابه فى الدنيا بلاء رجع إلى نفسه باللوم ودعاه ذلك إلى الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار ، روى الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن النبى ﷺ أنه قال « **إن المؤمن إذا أصابه سقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل من عمره ، وإن المنافق إذا مرض وعوفى كان كالبعير عقله أهله وأطلقوه لا يدرى بما عقلوه ولا بما أطلقوه** » .

وإن كان المراد الثانى كان إخبارا منه بأن الذين لا يجدون الخير فى الآخرة يحمدون الله على ذلك وأن من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه حين لا ينفعه اللوم فيكون الكلام لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر كقوله ﷺ « **من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار** » والمعنى أن الكاذب عليه ﷺ يتبوأ مقعده من النار . وفى هذا الباب آيات وأحاديث كثيرة فى هذا المعنى وفيما ذكرناه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد والله أعلم .



(فى فضل المساجد وعمارها)

الحديث السابع والأربعون

« إِنِّى لأَهُمُّ بِأَهْلِ الأَرْضِ عَذَاباً فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَّارِ بُيُوتِى وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَذَابِى عَنْهُم »

ورواه البيهقى عن أنس[١٥٠]

شرح الحديث

عمار البيوت تقدم الكلام عليه ، وهم المصلون فى المساجد المحافظون على الصلوات فى الجماعات .

---

١٤٨ ـ النحل ٩٦

١٤٩ ـ السجدة ٢١

١٥٠ ـ هذا الحديث في كنز العمال جـ٧ ٢٠٣٤٣ ، وفي اتحافات العيني برقم ١٩٥ ، ٣٨٠ .
ورمز له صاحب كتاب جامع الأحاديث القدسية بالضعف الشديد .

والأسحار وقت السحر وهو اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى ليعزم بتعذيب المخالفين من أهل الأرض بسبب ما ارتكبوه من الآثام والمعاصي فينظر إلى المصلين وعمار بيوته والمستغفرين وقت السحر ، فيحمله على العفو فيصرف عذابه عنهم إكراما للمطيعين تفضلا منه وإحسانا .

التعليق

ورد فى الترغيب والترهيب آثار كثيرة تحض على تعمير المساجد وصيانتها وتنظيفها ومن ذلك ما رواه سمرة بن جُنْدُب ـ رضى الله عنه ـ قال «أمرنا رسول الله ﷺ ـ أن نتخذ المساجد فى ديارنا ، وأمرنا أن ننظفها» رواه أحمد والترمذى

وفى عمار المساجد يقول النبى ﷺ ـ : «إن عمار بيوت الله هم أهل الله ـ عز وجل ـ» رواه الطبرانى فى الأوسط عن حديث أنس بن مالك

الترغيب والترهيب جـ١ صـ٢١٨



(استحياء الله أن يعذب من يشيب فى الإسلام)

الحديث الثامن والأربعون

«إنِّى لأستَحي منْ عَبْدى وأمَتى يَشيبان فى الإسْلام فَتشيبُ لحيَةُ عَبْدِى وَرأسُ أمَتى فىَ الإسْلامِ أعَذِّبهُمَا فى النَّارِ بَعْدَ ذلَكَ»

رواه أبو يعلى عنه [١٥١]

---

١٥١ ـ هذا الحديث في كنز العمال جـ١٥ ٤٢٦٨٢ ، وفي اتحافات المدني برقم ٢١٢ ، وفي مجمع الزوائد للهيثمي جـ٥ صـ١٩

وقد رمز كتاب جامع الأحاديث القدسية للحديث بالضعف .

وفي الباب عدة أحاديث منها الحديث الذي ذكره المناوي بعد ذلك .

ـ ومنها ما رواه أبو الشيخ عن أنس أيضا : «يقول الله ـ عز وجل ـ يا بن آدم ، إن الشيب نور من نوري ، وإني أستحيي أن أعذب نوري بناري ، فاستحي مني» ـ كنز العمال جـ١٥ ٤٢٦٨ ـ

ـ ومنها : ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضا : «يقول الله عز وجل : إني لاستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ، ثم أعذبهما بعد ذلك ، ولأنا أعظم عفوا من أن أستر على عبدي ثم أفضحه ، و لا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني»

كنز العمال جـ١٥ ٤٢٦٨٤

شرح الحديث

الشيب ابيضاض الشعر المسود والمراد به هنا - والله أعلم - بلوغ سن الكبر لأن الإنسان قد يشيب وهو حدث السن وليس المراد هنا .

والأمة المرأة ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالي يستحى أن يعذب عبده وأمته إذا شابا في الإسلام ، فكيف لا يستحى العبد والأمة أن يعصيا الله وهما على هذه الحالة ؟ ففيه توبيخ واستنكار فعل من هذا حاله .

وذكر المدنى فى كتابه حديثا آخر ولفظه «وعزتى وجلالى وجودى وفاقة خلقى وارتفاعى وعز مكانى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الإسلام ثم بكى رسول الله ﷺ فقيل : يا رسول الله ما يبكيك ؟ قال : «أبكى ممن يستحى الله منه ولا يستحى من الله» أخرجه ابن حبان فى الضعفاء ، والبيهقى فى الزهد والرافعى عن أنس ، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات والله أعلم .

***

الحديث التاسع والأربعون

« وَعِزَّتِى وَوَحْدانِيَّتِى وارْتِفاعِ مَكانِى واحتِياجِ خَلْقِى إلىَّ واستوائِى عَلَى عرشِى لأسْتَحى مِنْ عَبْدِى وأَمَتِى يَشيبانِ فى الإسْلامِ ثُمَّ أعَذِّبُهُما »

رواه الخليلى ، والرافعى عن أنس (١٥٢)

شرح الحديث من النفحات

سبق الكلام على بعض ألفاظه وبعضها ظاهر لا يحتاج إلى تفسير .

والمعنى والله أعلم أن الله جل وعز يخبرنا ويقسم لنا ببعض صفاته أنه ليستحى من

---

١٥٢ - هذا الحديث في كنز العمال جـ١٥ ٤٢٦٨٣ ، وقد علق عليه جامع الأحاديث القدسية بالضعف . وعلة الضعف في الإسناد .

ورقم هذا الحديث في الاتحافات السنية للمداوي الثاني والستون بعد المائة ، وقد قدمناه لصلته بما قبله .

عبده وأمته يشيبان فى الإسلام ثم يعذبهما بسبب ما ارتكبوه من المخالفات والمعاصى ، وفيها حث وترغيب فى الاستقامة وحسن العمل والمواظبة على الفرائض والمندوبات وعدم التساهل فى ذلك ، فإذا كان المولى جل جلاله يستحى من أن يعذب عبده أو أمته بسبب اقترافهما الذنوب لأنهما كبرا وشابا فى الإسلام ، أفلا يكون الأولى بالعبد والأمة أن يستحيا أن يعصيا الله تعالى وهمـا على تلك الحالة ؟ اللهم عذرا وتوفيقا فإنك حليم عدل حكيم بعبادك رءوف رحيم .



(أيُّ كلام الحكماء يُقْبِل الله عليه ؟)

الحديث الخمسون

« إنِّى لَسْتُ عَلى كلِّ كلامِ الحُكيمِ أقْبلُ وَلكنْ أقْبلُ علَى همِّه وَهواهُ فيما يُحبُ الله وَيرْضَى جَعَلْتُ حِكْمَته حَمْداً لله وَوَقَاراً وَإنْ لَمْ يَتكلَّمْ »

رواه بن النجار عن المهاجر بن حبيب (١٥٣)

شرح الحديث من النفحات

الحكيم قال صاحب النهاية : فعيل بمعنى فاعل أو هو الذى يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل ، وقيل : الحكيم ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم اهـ وقيل : الحكمة عبارة تفيد أدبا أو عظة أو تجرى مجرى المثل ، والهوى، مصدر هواه : أحبه ، وشرعا ، ميل النفس إلى مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع .

والوقار - بفتح الواو - الحلم والرزانة والعظمة .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل على كلام الحكيم لأن فيه ما يكون تبعا لهواه وحظه وما يكون تبعا لمرضاة الله جل ذكره وأمره ، فالله يقبل على كلامه إذا كان همه وهواه فيما يحبه الله ويرضاه وزيادة على ذلك فإن الله تباركت أسماؤه يجعل حكمته حمد الله ويزينه بالوقار والعظمة والهيبة وإن لم يتكلم بالحكمة ، وهذا دليل على أن الإنسان مهما اتصف بالكمال والعقل والأدب والحكمة وغير ذلك من الصفات الحميدة لا تحليه وتزينه وتورثه عظمة وحلما وعظةً إلا إذا كان يميل إلى ما يحبه الله جل اسمه بأن يفعل المأمورات ويجتنب المنهيات ويتبع الرسل

---

١٥٣ ـ الحديث في كنز العمال جـ٣ ٧٢١٤١ .
وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا ، كما ذكر بأنه لم يقف علي ترجمة راويه وهو المهاجر بن حبيب ولم يوجد في كتب تراجم الصحابة من اسمه كذلك ، ويوجد اسم المهاجر فقط ولم يسند إليه هذا الحديث .

فى كل ما جاء من الأحكام والآداب والأخلاق . ولذلك ورد فى الحديث عن الرسول ﷺ « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** » .

ولا شك أن المؤمن كامل الإيمان لا يكون هواه إلا تبعا لما جاء به الدين الحنيف . ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم أفضل الخلق لما خصوا به من المزايا والصفات الكاملة ، أعلاها الميل إلى ما جاءت به الشريعة السمحة التى ليلها كنهارها فى الإضاءة والوضوح ، كان أحدهم يقاتل أباه وابنه وهو فى صف المؤمنين وهما فى حيزٍ الكافرين المشركين، بذلوا ـ رضى الله عنهم ـ فى طريقه مُهَجَهُم وأنفقوا أموالهم فطوبى لهم

. فمن كان الهوى ـ وهو الباطل ـ المطاع المحبوب الاتباع تابعا لطرق الهدى من الملة البيضاء والسنة الزهراء حتى تصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقة التى تنبعث من هوى النفس وميل الطبع هما واحدا يتعلق بأمر ربه واتباع شرعه تعظيما لحقه وشفقة على خلقه كما قيل :

كانت لقلبي أهواء مفرقةٌ ... فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائي
وصار يحسدني من كنت أحسدهم ... وصرت مولي الوري إذ صرت مولائي
تركت للخلق دنياهم ودينهم ... شغلا بحبك يا ديني ودنيائي

فلا يميل إلا بأمر الشرع ، ولا يهوى إلا حكم الطبع . فهو المؤمن الكامل الوحيد الذى يقبل منه التوحيد .

ومن أعرض عنه متبعا لهواه مبتغيا لرضاه فهو الكافر الخاسر فى دنياه وعقباه ، ومن اتبع أصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق ، ومن عكس فهو المنافق .

والله أسأل هداية الأمم أجمع إلى اتباع الدين الإسلامى والأخذ بمباديه والتحلى بمحاسنه .

قال الحافظ زين الدين بن رجب : فجميع المعاصى إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى فى مواضع من كتابه فقال تعالى : ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن**

اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [154] وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء ، وكذلك المعاصى إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه ، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول ﷺ .

فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمانن أ ن يحب المرء لا يحبه إلا لله وتحريم موالاة أعداء الله وما يكرهه الله عموما ـ اهـ والله أعلم .

التعليق

جاء فى تفسير الحكمة ما يقوله القرطبى عند تفسير قوله ـ عالى ـ **﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾** [155] . البقرة : ٢٦٩

اختلف فى تعريف الحكمة ، فقال السدى : هى النبوة ، وقال ابن عباس هى المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره . وقال قتادة : الحكمة هى الفقه فى القرآن ، وقال مجاهد : الحكمة العقل فى الدين ، وقال مالك بن أنس : الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له . وروى عنه : الحكمة التفكر فى أمر الله والاتباع له ، وقيل : الحكمة هى الخشية ، وقيل : هى الورع . . وهى أقوال قريب بعضها من بعض . .

والحكمة الحقيقية لها علامات وأمارات أهمها ما أشار إليه الحديث الشريف من تواضع وزهد وورع وخشية .

قال بعض الحكماء : من أعطى العلم والقرآن ينبغى أن يعرف نفسه ، ولا

---

١٥٤ ـ القصص ٥٠

١٥٥ ـ البقرة : ٢٦٩

يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم ، فإنما أعطى أفضل مما أعطى أصحاب الدنيا ، لأن الله سمى الدنيا متاعاً قليلا ، وسمَّى الحكمة خيرا كثيرا .



(وجوب توحيد الله وشكره)

الحديث الحادى والخمسون

« إِنِّى وَالجِنُّ والإِنْسُ فى نَبإٍ عظيمٍ أَخْلُقُ ويُعْبَدُ غَيْرِىَ وَأَرْزُقُ ويُشْكَرُ غيرِى »

رواه البيهقى ، والحاكم عن معاذ والديلمى وابن عساكر عن أبى الدرداء[١٥٦]

شرح الحديث من النفحات

أصل الجن - بفتح الأول - ستر الشيء عن الحاسة يقال جنه الليل وأجنه وجن عليه فجنه وأجنه جعل له ما يجنه ، وكقولك قبرته وأقبرته وسقيته وأسقيته ، وجن عليه كذا ستر عليه .

قال الراغب : والجن - بكسر أوله - يقال على وجهين أحدهما للروحانيين المستترة عن الحواس كلها بإزاء الإنس فعلى هذا تدخل الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة ، وعلى هذا قال أبو صالح : الملائكة كلها جن .

وقيل : بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة : أخيار وهم الملائكة ، وأشرار وهم الشياطين ، وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن ، ويدل على ذلك قوله تعالى : **﴿قل أوحى إلى - إلى قوله عز وجل - وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾**[١٥٧] والإنس البشر أو خلاف الجن والملك ، وسمى الإنسان بذلك لأنه

---

١٥٦ ـ هذا الحديث أورده الحكيم الترمذي ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان غن أبي الدرداء ، وهو في كنز العمال جـ١٦ ٤٣٦٧٤ وفي مسند الفردوس للديلمي جـ٣ ٤٥٠٦ عن أبي الدرداء أيضا ..

١٥٧ ـ سورة الجن ١ ـ ١٤

خلق خلقه لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض ولهذ قيل : الإنسان مدنى بالطبع من حيث أنه لا قوام لبعضهم إلا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه . وقيل سمى بذلك لأنه عهد إليه فنسى .

(والنبأ) خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر فى الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحق الخبر الذى يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر . وخبر الله تعالى وخبر النبى ﷺ ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال : أنبأته بكذا كقوله أخبرته بكذا ، ولتضمنه معنى العلم قيل : أنبأته كذا كقولك : أعلمته كذا قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم معرضون﴾[١٥٨] وقال : ﴿عم يتسألون عن النبأ العظيم﴾[١٥٩] والله أعلم أفاده الراغب .

والمعنى أن الله جل جلاله مع خقه من إنس وجن فى نبأ وخبر عظيم وعجب عُجاب ، فالله يخلق الخلق من عباد وجماد وشجر وحيوان و يقدر لهم الآجال والأرزاق ، ويعبدون غيره من صنم ووثن وحجر ونار وشمس وقمر وهوى وشيطان ، والله يسدى نعمه على خلقه ويشكرون غيره ولا ينظرون إلى نعمائه ، إن هذا العمل لفعل مستبعد عند العقلاء ومنكر فظيع عند أهل الذكاء فهل يليق بعاقل أن يمرح فى نعماء مولاه ولا يعبده ؟ وهل يستحسن ممن عرف يمينه من شماله وميز بينهما أن يرتع فى رزق الله جل ثناؤه ولا يشكره بل يشكر غيره ؟ إن هذا لبهتان عظيم .

ترجمة البيهقى

وقوله : «رواه البيهقى» الخ البيهقى هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن على الذى قيل فى وصفه : ما من شافعى إلا وللشافعى فضل عليه غير البيهقى فإن له المنة والفضل على الشافعى لكثرة تصانيفه فى نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه . توفى رحمه الله تعالى سنة ٤٥٨ هـ .

---

١٥٨ ـ سورة ص ٦٧ ، ٦٨

١٥٩ ـ سورة النبأ ١ ، ٢

ترجمة الحاكم

والحاكم هو الإمام الحافظ المحيط بالسنة أبو عبد الله محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابورى الشهير بالحاكم ، ويعرف بابن ألْبَيِّع ، وهو من المؤلفين العظام له المستدرك وتاريخ نسابور والإكليل والأمالى وغير ذلك من نفائس الكتب أخذ العلم عن ألفي شيخ توفى سنة ٤٠٥ .

ترجمة الديلمى

والديلمي نسبة إلى ديلم وهي بلاد معروفة ، وهو الإمام الحافظ شَهْردار بن شيرويه الهمذانى المتوفى سنة ٥٥٨ هـ قال الحافظ عبد الرءوف المناوى فى شرحه الجامع الصغير : ـ مسند الفردوس المسمى بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب ، والفردوس للإمام عماد الإسلام أبى شجاع الديلمى ، ألفه محذوف الأسانيد مرتبا على الحروف ليسهل حفظه ، وأعلم بإزائها بالحروف للمخرجين ، ومسنده لولده سيد الحفاظ أبى منصور بن شيرويه خرج مسند كل حديث تحته ، وسماه إبانة الشبه فى معرفة كيفية الوقوف على ما فى كتاب الفردوس من علامات الحروف اهـ .

ترجمة ابن عساكر

وابن عساكر هو الإمام الحافظ الكبير فخر الأمة ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى الشافعى صاحب التصانيف المفيدة النافعة كتاريخ دمشق ، والأطراف المتوفى سنة ٥٧١ هـ .

التعليق

يشير هذا الحديث إلى وجوب إفراد الله بالعبادة شكرا له على ما أنعم . والعبادة هى توحيد الله والتزام شرائع دينه ، وأصل العبادة : الخضوع والتذلل ، يقال : طريق معبدة إذا كانت موطوءة بالأقدام . . والعبادة : الطاعة ، والتعبد والتنسك .

وأعظم نعمة من الله على العبد أن خلقه ووهبه نعمة الحياة ، وأخرجه من العدم إلى الوجود ، ليستحق بذلك نعمة الخلود في الجنة إن كان طائعا .

أما الشكر فهو معرفة الإحسان والتحدث به ، فشكر العبد لله - تعالى - يعنى ثناءه عليه بذكر إحسانه إليه ، وقد دعا الله إلى شكره فى القرآن الكريم فقال : ﴿فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾ - البقرة ١٥٢ -

***

(صلة الرحم وأهميتها)

الحديث الثانى والخمسون

« أَنَا الرَّحمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وشَقَقْت لَها اسْماً منْ اسْمِى ، فمَنْ وَصَلَها وَصلْتُه وَمنْ قَطَعَها قَطَعْتُه وَمنْ ثبتها ثبته إنَّ رَحْمَتِى سبَقتْ غَضَبى »

رواه أحمد . والبخارى وأبو داود . والترمذى . وابن حبان . والحاكم . والبيهقى . عن ابن عوف والحاكم . والخرائطى . والخطيب عن أبى هريرة [١٦٠]

شرح الحديث من النفحات السلفية

الرحم بفتح الراء وكسر الحاء المهملة - يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين

---

١٦٠ - وردت عدة أحاديث حول هذا المعنى ..
أما حديث أبي هريرة فقد أورده أحمد في مسنده جـ٢ ص٤٩٨ بلفظ «قال الله - عز وجل - : ﴿أنا الرحمن ، وهي الرحم ، شققت لها من اسمي ، من يصلها أصله ، ومن يقطعها أقطعه فأبته»﴾ وهو صحيح .
وأما حديث عبد الرحمن بن عوف فأخرجه أحمد أيضا في مسنده جـ٣ برقم ١٦٥٩ بلفظ : «قال الله - عز وجل - : أنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت لها من اسمي ، فمن يصله أصله . ومن يقطعها أقطعه فأبته ، أو قال : ومن يبتها أبته» وهو صحيح ..
وفي الاتحافات السنية للمدني برقم ٣٦٦ ما أخرج الطبراني في الكبير عن جرير ، ولفظه» : «إن الله كتب في أم الكتاب قبل أن يخلق السموات والأرض : إنني أنا الرحمن الرحيم ، خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته» .

الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا سواء كان ذا محرم أم لا ، وقيل هم المحارم فقط ، والأول هو المرجح ، لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوى الأرحام وليس كذلك . ووصل الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوى النسب والأصهار ، والتعطف عليهم ، والرفق بهم والرعاية لأحوالهم ، وكذلك إن بعدوا أو ساءوا ، وقطع الرحم ضد ذلك كله ، يقال : وصل رحمه يصلها وصلا وصلة ، و الهاء فيها عوض من الواو المحذوفة فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر .

ومعنى شققت لها اسما من اسمى أى أخرجت وأخذت لها اسما من اسمى الرحمان فلها به علقة

وقوله : «ومن ثبتها ثبته» هو من التثبيت وهو بمعنى وصلها وفيه تكرار مع ما قبله وفى نسخة «ومن بتها» بالباء الموحدة من البت وهو القطع وهى موافقة لما فى كتاب الإتحافات السنية للمدنى والله أعلم .

ففى الحديث تعظيم أمر صلة الرحم ، والعطف عليهم وتفقد أحوالهم وكل شخص بحسب ما يليق بحاله .

قال القرطبى : الرحم التى توصل عامة وخاصة : فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة ، وأما الرحم الخاصة فبتزيد النفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم ، وتفاوت مراتب استحقاقهم فى ذلك قال الإمام الحافظ بن أبى جمرة : تكون صلة الرحم بالمال ، وبالعون على الحاجة ، وبدفع الضرر ، وبطلاقة الوجه وبالدعاء ، والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة .

وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة فإن كانوا كفاراً أو فجاراً فمقاطعتهم فى الله هى صلتهم ، بشرط بذل الجهد فى وعظهم ، ثم إعلامهم إذا

أصروا أن ذلك يسبب تخلفهم عن الحق ، ولا تسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى والله أعلم .

وقد جاء فى كثير من الأحاديث أن صلة الأرحام من أفضل الأعمال ، منها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث معاذ بن أنس الجهنى عن النبى ﷺ قال : «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك» وروى الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهنى قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة ؟ تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك» .

وقول المصنف : رواه أحمد والبخارى أى رواه أحمد فى المسند والبخارى فى الأدب المفرد ، وعزا هذا الحديث الحافظ بن حجر فى الفتح إلى أصحاب السنن .

ترجمة الإمام أحمد

وأحمد رحمه الله تعالى هو الإمام الحافظ الورع الزاهد المجتهد رأس أهل السنة والجماعة ومؤسس المذهب الحنبلى ، من أجمعت الأمة على جلالته وأمانته وحفظه وإتقانه ، شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ

وقوله :

ترجمة الإمام البخارى

«البخارى» هو الإمام الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث وقائد علمه من أجمعت الأئمة على توثيقه وتبحره أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخارى الجعفى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ وأغلب ما يعزى إليه فى هذا الكتاب هو إلى صحيحه وجامعه .

ترجمة أبى داود

وأبو داود هو الإمام الورع المتقن الحافظ سليمان بن الأشعث السجستانى صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٥ هـ

ترجمة الترمذى

والترمذى هو الحافظ الزاهد الورع الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى صاحب السنن والعلل المتوفى سنة ٣٦٧ هـ .

ترجمة ابن حبان

وابن حبّان هو الإمام الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ التميمى البستى صاحب التصانيف العظيمة المتوفى سنة ٣٥٤ هـ .

ترجمة الخرائطى

والخرائطى هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر السائرى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ وكتابه هذا الذى روى فيه هذا الحديث اسمه مساوى الأخلاق ـ نص على ذلك محمد المدنى فى كتابه .

ترجمة الخطيب

والخطيب هو الإمام الحافظ المصنف المؤرخ محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد ابن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى البغدادى المتوفى سنة ٣٦٤ هـ .



الحديث الثالث والخمسون

« الرحم شُجْنَةٌ منى فمن وصلها وصلتُه ، ومن قطعها قطعتهُ »

رواه الطبرانى وأبو يعلى عن عامر بن ربيعة[(١٦١)]

شرح الحديث من النفحات السلفية

الرحم : تقدم الكلام عليه فلا حاجة إلى الإعادة .

---

١٦١ ـ هذا الحديث رقمه في الإتحافات السنية للمناوي الحادي والثمانون ، وقد قدمناه لمناسبته للحديث السابق .
وهو في كنز العمال جـ٣ ١٩٥٢ ، ٦٩٥٤ ، وهو في الإتحافات السنية للمدني برقم ٣٩ .

وقوله : شجنة ، بكسر أوله وضمه وسكون ثانيه ، هى فى الأصل عروق الشجرة المشتبكة ، والمراد بها هنا القرابة المشتبكة كاشتباك العرق ، شبهه بذلك مجازا واتساعا .

وباقى الكلام على الحديث تقدم غير مرة فارجع اليه .

***

الحديث الرابع والخمسون

« صلوا أرحامكم فإنه أبقى لكم فى الحياة الدنيا ، وخير لكم فى آخرتكم »

رواه عبدبن حميد عن ابن عباس [(١٦٢)]

***

الحديث الخامس والخمسون

« يقول الله - تبارك وتعالى - للرحم : خلقتُك بيدى ، وشَقَقْتُ لك اسماً من اسمى وقَربْتُ مكانَك منى ، وعزّتى وجلالى لأصِلَنَّ من وَصَلَك ، ولأقْطَعَنَّ من قطعك ، ولا أرضى حتى ترضين »

رواه الحكيم عن ابن عباس [(١٦٣)]

***

---

١٦٢ ـ هذا الحديث رقمه في الإتحافات السنية للمناوي العاشر بعد المائة وقدمناه لمناسبته لما قبله .
ولم يعلق عليه الشارح .

١٦٣ ـ هذا الحديث رقمه في الاتحافات السنية للمناوي الثامن بعد المائتين وقدمناه لمناسبته لما قبله .
ولم يعلق الشارح إلا بقوله :
الرحم تقدم الكلام عليه ، وكذا بقية الكلام عليه ، فارجع إليه .
وهذا الحديث أخرجه الحكيم الترمذي ، وهو في كنز العمال جـ٣ برقم ٦٩٥٣ وفي الإتحافات السنية للمدني برقم ٤٦ وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية بالضعف ، وعلة الضعف الإسناد

الحديث السادس والخمسون

« مكتوب في التوراة : من سره أن تطولَ حياته ، ويُزَادَ فى رزقه فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ »

رواه الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما [١٦٤]

شرح الحديث من النفحات السلفية

الرحم تقدم الكلام عليه فارجع إليه ، ولا شك أن صلة الرحم تزيد فى العمر وفى الرزق .

وذكر ما يتعلق بالحديث أشبعنا الكلام عليه فى تعليقنا على مختصر شعب الإيمان ، فارجع إليه فإنك تجد ما يسرك .

وهذا الحديث رواه الحاكم فى البر والصلة ، وقال : صحيح ، وأقره الذهبى .

وقال الحافظ المنذرى : رواه الحاكم والترمذى بإسناد ولا بأس به . ورواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك بلفظ : «من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه » والله أعلم .

التعليق

جمعنا ما تناثر فى هذا الكتاب من أحاديث تتعلق بهذا الموضوع ، ونذكر هنا أحاديث أخرى لم يتناولها المناوى وذكرها الرواة . .

١ ـ جاء فى صحيح البخارى جـ٦ صـ١٦٧ من حديث أبى هريرة :ـ

«خلق الله الخلق ، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقْو الرحمن ، فقال لها : مَهْ . قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قالَ : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يا رب . قال : فذاك .

١٦٤ ـ هذا الحديث رقمه في الاتحافات السنية للمداري الرابع والأربعون بعد المائتين . وقد قدمناه لمناسبته لما قبله .

قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم « **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم** » محمد ٢٢ .

وهو حديث صحيح .

والحِقو : الخصر ، والإزار . وهذا تعبير مجازى وليس حقيقيا .

والعائذ : المستجير

٢ ـ وجاء فى مسند أحمد من حديث أبى هريرة أيضا جـ٩ ٩٨٧ ـ « **إن الرحم مُشْجَنَةٌ من الرحمن تقول " يا رب إنى قطعت ، يا رب إنى ظُلمت ، يا رب إنى أسىء إلى ، يا رب ، يا رب . فيجيبها ربها ـ عز وجل ـ فيقول : أمَا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟** »

وهو حديث صحيح .

ومشجنة ـ وفى رواية شجنة ـ الشجنة بكسر الشين وضمها القرابة المشتبكة الأصول كاشتباك العروق فى الشجرة » وأصل الشجنة غصن الشجرة . .

٣ ـ وأخرج البخارى جـ٨ / صـ٧ من حديث عائشة رضى الله عنها : ـ

« **الرحم شجنة فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته** » **وهو حديث صحيح .**

٤ ـ وأخرج البزار من حديث أنس ـ كشف الأستار جـ٢ ١٨٩٥ ـ

« **إن للرحم حُجْنَة متمسكة بالعرش تكلّم بلسان ذَلق : اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى ، فيقول الله ـ تبارك وتعالى : ـ أنَا الرحمن الرحيم وانى شققت الرحم من اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكتهُ** »

وقد رمز له بعضهم بالضعف ـ وعلة الضعف الإسناد

ومعنى حُجنة : الحجنة الحديدة المعقوفة فى رأس المغزل لتمسك الخيط

واللسان الذلق : الفصيح المتمكن المنطلق

والبتك : القطع .

٥ ـ وأخرج الطبرانى من حديث جرير بن عبد الله ـ الطبرانى الكبير جـ٢ / ٢٤٩٦

« إن الله كتب فى أم الكتاب قبل أن يخلق السموات والأرض : إنى أنا الرحمن الرحيم ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من أسمائى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » .

وقد رمز له بالضعف أيضا ، والضعف من جهة الإسناد

٦ ـ وأخرج الطبرانى أيضا من حديث أم مسلمة ـ رضى الله عنها ـ فى المعجم الكبير جـ١٣ / ٩٧٠

«الرحم شُجْنَةٌ آخذة بحجزة الرحمن تناشده حقها ، فيقول : ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ من وصلك فقد وصلنى ، ومن قطعك فقد قطعنى »



(الأخلاق الحسنة منحة من الله لمن يحبه)

الحديث السابع والخمسون

« أنَا اللهُ خَلَقْتُ العبَاد بعلمى فمَنْ أرَدْتُ به خَيْراً مَنَحْتُه خُلُقاً حَسَناً ، وَمَنْ أردْتُ بهِ سُوءاً مَنَحْتُه خُلُقاً سيِّئاً »

رواه أبو الشيخ عن ابن عمر (١٦٥)

---

١٦٥ ـ هذا الحديث أورده أبو الشيخ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وهو في كنز العمال جـ٣ برقم ٥٢٣٤ ولم يذكر كتاب جامع الأحاديث القدسية درجته .

شرح الحديث من النفحات السلفية

الخلق - بضم الخاء المعجمة وضم اللام - السجية والعادة والطبيعة والدين والمروءة، وجمعه أخلاق، قال صاحب النهاية : وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيهما، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة.

أحاديث فى حسن الخلق

ولذا تكررت الأحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع كقوله ﷺ : « **أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق** » وقوله : « **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا** » وقوله : « **إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم** » وقوله : - بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وأحاديث من هذا النوع كثيرة .

وكذلك جاء فى ذم سوء الخلق أحاديث كثيرة .

خلق النبى ﷺ القرآن

وفى حديث عائشة «**كان ﷺ خلقه القرآن**» أى كان متمسكًا بآدابه وأوامره ونواهية وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف .

وفى حديث عمر : من تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله ، أى تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوى عليه مثل تصنع وتجمل إذا أظهر الصنيع والجميل .

وقد روى عن السلف فى تفسير حسن الخلق أقوال .

نسأل الله تعالى أن يكمل أخلاقنا به .

روى عن الحسن أنه قال : حسن الخلق الكرم والبذلة والاحتمال .

وعن الشعبى قال : حسن الخلق : البذلة . والعطية . والبشر الحسن ، وكان الشعبى رضى الله عنه كذلك ، وعن ابن المبارك قال : هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى .

وسئل سلام بن مطيع عن حسن الخلق فأنشد شعراً .

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله[166]

وقال الإمام أحمد : حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد ، وعنه أنه قال : حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس ، وقال إسحق بن راهويه : هو بسط الوجه وأن لا تغضب ونحو ذلك .

قال محمد بن نصر وقال بعض أهل العلم : حسن الخلق كظم الغيظ لله ، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر والعفو عن الزالّين إلا تأديبا ، وإقامة الحد ، وكف الأذى عن كل مسلم ومُعاهَدٍ إلا تغييرَ منكر وأخذاً بمظلمة المظلوم من غير تعد .

وقوله «منحته» أى أعطيته ، والمعنى أن الله جل جلاله يخبرنا أنه تعالى خلق الخلق بعلمه لا يعزب[167] عن علمه شيء . فى السموات ولا فى الأرض . فمن أراد به خيرا من الناس منحه وأعطاه خلقا حسنا فيستعمل خلقه الحسن فى معاملاته بينه وبين إخوانه المخلوقين ، فلا يوصل إليهم أذى ، بل يسعى بمنفعتهم أينما وجدوا وحيث كانوا .

ومن أراد الله به سوءا منحه وأعطاه خلقا سيئا فيستعمله بينه وبين المخلوقات ، فتصدر عنه المساوى والنقائض والإضرار بالناس ، فتجد غالب أفعاله وأكثر عمله فى غير منفعة وثمرة مفيدة .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يهدينا لطرق السداد ويسهل لنا مناهج الخير والفلاح

---

١٦٦ ـ هذه الأبيات لزهير بن أبي سلمي الشاعر الجاهلي يمدح فيها هرم بن سنان أحد أجواد العرب المشهورين .

١٦٧ ـ لا يعزب : لا يغيب .

ترجمة أبى الشيخ

وقوله «رواه أبو الشيخ» هو الإمام حافظ أصبهان ومسند زمانه أبو محمد عبد الله ابن محمد بن جعفر بن حيان ـ بالحاء المهملة والياء التحتية ـ الأنصارى صاحب المصنفات النافعة ويعرف بأبى الشيخ المتوفى سنة ٣٦٩ هـ وهو غير ابن حبان ـ بالباء الموحدة .

التعليق

أعظم منحة يمنحها الله لعبده الخلق الفاضل ، ولذ لك امتدح الله ـ تعالى ـ به نبيه ﷺ ـ فقال له « وإنك لعلى خلق عظيم» القلم ٤ .

وقد أشاد العلماء والحكماء بالأخلاق الفاضلة وأصحابها . وقال الإمام الشافعى فى ذلك تحت عنوان «نصيحة غالية»

إذا رمت أن تحيا سليما من الرّدي ... ودينك موفورٌ وعرضك صيِّنُ
فلا ينطقن منك اللسان بسوأةٍ ... فكلك سوءاتٌ وللناس أعينُ
وعاشر بمعروفٍ ، وسامح من اعتدي ... ودافع ، ولكن بالتي هي أحسنُ

أما شاعر النيل حافظ ابراهيم فقد قال : ـ

إني لتطربني الخلالُ كريمة ... طَرَب الغريب بأوبة وتلاق
وتهزني ذكري المروءة والندي ... بين الشمائل هِزةَ المشتاق
فإذا رُزِقت خليقةً محمودةً ... فقد اصطفاك مقسم الأرازق
فالناس هذا حظه مال ، وذا ... علم ، وذاك مكارم الأخلاق
والمال إن لم تدخره محصنا ... بالعلم كان نهاية الإملاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل ... تُعْليه كان مطية الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده ... ما لم يُتَوَّج ربُّه بخلاق(١٦٨)

---

١٦٨ ـ ديوان حافظ ابراهيم جـ١ ص٢٢٠

والخلاق : النصيب من الصلاح والخير . .

* * *

(طوبى لمن خلق للخير ، وويل لمن خلق للشر)

الحديث الثامن والخمسون

« خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه ، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه »

رواه ابن شاهين عن أبى أمامة

هذا الحديث ترتيبه فى الاتحافات السنية للمناوى السادس بعد المائة .

* * *

الحديث التاسع والخمسون

« أنا خلقت الخير والشر فطوبى لمن قدرت على يده الخير ، وويل لمن قدرت على يده الشر »

رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس

هذا الحديث ترتيبه فى الاتحافات السنية الثالث والستون وقد قدمناه هو وما قبله للمناسبة ـ وهذا الحديث فى كنز العمال برقم ١٥ . ٤٣ جـ ١٥ ، وذكره المدنى فى اتحافاته برقم ٣٦٢ ـ وقد رمز جامع الأحاديث القدسية للحديث بالضعف هو والذى قبله . جـ١ صـ١٥٧ صـ١٥٨ .

* * *

(طوبى لمن خُلق للخير ، وويل لمن خُلق للشر)

الحديث الستون

« أنَا اللهُ لا إلهَ إلاّ أنَا خَلَقْتُ الشرَّ وَقَدرْتُه فَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُ لهُ الشرَّ وأجْرَيْتُ الشرَّ عَلى يَدَيْهِ »

رواه ق عن أبى أمامة(١٦٩)

شرح الحديث من النفحات السلفية

الشر : السوء والفساد والظلم والجمع شرور ، ومقابله الخير . قال الراغب الأصفهانى : الشر الذى يرغب عنه الكل ، كما أن الخير هو الذى يرغب فيه الكل ، كالعقل مثلا والعدل والفضل والشىء النافع .

وقال العلامة أبو بكر بن قيم الجوزية : الشر يقال على شيئين : على الألم وعلى ما يفضى إليه ، وليس له مسمى سوى ذلك ، فالشرور هى الآلام وأسبابها .

---

١٦٩ ـ هذا الحديث ورد بعدة روايات ، وله عدة رواة ..
فقد روي ابن النجار عن أبي أمامة ـ كما جاء في كنز العمال جـ١ ٥٨٧ ـ وفي اتحافات المدني برقم ٣٨٥ :
« إن الله ـ عز وجل يقول : لا إله إلا أنا ، خلقت الخير وقدرته ، فطوبي لمن خلقته للخير وخلقت الخير له وأجريت الخير بين يديه ، أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدرته ، فويل لمن خلقته للشر وخلقت الشر له ، وأجريت الشر علي يديه »
هذا الحديث في جامع الأحاديث القدسية برقم ٨٣ وقال عنه : إنه ضعيف .
* وأخرج الطبراني عن ابن عباس : « إن الله تعالي ـ قال : أنا خلقت الخير والشر ، فطوبي لمن قدرت علي يديه الخير ، وويل لمن قدرت علي يديه الشر »
وهذا الحديث في كنز العمال جـ١٥ برقم ٤٣٠١٥ ، وفي الإتحافات السنية للمدني برقم ٣٦٢
* وجاء في الإتحافات السنية للمدني حديث آخر برقم ٨٧ أخرجه أبو الشيخ عن أبي أمامة جاء فيه :ـ
« قال الله ـ تعالي ـ أنا خلقت العباد بعلمي ، فمن أردت به خيرا منحته خلقاً حسناً ، ومن أردت به سوءاً منحته خلقا سيئا »
وهذا الحديث أشبه بالذى سبق .
* وأخرج الديلمي من حديث أنس ، وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٧٦٧
« وجد في المقام حجر مكتوب فيه : أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر فطوبي لمن خلقت الخير علي يديه ، وويل لمن خلقت الشر علي يديه »
ورمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بالضعف .



فالمعاصى والكفر والشرك وأنواع الظلم هى شرور وإن كان لصاحبها فيها نوع غرض ولذة لكنها شرور ، لأنها أسباب الآلام ومفضية إليها كإفضاء سائر الأسباب إلى مسبباتها ، فترتب الألم عليها كترتب الموت على تناول السموم القاتلة ، وعلى الذبح والإحراق بالنار والخنق بالحبل ، وغير ذلك من الأسباب التى تصيبه مفضية إلى مسبباتها ، ولا بد ما لم يمنع السببية مانع أو يعارض السبب ما هو أقوى منه وأشد اقتضاء لضده كما يعارض سبب المعاصى قوة الإيمان وعظمة الحسنات الماضية وكثرتها فيزيد فى كميتها وكيفيتها على أسباب العذاب فيدفع الأقوى للأضعف ، وهذا شأن جميع الأسباب المتضادة كأسباب الصحة والمرض وأسباب الضعف والقوة .

والشر يضاف إلى الله جل ذكره إيجاداً وخلقاً لا فعلا وصفة وإلى الخلق فعلا وصفة لا خلقاً وإيجاداً

والشر مسند إلي المخلوق المفعول لا إلى خلق الرب تعالى الذى هو فعله وتكوينه ، فإنه لا شر فيه بوجه ما ، فإن الشر لا يدخل فى شىء من صفاته ولا فى أفعاله ، كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى ، فإن ذاته لها الكمال المطلق الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وأوصافه كذلك لها الكمال المطلق والجلال التام ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما ، وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلا .

ولو فعل الشر سبحانه لا شتق له منه اسم ، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى ، ولعاد إليه منه حكم - تعالى وتقدس عن ذلك . وما يفعله من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض ، إذ هو محض العدل والحكمة ، وإنما يكون شراً بالنسبة إليهم فالشر وقع فى تعلقه بهم وقيامه بهم لا فى فعله القائم به تعالى .

ونحن لا ننكر أن الشر يكون فى مفعولاته المنفصلة فإنه خالق الخير والشر ، ولكن هنا أمران ينبغى أن يكونا منك على بال .

أحدهما أن ما هو شر أو متضمن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولا منفصلا ، لا يكون وصفا له ولا فعلا من أفعاله

الثاني أن كونه شراً هو أمر نسبي إضافي فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به ، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه ، فله وجهان هو من أحدهما خير وهو الوجه الذي نسب منه إلى الخالق سبحانه وتعالى خلقا وتكويناً ومشيئة لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها وأطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها ، وأكثر الناس تضيق عن مبادي معرفتها فضلا عن حقيقتها ، فيكفيهم الإيمان المجمل بأن الله سبحانه الغني الحميد ، وفاعل الشر لا يفعله لحاجته المنافية لغناه أو لنقصه وعيِّه المنافي لحمده ، فيستحيل صدور الشر من الغني الحميد فعلا وإن كان هو الخالق للخير والشر ، فقد عرفت أن كونه شراً هو أمر إضافي وهو في نفسه خير من جهة نسبته إلى خالقه ومبدعه ، فلا تغفل عن هذا الموضع فإنه يفتح لك بابا عظيما من معرفة الرب ومحبته ، ويزيل عنك شبهات حارت فيها عقول أكثر الفضلاء اهـ .

وانظر إلى كلام صاحب الشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه كيف نزه ربه ومولاه عن ذلك بقوله «لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك» قال العلامة أبو السعادات الحافظ مجد الدين بن الأثير في هذا الحديث : وهذا الكلام إرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى وأن تضاف إليه محاسن الأشياء دون مساويها ، وليس المقصود نفي شيء عن قدرته وإثباته لها فإن هذا في الدعاء مندوب إليه ، يقال : يا رب السماء والأرض ، ولا يقال : يا رب الكلاب والخنازير وإن كان هو ربها . ومنه قوله تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾(١٧٠) اهـ .

وقوله «وقدرته» من التقدير وهو الحكم من الله سبحانه وتعالى بأن يكون كذا أو لا يكون كذا .

والقدر بفتح الدال وإسكانها لغتان مشهورتان حكاهما ابن قتيبة عن الكسائي

١٧٠ ـ الأعراف ١٨٠

وقالهما غيره ، وهو اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر يقال : قدرت الشيء وقدرته ـ بالتخفيف والتثقيل ـ بمعنى واحد .

قال الإمام العلامة محيى الدين النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم : واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ، ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم سبحانه أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة ، فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى ، وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها ، وأنها مستأنفة العلم ـ إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها ـ وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً .

القدرية وسبب تسميتهم بذلك

وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر ، قال أصحاب المقالات من المتكلمين : وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه ، وصارت القدرية فى الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن يقولون : الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم والله أعلم .

واعلم أن العبد وإن كان فى الواقع مقدر عليه فعلُ المعصية ولابد من وقوعه البتة إلا أنه لم يفعله ولم يقدم على فعله إنجازاً لذلك وامتثالا لما قدر عليه ، بل فعل ذلك مختاراً ظاهراً ميَّالاً لما تهواه نفسه وشهواته لذلك كان مسئولا عنه معاقبا عليه

قال العلامة أبو بكر بن قيم فى فوائده : رَبٌّ ذو إرادة أمر عبداً ذا إرادة ، فإن وفقه وأراد من نفسه أن يعينه ويلهمه فعل ما أمر به ، وإن خذله وخلاه وإرادته ونفسه من هذه الحيثية لا يختار إلا ما تهواه نفسه وطبعه ، فهو من حيث هو إنسان لا يريد إلا ذلك ولذلك ذمه الله تعالى فى كتابه من هذه الحيثية ولم يمدحه إلا بأمر زائد على تلك الحيثية ، وهو كونه مسلماً ومؤمناً وصابرا

ومحسناً وشكوراً وتقياً وبراً ونحو ذلك ، وهذا أمر زائد على مجرد كونه إنساناً وإرادته صالحة ، ولكن لا يكفى مجرد صلاحيتها إن لم تؤيد بقدر زائد على ذلك وهو التوفيق ، كما أنه لا يكفى فى الرؤية مجرد صلاحية العين للإدراك إن لم يحصل سبب آخر من النور المنفصل عنها .

وقوله : «فويل» قال الأصمعى : ويل قبح وقد يستعمل على التحسر ، ومن قال : ويل واد فى جهنم فإنه لم يرد أن ويلا فى اللغة هو موضع لهذا ، وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقراً من النار وثبت ذلك له .

وقوله : « وأجريت الشر على يديه» أى أظهرته على يديه .

وقوله « رواه ق » القاف إشارة إلي البيهقى وقد تقدمت ترجمته قريبا والله اعلم .

التعليق

ينبه أهل الذوق على أن الأدب يقتضى أن ينسب الإنسان الشر إلى نفسه ، والخير إلى ربه ، ويستشهدون على ذلك بما حكاه القرآن الكريم من قول إبراهيم - عليه السلام - «وإذا مرضت فهو يشفين » فقد نسب المرض إلى نفسه ، ونسب الشفاء إلى الله تعالى .

وهذا من باب مراعاة الأدب ، مع أن المرض والشفاء من الله - تعالى - قال القرطبى ونظيره قول فتى موسى « وما أنسانيه إلا الشيطان » .



(كما تكونوا يُوَلَّ عليكم)

الحديث الحادى والستون

« أنَا الله لاَ إلهَ إلاَّ أنَا مَالكُ المُلك وَمَلكُ المُلوك قُلوبُ المُلوك فى يَدى وإن العبادَ إذا أطاعونى حَوَّلتُ قُلوب مُلوكهمْ عَليهمْ بالرَّأفَةَ وَالَّرحمَةَ وإنَّ العبَادَ إذَا عَصَوْنى حَوَّلتُ قلوبَهُمْ عَلَيْهمْ بالسَّخْط والنِّقْمَة فَسامَوهمْ سُوءَ العَذاب فَلا تَشْغَلوا أنفُسَكمْ بالدعاء على الملوك ، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكْرِ والتَّقربُ أكْفِكمْ مُلوككمْ »

رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء [(١٧١)]

شرح الحديث من النفحات السلفية

قوله « مالك الملك » وفى نسخة المدنى « ملك الملك » وهو تحريف ، قال العلامة شهاب الدين الألوسى فى تفسير قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك » [(١٧٢)] الملك بالضم ـ على ما ذكره بعض أئمة التحقيق نسبة بين من قام به ومن تعلق ، وإن شئت قلت : صفة قائمة بذاته متعلقة بالغير تعلق الصرف التام المقتضى استغناء المتصرف وافتقار المتصرف فيه ، ولهذا لم يصح على الإطلاق إلا الله تعالى جده وهو أخص من الملك ـ بالكسر لأنه تعلق باستيلاء مع ضبط وتمكن من التصرف فى الموضوع اللغوى ، بزيادة كونه حقاً فى الشرع من غير نظر إلى استغناء ، وافتقاراً ، فمالك الملك، هو الملك الحقيق المتصرف بما شاء كيف شاء إيجادا وإعداماً إحياءً وإماتة وتعذيباً وإثابة من غير مشارك ولا ممانع ، ولهذا لا يقال ملك الملك إلا على ضرب من التجوز . وحمل الملك على هذا المعنى أوفق بمقام المدح اهـ .

١٧١ـ هذا الحديث في مجمع الزوائد جـ٥ صـ٢٤٩

ورمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بالضعف الشديد ، قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه : ابراهيم بن راشد وهو متروك .

١٧٢ ـ آل عمران ٢٦

والملك ـ بفتح الميم وكسر اللام وتخفف ـ من تولى السلطنة وجمعه ملوك .

وقوله (حولت) بالحاء المهملة أى غيرت وحركت .

والسخط ـ بفتح السين وضمها ـ الغضب الشديد المقتضى للعقوبة .

والنقمة بكسر النون ـ العقوبة .

والسوم أصله الذهاب للطلب ، ويستعمل للذهاب وحده تارة ومنه السائمة ، وللطلب أخرى ومنه السوم فى البيع ، ويقال : سامه كلفه العمل الشاق .

والسوء مصدر ساء يسوء ويراد به السيء ويستعمل فى كل ما يقبح كأعوذ بالله تعالى من سوء الخلق وسوء العذاب أفظعه وأشده بالنسبة إلى سائره .

والمعنى أن الله تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا أنه مالك الملك ومالك الملوك ، وليس لأحد تصرف فى الحقيقة . وإنما المتصرف فى الملك والملكوت هو الله وحده فإذا سكنت الرعية إلى ما جاء به الأنبياء وعملوا بقوانين الشريعة وتمسكوا بمبادئها وأظهروا العدل والمساواة ، فرحم الكبير الصغير ووقر الصغير الكبير ، ووصلوا الأرحام وأعانوا المظلومين على خصومهم ، وضربوا على أيدى الظالمين بسياط من حديد حتى يفيئوا إلى الحق ويتوبوا وينوبوا إلى الله جل ذكره ، فإذا فعلوا ذلك حركتُ قلوب ملوكهم عليهم وَهَدَيْتُها ووفقتها للعطف على الرعية والرحمة بعبادى الصالحين المطيعين ، فلا يرى الملك أو السلطان له لذة إلا السهر على رعيته ، والنظر فى مصالحهم ومنافعهم وبالأمن على أرواحهم وأموالهم ، ويراقب العدو ويستعد له ولا يغفل عنه ، فَهَمُّه راحةُ الرعية واطمئنانها . وإن العباد إذا عصوا الله تعالى وخالفوا سنن رسله وأنبيائه وعبثوا بالأحكام وأظهروا الفسوق والفواحش ، وتعاملوا بالربا وفشا الزنا ، وحقر صغيرهم كبيرهم ، وترك علماؤهم الوعظ والتذكير ، وصار أكبرُ همهم جمعَ الأموال التى هى حطام الدنيا ، وغفلوا عن مصيرهم ومآلهم حرك الله عليهم قلوب ملوكهم بالغضب عليهم والتنكيل بهم ، فلا يلذ لملكهم إلا ما يؤذيهم ويضر بمصالحهم ومنافعهم ، كما أخبر الله تعالى فى

القرآن الحكيم بقوله : ﴿ **وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم** ﴾ [(١٧٣)] وإذا علموا عبادى ذلك ـ أى أن كل شىء من حركة وسكون بيدى ، وكل ما يقع فى ملكى فأنا المتصرف فيه المنفرد بخلقه وإيجاده ، لا يشاركنى أحد فيه ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك إذا فعلوا ذلك بكم من سيئات الأعمال ، وقبائح الأقوال ، والتنكيل بكم وهضم حقوقكم واستيلاء قويكم على ضعيفكم ، والاستبداد بكم وحبس حريتكم ، وغضب أموالكم لأنه لا ينفعكم الدعاء ولا ينصركم رب الأرض والسماء ، لأنه لا فعل لملككم وسلطانكم ولا قدرة له على ذلك حقيقة ، بل أنا الله الذى أقدرته على ذلك وسلطته عليكم بحسب أعمالكم السيئة ومخالفتكم لأحكامى وخروجكم على أمنائى وعدم امتثالكم قوانين شرعى وأخذكم بسنن أنبيائى ، والذى ينفعكم ويدفع عنكم ما أنتم فيه هو الإنابة إلى و التوبة مما اقترفتموه من الذنوب والمعاصى ، وإخلاص نياتكم فى أعمالكم ورد المظالم إلى أهلها وإطاعة أنبيائكم ، وامتثال أوامر علمائكم أهل التقوى والصلاح ، وتشييد دعائم شريعتكم بإظهارها والعمل بأحكامها وشغل أنفسكم بما لا يعنيكم ، بل اشغلوا أنفسكم بالذكر الكثير الوارد عن النبى ﷺ الثابت بالأحاديث الصحيحة دون أوراد المشايخ [(١٧٤)] أرباب الطرق القاطعة عنى ، وتقربوا إلى بالأعمال الصالحات أكفكم ملوككم السوء وأعصمكم من العدو ، وأغدق عليكم الخيرات والأرزاق وأوفقكم للمبرات وأبارك لكم فى الأولاد والأموال ، وإذا عرفت هذا تعلم أن ما حصل للمسلمين من التقهقر والانحطاط فى جميع الحالات إنما هو بسبب ما وقع منهم من المخالفات ، وتقليد الأوربيين فى مساويهم من الشرور

١٧٣ ـ البقرة ٤٩

١٧٤ ـ ليست أوراد المشايخ قاطعة عن الله ، فهي مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومردها إلي الفيض الإلهي الذي يفيضه الله علي قلوب أحبابه وأوليائه نتيجة لمجاهداتهم الصادقة ، وإخلاصهم في عبادة ربهم ، وهي من قبل الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء من عباده ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا . وكيف تقطع أوراد المشايخ عن الله ، وهي ما قيلت إلا لتدلّ علي الله ؟ ولا أدري كيف يقول الشيخ ذلك ، وأمامه العديد من الأوراد التي أخذت بيد الصادق ممن يرددها إلي طريق الحق وأوصلته إلي باب مولاه ؟؟

ولعمري كيف يكون مثل كلام الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ مثلا في حزب البر « يا الله يا ملك يا وهاب ، هب لنا من نعماك ما علمت لنا فيه رضاك ، واكسنا كسوة تقينا بها من الفتن في جميع عطاياك ، وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت في علمك عمن سواك . يا الله يا عظيم يا علي يا كبير نسألك الفقر مما سواك ، والغنى بك حتي لا نشهد إلا إياك ، والطف بنا فيهما لطفا علمته يصلح لمن والاك ، واكسنا جلابيب العصمة في الأنفاس واللحظات ، واجعلنا عبيداً لك في جميع الحالات ، وعلمنا من لدنك علماً نصير به كاملين في المحيا والممات ....الخ قاطعا عن الله ؟؟

والفسوق والخلاعة ، وخروجهم عن أحكام شريعتهم الغراء وعدم تأسيهم بسيد الأنبياء والأولياء ، وإظهار محاسن دينهم القويم وكله حسن لا سيىء فيه على الإطلاق كما هو ظاهر فى القرآن الحكيم وسنن من بالمؤمنين رءوف رحيم .

اللهم اهد أمراءنا وعلماءنا ووفقهم لما يرضيك يا رب العالمين .

ترجمة الطبرانى

وقوله « رواه الطبرانى » هو الإمام الحافظ الحجة المتقن أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامى اللخمى الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

وقوله : « فى الأوسط » هواسم كتاب له فى الحديث يسمى المعجم الأوسط وله المعجم الكبير والصغير والأخير طبع فى الهند سنة ١٣١١ هـ .

وانظر الكلام على المعاجم فى كتاب النموذج صفحة ٥٠٥ .

التعليق

لا شك أن ما يصيب الرعية من ظلم وقسوة إنما هو نتيجة أعمالهم السيئة استجابة للأثر : من أعمالكم سُلّط عليكم . . وهناك أثر يقول : كما تكونوا يول عليكم ، وقول ذائع منسوب إلي أحد السلاطين وقد شكا له بعض الصالحين جوره وعسفه برعيته : كما ظَلَمُوا ظُلِمُوا . .

فإذا ما أرادت الرعية أن يكون راعيها منصفا عادلاً رءوفا رحيما فعليها أن تتقى الله وتأتمر بأوامره ، وتنتهى عن نواهيه ، وصدق الله إذ يقول ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾

أما الأدعية والأوراد التى أثرت عن الصالحين من أرباب الطرق فهى غير قاطعة عن الله ، لأنها جاءت فى فلك ما جاء به القرآن والسنة ، وهى اجتهادات فى محيط سلوكهم الطريق الموصل إلى الله ، ولا تتنافى مع الأدب فى حقه تعالى ، لأنها مناجاة صادقة : اقرأ ما يقوله ابن عطاء الله السكندرى : « إلهى هذا ذلى ظاهر بين يديك ، وهذا حالى لا يخفى عيك ، منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك ، فاهدنى بنورك إليك ، وأقمنى بصدق العبودية بين يديك . . . . »

ـ راجع حكم ابن عطاء الله السكندرى ـ



(طاعة العزيز تورث عز الدارين)

الحديث الثاني والستون

«أنَا العزيزُ منْ أرَادَ عِزَّ الدَّارَينِ فَلْيُطعِ العَزيزَ»

رواه الخطيب البغدادى عن أنس[(١٧٥)]

شرح الحديث من النفحات السلفية

العزيز : من عز الشيء يعز بكسر العين - أى لا مثيل له ولا نظير من عز الطعام فى البلد إذا تعذر وجوده عن الطلب ، أو من عز يعز - بضم العين - بمعنى الغالب الذى لا يغلب ويقهر ولا يقهر ، أو من عز يعز - بفتح العين - إذا اشتد وقوى ، أو يكون عزيز بمعنى المعز فعيل بمعنى مُفْعِل كالأليم بمعنى المؤلم والوجيع بمعنى الموجع ، وعلى الأول فلفظ العزيز يرجع إلى التنزيه ، والثاني والثالث إلى صفات الذات وهى القدرة ، والرابع إلى صفات الفعل .

ومنه العزة وهى حالة مانعة للإنسان من أن يغلب .

ومدح الله سبحانه وتعالى بالعزة تارة وذم تارة أخرى . فمن الأول قوله تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[(١٧٦)] وقال تعالى : ﴿سبحان ربك رب العزة﴾[(١٧٧)] .

ومن الثانى قوله تعالى : ﴿بل الذين كفروا فى عزة وشقاق﴾[(١٧٨)] وبيان ذلك أن العزة التى هى لله جل جلاله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين رضوان الله عليهم هى الدائمة الباقية التى هى العزة الحقيقية . والعزة التى هى للكافرين والمخالفين هى التعزز وهو فى الحقيقة ذل كما قال عليه الصلاة والسلام : (كل عز ليس بالله فهو ذل) .

---

١٧٥ - قيل : ان هذا الحديث موضوع . ذكر ذلك جامع الأحاديث القدسية برقم ١٠٧٢ . وقال هذا الحديث في كنز العمال جـ١٥ - ٤٣١٠١ ، وهو في اتحافات المدني برقم ٣٩٨ .

١٧٦ - المنافقون ٨

١٧٧ - الصافات ١٨٠

١٧٨ - ص ٢

قال الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابة المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى :
العزيز هو الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه ، فما لم تجتمع هذه المعانى الثلاثة فيه لم يطلق عليه اسم العزيز فكم من شىء يقل وجوده ولكن لا يحتاج إليه فلا يسمى عزيزا ، وقد يكون بحيث لا مثل له ويحتاج إليه جدا ولكن يسهل الوصول إليه فلا يسمى عزيزاً ، كالشمس فإنه لا مثل لها والانتفاع بها عظيم جداً ولكنها لا توصف بالعزة ، فإنه لا يصعب الوصول إليها فأما إذا اجتمعت المعانى الثلاثة فى شىء فهو العزيز .

ثم فى كل واحد من هذه المعانى الثلاثة كمال ونقصان فالكمال فى قلة الوجود أنه يرجع إلى واحد إذ لا أقل من الواحد ، ويكون بحيث يستحيل وجود مثله ، وليس هذا إلا لله ، فإن الشمس وإن كانت واحدة فى الوجود ولكنها ليست واحدة فى الإمكان ، لأنه يمكن وجود مثلها .

وأما كونه منتفعا به فالكمال فيه أن يكون جميع المنافع حاصلة منه ولا يحصل من غيره وما ذاك إلا الله سبحانه وتعالى فإنه هو المبدىء لوجود جميع الممكنات فإنه سبحانه هو الذى يحتاج إليه كل شىء فى ذاته وصفاته وبقائه .

أما صعوبة الوصول إليه فالكمال فيه هو أن لا يكون لأحد قدرة عليه وتكون قدرته على الكل حاصلة والحق كذلك لأنه لا سبيل للعقول إلى الإحاطة بكنه صمديته ولا سبيل للأبصار إلى الإحاطة بعظيم جلاله ، ولا سبيل لأحد من الخلق إلى القيام بشكر آلائه ونعمائه ، فثبت أن كمال هذه الصفات حاصلة لله سبحانه وتعالى لا لغيره فوجب القطع بأنه سبحانه وتعالى هو العزيز المطلق . والله أعلم .

والمعنى أن الله جل ذكره يخبر أنه العزيز الغالب ، الذى لا يغلبه أحد ، ولا يقهره شىء ، بل هو القاهر فوق عباده يفعل ما يشاء ، ومن أراد من عباده عز الحياة الدنيا والآخرة فليطعه يكن عزيزا قوياً غالباً ، وذلك بأن يجتنب المنهيات ويفعل المأمورات ، ولا يقول إلا خيراً .

اللهم وفقنا لذلك ، واهد العصاة من عبيدك يا رب .

(الله أغنى الأغنياء عن الشرك)

الحديث الثالث والستون

«أنَا أغْنَى الشُّركاء عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَن عَمِلَ لى عَمَلا أشْرَكَ فيه غيْرِى فأنَا مِنْهُ برىءٌ وهوَ لِلّذِى أشْرَكَ»

رواه مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة [179] .



الحديث الرابع والستون

«أنَا أغنى الشركاءِ عن الشِّرك ، مَن عَمِلَ عملا أشركَ مَعِى فيهِ غيْرِى تَركتُهُ وشِرْكُه»

رواه مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة . [180] .

شرح الحديث من النفحات السلفية

الغنى ـ بكسر الغين المعجمة مقصوراً ـ يقال على أضرب ، أحدها عدم الحاجات والفاعل منه هو الذى لا يحتاج إلى أحد فى شىء وكل أحد يحتاج إليه هو الغنى المطلق ولا يشارك الله فيه غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ والله هو الغنى الحميد﴾ [181]

---

١٧٩ ـ في صحيح مسلم حـ٤ ص ٢٢٨٩ بلفظ : قال الله تبارك وتعالي «أنا أغني الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » .

١٨٠ ـ في سنن ابن ماجه حـ٢ / ٤٢٠٢
ولفه علوه «أنا أغني الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك» وهذا الحديث وما قبله صحيحان.

١٨١ ـ فاطر ١٥

والثانى قلة الحاجات وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ ووجدك عائلا فأغنى ﴾ (١٨٢) وذلك هو المذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام : « الغنى غنى النفس» .

والثالث كثرة القنيات بحسب ضروب الناس كقوله جل ذكره : ﴿ ومن كان غنياً فليستعفف ﴾ (١٨٣) وعلى هذا قوله ﷺ لمعاذ لما أرسله إلى اليمن فى شأن الصدقة (تؤخذ من أغنيائهم وترد فى فقرائهم)

ولفظ «أغنى» أفعل تفضيل أى أكثر غنى من غيره وليس على بابه إذ لا غنيٌّ غيره فى الحقيقة بل الكل محتاج إليه .

والشركاء جمع شريك ، ومن هذه المادة الشركة والمشاركة وهو خلط الملكين وقيل : هو أن يوجد شىء لاثنين فصاعداً عيناً كان ذلك الشىء أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس فى الحيوانية ، ومشاركة فرس وفرس فى الكمتة والدهمة . (١٨٤)

قال الراغب : وشرك الإنسان فى الدين ضربان : أحدهما الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى ، يقال : أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر قال الله تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ (١٨٥) وقال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً ﴾ (١٨٦) وقال تعالى : ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ (١٨٧) ﴿ يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ﴾ (١٨٨) وقال تعالى : ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ﴾ (١٨٩)

---

١٨٢ ـ الضحى ٨ .
١٨٣ النساء ٦ .
١٨٤ ـ الكمتة : اللون يجمع بين الأسود والأحمر ـ والدهمة : اللون الأسود .
١٨٥ ـ النساء ٤٨ ـ ١١٦
١٨٦ ـ النساء ١١٦ .
١٨٧ المائدة ٧٢ .
١٨٨ ـ الممتحنة ١٢ .
١٨٩ ـ الأنعام ١٤٧ .

والثانى الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه فى بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: ﴿ **شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون** ﴾[190] ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾[191].

وقوله «برىء» اسم فاعل أى خالص ومفارق وسالم منه يقال : برئت من الشيء أبرأ براءة وأنا منه برىء إذا أزلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه قال ابن الأعرابى : البرىء المتفصى من القبائح ، المتنحى عن الباطل والكذب البعيد من التهم النقى القلب من الشرك .

والبرىء الصحيح الجسم والعقل ، والمعنى والله أعلم أن هذا الفعل الذى اتصف به العبد وصدر منه لا يرضى به الله تبارك وتعالى بل يسخطه .

وقوله فى الحديث الثانى «تركته وشركه» الشرك هنا بمعنى العمل والواو عاطفة بمعنى مع أى أجعله وعمله مردوداً من حضرتى .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه أغنى الشركاء عن الشرك ، أى لا يصح أن يكون له شريك ، فإذا كان بعض الشركاء غنى عن الشركاء فالله أغنى عن ذلك وأبعد

فإذا عمل العبد عملا فواجب عليه أن يخلص فيه لله جل ذكره . ولا يشرك فيه غيره جل وعز فإذا أشرك العبد بعمله غير الله تعالى فهو مردود عليه ذلك العمل والله تعالى برىء من عمله ذلك وعمل العبد الذى أشرك فيه غير الله فيطلب جزاءه من الشريك الذى أشركه مع الله تعالى فى عمله وأنَّى له ذلك ؟

---

١٩٠ ـ الأعراف ١٩٠

١٩١ ـ يوسف ١٠٦

ثمرة الحديث

ففيه حث العباد أن يخلصوا فى أعمالهم ليكون العمل مقبولا ويثاب عليه ويكون ذخراً فى يوم هو أحوج ما يكون إليه .

وفيه أيضا بيان غنى الله تعالى وأنه أغنى الأغنياء بل جميع الأغنياء محتاجون إليه ، فهو الغنى المطلق وغيره فقير إليه فلا ينبغى للعبد أن يطلب أو يعمل شيئا إلا لله جل اسمه وتعالت صفاته والله أعلم .

تعريف بمسلم

وقوله «رواه مسلم» هو الإمام الحافظ الحجة صاحب الصحيح ـ الذى هو أصح دواوين الإسلام فى الحديث بعد صحيح البخارى وانظر الكلام على صحيحه فى كتاب ـ نموذج من الأعمال الخيرية فى إدارة الطباعة المنيرية ـ صفحة ٥٧٢ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ هـ .

تعريف بابن ماجه

وابن ماجه هو الحافظ الكبير والمؤلف القدير الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن يزيد القزوينى ابن ماجه الربعى صاحب السنن والتفسير والتاريخ المتوفى لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

التعليق

هذا الحديث غنى عن التعليق ، فإن الله تعالى لم يرسل الرسل إلا ليقرروا أمام الناس حقيقة التوحيد ، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له . وقد طلب الله من نبيه ـ ﷺ ـ أن يسأل الأنبياء السابقين قال له : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ الزخرف ٤٥ ـ فسألهم ـ ﷺ ـ ليلة أسرى به ، وقد جمع الله له الأنبياء والمرسلين فصلى بهم ، فأجابوا بأنا أرسلنا جميعا بدعوة واحدة هى : لا إله إلا الله ، وأن ما يُعْبَد من دونه باطل ، وأن محمدا هو خاتم النبيين وسيد المرسلين .

ـ تفسير القرطبى ـ

الحديث الخامس والستون

«أنا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْن مالمْ يخُنْ أحَدهُما صاحِبَهُ فإذَا خَانَه خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهمَا»

رواه أبو داود والحاكم عن أبى هريرة [١٩٢]

شرح الحديث من النفحات السلفية

الشركة فيها أربع لغات فتح الشين وكسر الراء ، وكسر الشين وسكون الراء وقد تحذف الهاء مع ذلك .

وهى لغةً : الاختلاط ، شرعاً : ثبوت الحق فى شىء لاثنين فأكثر على جهة الشيوع .

وقد تحدث الشركة قهراً كالإرث أو باختيار كالشراء .

والخيانة معلومة .

وقوله « أنا ثالث الشريكين » أى معهما بالحفظ والبركة أحفظ أموالهما وأدر عليهما الرزق والخير فى معاملتهما .

قال العلامة الطيبى رحمه الله : الشركة عبارة عن اختلاط أموال بعضهم ببعض بحيث لا يتميز ، وشركة الله تعالى إياهما على الاستعارة كأنه تعالى جعل البركة والفضل والربح بمنزلة المال المخلوط ، فسمى ذاته تعالى ثالثا لهما ، وجعل خيانة الشيطان ومحقه البركة بمنزلة المخلوط وجعله ثالثا لهما .

---

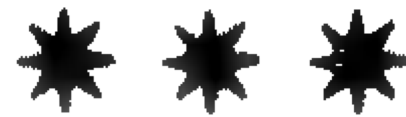
١٩٢ ـ علق جامع الأحاديث القدسية لهذا الحديث بالضعف ، وقال : أخرجه أبو داود حـ ٣ ٣٣٨٣ وأخرج الحاكم في االمستدرك هذا الحديث، هـ ٢ ص ٥٢ .

وقوله : خرجت من بينهما ترشيح للاستعارة اهـ .

والحديث سكت عنه أبو داود ـ انظر حكم ما سكت عنه أبو داود فى كتاب نموذج من الأعمال الخيرية ص ٦١٥ . قال الزركشى فى تخريج أحاديث الرافعى : هذا الحديث صححه الحاكم وأعله ابن القطان بالجهل بحال سعيد بن حيان والد أبى حيان فإنه لا يعرف له حال ولا يعرف راو عنه غير ابنه ، وقال الحافظ بن حجر : ذكره ابن حبان فى الثقات ، وذكر أنه روى عنه أيضا الحارث بن يزيد

التعليـــق

هذا الحديث يدعو إلى مراعاة الأمانة والصدق بين الشركاء ، وإلى التحذير من الخيانة وسوء الاستغلال ، وقد جاء فى الثناء على التاجر الصادق الأمين أخبار متعددة منها ما رواه الدارقطنى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « التاجر الصدوق الأمين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة »



(ستر الله على عباده)

الحديث السادس والستون

«أنَا أكْرَمُ وأعظَمُ عَفْواً منْ أن أسْتُرَ عَلَى مُسْلمٍ فى الدُّنْيَا ثمَّ أفْضَحُهُ بَعْدَ أنْ سَتَرتُه ولاَ أزَالُ أغفِرُ لعَبْدِى مَا اسْتَغْفَرَنى »

رواه الحكيم عن الحسن مرسلا ، والعقيلى عنه عن أنس [١٩٣]

---

١٩٣ ـ رمز جمع الأحاديث القدسية لهذا الحديث بالضعف ، وقال : هو في كنز العمال جـ ٤ رقم ١٠٢١٥ ..
وهو في إتحافات المدني برقم ٧٣
ولفظه : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿أنا أكرم وأعظم عفوا من أن أستر على عبد مسلم في الدنيا ثم أفضحه بعد إذ سترته ، ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني﴾

شرح الحديث من النفحات السلفية

قوله « **أكرم وأعظم** » هما على صيغة أفعل التفضيل وليس على بابها . والعفو : المحو والإزالة ، يقال عفت الديار إذا درست وذهبت آثارها ؛ وفى العرف : ترك المكافأة عند المقدرة قولا وفعلا ، وقيل : هو السكون عند الأحوال المحركة للانتقام، فعلى هذا العفو فى حق الله تعالى عبارة عن إزالة آثار الذنوب بالكلية فيمحوها من ديوان الكرام الكاتبين ، ولا يطالبه بها يوم القيامة وينسيها من قلوبهم لئلا يخجلوا عند تذكيرها ، ويثبت مكان كل سيئة حسنة .

والعفو أبلغ من المغفرة لأن الغفران يشعر بالستر ، والعفو يشعر بالمحو ، والمحو أبلغ من الستر والعفو من أخلاق الأنبياء والعلماء والأصفياء .

فقد جاء فى العفو آيات ، منها : قال الله تعالى ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ ـ النور ٢٢ ـ وقال تعالى : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ ـ الفرقان ٦٣ ـ وقال تعالى : ﴿ **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾ ـ الشورى ٤٠ ـ وفى الباب أحاديث كثيرة ، وهو يجمع أشرف وأكرم الخصال ، وأفضل شمائل الجلال ، وأعلى مراتب الكمال ؛ وركن متين ، وحصن حصين ، من استند إليه ، واعتمد عليه . استنارت له الظلم ، وأمن من عثرات القدم ، وعصم من مواقع الندم .

ومما يحكى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه دعا غلاما له فلم يجبه ودعاه ثانياً فلم يجبه وهكذا ثالثاً فقام إليه فرآه مضطجعا فقال : يا غلام أما سمعت الصوت ؟ فقال : بلى سمعت . قال : فما منعك من الإجابة ؟ فقال : ثقتى بحلمك واتكالى على عفوك : فقال على رضى الله عنه : أنت حر لوجه الله تعالى . وقوله « **وما استغفرنى** » أى مدة دوام استغفاره لى ، والاستغفار طلب المغفرة والمعنى لا أزال أغفر لعبد ما دام يستغفرنى . والله أعلم .

ترجمة الحكيم الترمذى

وقوله : « رواه الحكيم عن الحسن » الحكيم هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن على بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن المشهور بالحكيم الترمذى صاحب كتاب نوادر الأصول المتوفى مقتولا ببلخ فى حدود العشرين والثلاثمائة وعاش نحوا من تسعين سنة ، وقال صاحب كشف الظنون المتوفى شهيداً سنة خمس وخمسين ومائتين » وهو وهم منه لأن الحافظ شمس الدين الذهبى صرح فى كتابه تذكرة الحفاظ أنه قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين ، وذكر الحافظ بن حجر فى كتابه لسان الميزان أنه عاش إلى حدود العشرين والثلاثمائة لأن ابن الأنبارى ذكر أنه سمع منه سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ، وقيل أنه قتل سنة خمس وتسعين ومائتين والحسن هو الإمام شيخ الإسلام ورئيس الزهاد ورأس التابعين أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن البصرى المتوفى سنة عشر ومائة ، وقد ذكرت له ترجمة واسعة فى كتابى نموذج من الأعمال الخيرية فى إدارة الطباعة المنيرية ـ فطالعها تجد فيها ما يبهرك .

تعريف بالعقيلى

والعقيلى هو الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلى ، هو صاحب كتاب الضعفاء الكبير ، المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .



(هو أهل التقوى وأهل المغفرة)

الحديث السابع والستون

« أنا ربكم ، أنا أهل أن أتَّقَى ، فلا تجعلوا معى إلهاً ، فمن اتقى أن يجعلَ معى إلهاً فأنا أهلٌ أن أغفِر له »

رواه أحمد و الترمذى عن أنس

هذا الحديث رقمه فى الإتحافات السنية للمناوى السادس والستون ، وقد قدمناه لمناسبته للحديث الذى بعده .

الحديث الثامن والستون

« أنَا أهْلُ أنْ أُتَّقى فَلا يجْعَلُ مَعى إلهٌ فمَنِ اتَّقى أن يَجْعَل مَعِى إلهاً فَأنَا أهْل أنْ أغفِرَ لهُ »

رواه أحمد . والترمذى . والنسائى . وابن ماجه . والبزار . وأبو يعلى . والحاكم عن أنس ١٩٣ .

شرح الحديث

قوله « أن أتقى » والتقوى فى اللغة كما قال السيد الشريف بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية ، وعند أهل الحقيقة هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته ، وهو صيانة النفس عما تستحق به من فعل أو ترك .

والتقوى فى الطاعة يراد بها الإخلاص . وفى المعصية يراد بها الترك والحذر .

وقيل : أن ينفى العبد ما سوى الله تعالى . وقيل : المحافظة على آداب الشريعة .

وقيل : فى مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى . وقيل : ترك حظوظ النفس ومباينة النهى .

وقيل : أن لا ترى ما يبعدك عن نفسك شيئا سوى الله .

وقيل : أن لا ترى فى نفسك شيئا سوى الله

وقيل : أن لا ترى نفسك خيراً من أحد .

وقيل : ترك ما دون الله .

والمتبع عندهم هو الذى ألقى متابعة الهوى .

---

١٩٣ ـ أخرجه الترمذي في سلله حـ ٥ ٣٣٢٨
ورمز له بالحسن .

وقيل : الاقتداء بالنبي - ﷺ - قولا وفعلا . وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه عن ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه .

وأفضل صفة يتصف بها الإنسان التقوى لأن بها نجاحه ودخوله فى كنف الرحمن ، لا يحتجب منهم ولا يستتر وقد جاء تفسيرها وصفة أهلها عن السلف الصالح رضى الله عنهم . فنورد لك جملة صالحة . لعلى أكون أنا وأنت ممن يتقى الله فى جهره وسره فأقول وبالله التوفيق .

قال حبر الأمه ابن عباس رضى الله عنهما : المتقون يحذرون من الله عقوبته فى ترك ما يعرفون من الهوى ويرجون رحمته فى التصديق بما جاء به ، وقال الحسن البصرى التابع الجليل : المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض الله عليهم .

وقال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله ، على نور من الله ، تخاف عقاب الله .

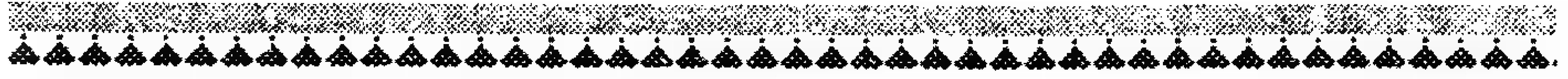
وقال عمر بن عبد العزيز : ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : تمام التقوى أن يتقى الله العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ، ما يكون حجابا بينه وبين الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الذى يصيرهم إليه قال : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾[194] فلا تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ولا شيئا من الشر أن تتقيه .

وقال موسى بن أعين : المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا فى الحرام فسماهم الله متقين .

---

١٩٤ - الزلزلة ٧ ، ٨



وقال الثورى رحمه الله : إنما سموا متقين لأنهما اتقوا ما لا يتقى[١٩٥] .

فهو سبحانه أهل أن يتقى ويخشى ويهاب ويجل ويعظم فى صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس .

اللهم إنى أسألك أن توفقنا للتقوى وتحيل بيننا وبين معاصيك يا أرحم الراحمين

وقد وصى الله جل جلاله بالتقوى فى مواضع كثيرة من الذكر الحكيم وحثهم وأمرهم بها منها قوله ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله** ﴾[١٩٦] وقال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾[١٩٧] وقال تعالى : ﴿ **واتقوا الله الذى إليه تحشرون** ﴾[١٩٨] وقال تعالى : ﴿ **واتقوا النار التى أعدت للكافرين** ﴾[١٩٩] وقال تعالى : ﴿ **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله** ﴾[٢٠٠] وقال عز وجل ﴿ **واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا** ﴾[٢٠١] فأضيفت تارة إلى الله سبحانه وتعالى ، وتارة أضيفت إلى عتاب الله وإلى مكانه كالنار أو زمانه كيوم القيامة .

أحاديث فى الحث على التقوى

وكذلك جاء فى أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ الوصية لأمته منها ما رواه الإمام أحمد بن حنبل ، من حديث دراج عن أبى الهيثم عن أبى ذر « أن رسول الله ﷺ قال

---

١٩٥ ـ يعني أنهم اتقوا الأشياء المباحة التي لا يتقيها غيرهم . ومثال ذلك ما حدث من أبي حنيفة ـ رضي الله عنه كان لا يجلس في ظل شجرة غريمه ، ويقول في الخبر : كل قرض جر نفعا فهو ربا .
ـ الرسالة القشيرية للقشيري ص ٥٧ .

١٩٦ ـ النساء ١٣١

١٩٧ الحشر ١٨

١٩٨ ـ المائدة ٩٦

١٩٩ ـ آل عمران ١٣١

٢٠٠ ـ البقرة ٢٨١

٢٠١ ـ البقرة ٤٨ ـ ١٢٣

له : أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته » الحديث .

وخرج الإمام حافظ المغرب يوسف أبو عمر بن عبد البر فى كتاب التمهيد بإسناد فيه نظر ـ عن أنس قال : « بعث النبى ﷺ معاذا إلى اليمن فقال : يامعاذ اتق الله وخالق الناس بخلق حسن » الحديث .

وكان ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً .

ولما خطب رسول الله ﷺ فى حجة الوادع يوم النحر وصى الناس بتقوى الله وبالسمع والطاعة لأئمتهم ، ولما وعظ الناس قالوا له : كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة .

وفى حديث أبى ذر الطويل الذى خرجه ابن حبان وغيره «قلت يا رسول الله أوصنا قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله » .

وخرج الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى « قال قلت يا رسول الله أوصنى ، قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شىء » الحديث .

وروى الترمذى عن يزيد بن سلمة أنه سأل النبى ﷺ « قال يا رسول الله إنى سمعت منك حديثاً كثيراً فأخاف أن ينسى أوله آخره فحدثنى بكلمة تكون جماعا قال ، اتق الله فيما تعلم .

من وصايا الصحابة

وكذلك الصحابة رضى الله عنهم كان يوصى بعضهم بعضا بالتقوى ومن جاء بعدهم من التابعين ، فمن ذلك ما نقل عن الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقول فى خطبته ، أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة فى الرهبة وتجمعوا الإلحاف فى المسألة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ **إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا**

رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾[٢٠٢] ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته وأول ما قال له : اتق الله يا عمر .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى ابنه عبد الله : أما بعد أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نصب عينيك . وجلاء قلبك .

واستعمل على بن أبى طالب رجلا على سرية فقال له أوصيك بتقوى الله عز وجل ، لابد لك من لقاه ، ولا منتهى لك دونه ، وهو يملك الدنيا والآخرة .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل التى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب ، إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل جعلنا الله وإياك من المتقين .

ولما ولىّ خطب فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل فان تقوى الله عز وجل خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف .

وقال رجل ليونس بن عبيد أوصنى فقال أوصيك بتقوى الله والإحسان فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وقال له رجل ـ يريد الحج : ـ أوصنى فقال له اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه

وقيل لرجل من التابعين عند موته : أوصنا فقال أوصيكم بخاتمة سورة النحل ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾[٢٠٣] وكتب رجل من السلف إلى أخ له : أوصيك بتقوى الله فإنه من أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت وأفضل ما ادخرت ، أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها .

وكتب رجل منهم إلى أخ له أوصيك وأنفسنا بالتقوى ، فإنها خير زاد الآخرة والأولى ، واجعلها إلى كل خير سبيلك ، ومن كل شر مر بك فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون ، والرزق من حيث لا يحتسبون ، وقد ثبت عن

---

٢٠٢ ـ الأنبياء ٩٠

٢٠٣ ـ النحل ١٢٨

النبى ﷺ أنه كان يقول فى دعائه اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى ، أفاد ذلك كله الحافظ ابن رجب فى كتابه ـ جامع العلوم والحكم .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى حقيق أن يتقيه العباد فلا يجعلون له شريكا لأنه لا إله غيره ، ولو أشرك العبد أحداً مع الله لفعل محالا ، وحقيق أن يطيعوه ويعبدوه لأنه أهل أن يغفر لهم ذنوبهم ويقبل توبة من أناب إليه .

روى الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه : قرأ رسول الله ﷺ « **هو أهل التقوى وأهل المغفرة** »[٢٠٤] وقال : قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إله فمن اتقى أن يجعل معى إلهاً كان أهلا أن أغفر له .

رواه الترمذى وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب ، والنسائى من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطيعى به ، وقال الترمذى : حسن غريب وسهيل ليس بالقوى .

ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن هُدْبة بن خالد عن سهيل به ، وهكذا رواه أبو يعلى ، والبزار ، والبغوى ، وغيرهم من حديث سهيل القطيعى به والله أعلم .

التعريف بالنسائى

وقوله : والنسائى هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الخراسانى النسائى القاضى صاحب أحد السنن الأربعة المشهورة المولود سنة خمس عشرة ومائتين والمتوفى بفلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة .

التعريف بالبزار

والبزار هو الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى والبزار صاحب المسند المعلل المتوفى بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين

---

٢٠٤ ـ المدثر ٥٦

التعريف بأبى يعلى

وأبو يعلى هو الحافظ الثقة محدث الجزيرة أحمد بن على بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمى صاحب المسند الكبير المتوفى سنة سبع وثلاثمائة .

التعليق

يكفى فى فضل التقوى أن الله ـ تعالى ـ جعلها فى مفتتح كتابه الكريم ، وأنه جعل المتقين هم أهل الهدى والتوفيق ، فقال ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ ثم وصفهم بأوصاف هى غاية الكمال والشرف .

قال القرطبى فى تفسيره : حض الله تعالى المتقين بهدايته ، وإن كان ـ الكتاب ـ هدى للخلق أجمعين تشريفا لهم ، لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه .

والتقوى فيها جماع الخير كله ، وهى وصفية الله فى الأولين والآخرين ، وهى خير ما يستفيده الإنسان ، كما قال أبو الدرداء ، وقد قيل له إن أصحابك يقولون الشعر ، وأنت ما حفظ عنك شيء ، فقال :

يريد المرء أن يؤتي مناه ... ويأبي الله إلا ما أرادا
يقول المرء : فائدتي ومالي ... وتقوي الله أفضل ما استفادا

ـ تفسير القرطبى ـ



(إياكم والشرك الخفى)

الحديث التاسع والستون

« أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِى مَنْ أَشْرَكَ بِى شَيْئاً فَإِنَّ عَمَلَهُ قَلِيلَهُ وكَثِيرَهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِى أَشْرَكَ بِهِ وَأَنَا عَنْهُ غَنِىٌّ »

رواه أحمد والطيالسى والطبرانى فى الكبير عن شداد بن أوس (٢٠٥)

٢٠٥ ـ هذا الحديث رواه أحمد في مسنده جـ٤ صـ١٢٥ ، ورواه أبو نعيم في الحلية جـ١ صـ٢٦٩ ، وفي كنز العمال جـ٣ ٨٨٣٨٩ ، ورواه المدني في إتحافاته برقم ٤١٢ وقد رمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف لأن في إسناده شهر بن حوشن وقد ضعفه قوم وبقية رجاله ثقات .
وفي حديث المسند : « من أشرك بي شيئا فإن حشده عمله قليله وكثيره ...»

الحديث السبعون

« أَنَا خَيْرُ شَرِيك فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي شَرِيكاً فَهوَ للشَرِيك يَا أَيُّها النَّاسُ أخْلصوا أعمَالكمْ لله فإن اللّهَ لا يَقبلُ منَ الأعمال إلاَّ ما خلص لَهَ وَلا تَقولوا هَذا لله للرّحم فإنها لرحمه وَليسَ لله منها شيء وَلا تَقولوا هَذا للهِ ولوجُوهَكم فإنهاَ لوجُوهِكمْ ولَيسَ للهِ فيها شَيء »

رواه البزار عن الضحاك[٢٠٦]

شرح الحديث

قوله فى الحديث الأول (قسيم) فعيل بمعنى فاعل أى مقاسم .

والشرك أنواع كما بينه حديث الإمام أحمد عن شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال : « من صلى يرائى فقد أشرك ومن تصدق يرائى فقد أشرك فإن الله عز وجل يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بى شيئا فإن جدة عمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به وأنا عنه غنى »

والمعنى أن الله تبارك اسمه وتعالت صفاته يخبرنا أنه لا يقبل عمل عامل منا من ذكر وأنثى إذا كان عمله مشوبا بشرك ولم يكن خالصا لله تعالى من جميع أنواع الشرك كالكبر والسمعة وغير ذلك ، فإن العمل تارة يكون لغير الله كمن يعمل رياء محضاً ، بحيث لا يراد به سوى مرئيات المخلوقين لغرض دنيوى كحال المنافقين فى صلاتهم قال الله تعالى فى وصفهم : ﴿ **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس** ﴾[٢٠٧] وقال الله تعالى : ﴿ **فويل للمصلين** ﴾[٢٠٨] وكذلك وصف الله تبارك وتعالى الكفار بالرياء المحض فى قوله ﴿ **ولا تكونوا كالذين**

---

٢٠٦ ـ أخرجه الدار قطني في سننه جـ١ ص٥١ / ٣ .
وفي كنز العمال جـ٣ ٧٥١١ . وفي اتحافات المدني برقم ٤٠٢ ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف لأن في سنده إبراهيم بن محشر البغدادي ، وقد تكلموا فيه .
٢٠٧ ـ النساء ١٤٢
٢٠٨ الماعون ٤

خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ﴾[٢٠٩]

وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن فى فرض الصلاة والصيام وقد يصدر فى الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة والتى يتعدى نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة .

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء ، فان شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه أيضاً وحبوطه ، ومنها حديث الكتاب ، والله أعلم .

تعريف بالطيالسى

وقوله فى الحديث الأول « رواه الطيالسى » هو الإمام الحافظ الثقة سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسى صاحب المسند المطبوع فى الهند ، المتوفى سنة ثلاث أو أربع ومائتين بالبصرة انظر الكلام على مسنده فى كتاب نموذج من الأعمال الخيرية ص ٤٨٥ .

التعليق

من الأمور المحبطة للعمل الرياء ، وقد حذر القرآن الكريم منه ، ووصف المنافقين بأنهم يراءون فقال فى حقهم ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا** ﴾ النساء ١٤٢ .

ولكنَّ هناك أعمالاً يظهرها صاحبها للناس ولا تحبط . . وقد قال فى ذلك ابن العربى فيما ينقله القرطبى عنه : إن من صلى صلاة ليراها الناس ويرونه فيها فيشهدون له بالإيمان ، أو أراد طلب المنزلة والظهور لقبول الشهادة وجواز الإمامة فليس ذلك الرياء المنهى عنه ، ولم يكن عليه حرج ، وإنما الرياء المعصية أن يظهرها صيدا للناس وطريقاً إلى الأكل ، فهذه نية لا تجزىء وعليه الإعادة .

ـ تفسير القرطبى ـ

---

٢٠٩ ـ الأنفال ٤٧

ومن الطرائف التى تروى فى ستر الأعمال الصالحة وبخاصة الصدقة ما جاء فى التعليق على قوله ـ تعالى ـ ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ البقرة ٢٧١

قال بعض الحكماء : إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا اصطنع إليك فانشره .

وقال العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه : ـ لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال : تعجيله وتصغيره وستره ، فاذا أعجلته هنيته ، وإذا صغرته عظمته ، وإذا سترته أتممته .

وقال بعض الشعراء فأحسن :

زاد معروفك عندي عظما — أنه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته — وهو عند الناس مشهور خطير



(أنا عندى ظن عبدى)

الحديث الحادى والسبعون

« أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبدى بِى فَلْيظُنَّ بى ما شاءَ »

رواه مسلم . والحاكم عن واثلة . وابن أبى الدنيا . والحكيم عن أبى هريرة(٢١٠)



---

٢١٠ ـ أخرجه البخاري جـ٩ صـ١٧٧
وأخرجه أحمد في مسنده جـ١٦ ٨١٦٣

الحديث الثانى السبعون

«أنَا عِنْدَ ظنِّ عَبْدِى بِى وَأنَا معَه إذَا ذكرَنى»

رواه مسلم . والحاكم عن أنس (٢١١)



الحديث الثالث والسبعون

«أنَا عِنْدَ ظنِّ عبدِى بى وأنَا مَعهُ إذَا دعانى»

رواه أحمد عنه (٢١٢)



الحديث الرابع والسبعون

«أنَا عنْدَ ظنِّ عبْدِى بِى وأنَا معَه حين يَذْكُرنى فإنْ ذَكرَنى فى نفْسه ذَكَرْتهُ فى نَفْسى وإنْ ذَكرَنى فى مَلأٍ ذكرْتُه فى مَلأٍ خير منه»

رواه البيهقى عن أبى هريرة (٢١٣)



---

٢١١ ـ حديث مسلم جـ٤ صـ ٢٠٦٧ عن أبي هريرة وفي مسند أحمد عن أنس بن مالك جـ٣ صـ ٢١٠ بلفظ : وأنا معه اذا دعاني وإسناده صحيح .

٢١٢ ـ أخرجه أحمد في المسند جـ٢ صـ٥١٦ بلفظ ، أنا عند ظن عبدي وأنا معه حيث يذكرني ، وهو صحيح .

٢١٣ ـ الحديث الذي رواه البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة هو : «أمر الله عز وجل بعبد إلي النار ، فلما وقف علي شفتها فقال : أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسنا ، فقال الله ، ردوه . فأنا عند حسن ظن عبدي بي ، فغفر له ،
كنز العمال جـ٣ ٥٨٤٦

وهو في إتحافات المدني برقم ٣٣٦
ورمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بالضعف .

الحديث الخامس والسبعون

« أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بى إنْ ظَنَّ خيَراً فـخَيْرٌ وإنْ ظَنَّ شراً فشَرٌّ »

رواه الطبرانى وابن حبان عن واثلة بن الأسقع(٢١٤)

***

الحديث السادس والسبعون

« أنَا عند ظَنِّ عبْدِى بِى فَليَظُنَّ بِى ما شَاءَ »

رواه ابن أبى الدُّنيا . والحكيم عن أبى هريرة(٢١٥)

***

الحديث السابع والسبعون

« أنَا عِنْدِ ظَنِّ عبْدِى بى إن ظَنَّ خيْراً فَلَهُ وإن ظَنَّ شراً فَلَهُ »

رواه أحـمـد . ومـسـلم . والطـبـرانى . وابن النـجار عن أبى هريرة ، ورواه الطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم عن واثلة(٢١٦)

***

---

٢١٤ ـ أخرجه أحمد في مسنده جـ٣ صـ ٤٩١

وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٧١٧ ، ٧١٨ بلفظ « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء »

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة . وأخرجه ابن حبان أيضا بلفظه . في موارد الظمآن برقم ٧١٦

٢١٥ ـ ذكره صاحب الإتحافات السنية برقم ٥٩ ، وهو في جامع الأحاديث القدسية برقم ٥٠٨ من حديث واثلة بن الأسقع

٢١٦ ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٧١٦ كما في موارد الظمآن ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

وأخرجه أحمد في مسنده جـ٢ من حديث أبي هريرة .

وأخرجه أبو نعيم في الحلية جـ٩ صـ ٣٨٦ .

الحديث الثامن والسبعون

« عبدى أنا عند ظنك بى ، وأنا معك إذا دعوتنى »

رواه الحاكم عن أنس .

الحديث الأخير رقمه فى الإتحافات السنية للمناوى الثامن عشر بعد المائة وقد قدمناه لمناسبته لما قبله . .

وهذا الحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك جـ١ صـ٤٩٧ .

وهو حديث صحيح . وأوله فى الصحيح . .

وهو فى كنز العمال جـ٣ ٥٨٥٩ ـ وفى إتحافات المدنى برقم ١٠٦

شرح الأحاديث من النفحات السلفية

الحديث الأول فيه الأمر بالظن بالله سبحانه وتعالى مطلقا أى فى حال الذكر أو الدعاء .

والثانى مقيد بحال الذكر وكذلك الرابع .

والثالث بحال الدعاء .

والحديث الخامس فيه تفصيل الظن بحسبه إن كان خيراً فيجزى بذلك وإن كان شراً فيجده كذلك .

والظن يطلق على معان ، قال أبو عبد الله الدامغانى فى كتابه ـ الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها : الظن على أربعة أوجه فوجه منها الظن بمعنى اليقين كقوله تعالى فى البقرة : ﴿ **إن ظنا أن يقيما حدود الله** ﴾[٢١٧] وكقوله : فى ص ﴿ **وظن داود أنما فتناه** ﴾[٢١٨] يعنى علم داود بما آتيناه وقال فى الحاقة : ﴿ **إنى**

---

٢١٧ ـ البقرة ١٣٠

٢١٨ ـ ص ٢٤

ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾[٢١٩] يقول أيقنت .

والوجه الثـانى الظن بمعنى الشك قوله تعـالى فى الجـاثية : ﴿ إن نظن إلا ظناً ﴾[٢٢٠] يعنى ما نشك إلا شكا .

والوجه الثالث ظن بمعنى حسب قوله تعالى : ﴿ إنه ظن أن لن يحور بلى ﴾[٢٢١] يعنى حسب أن لا يرجع وقال فى حم السجدة : ﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعلمون ﴾[٢٢٢]

والوجه الرابع الظن بمعنى التهمة قوله تعالى فى الأحزاب ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾[٢٢٣] بمعنى التهمة وقال اتهموا أن رسول الله ﷺ فيما أخبرهم أن الله عز وجل يفتح عليه وكقوله : ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾[٢٢٤] يعنى بمتهم نظيره فى الفتح ﴿ وظننتم ظن السوء ﴾[٢٢٥] اهـ .

أقـول : ويأتى بمعـنى الاعـتقاد كقولـه تعالى ﴿ وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾[٢٢٦] أى اعتقدوا فالظن هنا و الله علم بمعنى حسب أو اعتقد .

قال الحافظ ابن حجر فى كتابه ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ فى قوله ﷺ : « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى » أى قادر على أن أعمل به ما ظن أنى عامله به .

وقال الكرمانى : وفى السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف ، وكأنه أخذه من جهة التسوية ، فإن العاقل اذا سمع ذلك لا يعدل الى ظن إيقاع الوعيد ، وهو جانب الخوف بأنه لا يختاره لنفسه ، بل يعدل الى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء ، وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر ويؤيد ذلك حديث

٢١٩ـ الحاقة ٢٠

٢٢٠ ـ الجاثية ٣٢

٢٢١ ـ الانشقاق ١٤

٢٢٢ ـ فصلت

٢٢٣ ـ الأحزاب

٢٢٤ ـ التكوير ٢٤ ـ والآية ، وما هو على الغيب بضنين ، وبالضاد وفي قراءة «بظنين » بالظاء ـ راجع تفسير الجلالين .

٢٢٥ ـ الفتح ١٢

٢٢٦ القصص ٣٩

« لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله ، وهو عند مسلم من حديث جابر . وأما قبل ذلك ففى الأول أقوال ثالثها الاعتدال .

وقال ابن أبى جمرة : المراد بالظن هنا العلم وهوكقوله : ﴿ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ (٢٢٧)

وقال القرطبى فى المفهم قيل معناه ظن عبدى بى ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكا بصادق وعده .

قال ويؤيده قوله فى الحديث الآخر « ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة » قال : ولذلك ينبغى للمرء أن يجتهد فى القيام بما عليه موقنا بأن الله يقبله ويغفر له ، لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد ، فإن اعتقد أو ظن أن لله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن كما فى بعض طرق الحديث المذكور « فليظن بى عبدى ما شاء » .

قال : وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة اهـ .

وقال الشوكانى فى تحفة الذاكرين : فيه ترغيب من الله عز وجل لعباده بتحسين ظنونهم وأنه يعاملهم على حسبها فمن ظن به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته وأسبل عليه جميل تفضلاته ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ عطياته ومن لم يكن فى ظنه هكذا لم يكن الله تعالى هكذا . وهذا هو معنى كونه سبحانه وتعالى عند ظن عبده فعلى العبد أن يكون حسن الظن بربه فى جميع حالاته ويستعين على تحصيل ذلك باستحضاره ما ورد من الأدلة على سعة رحمة الله سبحانه وتعالى .

وقوله « فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى » قال بعض أهل العلم يستفاد منه أن الذكر الخفى أفضل من الذكر الجهرى لتقديمه على الذكر الجهرى فى السياق . وتقدير المعنى : إن ذكرنى فى نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدا ، وإن ذكرنى جهراً ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى وفيه احتمال ، وللعلماء فى أيهما أفضل

٢٢٧ - التوبة ١١٨

خلاف ذكرته فى شرحى على ـ الكلم الطيب ـ للإمام تقى الدين بن تيمية فارجع إليه .

قال ابن بطال : هذا نص أن الملائكة أفضل من بنى آدم وهو مذهب جمهور أهل العلم ، وعلى ذلك شواهد من القرآن مثل ﴿ **إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين** ﴾ [٢٢٨] والخالد أفضل من الفانى ، فالملائكة أفضل من بنى آدم ، وتُعُقِّب [٢٢٩] بأن المعروف عن جمهور أهل السنة أن صالحى بنى آدم أفضل من سائر الأجناس .

والذين ذهبوا الى تفضيل الملائكة : الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من أهل السنة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر ، فمنهم من فاضل بين الجنسين فقالوا : حقيقة الملك أفضل من حقيقة الانسان لأنها نورانية وخيرية ولطيفة مع سعة العلم والقوة وصفاء الجوهر ، وهذا لا يستلزم تفضيل كل فرد على كل فرد ، لجواز أن يكون فى بعض الأناسى ما فى ذلك وزيادة ، ومنهم من خص الخلاف بصالحى البشر والملائكة ، ومنهم من خصه بالأنبياء ، ثم منهم من فضل الملائكة على غير الأنبياء ، ومنه من فضلهم على الأنبياء أيضا إلا على نبينا محمد ﷺ .

ومن أدلة تفضيل النبى على الملك أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له حتى قال إبليس : ﴿ **أرأيتك هذا الذى كرمت على** ﴾ [٢٣٠] ومنها قوله تعالى ﴿ **لما خلقت بيدى** ﴾ [٢٣١] لما فيه من الإشارة إلى العناية به ، ولم يثبت ذلك للملائكة ومنها قوله تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾ [٢٣٢] ، ومنها قوله تعالى ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض** ﴾ [٢٣٣] فدخل فى عمومه الملائكة ، والمسخر له أفضل من المسخر ولأن طاعة الملائكة بأصل الخلقة وطاعة البشر غالباً مع المجاهدة للنفس

---

٢٢٨ ـ الأعراف ٢٠

٢٢٩ ـ تُعُقِّب : ردّ عليه

٢٣٠ ـ الإسراء ٦٢

٢٣١ ـ ص ٧٥

٢٣٢ ـ آل عمران ٣٣

٢٣٣ ـ الجاثية

لما طبعت عليه من الشهوات والحرص والهوى والغضب ، فكانت عبادتهم أشق ، وأيضا فطاعة الملائكة بالأمر الوارد عليهم وطاعة البشر بالنص تارة ، وبالاجتهاد تارة ، وبالاستنباط تارة فكانت أشق ، ولأن الملائكة سلمت من وسوسة الشياطين وإلقاء الشبهة والإغواء الجائزة على البشر ، ولأن الملائكة تشاهد حقائق الملكوت والبشر لا يعرفون ذلك إلا بالإعلام فلا يسلم منهم من إدخال الشبهة من جهة تدبير الكواكب ، لحركة الأفلاك إلا الثابت على دينه ولا يتم ذلك الا بمشقة شديدة ومجاهدات كثيرة .

وأما الأدلة الآخرين فقد قيل : ان حديث الباب أقوى ما استدل به لذلك للتصريح بقوله فيه فى ملأ خير منهم والمراد بهم الملائكة ، حتى قال بعض الغلاة فى ذلك وكم من ذاكر الله فى ملأ فيهم محمد ﷺ ذكرهم الله فى ملإ خير منهم . وأجاب بعض أهل السنة بأن الخير المذكور ليس نصاً ولا صريحاً فى المراد بل يتطرقه احتمال أن يكون المراد بالملأ الذى هم خير من الملأ الذاكر الأنبياء والشهداء فإنهم أحياء عند ربهم فلم ينحصر ذلك فى الملائكة .

وأجاب آخر وهو أقوى من الأول بأن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معاً فالجانب الذى فيه رب العزة خير من الجانب الذى ليس هو فيه بلا ارتياب ، فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع ، وهذا الجواب ظهر لى وظننت أنه مبتكر ثم رأيته فى كلام القاضى كمال الدين بن الزملكانى فى الجزء الذى جمعه فى الرفيق الأعلى فقال : إن الله تعالى قابل ذكر العبد فى نفسه بذكره له نفسه وقابل ذكر العبد فى الملأ بذكره له فى الملأ ، فإنما صار الذكر فى الملأ الثانى خيراً من الذكر فى الأول لأن الله هو الذاكر فيهم والملأ الذى يذكرون ـ والله فيهم ـ أفضل من الملأ الذين يذكرون وليس الله فيهم .

ومن أدلة المعتزلة تقديم الملائكة فى الذكر فى قوله تعالى : ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله ﴾[٢٣٤] و ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو

---

٢٣٤ ـ البقرة ٩٨

العلم﴾ [٢٣٥] ﴿ الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ [٢٣٦] وتعقب بأن مجرد التقديم فى الذكر لا يستلزم التفضيل لأنه لم ينحصر فيه بل له أسباب أخرى كالتقديم بالزمان فى مثل قوله تعالى : ﴿ ومنك ومن نوح وإبراهيم ﴾ [٢٣٧] فقدم نوح على إبراهيم لتقدم زمان نوح مع أن إبراهيم أفضل ، ومنها قوله تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ [٢٣٨] وبلغ الزمخشرى فادعى أن دلالتها لهذا المطلوب قطيعة بالنسبة لعلم المعانى فقال فى قوله تعالى : ﴿ ولا الملائكة المقربون ﴾ [٢٣٩] أى ولا من هو أعلى قدراً من المسيح ـ وهو الملائكة الكربيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ـ قال : ولا يقتضى علم المعانى غير هذا من حيث أن الكلام إنما سبق للرد على النصارى لغلوهم فى المسيح فقيل لهم : لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع درجة منه انتهى مخلصاً .

وأجيب بأن الترقى لا يستلزم التفضيل المتنازع فيه وإنما هو بحسب المقام وذلك أن كلا من الملائكة والمسيح عبد من دون الله ، فرد عليهم بأن المسيح الذى تشاهدونه لم يتكبر عن عبادة الله ، وكذلك من غاب عنكم من الملائكة لا يتكبر ، والنفوس لما غاب عنها أهيب ممن تشاهده ، ولأن الصفات التى عبدوا المسيح لأجلها من الزهد فى الدنيا والاطلاع على المغيبات وإحياء الموتى بإذن الله موجودة فى الملائكة ، فإن كانت توجب عبادته فهى موجبة لعبادتهم بطريق الأولى ، وهم مع ذلك لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى ، ولا يلزم من هذا الترقى ثبوت الأفضلية المتنازع فيها .

وقال البيضاوى : احتج بهذا العطف من زعم أن الملائكة أفضل من الأنبياء وقال : هى مسافة للرد على النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية ، وذلك

---

٢٣٥ ـ آل عمران ١٨
٢٣٦ ـ الحج ٧٥
٢٣٧ ـ الأحزاب ٧
٢٣٨ ـ النساء ١٧٢
٢٣٩ ـ النساء ١٧٢

يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه .

وجوابه أن الآية سيقت للرد على عبدة المسيح والملائكة أريد بالعطف المبالغة باعتبار الكثرة دون التفضيل كقول القائل : أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرءوس ، وعلى تقدير إرادة التفضيل فغايته تفضيل المقربين ممن حول العرش ، بل هو أعلى رتبة منهم على المسيح وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا .

وقال القطيبي : لا تتم لهم الدلالة إلا إن سُلِّم أن الآية سيقت للرد على النصارى فقط فيصح لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع منه ، والذى يدعى ذلك يحتاج إلى اثبات أن النصارى تعتقد تفضيل الملائكة على المسيح وهم لا يعتقدون ذلك ، بل يعتقدون فيه الإلهية فلا يتم استدلال من استدل به ، قال : وسياقة الآية من أسلوب التتميم والمبالغة لا الترقى ، وذلك أنه قدم قوله : ﴿ إنما الله إله واحد ﴾ الى قوله ﴿ وكيلا ﴾ فقرر الوحدانية والمالكية والقدرة التامة ، ثم أتبعه بعدم الاستنكاف ، فالتقدير لا يستحق من اتصف بذلك أن يستكبر عليه الذى تتخذونه أيها النصارى إلهاً ، لاعتقادكم فيه الكمال ولا الملائكة الذين اتخذها غيركم آلهة لاعتقادكم فيهم الكمال .

قلت : وقد ذكر ذلك البغوى ملخصاً ولفظه : لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام عيسى ، بل رداً على الذين يدعون أن الملائكة آلهة فرد عليهم كما رد على النصارى الذين يدعون التثليث ، ومنها قوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك ﴾ (٢٤٠) فنفى أن يكون ملكا ، فدل على أنهم أفضل ، وتُعُقِّب بأنه إنما نفى ذلك لكونهم طلبوا منه الخزائن وعلم الغيب ، وأن يكون بصفة الملك من ترك الأكل والشرب والجماع ، وهو من نمط

٢٤٠ـ الأنعام ٥٠ .

إنكارهم أن يرسل الله بشراً مثلهم ، فنفى عنه أنه ملك ولا يستلزم ذلك التفضيل .

ومنها أنه سبحانه وتعالى لما وصف جبريل ومحمداً قال فى جبريل ﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾ [(٢٤١)] وقال فى حق النبى ﷺ ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ [(٢٤٢)] وبين الوصفين بون بعيد ، وتُعُقِّب بأن ذلك إنما سيق للرد على من زعم أن الذى يأتيه شيطان وكان وصف جبريل بذلك تعظيما للنبى ﷺ فقد وصف النبى ﷺ فى غير هذا الموضع بمثل ما وصف به جبريل هنا وأعظم منه .

وقد أفرط الزمخشرى فى سوء الأدب هنا وقال كلاما يستلزم تنقيص المقام المحمدى ، وبالغ الأئمة فى الرد عليه فى ذلك وهو من زلاته الشنيعة .

التعريف بابن أبى الدنيا

وقوله فى الحديث الأول « رواه ابن أبى الدنيا » هو الإمام الجليل والحافظ الشهير أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشى الشهير بابن أبى الدنيا صاحب المصنفات الكثيرة المتوفى سنة ٢٨١ هـ .

التعريف بالحكيم الترمذى .

وقوله « والحكيم » هو أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين بن بشير المؤذن الحكيم الترمذى صاحب التصانيف الكثيرة منها : نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول لله قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين وتوفى عن نحو ثمانين سنة .

وقوله فى الحديث الرابع « فى ملأ » الملأ تقدم تفسيره فأغنى عن اعادة الكلام عليه .

وقوله فى الحديث الأخير « فله » أى مقتضى ظنه من خير أو شر ، فالمعاملة تدور مع الظن ، وروى الحاكم عن أنس بن مالك « قال الله تعالى : ﴿ **أنا عند ظنك بى**

---

٢٤١ ـ التكوير ١٩ .

٢٤٢ ـ التكوير ٢٢

وأنا معك إذا ذكرتنى ﴾ أى دعوتنى فأسمع ما تقوله فأجيبك ، قال الحكيم الترمذى : هذا وما أشبهه من الأحاديث المتقدمة فى ذكر عن يقظة لا عن غفلة لأن ذلك هو حقيقة الذكر ، فيكون بحيث لا يبقى عليه مع ذكره فى ذلك الوقت ذكر نفسه ولا ذكر مخلوق ، فذلك الذكر هو الصافى لأنه قلب واحد فاذا اشتغل بشىء ذهل عما سواه . وهذا موجود فى المخلوق لو أن رجلا دخل على ملك فى الدنيا لأخذه من هيبته ما لا يذكر فى ذلك الوقت غيره فكيف بملك الملوك ؟ .

التعريف بابن النجار

وقوله « ابن النجار » هو الإمام البارع مفيد العراق الرحالة محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار البغدادى صاحب المعجم المتوفى سنة ٦٤٣ .

التعريف بأبى نعيم

وقوله « وأبو نعيم » هو الإمام الحافظ الكبير محدث عصره أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران المهرانى الأصبهانى الصوفى صاحب حلية الأولياء توفى سنة ثلاثين وأربعمائة .

التعليق

يقول ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه : « إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه ، فَحَسِّنْ ظنك به لوجود معاملته معك ، فهل عَوَّدك إلا حسنا ؟ وهل أسدى إليك إلا مننًا » وعلق على ذلك الشارح بقوله : حسن الظن بالله أحد مقامات اليقين . والناس فيه على قسمين : خاصة وعامة . والخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية ، والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم . .

واستشهد على وجوب حسن الظن بالله بما جاء فى الخبر : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى »

قال أبو طالب المكى : كان ابن مسعود - رضى الله عنه - يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى إلا أعطاه الله - عز وجل - ذلك ، لأن الخير كله بيده .

وروى عن أبى النصر بن حبان قال : خرجت عائدا ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته ، قال : فدخلنا عليه وهو فى فراشه . كلما رأى واثلة بسط يده ، وطفق يشير إليه ، فأقبل واثلة حتى جلس على الفراش ، وأخذ يزيد بكفى واثلة حتى جعلهما على وجهه . فقال له واثلة : أسألك عن شىء تخبرنيه . كيف ظنك بالله - عز وجل - ؟ قال : ظنى والله بالله حسن . قال : فأبشر ، فإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « قال الله تبارك وتعالى : - أنا عند ظن عبدى بى وإن ظن خيراً وإن ظن شراً » .

وروى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : - « عاد رسول الله ﷺ مريضا فقال له رسول الله - ﷺ - : كيف ظنك بربك ؟ قال : يا رسول الله ، حسن الظن . قال : فظن به ما شئت فإن الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به »

وروى أبو هريرة - رضى الله تعالى عنه - أن النبى - ﷺ - قال : « إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله »

وما أجمل قول الشاعر فى ذلك : -

وما زلت أرجو الله حتى كأننى ... أرى بجميل الصنع ما هو صانع

اللهم ارزقنا حسن الظن فيك مع حسن العمل وحسن الخاتمة . . .

شرح حكم ابن عطاء الله لابن عباد النفرى الرندى جـ١ صـ٣٥



الحديث التاسع والسبعون

« أَنَا مَعَ عَبْدِى إِذْ هُوَ ذَكَرَنِى وَتَحَرَّكَتْ بِى شَفَتَاه »

رواه أبو داود ، والحاكم ، وابن حبان عن أبى الدرداء والقضاعى ، والحاكم . وابن حبان عن أنس وغيره ، وأحمد ، وابن ماجه ، والحاكم وابن حبان عن أبى هريرة [(٢٤٣)]

شرح الحديث

قوله « أنا مع عبدى » المعية الله أعلم بحقيقتها نسلم لفظها ونكل المعنى إلى الله جل وعلا وهذا مذهب سلف الأمة . وقد تقدم الكلام على مثل ذلك فارجع اليه .

وقوله «إذ : ظرف زمان وشفتاه تثنية شفة بفتح أوله وأصلها شفهة وهى معلومة .

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الله سبحانه وتعالى مع عبده بذكره ، وهو يدل على أن الذكر الجهرى أرجح من الذكر الخفى ، وقد تقدم الكلام على ذلك قريبا .

ترجمة القضاعى

وقوله « والقضاعى » هو المحدث شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن القضاعى نسبة الى قضاعة ، شعب من معد بن عدنان . ويقال : هو من حمير وهو الأكثر والأصح . كان قاضى مصر ومحدثها توفى سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وباقى التراجم تقدم شرحها .

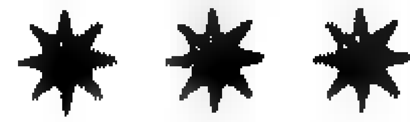
---

٢٤٣ ـ هذا الحديث أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة ، وهو في المسند جـ٢ صـ ٥٤٠ . وهو حديث صحيح .
وله رواية أخرى بلفظ « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه »
أما حديث الحاكم فهو في المستدرك جـ١ صـ٤٩٦ وهو عن أبي الدرداء .

التعليق

هناك أحاديث عدة ذكرها المناوى تشير إلى أن الله ـ تعالى ـ مع من يذكره ، وقد تناثرت هذه الأحاديث فى ثنايا الكتاب . ونحاول ضم أطراف هذه الأحاديث بقدر المستطاع .

ومن هذه الأحاديث :ـ



الحديث الثمانون

« عبدى إذا ذكرتنى خالياً ذكرتك خالياً ، واذا ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأٍ خيرٍ منهم وأكبر »

رواه البيهقى عن ابن عباس [٢٤٤]



الحديث الحادى و الثمانون

« من ذكرنى فى نفسه ذكرتُه فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأٍ ذكرتُه فى ملأٍ أكثر منه وأطيب »

رواه ابن شاهين عن أبى هريرة [٢٤٥]



---

٢٤٤ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، وهو في كنز العمال جـ١ ١٧٩٧ ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

٢٤٥ ـ الحديث أخرجه أحمد في مسنده جـ١٦ ٨٦٣٥ بلفظ ، ومن ذكرني في ملأ من الناس ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب ،
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

الحديث الثانى والثمانون

« لا يذكرنى عبدى فى نفسه إلا ذكرته فى مَلأٍ من ملائكتى ، ولا يذكرنى فى مَلأٍ إلا ذكرته فى الرفيق الأعلى »

رواه الطبرانى فى الكبير عن معاذ بن أنس (١٤٦)

شرح الحديث من النفحات السلفية

لفظ الذكر ، والعبد ، والملأ ، والملائكة تقدم الكلام عليه قبل فلا داعى للإعادة .

والرفيق الأعلى هو جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين ، وهو اسم جاء على فعيل ومعناه الجماعة كالصديق والخليط ، يقع على الواحد والجمع .

وذكر الحديث الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب الا أنه زاد « الملأ » بعد لفظ « الرفيق » وقال : رواه الطبرانى بإسناد حسن .

والملأ أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم ، وجمعه أملاء .

والمعنى أن الله ـ جل جلاله ـ يخبرنا أن عبده إذا ذكره فى نفسه ذكره الله تعالى فى ملأ من ملائكته ، ولا يذكر العبد فى ملأ إلا ذكره الله تعالى فى الرفيق الأعلى ، أى فى جماعة هم خير من جماعة العبد ، وهذا غاية الفضل ففيه الحث على الذكر والإكثار منه . وقد تقدم ما فيه الكفاية .

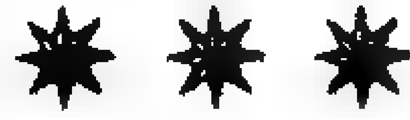
* * *

١٤٦ ـ هذا الحديث في كنز العمال جـ١ ١٧٩٦ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن .

الحديث الثالث والثمانون

« يا بن آدم ، إذا ذكرتنى خالياً ذكرتك خاليا ، وإذا ذكرتنى فى ملإٍ ذكرتك فى ملإٍ خير من الذين تذكرنى فيهم »

رواه البزار عن ابن عباس [(٢٤٧)]



الحديث الرابع والثمانون

« يا بن آدم إن ذكرتَنى فى نفسك ذكرتُك فى نفسى ، وإن ذكرتَنى فى ملأ ذكرتُك فى ملأ خيرٍ منهم ، وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعا ، وإن دنوتَ منىَ ذراعاً دنوتُ منك باعاً ، وإن أتيتنى تمشى أتيتك هَرْوَلَة »

رواه أحمد وعبد بن حميد عن أنس [(٢٤٨)]

تعليق على هذه الأحاديث

تشير هذه الأحاديث إلى فضيلة الذكر ، وأن الله مع من يذكره ، والذكر له آثار طيبة ، وقد دعانا الله تعالى إلى ذكره فقال لنا ﴿ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ وقال : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾

---

٢٤٧ ـ هذا الحديث في مجمع الزوائد جـ ١٠ ١٧٩٦
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

٢٤٨ ـ هذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده جـ٣ صـ١٣٨ عن قتادة عن أنس ، وفيه : « أتيتك أهرول » بدل « هرولة »
وفيه : قال قتادة : فالله عز وجل أسرع بالمغفرة .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .
والباع : مسافة بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينا وشمالا .
والهرولة : الإسراع في المشي .

وللعارفين تعبيرات طيبة فى ذلك يقول ابن عطاء الله السكندرى « لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز »

وما أجمل قول قول الشاعر :

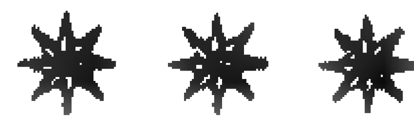
والذكر أعظم باب أنت داخله لله فاجعل له الأنفاس حراسا

التعريف بعبد بن حميد

قال شارح الأحاديث عند تفسير الحديث « صلوا أرحامكم فإنه أبقى لكم فى الحياة الدنيا وخير لكم فى آخرتكم »

عبد بن حميد : هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشى ، مصنف المسند الكبير ، والتفسير ، وغير ذلك ، واسمه عبد الحميد فخفف . رحل فى طلب العلم ، وتلقى من فحول علماء الحديث ، وروى عنه خلق كثير ، وكان من الأئمة الثقات ، وعلق له البخارى فى دلائل النبوة من صحيحه . توفى سنة تسع وأربعين ومائتين . والله أعلم . .

نقول : جاء فى كشف الظنون أنه توفى سسنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وفى هدية العارفين توفى سنة تسع وأربعين ومائتين .



(ينتقم من الظالم بالظالم ثم ينتقم منه)

الحديث الخامس والثمانون

« أَنْتقمُ مِمَّنْ أَبْغَضُ بِمَن أَبْغَضُ ثمَّ أُصَيِّرُ كلاًّ إلى النَّار »

رواه الطبرانى فى الأوسط عن جابر

شرح الحديث

الانتقام افتعال ، والمنتقم هو المبالغ فى العقوبة لمن يشاء ، وهو مفتعل من نقم ينقم إذا بلغت به الكراهة حد السخط ، ومن أسمائه الحسنى جل جلاله المنتقم .

قال فى لوامع البينات [٢٤٩] ، المنتقم مشتق من الانتقام ولا يسمى التعذيب بالانتقام إلا بشرائط ثلاثة : الأول أن تبلغ الكراهة إلى حد السخط . والثانى أن تحصل تلك العقوبة بعد مدة الثالث أن يقضى ذلك التعذيب نوعا من التشفى ، وهذا القيد لا يحصل إلا فى حق الخالق أما فى حق الخلق فهو محال واعلم أن الانتقام أشد من المعاجلة بالعقوبة ، فإن المذنب إذا عوجل بالعقوبة لم يتمكن فى المعصية فلم يستوجب غاية النكال فى العقوبة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ فلما ءاسفونا انتقمنا منهم ﴾ [٢٥٠] ،أيضا قد سمى الله تعالى تكرار إيجاب الكفارة فى تكرار المحرم أخذ الصيد انتقاما قال : ﴿ ومن عاد فينتقم الله منه ﴾ [٢٥١] وهو قريب من قوله ﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾ [٢٥٢] الآية .

أما حظ العبد منه فقال الغزالى : انتقام العبد إنما يكون محموداً إذا انتقم من الأعداء ، وأعدى عدوه نفسه التى بين جنبيه فلا جرم يجب عليه أن ينتقم منها .

والبغض تقدم الكلام عليه فأغنى عن اعادته .

وقوله (أنتقم ممن أبغض) يعنى أن الله سبحانه وتعالى يعاقب من يبغضه بارتكاب المعاصى وسوء الأعمال بمن يبغض من خلقه كذلك ، أى أن الله تبارك اسمه يولى الظالمين بعضهم بعضا وهكذا نطقت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بذلك والشاهد يؤيد الواقع ، فإن غالب الأمم الإسلامية فى عصرنا الحاضر يتولاها الظالمون وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، نسأل الله السلامة من الحرب

---

٢٤٩ ـ لوا مع البينات في شرح أسماء الله والصفات للفخر الرازي .

٢٥٠ ـ الزخرف ٥٥ .

٢٥١ ـ المائدة ٩٥ .

٢٥٢ ـ النساء ١٦٠ .



الحاضرة التى وقعت فى شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها ألف صلاة وتحية - بين الألمان وبولندة ودخلت معها الروس بزعم أنها تحامى عن الأقلية الروسية الموجودة فيها ولربما تشترك فيها باقى الأمم الغربية والشرقية ، ولا ينفع المسلمين فى هذه الظروف إلا تحابُّهم وتوادُّهم ومعاونة بعضهم بعضاً وعلى الأغنياء أن يواسوا الفقراء ، والأقوياء يساعدوا الضعفاء . ورجوعهم إلى الله عز وجل بالتوبة والإنابة والإخلاص فى الأعمال والإقلاع عن المعاصى والمفاسد والتباعد عن الشقاق والفتن ، والتحفز للأخذ بيد المظلوم من الظلم الغاشم المستبد فلعل ذلك يكفل لنا النجاح إن شاء الله تعالى ويسلمنا .

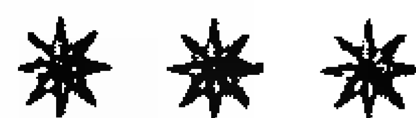
التعليق

ظهرت الكراهة سافرة واضحة على أشدها من جانب الكفر ضد الأمة الإسلامية فى وقتنا الحاضر ، وقد تظاهرت ملل الكفر على المسلمين فى البلقان تحاول القضاء عليهم فى البوسنة والهرسك .

وكان موقف المسلمين فى بقية الدول الإسلامية يدعو إلى الرثاء ، كان موقفهم موقف المتفرج المتخاذل . .

ولولا أن الله - تعالى - أمدّ المسلمين بعونه فى جمهورية البوسنة والهرسك ونفخ فيهم من روحه ما تمكنوا من الصمود أمام جحافل الكفر المدججة بالسلاح طوال سنوات ثلاث أو تزيد ، منذ عام ١٤١٢ هـ حتى الآن فى سنة ١٤١٦ هـ على الرغم من افتقار المسلمين إلى السلاح : . كان زادهم الروحى أقوى من أى سلاح يمتلكه العدوالغاشم . . وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

ونرجو الله أن يتم نعمته على المسلمين ويكتب لهم النصر الحاسم بمنه وكرمه إنه نعم المولى ونعم النصير .



(الله يحب أن يسمع صوت عبده المؤمن)

الحديث السادس والثمانون

« انطلقوا يَا مَلائكتى إلى عبْدى فَصبُّوا عَليْه البَلاءَ صَبًّا فَيصبُّونَ عَليه البَلاءَ فَيَحْمَدُ اللهَ فَيرْجعُونَ فيقولونَ يا ربَّنا صببْنا عَلَيْه البَلاءَ كما أمرتَنا فيَقولُ ارْجعُوا فإنِّى احِبُّ أنْ أسْمعَ صوْتَه »

رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة[٢٥٣]

شرح الحديث من النفحات السلفية

الصب السكب ، وصب الماء إراقته من أعلى .

والبلاء والابتلاء تقدم تفسيرهما فارجع اليه ، والمراد بالصب هنا العرض والإلقاء أى أعرضوا وألقوا يا ملائكتى على عبدى فلان البلاء ليختبر ويمتحن ليظهر خيره أو شره لغيره ، وقد سمى الله تعالى التكاليف الشرعية بلاء لأن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء ، لأنها اختبارات قال الله عز وجل : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين** ﴾[٢٥٤] والقرآن والسنة مملوءان بذلك .

واختيار الله تعالى للعباد تارة يكون بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء فالمنحة مقتضية للشكر ، والمحنة مقتضية للصبر ، قال عمر بن الخطاب : بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر .

---

٢٥٣ ـ هذا الحديث أخرجه البغوي في شرح السنة جـ٥ صـ ٢٣٦ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .
وذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ٤ صـ٥٢٩ ورمز له بالضعف كذلك ، وذكره الغزالي في احياء علوم الدين جـ١ صـ ٣٠٨ ورمز له العراقي مخرج أحاديث الإحياء بالضعف .
٢٥٤ ـ محمد ٣١

قال الراغب الاصفهانى إذا قيل : ابتلى فلان كذا وأبلاه ، فذلك يتضمن أمرين : أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره ، والثانى ظهور جودته ورداءته وربما قصد به الأمران ، وربما يقصد به أحدهما ، فإذا قيل فى الله تعالى : بلا كذا أو أبلاه فليس المراد منه إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل من أمره ، إذ كان الله علام الغيوب وعلى هذا قوله عز وجل : ﴿ إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾(٢٥٥) ولا شك أن إضافة العبد إليه عز وجل هنا لتعظيمه وتشريفه إذ بين أن العبد المصبوبَ عليه البلاء حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله فكان قابلا للبلاء متعرضا له بدون أن يظهر إساءته أو كراهيته له ، بل يتسع صدره له وهو حامد شاكر مظهر الثناء على الله والرضا به ومعافاة غيره عن الابتلاء بمثل ذلك ممن ليس كذلك ، فعلى المؤمن العاقل أن يتلقى البلاء والمصائب بكل حواسه بصدر رحب وقلب مطمئن بالإيمان ومفعم بالرضا والصبر والاحتساب ، فيزول ذلك عنه قريبا بدون أن يمسه أذى .

فنسأل الله أن يوفقنا للصبر عند الصدمة الأولى ويختم لنا بالسعادة الأبدية .

وقد جاء فى الصبر على الابتلاء آيات كثيرة ، وإن لمن صبر ثوابا عظيما لا يقدر قدره ، وكذلك الأحاديث الصحيحة جاءت فى الحث على الصبر إذا ابتلى وأن له ثوابا عظيما . والله أعلم .

التعليق

مما ورد فى الحث على الصبر قول أبى العتاهية :

اصبر لكل مصيبة وتجلَّدِ ... واعلم بأن المرءَ غير مخلَّدِ
أو ما تري أن المصائب جمة ... وتري المنية للعباد بمرصد ؟
من لم يصب ممن تري بمصيبة؟ ... هذا سبيل لست فيه بأوحد
فإذا أصابك في الحياة مصيبة ... فاذكر مصابك بالنبي محمد.

يشير بذلك إلى قول النبى ﷺ فيما يرويه عطاء ابن أبى رباح : «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بى فإنها من أعظم المصائب» تفسير القرطبى حـ ١ ص ٥٥٧ دار الشعب .

---

٢٥٥ ـ البقرة ١٢٤

(وما تنفقوا من شىء فهو يخلفه)

الحديث السابع والثمانون

« أنْفِقْ أنْفِقْ علَيْكَ »

رواه أحمد ، والشيخان عن أبى هريرة [(٢٥٦)]

شرح الحديث من النفحات السلفية

قوله «أنفق» الأول بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الفاء أمر بالإنفاق .

وقوله « أنفق عليك » بضم الهمزة وسكون النون جواب الأمر ، والإنفاق إخراج المال من اليد ، ومنه نفق البيع أى خرج من يد البائع إلى المشترى ونفقت الدابة خرجت روحها ، ونفق الزاد فنى . والإنفاق قد يكون فى المال وفى غيره . وقد يكون واجبا وتطوعا والكل مطلوب .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أمر عبده أن ينفق فى المصالح الخيرية والمشاريع الحيوية مما أنعم الله عليه وجعله حاكما عليه وتحت يده من نقد أو عرض تجارة ، أو غير ذلك مما يحوزه الإنسان ويملكه ، لأن المال كله من الله سبحانه وتعالى رزقه عبده ليصرفه فى منافع المسلمين إذا زاد عن كفايته وكفاية من يلزمه نفقته شرعاً ، أخذا من أدلة أخرى معلومة متيدة بذلك .

ولا ريب أن الإنفاق على الأهل والأقارب غير اللازمة نفقتهم أولى وأفضل من

---

٢٥٦ ـ هذا الحديث رواه أحمد جـ١٨ ٩٩٨٦

بلفظ « قال الله ـ عز وجل :ـ أنفق يا بن آدم أنفق عليك »

وهو صحيح ..

ورواه البخاري في صحيحه جـ٧ صـ٨٠

ورواه البخاري كذلك في صحيحه جـ٦ صـ ٩٢ ، ومسلم جـ٢ صـ٦٩٠ ـ بأوسع من ذلك : « قال الله ـ عز وجل ـ : أنفق نفق عليك ، وقال : يد الله ملأي لا تغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال : أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده ، وكان عرشه علي الماء ،وبيده الميزان يخفض ويرفع »

النفقة على غيرهم ، والأفضل والأحرى صرف المال على الفقراء والمساكين المتمسكين بشعائر دينهم من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك من فرائض الإسلام وأركانه وواجباته ، ولأن تقديمهم بذلك لذلك أردع لغير المتمسكين وأرغب لهم فى التمسك لذلك ، ويراعى فى ذلك ما كان نفعه أعم وفائدته وثمرته أعظم .

وقوله « أنفق عليك » أى أعوضه لك وأعطيك خلفه بل أكثر أضعافا مضاعفة قال الله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ﴾[٢٥٧] ولم يقيده بمقدار نسأل الله الهداية إلى الشرع الشريف والعمل بأحكامه ، وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ـ فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا »

التعليق

جاء فى حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى : ـ

عن محمد بن على عن ابن عباس قال : بلغ النبى ـ ﷺ ـ عن الزبير إمساك ، فأخذ بعمامته فجذبها إليه وقال : « يا بن العوام ، أنا رسول الله إليك وإلى الخاص والعام ، يقول الله ـ عز وجل ـ : ـ « أنفق أنفق عليك ، ولا ترد فيشتد عليك الطلب ، إن فى هذه السماء باباً مفتوحاً ينزل منه رزق كل امرىء بقدر نفقته أو صدقته ونيته فمن قلّل قُلِّلَ عليه ، ومن كثّر كُثِّر عليه » .

فكان الزبير بعد ذلك يعطى يمينا وشمالا .

حلية الأولياء جـ١٠ صـ١٢٦

---

٢٥٧ ـ سبأ ٣٩

الحديث الثامن والثمانون

« أيمَا عبْد منْ عبادى يَخرُج مُجاهداً فى سَبيلى ابْتغاءَ مَرْضاتى ضَمنتُ لهُ انْ أرْجعَهُ۔إنْ رَجعتُه ۔ بمَا أصابَ منْ أجرٍ أوْ غنيمَة وإن قَبضتُه انْ اغفرَ لهُ وارْحمَه وأدخلَهُ الجنَّة »

رواه أحمد والترمذى ، والطبرانى عن ابن عمر [٢٥٨]

شرح الحديث

الجهاد تكلمنا عليه فى تعليقنا على مختصر شُعَب الإيمان صفحة ٧٥ فارجع اليه تجد ما يسرك .

وقوله « فى سبيلى » السبيل الطريق الذى فيه سهولة وجمعه سبل ، والمراد به هنا الطريق الذى عبده المولى جل وعلا وشرعه لعباده وسهله وأحكمه لا طريق غيره مما يخالفه .

وقوله « ابتغاء مرضاتى » الابتغاء طلب الشيء فتارة يكون الله وتارة لغيره ، فما كان لله سبحانه وتعالى أثيب عليه صاحبه وقيل وما كان لغيره جل وعز أحبط وعوقب أو لا ثواب فيه .

---

٢٥٨ ـ رواه أحمد في مسنده جـ٨ ٥٩٧٧ ، وأخرجه النسائي كذلك في سننه جـ٦ صـ١٨ ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

وهناك أحاديث أخري بمعناه منها :

. ما رواه الترمذي : « المجاهد في سبيل الله هو عليَّ ضامن إن قبضته أورثته الجنة ، وإن رجعته رجعته بأجر أو غنيمة» ـ الترمذي جـ٤ ١٦٢٠

. ومنها ما رواه الطبراني : « ان الله تعالي قال : من انتدب خارجا في سبيلي غازياً ابتغاء وجهي وتصديق وعدي ، وإيمانا برسلي فهو ضامن علي الله ـ عز وجل ـ إما يتوفاه في الجيش بأي حتف شاء فيدخله الجنة ، وإما يصبح من ضمان الله ، وإن غيبته حتي يرده إلي أهله مع ما نال من أجر وغنيمة »

كنز العمال جـ٤ ١٠٦٤٣

والغنيمة ما أصيب من أموال أهل الحرب .

والحديث عزاه المنذرى الى النسائى أيضا ، وروى مالك ، والبخارى والنسائى « تكفل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد فى سبيله وتصديق بكلماته إلا يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه، قال من أجر أو غنيمة» .

والمعنى أن الله تقدست أسماؤه يخبرنا أن من خرج من عباده مجاهداً فى سبيله قاصداً بذلك مرضاة الله عز وجل ورضاه ، لا أمراً آخر يضمن له إن رجع وعاش أن يرجعه إلى وطنه بما :

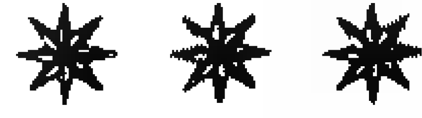
أى بالذى أصاب من أجر أو غنيمة ، وإن لم يرجع بأن قبضه الله تعالى وتوفاه شهيداً فى ميدان القتال أو حتف أنفه أن يغفر له جل ذكره ذنوبه - إن كانت له ذنوب - ويرحمه ويدخله جنته لجوده بنفسه وبذله اياها فى رضا الذى خلقه . وهذا غاية ما يرجوه العبد .

ففيه الحث على الجهاد بأقسامه كلها ، وأن تكون نيته خالصة لإعلاء كلمة الله - جل ذكره - وانتشار الإسلام وهدم الكفر وأهله ، والله أعلم .

التعليق

مما جاء فى فضل الشهداء فى سبيل الله قوله - تعالى - ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ آل عمران ١٦٩ . وجاء فى مناسبة الآية ما ذكره القرطبى فى تفسيره قال : قال جابر بن عبد الله : لقينى رسول الله - ﷺ - فقال : « يا جابر ما لى أراك منكسا مهتما ؟ » قلت : يا رسول الله . استشهد أبى وترك عيالا وعليه دين . فقال : « ألا أبشرك بما لقى الله عز وجل أباك ؟ » قلت : بلى يا رسول الله . قال : « إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً - أى مواجهة - وما كلم أحدا قط الا من وراء حجاب ، فقال له : يا عبدى تَمَنَّ أعطك . قال يا رب ، فردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية . فقال الرب - تبارك وتعالى - : إنه قد سبق أنهم إليها لا يرجعون . قال : يا رب فأبلغ من ورائى ، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله** . . . ﴾ الآية . .

وإذا كان الجهاد قد وجب لنشر الدين والدفاع عن حياض الإسلام ، فإن الحاجة إليه اليوم داعية لحفظ كرامة الدين ، والدفاع عن المسلمين المضطهدين فى ربوع العالم ، ت وتظاهر ملل الكفر عليهم . .



(من علامات الإيمان)

الحديث التاسع والثمانون

« أيَّما مُؤمنٍ عَطسَ ثلاثَ عَطَساتٍ مُتَوالياتٍ إلاَّ كانَ الإيمانُ ثابتاً فى قَلْبه »

رواه الديلمى عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام قال : «أخبرنى جبريل عليه السلام عن الله أيما» إلى آخره .

شرح الحديث

العطاس ـ بضم العين المهملة ـ معروف . ومتواليات متتابعات ، والمعنى إذا عطس الإنسان ثلاث عطسات متتابعات لا يفصل بينها فاصل فحمد الله فإن إيمانه يثبت فى قلبه ولا يتزلزل .

والحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس وهو مملوء من الأحاديث الضعيفة والواهية .

وتقدم ذكر ترجمة الديلمى صفحة ٦٠ فارجع إليه .

التعليق

أشار الشارح ضمنا إلى درجة الحديث ـ وإن كان قد ورد فى فضل العطاس أحاديث متعددة منها : ما رواه أبو هريرة عن النبى ـ ﷺ ـ : «العطاس من الله ، والتثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فمه ، وإذا قال : آه فإن الشيطان يضحك من جوفه ، وأن الله ـ عز وجل ـ يحب العطاس ، ويكره

التثاؤب » أخرجه الترمذى وابن السنى فى عمل يوم وليلة عن أبى هريرة ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بالحسن .

وفى صحيح البخارى فى كتاب الأدب ، وفى صحيح مسلم فى كتاب الزهد وفى سنن أبى داود ومسند أحمد وغيرها من كتب الصحاح أحاديث واردة فى العطاس وما يتعلق به من أحكام وآداب . .

ولعل أهم ما فى آداب العطاس ، أن يحمد العاطس ربه ، ويشمته من يسمعه بالدعاء له بالرحمة ، فيدعو العاطس له بالمغفرة . . وفى هذا تواصل اجتماعى لطيف بين المسلمين ، يقوى المودة ، ويذهب العداء ، وينشر الصفاء ، ويؤكد الإخاء .



(رحمة الله سبقت غضبه)

الحديث التسعون

«إِنِّى أَنَا اللهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا سَبَقَتْ رَحْمَتِى غَضَبِى فَمَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وأَنّ مُحمّداً عَبدُه ورَسولهُ فَلَهُ الجَنَّةُ»

رواه الديلمى عن ابن عباس أنه قال : أوّلُ شىءٍ خَطَّه الله فى الكتابِ الأوّل . إلى آخره .

شرح الحديث من النفحات

الرحمة فى الأصل رقة فى القلب تقتضى الإحسان والعطف والحنان على المرحوم فتحركه إلى قضاء حاجته والتلطف به ، وقد يستعمل تارة فى الرقة المجردة وتارة فى الإحسان المجرد عن الرقة نحو رحم الله فلاناً ، فإذا وصف به البارى تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته فلا يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة .

وعلى هذا فإن الرحمة من الله تعالى إنعام وإفضال . ومن الآدميين رقة وتعطف .

فالله سبحانه وتعالى ركز في طبائع الناس الرقة وتفرد بالإحسان ؛ ورحمة الله سبحانه في الدنيا عامة للمؤمنين والكافرين وفي الآخرة مختصة بالمؤمنين . قال الله تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ﴾ [٢٥٩] .

والغضب تكلمت عليه في حديث : « اشتد غضبي على من ظلم . . » فارجع إليه .

والمعنى أن الله سبحانه أخبر أنه الإله المنفرد بالألوهية وقد سبقت رحمته وإحسانه ولطفه وغضبه وانتقامه ممن أساء لنفسه وخالف مولاه وأتبع شيطانه وهواه . وأن من شهد لله جل ذكره بالوحدانية المطلقة ، ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والعبودية له الجنة يدخله الله من أي باب شاء . وهذا مقيد بمن واظب على المأمورات واجتنب المنهيات كما يؤخذ من أدلة أخرى لا تخفى على المطلع . وسند الحديث ـ والله أعلم ـ كسابقه .

التعليق

جاء في تفسير القرطبي : في تفسير سورة العلق : صح عن النبي ـ ﷺ ـ من حديث أبي هريرة قال : لما خلق الله الخق كتب في كتابه ـ فهو عنده فوق العرش : «إن رحمتي تغلب غضبي » .

ولهذا شاهد من القرآن الكريم هو قوله تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ قال القرطبي : هذا عموم لا نهاية له ، أي من دخل فيها لم تعجز عنه ، وقيل : وسعت كل شيء حتى البهيمة لها رحمة وعطف على ولدها .

---

٢٥٩ ـ الأعراف ١٥٦

قال بعض المفسرين : طمع فى هذه الآية كل شىء حتى إبليس ، فقال : أنا شىء ، فقال الله تعالى : ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ﴾

فقالت اليهود و النصارى : نحن متقون ، فقال الله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى . . ﴾ فخرجت الآية عن العموم .

روى حماد بن سلمة فى سند متصل بابن عباس : كتبها الله عز وجل لهذه الأمة .

***

(من مظاهر الرحمة : الحسنة بعشر أمثالها)

الحديث الحادي و التسعون

« الحَسَنَةُ بعَشْرِ أمْثالِها أوْ أزيَدُ والسَّيِّئةُ واحدةٌ أوْ أغْفِرهُا ولَوْ لقِيَنى بقُرابِ الأرْضِ خَطايَا لَمْ يُشْرِكِ بى شَيْئاً لَقيتُه بقُرابها مَغْفِرة »

رواه مسلم . وأبو نعيم عن أبى ذر [259] .

شرح الحديث

تقدم الكلام على بعض معانيه . وقراب بضم القاف ، وحُكِيَ كسرها ، مصدر قارب يقارب ، أى بما يقارب ملأها

والمعنى أن الله تبارك وتعالى يخبرنا بأن الحسنة الواحدة إذا فعلها العبد لا تقل عن ثواب عشرة أمثالها إلى مالا نهاية قدراً وكمية . وإذا فعل السيئة الواحدة لا يزيد عليها عقلها عن حسنة مثلها هذا إذا حاسبه الله عليها وعاقبه . وإذا شاء عز وجل غفر ها له .

---

٢٥٩ ـ الحديث في صحيح مسلم حـ ٤ ص ٢٠٦٨ بلفظ مقارب وبزيادة .
وأخرجه الطيالسي في مسنده بلفظ «قال ربكم ـ عز وجل ـ : الحسنة بعشر والسيئة بواحدة ، وأغفرها ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي لقيته بقراب الأرض مغفرة . ...»
وسيأتي هذا الحديث في الكتاب .

ولو أن العبد لقى الله تعالى ذكره بما يقارب ملء الأرض خطايا وذنوباً ولم يشرك الله تعالى فيها شيء لقيه مولاه وباريه بما يقرب ملأها مغفرة . وهو حث على الإنابة إليه تعالى وعدم القنوط من رحمته والإخلاص فى العبادة لله وحده بدون تشريك فى الأعمال والأفعال والعقائد ، فلا يشرك مع الله غيره . .

نسأل الله السلامة فى ديننا من أن نشرك أحداً مع الله تعالى فى جميع أحوالنا وأطوارنا . . والله أعلم . .



الحديث الثانى والتسعون

«الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ والسَّيِّئَةُ بواحدةٍ أَوْ أَغْفِرُها ولوْ لَقِيَنى بقُرابِ الأرضِ خَطيئةً وَمنْ همَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبت له حَسَنة وَمَنْ هَمَّ بسَيئةٍ فَلمْ يَعْمَلْها لَمْ يُكْتَبُ عَلَيْهَ شئ وَمَنْ تَقرَّبَ منِّى شبراً تَقرَّبْتُ منْهُ ذِراعاً وَمَنْ تَقرَّبَ منى ذِراعاً تَقرَّبتُ مِنهُ باعاً»

رواه الطبرانى عن أبى ذر [٢٦٠]

التعليق

سبق عرض مثل هذين الحديثين ، وهى تشير إلى سعة رحمة الله وعظم عفوه وشدة محبته لعباده ، وهذا يقتضى من العبد أن يستحى من ربه الرحيم الغفور . .

جاء فى بعض كتب التفسير : جاء فى الخبر : «الحسنة بعشر أمثالها وأزيد، والسيئة واحدة وأغفر» وعلق المفسر على ذلك بقوله : فويل لمن غلبت آحاده أعشاره . .

٢٦٠ ـ هذا الحديث أخرجه الطيالسي في مسنده ص ٦٢ / ٤٦٤ وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

الحديث الثالث والتسعون

« الحَسَنَةُ عَشْرٌ وأزيد والسَّيئة واحِدَة وأمحُوها والصَّوْمُ لِي وأنَا أجْزِى بِهِ الصَّوْمُ جُنَّة مِنْ عَذابِ الله كَمِجَنّ السِّلاح منَ السَّيْف »

رواه البغوى عن رجل [٢٦١] .

شرح الحديث

الصوم معناه فى اللغة مطلق الإمساك ، وفى الشرع إمساك مخصوص بأن يكف فمه ودبره عن إيصال شىء إلى الداخل ، وفرجه عن الوصال من طلوع الفجر إلى آذان المغرب .

وقوله : (جنة) بضم الجيم وتشديد النون المفتوحة ما يجنك أى يسترك ويقيك .

والمجن - بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون - الترس . والمعنى أن الصوم لله جل ذكره لأنه لا أحد يطلع عليه إلا الله لأنه عمل مستور ، لذلك أضافه إلى نفسه ولما كان كذلك فإنه جل ذكره يجزى به بنفسه ، وإن كانت باقى الأعمال كذلك إلا أن الله سبحانه يعتنى به زيادة عن غيره من الأعمال ، بدون أن يطلع أحدا على ثوابه ، فإن فيه تهذيب النفس وتشبيهها بالملائكة وهو أعظم رياضة بدنية ومعنوية للإنسان ، ألا فليكثر العاقل منه مع شروطه .

والصوم وقاية للنفس تحفظها من الوقوع فى المكاره ، كما أن الترس يتقى به المحارب سلاح خصمه كالسيف وغيره ، فانظر كيف يبين لنا الشارع المنافع التى

---

٢٦١ ـ هذا الحديث في الإتحافات السنية للمدني برقم ٨٦ ـ هو في كنز العمال حـ ٨ ٢٣٦٢٣ . ورمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بالضعف ، والضعف من جهة الإسناد .

تنقذنا من الآفات وكيف نتقى المعاصى والمخالفات إذا هجمت علينا ، وقائدها إبليس الرجيم والنفس الأمارة بالسوء والهوى المتبع .

نسأل الله أن يلهمنا ما يدفع الشيطان وجنوده بكثرة التعبد والانكباب على الأعمال الصالحة والمشاريع الخيرية .



الحديث الرابع والتسعون

« الصومُ جُنَّةٌ من النار ، ولِىَ الصومُ ، وأنا أجزى به ، يَدَعُ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أَجْلِى ، لخلوف فَمِ الصائمِ أطيبُ عند الله من ريح المسك »

رواه البغوى والطبرانى وعبد الله عن بشير بن الخصاصية [٢٦٢] .



الحديث الخامس والتسعون

« الصومُ جُنَّةٌ يستجن بها عبدى من النار »

رواه الطبرانى فى الكبير ، والبيهقى عن أبى هريرة [٢٦٣] .

---

٢٦٢ ـ جاء هذا في الإتحافات السنية للمدني برقمى ١٢٥ ، ١٢٨ وهو في كنز العمال حـ ٨ ٢٣٦٢٦ ورمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بأنه صحيح لغيره .
وبشير بن الخصاصية هو :
بشير بن يزيد بن معبد بن ضباب بن سبع ، وقيل : بشير بن معبد بن شراحيل ، كان اسمه «زَحْماً» فسماه رسول الله ـ ﷺ ـ : بشيرا . أما «الخصاصية» فهي أمه ، وقيل : جدته .
له عدة أحاديث رواها عن النبي ـ ﷺ ـ راجع ترجمته في أسد الغابة حـ ١ ص ٢٢٩

٢٦٣ ـ أخرجه أحمد في مسنده حـ ٣ ص ٣٩٦ بقريب من لفظه وهو «إنما الصيام جنة يستجن بها العبد من النار ، هو لي وأنا أجزي به » ورواه من حديث جابر ، ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن وهو في كنز العمال حـ ٨ ٢٣٦١١ ، وفي الجامع الصغير حـ ٤ ٤١٨٤ .

الحديث السادس والتسعون

« الصّيامُ جُنة يَستجنُ بها العَبْدُ منَ النّار والصّومُ لى وأنَا أجْزى به يدَعُ طَعامَهُ وشرابَه منْ أجْلي وَالذّى نَفسى بيدِه لَخلوف فَمِ الصّائِم أطْيَبُ عندَ اللهِ منْ ريحِ المِسْك»

رواه الطبرانى فى الكبير عن بشير بن الخصاصية . وأبى هريرة (٢٦٤) .

***

الحديث السابع والتسعون

« الصِّيامُ جُنَّة يَستجِنُ بهَا العَبْدُ مِنَ النَّار وهُوَ لىِ وأنَا أجْزِى بهِ »

رواه أحمد . والبيهقى عن جابر (٢٦٥) .

***

الحديث الثامن والتسعون

« الصِّيام لىِ وأنَا أجْزِى بهِ »

رواه البزار عن أبى هريرة (٢٦٦) .

---

٢٦٤ ـ هو في الإتحافات السنية للمدني . كما سبق أن ذكرنا بلفظ « قال ربكم : الصوم جنة من النار ، ولي الصوم وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، لخلوف في الصائم أطيب عن الله من ريح المسك»
وهو في كتاب جامع الأحاديث القدسية بهذا اللفظ جـ ١ ص ٣١٣ برقم ١٨٨ .
وفي البخاري عن أبي هريرة بلفظ مقارب جـ ٣ ص ٣١ .

٢٦٥ ـ سبق تخريج هذا الحديث وهو بلفظ «إنما الصيام جنة يستجن بها ..» مسند أحمد جـ ٣ ص ٣٩٦ .

٢٦٦ ـ هذا جزء من حديث أخرجه البزار في كشف الأستار جـ ١ ص ٩٦٥ وهو بتمامة عن أبي هريرة :
قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الصيام لي وأنا أجزي به ﴾ ويمحلوف رسول الله ـ ﷺ ـ لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، فأيما امريء منكم أصبح صائما فلا يرفث ولا يجهل ، وإن إنسان قاتله فليقل : إني صائم ، فإن لهم يوم القيامة حوضاً ما يرده غير الصوام»
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٣ ص ١٨٢ ..

شرح الأحاديث

الحديث الأول تقدم الكلام على بعض ألفاظه قريباً فلا حاجة للإعادة . وقوله «ومن هم » تقدم الكلام على الهم فأغنى عن إعادته . وكذلك قوله «ومن تقرب منى شبرا » إلخ سبق ذكره .

وقوله فى الحديث الثانى «لخلوف» الخلوف بفتح الخاء المعجمة وضم اللام تغير رائحة الفم من الصوم .

التعريف بالبغوى

وقوله «رواه البغوى » : فالبغوى هو الإمام الحافظ محيى السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد صاحب المصنفات العظيمة ، منها شرح السنة ، والمصابيح توفى سنة ست عشرة وخمسمائة .

التعليق

تشير هذه الأحاديث إلى فضل الصوم وما يجب أن يكون عليه الصائم من آداب تجعل صومه مقبولاً عند ربه فيجزيه عليه أوفى جزاء .

وهناك أحاديث قدسية رواها بعض الرواة تتحدث عن الآثار الطيبة والدرجات العليا التى أعدها الله للصائم . .

منها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده حـ ٢ ص ٢٩٢ من حديث أبى هريرة : «أعطيت أمتى خمس خصال فى رمضان لم تعطها أمةٌ قبلهم : خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، ويُزَيِّن الله ـ عز وجل ـ كل يوم جنته ثم يقول : يوشك عبادى الصالحون أن يُلقُوا عنهم المئونة والأذى ويصيروا إليك ، ويُصَفَّدُ فيه مَرَدَةُ الشياطين فلا يخلصوا إلى ما كانوا يخلصون إليه فى غيره ، ويغفر لهم فى آخر ليلة .

قيل : يا رسول الله ، أهى ليلة القدر ؟

قال : لا ، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله »

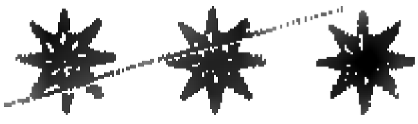
وهذا الحديث ذكره جامع الأحاديث القدسية فى كتابه برقم ١٩٧ وعلق عليه بالضعف ، ولكن ضعفه من جهة الإسناد .

وقد رواه البزار فى مسنده كشف الأستار حـ ١ ص ٩٦٣ ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد حـ ٣ ص ١٤٠ .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب كذلك حـ ٣ ص ١٣٧ . .

ويكفى فى فضل الصائم أن الله لا يرد دعوته ، وقد ورد ذلك فى حديث النبى ـ ﷺ ـ « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يُفْطِر ، وإمامٌ عَدْلٌ ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماواتِ فيقول الرب ـ عز وجل ـ : ﴿وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين﴾

أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه حـ ٣ ١٩٠١ .



(الكبرياء والعظمة لله وحده)

الحديث التاسع والتسعون

« العزُّ إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى منهما شيئا عَذَّبْتُه »

رواه مسلم عن أبى سعيد ، وسمويه عنه ، وعن أبى هريرة معا .

والطبرانى فى الأوسط والصغير عن على [٢٦٧] .

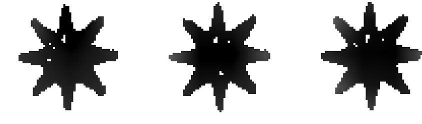
---

٢٦٧ ـ هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٥٥٢
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٦

الحديث المائة

« الكبرياءُ ردائى ، فمن نازعنى ردائى قصمته »

رواه الحاكم عن أبى هريرة [٢٦٨]



الحديث الحادى بعد المائة

« الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحداً منهما قذفتُه فى النار »

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبى هريرة [٢٦٩] .

شرح الأحاديث

العز - بكسر العين المهملة - : ضد الذل ، والعزة : القوة ، وهى حالة مانعة للإنسان من أن يغلب .

والإزار : الثوب الذى يتزر به .

والكبرياء : العظمة والملك . والرداء : الثوب الذى يرتدى به من الحر والبرد .

والقصم : كسر الشىء وإبانته ، والقذف : الرمى بقوة .

---

٢٦٨ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك حـ ١ ص ٦١ ، وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٣٧ ، وفي كنز العمال حـ ٣ ٧٧٤١

٢٦٩ ـ أخرج أبو داود في سننه حـ ٤ ٤٠٩٠ ، وأخرجه أحمد في مسنده في موضعين حـ ٢ ص ٢٤٨ ، حـ ٢ ص٤١٤ .

وهذه الأحاديث كلها صحيحة

وضرب الإزار والرداء مثلا فى انفراده جل ذكره بصفة العظمة والكبرياء والعز والقوة أى ليست كسائر الصفات التى قد يتصف بها الخلق مجازاً كالرحمة والكرم وغيرهما ، شبه ما ذكر بالإزار والرداء لأن المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان ، ولأنه لا يشاركه فى إزاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغى أن يشركه فى هذه الصفات أحد .

والمعنى أن الله عز وجل يخبرنا ويعلمنا أن العز والقوة والكبرياء والعظمة هى مختصة به لله تعالى لا يشاركه فى هذه الصفات أحد من خلقه ولا يليق لا إنس ولا جن لا ملك ولا سلطان ، لا فقير ولا غنى ولا صعلوك كاختصاص أحدكم بردائه وإزاره ، فإنهما يشملانه دون غيره .

وهذا ضرب مثل تقريبى إلى عقول البشر حسب عادتهم وعرفهم ليفهموا ويعقلوا . فمن نازع المولى جل علاه فى شىء من هذه الصفات المختصة به جل وعز قذفه فى ناره ـ وهو قادر على ذلك بدون مانع مطلقاً ـ وعذبه بها وقصمه . وفيه الزجر عن ادعاء العزة والكبرياء والعظمة والقوة لأنها لا يوصف بها فى الحقيقة على الإطلاق غير الخالق البارىء العالم الواجد من العدم وهى دائمة باقية لله سبحانه وتعالى .

(فإن قيل) إن كثيرا من الخلق مؤمنا كان أو كافراً عنده العزة والقوة ولا سيما الكفار فى عصرنا الحاضر ، فالجواب أن هذه القوة والعزة هى سحابة صيف لا تستمر ، وهى فى الحقيقة ذل لهم لأنهم يعملون أعمال البهائم والمتوحشين والجمادات فى النوع الإنسانى ، وما حرب بولندة وأخذها واغتصابها من يد أهلها ببعيد .

فنسأل الله عزة النفس والقوة المثمرة التى تحملنا على المدافعة عن حقوقنا المقدسة ونصر المظلوم والأخذ على يد الظالم بحديد .

التعليـق

تشير هذه الأحاديث إلى فضيلة التواضع التى ينبغى أن يتصف بها العبد لعجزه وافتقاره إلى مولاه القوى الغنى ﴿ يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد ﴾

والتواضـع الحقيقـى ـ هـو ما كان ناشئا عن شهود عظمة الله وتجلى صفته سبحانه ـ كما يقول ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه ـ

قال ذو النون المصرى : من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظم الله فإنها تذوب وتصغر ، ومن نظر إلى سلطان الله ـ تعالى ـ ذهب سلطان نفسه ، لأن النفوس كلها حقيرة عند هيبته ، ومن أشرف التواضع أن لا ينظر إلى نفسه دون الله تعالى .

وقد حذر النبى ـ ﷺ ـ من الكبر ، فقال : « لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » رواه سعيد بن جبير من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ

ومن الطرائف التى تروى فى فضيلة التواضع ورذيلة الكبير . ما قاله مجاهد : لما أغرق الله ـ تعالى ـ قوم نوح شمخت الجبال ، وتواضع الجودى ، فجعله الله ـ تعالى ـ قرارا لسفينة نوح ـ عليه السلام ـ

وقال الفضيل بن عياض : أوحى الله ـ تعالى ـ إلى الجبال أنى مكلم على واحد منكم نبيا ، فتطاولت الجبال « وتواضع طور سيناء فكلم الله ـ تعالى ـ موسى عليه السلام لتواضعه .

الحديث الثانى بعد المائة

« المتحابُّون فى جلالى لهم منابر من نورٍ ، يغبطُهم النبيون والشهداء »

رواه الترمذى عن معاذ [(٢٧٠)] .



الحديث الثالث بعد المائة

« المتحابُّون لجلالى فى ظِلٍّ عرشى يومَ لا ظِلَّ إلا ظلى » .

رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن العرباض بن سادية [(٢٧١)] .

شرح الحديثين

المتحابون المتوادون والتحابب التوادد ، وتحابوا أحب بعضهم بعضا . والجلال التناهى فى عظم القدر ، وخُصَّ بوصف الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ [(٢٧٢)] ـ ولم يستعمل فى غيره .

والمنابر جمع منبر معروف . وقوله (يغبطهم) من الغبطه بكسر أوله وسكون ثانيه ـ يقال غبطت الرجل أغبطه غبطا إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله وأن يدوم عليه ما هو فيه فالغبط حسد خاص مقبول .

والنبيون جمع نبى هو بشر أوحى إليه بشرع يعمل به فإذا أمر بتبليغه فيكون رسولاً أيضا .

---

٢٧٠ ـ أخرجه الترمذي حـ ٤ / ٢٣٩٠ رمز له بالصحة ، وهو في كنز العمال حـ ٩ / ٢٤٦٦٩ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب حـ ٤ ص ٣٤ وجاء في الإتحافات السنية للمدني برقم ٤٠ .

٢٧١ ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده حـ ٤ ص ١٢٨ بلفظ : المتحابون بجلالي .. ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن . وهو في الإتحافات السنية للمدني برقم ٢٤٣ ، وفي الترغيب والترهيب للمنذري حـ ٤ ص ٣٧ .

٢٧٢ ـ الرحمن ٢٧ ، ٧٨ .

والشهداء جمع شهيد وهو فى الأصل من قتل مجاهدا فى سبيل الله ، ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبى ـ ﷺ ـ من المبطون والغريق والحريق وغير ذلك .

والظل الفىء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أى شىء كان ، وقيل : هو مخصوص بما كان منه إلى زوال الشمس وما كان بعده فهو الفىء

والعرش فى الأصل شىء مسقف، وعرش الملك سريره . ويطلق أيضا على معان أخر ، منها عرش البئر طيها بالخشب وعرش السماء والملك والسلطان والعز ، وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمن وإحاطته . والمعنى والله أعلم ـ أن المتحابين فى جلال الله أى المخلصين فى المحبة لله لا لِحَظٍّ دنيوى ولا أخروى .

والمتحابون فى الله على ثلاثة أنواع :

الأول : إما أن يكون الشخصان تحابا فى الله جل علاه مع رجاء حطام فى هذه الدار معنويا كان أو حسيا ، فهذا طالب حاجة وهمته فى دنياه ، فليس له إلا حاجته قضيت أو لم تقض ، كما قال ـ ﷺ ـ : « من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

والثانى : أن يكون صحبته لله مع رجاء حظ أخروى حساً كان أو معنى ، فهذا أيضا طالب حاجة لكن نفسه أرفع من الأول وهو الأكثر عند المنتسبين للخير ـ فله حاجته قضيت أو لم تقض .

والثالث : الذى تكون صحبته لله ليس إلا ، فهذا الذى يصدق عليه اسم المتحابين فى الله على حقيقة اللفظ .

وإذا كان كذلك لا يغيره من أخيه شىء يصدر له منه . وإذا كان على غير هذا الوجه قلما يثبت عند الامتحان ، فإذا كانت نية أحدهما لله ونية الآخر لغير ذلك فلكل امرىء ما نوى .

فإذا كان ذلك كذلك فينصب لهم يوم القيامة منابر من نور يقفون عليها فينظر إليهم أهل الموقف فيغبطهم على مقامهم هذا الأنبياءُ والشهداءُ . ويكونوا فى ظل عرش الرب تبارك وتعالى يوم لا ظل يقى الإنسان من السوء إلا ظل المولى جل جلاله - فهذا مما نؤمن به ونصدق بالأخبار الواردة فيه والكيفية لا مجال للعقل فيها .

فإن قيل : إن الظلالَ كُلَّها لله سبحانه وتعالى ملْكٌ فى الدنيا والآخرة فما الحكمة فى الإخبار بهذه الصيغة هنا ؟ فالجواب أن ظلاَل الدنيا وإن كانت له جل جلاله فمنها ما قد جعلها عز وجل ملكا للعبيد تملكوها بحسب ما شرع لهم ذلك ، لا يتصرف فيها أحد إلا برضاهم حكم منه لذلك مثل ظلال الحدائق الممتلكة ، وظلال الله عز وجل لم يجعل لأحد عليها ملكا فمن احتاج إلى شىء منها أخذها دون عتب له على ذلك مثل الظلال التى فى القفر أو التى قد خرج أصحابها عنها لله عز وجل وسبلوها له . وظلال الآخرة ما فيها مباح بل كلها قد تملكت بالأعمال والله أعلم .



الحديث الرابع بعد المائة

«حَقَّتْ محبتى للمُتَحابين فىَّ وَحقَّتْ مَحبَّتى للمُتواصلينَ فىَّ وَحقَّتْ محبَّتى للمُتَناصحينَ فىَّ وَحقَّتْ محبَّتى للمُتزاوَرينَ فىَّ وَحقَّتْ محبَّتى للمتباذلينَ فىَّ . المتحابُّونَ فىَّ عَلَى منابِرَ مِنْ نورٍ يَغْبطُهمْ بمكانِهمْ النَّبيُّونَ والصِّديقونَ والشُّهَداءُ» .

رواه أحمد . وابن حبان . والحاكم . والقضاعى عن عبادة بن الصامت [٢٧٣]

---

٢٧٣ - أخرجه أحمد في مسنده جـ٥ صـ٢٣٩ - بلفظ ، حقت محبتي للمتحابين في ، وحقت محبتي للمتزاورين في ، وحقت محبتي للمتباذلين في ، وحقت محبتي للمتواصلين في ،
وفي جـ٥ ص ٢٣٦ بإضافة الجزء المتبقي من الحديث .
وذكر في ذلك الحديث قصة .. سنذكرها في التعليق .

شرح الحديث

حقت وجبت . والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرا أو تعظم فى القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه . وقد عرفها القوم وأهل التحقيق وعبروا عنها بعبارات كثيرة ، كل واحد نطق بحسب ذوقه وانفسح بمقدار شوقه .

وهى من الأمور الوجدانية الذوقية التى إنما تعلم بآثارها وعلاماتها ، فكل من أدرك بعض علاماتها عبر بحسب ما أدركه وهى وراء ذلك كله .

والمتحابون تقدم الكلام عليه ، والمتواصلون جمع متواصل ، وهو من كان بينك وبينه مواصلة ووصلة . والوصل ضد الهجران . يقال وصلت الشىء بغيره وصلا فاتصل به ، ووصلته وصلا وصِلَة ضد هجرته .

والمتناصحون جمع متناصح ، يقال : انتصح فلان قبل النصيحة ، وانتصحنى فانى لك ناصح ، وتنصح تشبه بالنصاح واستنصحه عده نصيحا .

والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هى إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحد تجمع معناه غيرها .

وأصل النصح فى اللغة الخلوص ، يقال نصحته ونصحت له .

والمتزاورون جمع متزاور . وتزاور القوم زار بعضهم بعضاً . واستزاره سأله أن يزروه .

والمتباذلون جمع متباذل بذل الشىء أعطاه وجاد به عن طيب نفس ، أى الذين يجود أحدهم بمال أو غيره لأخيه فى الله والآخر كذلك .

وقوله : «يغبطهم» تقدم الكلام عليه ، وقوله « النبيون والصديقون والشهداء » قد ذكر قريبا فارجع اليه فلا حاجة إلى الإعادة ، وتراجم رواة الحديث تقدم الكلام عليها كل راو فى محله والله أعلم .

والمعنى أن الله تبارك اسمه وتعاظمت صفاته أخبرنا أن محبته قد وجبت لأنواع خمسة . الأول المتحابون فى الله عز وجل يعنى أن أحدهم أحب الآخر لوجه الله جل

وعلا ، لا لعلة دنيوية ولا منفعة عظيمة أخروية ، والمحبة تنقسم بحسب ثمرتها وآثارها الى قسمين : مشتركة ، وخاصة .

فالمشتركة ثلاثة أنواع : أحدها محبة طبيعية مشتركة كمحبة الجائع للطعام ، والظمآن للماء وغير ذلك ، وهذا لا تستلزم التعظيم .

والنوع الثانى محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل ونحوها وهذه أيضا لا تستلزم التعظيم .

والنوع الثالث محبة أنس وإلف وهى محبة المشتركين فى صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر بعضهم بعضا ، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً ، فهذه الأنواع الثلاثة هى المحبة التى تصلح للخلق بعضهم من بعض ، ووجودها فيهم لا يكون شركا فى محبة الله سبحانه وتعالى ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل ، وكان أحب الشراب اليه الحلو البارد ، وكان أحب اللحم اليه الذراع ، وكان يحب نساءه ، وكان يحب أصحابه وأحبهم اليه الصديق .

وأما المحبة الخاصة التى لا تصلح إلا لله وحده ومتى حب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله فهى محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره ، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا ، وهى التى سَوَّى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها كما قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾[٢٧٤] .

الثانى : المتواصلون فى الله عز وجل أى وصل بعضهم بعضا ولم ينقطع عن أخيه فى الله ولم يهجره ، وهذا يصدق بأن أحسن اليه ومنحه صلته وبره ، واستمر على مواصلته قاصدا بذلك وجه الله سبحانه وتعالى ، أو وصله بمودته ومحبته والتقرب اليه بمحاسن كلامه وطرائف أحاديثه ، واستمر على ذلك ولم يهجره ويقطعه ويقصد فى ذلك كله وجه الله ورضاه .

---

٢٧٤ ـ البقرة ١٦٥

الثالث : المتناصحون فى الله جل جلاله بأن ينصح أحدهم الآخر فى شخصه وماله وولده وأقاربه ، ويتحرى ذلك بفعل أو قول فيه صلاح صاحبه .

والنصيحة من أهم أمور الدين وأعظمه وبها يقوم اعوجاج الخلق وتصلح حالهم، لأن المؤمن للمؤمن كالمرآة يرى عيوبه ويكشفها ، فعليه أن ينصحه ويبذل جهده فى نصيحته وإن كانت ثقيلة على المنصوح أحيانا قال الله تعالى ﴿ **لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** ﴾[٢٧٥] وهى واجبة على كل مسلم لكل مسلم قال النبى ﷺ : « الدين النصيحة الدين النصيحة . قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم .

وروى البخارى ومسلم عن جرير بن عبد الله قال : «بايعت النبى ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم »

وقال النبى ﷺ : «حق المؤمن على المؤمن ست فذكر منها ـ وإذا استنصحك فانصح له » وأفضل النصيحة ما كانت سرا وقصد بها وجه الله » .

النوع الرابع : المتزاورون فى الله عز وجل أى الذين يزورون الناس والناس يزورونهم فى بيوتهم ، أو فى مجتمعاتهم المشروعة ، أو مكان عملهم سواء كان قريبا أو بعيدا ذا رحم أو صاحب وصديق لا يقصدون بذلك إلا التقرب إلى الله جل ذكره ، والزلفى إليه .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل الزيارة وما للزائر من الخير العظيم ، روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن رجلا زار أخاً له فى قرية فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال أريد خالى فى هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا غير أنى أحببته فى الله قال : فإنى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » .

---

٢٧٥ ـ الأعراف ٧٩

وروى البزار أبو يعلى بإسناد جيد عن أنـــس رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال «ما من عبد أتى أخاه يزوره فى الله إلا ناداه من السـماء أن طبت وطابت لك الجنة ، وإلا قال الله فى ملكوت عرشه عبدى زارنى وعلى قراه فلم يرض له بثواب دون الجنة » فهؤلاء وجبت لهم محبة الله عز وجل والمحب مع من أحب يوم القيامة نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يهدينا طريقهم .

النوع الخامس : المتباذلون فى الله أى من بذل ماله وجاهه وما يقدر عليه وأعطاه وسمح به لأخيه المؤمن المستحق عن طيب نفس ابتغاء مرضاة الله ولم يقصد بذلك سوى وجه الله تبارك وتعالى .

قال الباجى : أى الذين يبذلون أنفسهم فى مرضاته من الإنفاق على جهاد عدوه وغير ذلك مما أمروا به والله أعلم .

والحديث رواه أيضا مالك فى الموطأ مطولا .

***

الحديث الخامس بعد المائة

« حقَّتْ محبَّتِى للمُتحَابِّينَ فِىَّ ، وأظِلُّهمْ فى ظِلِّ العَرْشِ يومَ القيامِة يومْ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلِّى »

رواه ابن أبى الدنيا عن عبادة بن الصامت (٢٧٦)

***

---

٢٧٦ ـ أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادته علي مسند أحمد جـ٥ صـ٣٢٨ .
ولفظه « حقت محبتي علي المتزاورين في ، وحقت محبتي علي المتباذلين في ، علي منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون » .
ومثله بلفظ مقارب في كنز العمال جـ٩ ٢٤٦٧١

الحديث السادس بعد المائة

«حَقَّتْ مَحَبَّتى للّذينَ يَتَصادَقونَ منْ أجْلى وَحقتْ محَبّتى للذينَ يَتنَاصرونَ مِنْ أجْلى ولا منْ مُؤمنٍ ولا مؤمنة يُقَدِّمُ لله ثَلاثَة أوْلاد منْ صُلْبهِ لمْ يَبْلُغوا الحِنْثَ إلاّ أدْخَلَهُ الله الجنَّةَ بفَضْلِ رَحْمَتهِ إيَّاهم»

رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن عمرو بن عنبسة (٢٧٧)

شرح الحديثين

الحديث الأول تقدم الكلام عليه غير مرة فلا حاجة للتكرار .

وقوله فى الحديث الثانى « حقت محبتى للذين يتصادقون من أجلى » فحقت وجبت ، المحبة تقدم الكلام عليها قريبا ، والذين تصادقوا أى صادق بعضهم بعضا لله لا لأمر دنيوى ولا لغرض أخروى .

والصدق ضد الكذب يقال : صدق فى الحديث يصدق - بالضم - صدقا ، وصدقه الحديث وتصادقا فى الحديث وفى المودة ، والمصدق الذى يصدقك فى حديثك ، والصداقة والمصادقة الخالصة والمتناصرون الذين ينصر بعضهم بعضا ، وتناصروا ، يقال : تناصر القوم نصر بعضهم بعضا واستنصره على عدوه سأله أن ينصره عليه . والنصر العون ، والصلب الظهر ، والحنث الإثم والذنب .

والمعنى أن الله جل ثناؤه أخبر أن محبته وجبت للمتحابين فيه « ويظلهم ويقيهم من هول يوم القيامة وشدة حره وعذابة فى ظل العرش ، يوم لا ظل يقى الناس من

٢٧٧ ـ أخرجه أحمد في مسنده جـ٤ صـ٣٨٦ . بلفظ « حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتصافون من أجلي وحقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي »
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن .
ولم يوجد عجز الحديث في جامع الأحاديث القدسية .

شدة ذلك اليوم إلا ظله ، وقد تقدم الكلام على المحبة تفصيلا غير مرة فارجع اليه ، ووجبت محبة الله أيضا لمن تصادق مع أخيه لله ومن أجله جل جلاله . ووجبت محبته تعالى للمتناصرين من أجله . وإن المؤمن أو المؤمنة إذا قدم لله ثلاثة أولاد من صلبه أى أولاد حقيقة لهم لا أنهم ربوهم صغارا وجعلوهم أبناء لهم حسب التربية ، وهل يدخل فى ذلك أولاد الأولاد ؟ فيه خلاف ، ويخرج بهذا القيد أولاد البنات قولا واحدا ، وهؤلاء الأولاد صغار لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجرى عليهم القلم فيكتب عليهم الحنث والإثم والذنب إلا أدخلهم الله جل ذكره الجنة بفضل رحمته إياهم لا بفضل صبرهم وشكرهم لأن الذى وفقهم للصبر والشكر هو الله سبحانه وتعالى والله عدل ذو رحمة واسعة وكرم متناه ، وقد ورد فى حديث آخر أن من فقد له ولدان أيضا له الجنة .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد رضى الله عنه « إن النساء قلن للنبى ﷺ ، اجعل لنا يوما فوعظهن فقال : « أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابا من النار ، قالت امرأة : واثنان قال : واثنان » وفى رواية للنسائى : إن رسول ﷺ قال : « من احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة فقامت امرأة فقالت : أو اثنان فقال ، أو اثنان ، قالت امرأة : يا ليتنى قلت واحداً » والله أعلم .

***

الحديث السابع بعد المائة

« وَجبَتْ مَحبَّتى لِلَّذينَ يَتلاقُونَ فِىَّ »

رواه الطبرانى فى الكبير عن عبادة بن الصامت(٢٧٨)

***

---

٢٧٨ ـ أخرجه أحمد في المسند جـ٥ ص٢٤٧ بلفظ ، وجبت محبتي للذين يتحابون في ويتجالسون في ويتبادلون في ،
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .
ورواه عن عبادة في المسند جـ٥ صـ٢٣٩ بلفظ ، حقت محبتي للمتحابين في ... ، وقد سبق ..
وهو بلفظ مقارب في الطبراني ، وهو في الاتحافات للمدني برقم ٤٩

الحديث الثامن بعد المائة

« وَجبَتْ مَحبتى لِلمُتَحابِّينَ فِىَّ والمُتجالِسينَ فِىَّ وَالمُتَبَاذلِينَ فِىَّ والمُتزَاورينَ فِىَّ »

رواه أحمد . والحاكم . والطبرانى فى الكبير . وابن حبان ، والبيـــهقى عن معاذ (٢٧٩)

تعليق على هذه الأحاديث

تشير هذه الأحاديث إلى فضل الأخوة فى الله ، وإلى أثرها الاجتماعى والمعنوى الطيب ، وقد اعتنى النبى ـ ﷺ ـ بها وآخى بين أصحابه ، آخى بين المهاجرين والمهاجرين ، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار ، وقال : تآخوا فى الله اثنين اثنين . . وكان الأخ يخلص الود لأخيه ويؤثره على نفسه وأهله وولده .

ومن أمثلة هذا الإيثار ما يحدث به الرواة عن النبى ـ ﷺ ـ آخى بين عبد الرحمن بن عوف المهاجرى وسعد بن الربيع الأنصارى ، فانطلـق سعـــد بعبد الرحمن إلى منزله ، فدعا بطعام فأكلا ، ثم قال له سعد : إن لى حديقتين ، فأخذ إحداهما . . وإن لى زوجتين وأنت لا زوجة لك ، فأنزل لك عن إحدى زوجتى ـ يعنى أطلقها ، فإذا وفت عدتها زوجتها لك . .

فقال له عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلّنى على السوق . . فانطلق الى السوق فاشترى وباع حتى أصبح من كبار الأثرياء . .

وقد اعتنى العارفون بأمر الأخوة واعتبروها مبدأ الطريق الموصل إلى الله وقال فى

---

٢٧٩ ـ أخرجه الطبراني في الكبير جـ٢٠ / ١٥٤ .
بلفظ « حقت محبتي للمتحابين في ، وحقت للمتجالسين في ، وحقت محبتي للمتزاورين في » .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .
وضعفه من جهة الإسناد .
وهذان الحديثان رقمهما في إتحافات المذاري الثامن والخمسون بعد المائة والتاسع والخمسون بعد المائة ، وقد قدمناهم لمناسبتهما لما قبلهما .

ذلك العارف بالله الشيخ حسن رضوان فى كتابه « روض القلوب المستطاب »

وكثرة الإخوان شرعا تندب — لما لها من كل خير يطلب
فكل مؤمن له شفاعة — مطلوبة في هول أمر الساعة
ومن علي صدق اشتياقه نظر — إلي أخيه نظرة فاق البشر
وكان مثل من بصدقه اعتكف — عاما بمسجد النبي ذي الشرف

ومن أقاصيص السلف فى فى فضل الأخوة والعناية بها ما جاء فى مناسبة الأحاديث التى ذكرها المؤلف ، روى مالك بن أنس عن أبى حازم بن دينار عن أبى إدريس الخولانى قال : دخلت مسجد دمشق ، فإذا فتى شاب براق الثنايا ، وإذا الناس معه إذا اختلفوا فى شيء أسندوا إليه ، وصدروا عن قوله ، فسألت عنه فقيل : هذا معاذ بن جبل .

فلما كان الغد هَجَّرْتُ فوجدته قد سبقنى بالتهجير ، ووجدته يصلى ، قال : فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إنى لأحبك لله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، قال : فأخذ بحبوة ردائى ، فجذبنى إليه ، وقال : أبشر ، فإنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « قال الله تبارك وتعالى : ـ (وجبت محبتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى ، والمتزاورين ، والمتباذلين فى) [٢٨٠]

ـ جامع الأحاديث القدسية جـ٣ صـ٢٧



٢٨٠ ـ شرح الغريب في هذا الحديث :
براق الثنايا : الثنايا جمع ثنية وهي من السن في مقدمة الأسنان ، ويقصد بهذا التعبير أنه حسن الثغر .
آلله : بهمزة الاستفهام الممدودة ، ويقصد بذلك القسم بالله .
أسندوا إليه : رجعوا إليه عند اختلافهم .
التهجير : التبكير . وهجرت أي بكَّرْت .
حبوة ردائي : الحبوة نوع من الجلوس ، يجلس الرجل علي أليتيه ويضم فخذيه وساقيه إلي بطنه بذراعيه ، وقد يحتبي بثوبه .
فالجزء الذي يلي ساقيه من الثوب هو موضع الحبوة .

(رحمة الله بعباده)

الحديث التاسع بعد المائة

« حَسَنَةُ ابنِ آدمُ عشرَ وَأزِيدهُ ، والسيّئةُ واحِدَةَ وأغفرهَا »

رواه أبو نعيم عن أبى ذر[٢٨١]

***

الحديث العاشر بعد المائة

« خَلقْتُ بضْعَ عشْرةَ وَثلثَمائَة خُلُقٍ ، مَنْ جاءَ بخُلُقٍ منْها مَعَ شَهَادةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله دخَلَ الجَنَّة »

رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس .

***

الحديث الحادي بعد المائة

« سَبقَتْ رَحْمَتى غَضَبى »

رواه مسلم عن أبى هريرة

***

شرح الحديثين

تقدم الكلام على الحديث الأول غير مرة ، وقوله « أو أزيد » على صيغة

---

٢٨١ ـ أخرجه الطيالسي في مسنده صـ٦٢ / ٤٦٤ بأزيد من هذا .
وأخرجه مسلم جـ٤ ص ٢٠٦٨ ، بأوسع من هذا أيضا
وأخرجه أحمد جـ٥ صـ١٥٥ بلفظ « الحسنة عشر أو أزيد ، والسيئة واحدة أو أغفرها ، فمن لقيني لا يشرك بي شيئا بقراب الأرض خطيئة جعلت له مثلها مغفرة »
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن .

المتكلم ، ويصح أن يكون على صيغة التفضيل إلا أن قوله بعد « وأغفرها » يبعده ، والحديث الثانى تقدم ذكر مثله وتكلمت على الخلق وما جاء فى مدحه والحديث الثالث تقدم الكلام على مثله فارجع اليه .

وقوله فى الحديث الثانى « بضع عشرة » البضع ـ بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون الضاد المعجمة ـ ما بين الثلاث الى التسع .

وروى الحكيم الترمذى فى كتابه ـ سلوة العارفين وبستان الموحدين ـ عن عبد الله بن راشد قال : حدثنى مولاى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن لله مائة وسبعة عشر خلقا من أتى بواحدة منهن دخل الجنة » وعن مروان يقول : سمعت عثمان بن عفان يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن لله تعالى مائة وسبعة عشر خلقا من جاء بخلق منها دخل الجنة بغير حساب » فقلنا : بينها لنا قال : كظم الغيظ ، والعفو عند المقدرة ، والصلة عند القطيعة ، والحلم عند السفه ، والوقار عند الطيش ، ووفاء الحق عند الجحود ، والإطعام عند الجوع ، والعطية عند المنع ، والإصلاح عند الفساد ، والتجاوز عن المسىء ، والعطف على الظالم ، وقبول المعذرة ، والإنابة للحق ، والتجافى عن دار الغرور ، وترك التمادى فى الباطل . ألا وليس فى أخلاق الله شىء أحب اليه من الجود والكرم فإذا أراد الله بعبد خيراً وفقه لأخلاقه فتخلق بها وإذا أراد الله بعبد شراً خلى بينه وبين أخلاق ابليس ، وإن من أخلاق ابليس أن يغضب فلا يرضى ، وان يسمع فيحقد ، وشراهية النفس وهنتها ، وأخذ ما ليس لها ونزقها الى اللهو والباطل .

قال أبو عبد الله فالأخلاق موضوعة فى الطبع ومعقلها فى الصدر ، والأخلاق منها ما هو جبلى تفضل الله بها على عبيده على قدر منازلهم عنده فمنح أنبياءه منها فمنهم من أعطاه منها خمسا . ومنها من أعطاه منها عشرا أو عشرين وأكثر من ذلك وأقل ، فمن زاده منها ظهر حسن معاملته ربه وحسن معاملته خلقه على قدر تلك الأخلاق ، ومن نقصه منها ظهر عليه ذلك ، ولهذا ورد فى الحديث الذى رواه مالك فى الموطأ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

فأخبرنا بقوله هذا أن الرسل قد مضت ولم تتمم هذه الأخلاق كأنه بقيت عليهم من هذا العدد بقية فأمر أن يتممها ، فأعلمنا في قوله هذا إن تلك الأخلاق التي كانت في الرسل فيه ثم هو مبعوث لإتمام ما بقي منها ليقدم على الله جل ذكره بجميع أخلاقه التي ذكرها فلا يجوز لنا أن نتوهم عليه أنه بعث لأمر فقدم على ربه وهو غير متمم له ومنها ما يكون بطرق الكسب والتعود وتكلف النفس وبعثها على ذلك حتى تعتاد نفسه ذلك ومن كان هذا حاله كان تخلقه طهارة لصدره وقلبه من دنس الخلق السيء الذي هو ضد هذا الخلق فإذا تطهر من سيء الأخلاق لتخلقه بمحاسن الأخلاق بجهد وكد شكر الله له ذلك وأدخله الجنة برحمته وعفوه .

التعليق

لا شك أن ـ الله ـ تعالى ـ يحب من عبده أن يكون حسن الخلق ، وقد رغب النبي ـ ﷺ ـ في حسن الخلق حيث قال : « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء » رواه الترمذي وابن حبان .

وقال ـ ﷺ ـ : ـ « إن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : ـ قال : سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟

فقال : « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟

فقال : « الفم والفرج » رواه الترمذي وابن حبان .

وقد كان النبي ـ ﷺ ـ قدوة طيبة كاملة في حسن الخلق ، ولذلك امتدحه ربه ـ تعالى ـ بقوله ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ودعا العباد جميعا إلى التأسي بأخلاقه ـ ﷺ ـ فقال لهم ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾ .

وإن أصحاب الأخلاق الحسنة هم أقرب الناس منازل من النبى - ﷺ - وفى ذلك يقول (**إن أقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الذين يألفون ويؤلفون**) - رواه الطبراني فى الصغير والأوسط . .

والأخلاق الفاضلة هى عماد نهضة الأمم قال أمير الشعراء شوقى : -

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال :

وليس بعامر بنيان قوم ... إذا أخلاقهم كانت خرابا

وقال غيره :

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا ... فليس وراءها للعز ركن

***

(من مخاطر النظر إلى الحرام)

الحديث الثاني عشر بعد المائة

« النَّظْرَةُ سَهم منْ سهامِ إبْليسَ مَنْ تركها مِنْ مَخافَتى أبْدلْتُه إيماناً يَجِدُ حَلاوتهُ فى قَلْبِهِ »

رواه الطبرانى والحاكم عن ابن مسعود [(٢٨٢)] .

شرح الحديث

النظرة - بفتح أوله وسكون ثانيه من النظر للمرأة - والنظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص ، وهو الروية ، يقال نظرت فلم تنظر أى لم تتأمل ولم ترو .

---

٢٨٢ - أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٤ صـ٣١٣ ، وهو في الترغيب والترهيب للمنذري بلفظ « **النظرة سهم مسموم من سهام إبليس** ... » ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف ، والضعف بسبب الإسناد .

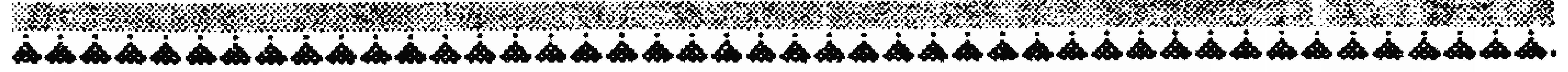
والسهم واحد النبل وهو مركب النصل أو ما يرمى به وما يضرب به من القداح ونحوه ، والجمع أسهم وسهام ، زاد الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب فى هذا الحديث « سهم مسموم » الخ وقال فى آخره رواه الطبرانى . والحاكم من حديث حذيفة وقال : صحيح الإسناد : وقال الحافظ خرجاه من رواية عبد الرحمن بن اسحق الواسطى ، وهو واه ، انتهى .

والمعنى أن الله تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا أن النظرة الواحدة من الإنسان إلى المرأة الأجنبية أو الصبى الأمرد للتلذذ والاستمتاع أو إلى أموال الناس شرها وبغضا وحسدا سهم مسموم من سهام إبليس اللعين يسلط على العبد فيصيب به قلب المؤمن فيصليه نار المعصية والمخالفة ويبعده عن الله جل ذكره ، فمن جاهد نفسه وترك هذه النظرة مخافة الله عز وجل فإن الله سيبدله إيمانا ويقينا يجد حلاوته فى قلبه ، فليختر الانسان بين مطاوعته نفسه وإعطائها حظها فيتعرض لسموم إبليس وجنوده ، وبين أن يكف نفسه وهواه فلا ينظر إلى ما تقدم ذكره فيستجلب رضا الرحمن ويتعرض لثوابه واللذة القلبية الإيمانية التى حلت فى قلبه إعراضا عن المعصية وعدم التفات إلى ما ترغب فيه النفس .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى هذا الباب تحث الانسان فى أن يغض طرفه عن النظر إلى ما لا يحل ، فمن ذلك ما روى عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : « **ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه** » رواه أحمد والطبرانى الا أنه قال :

« **ينظر إلى امرأة أول رمقة** » والبيهقى ، وقال : إنما أراد إن صح - والله أعلم - أن يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره عنها تورعا .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال له « **يا على إن لك كنزا فى الجنة وإنك ذو قرنيها ، فلا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة** » . رواه الإمام أحمد



وقوله « ذو قرنيها » أى ذو قرنى هذه الأمة وذاك لأنه كان له شجتان فى قرنى رأسه إحداهما من ابن ملجم لعنه الله ، والأخرى من عمرو بن ود ، والله أعلم .



(الاستسلام لقضاء الله)

الحديث الثالث عشر بعد المائة

« بسمِ الله الرَّحمن الرحّيم إنَّ مَن استَسْلمَ لقضَائى وَرضىَ بحكْمى وصبرَ عَلى بَلائِى بعثْتُه يوْمَ القِيامة مِعَ الصِّديقينَ »

رواه الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما « أنَّه قالَ إنْ أوّلَ شىْء كَتَبه الله فى اللَّوح المَحفوظ بِسْمِ اللهِ » إلى آخره (٢٨٣) .

شرح الحديث

الاستسلام الإذعان والانقياد والقضاء ـ كما قال الراغب : فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا وكل واحد منهما على وجهين : إلهى وبشرى ، فمن القول الإلهى قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا أياه ﴾ (٢٨٤) أى أمر بذلك ، وقال تعالى : ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب ﴾ (٢٨٥) فهذا قضاء بالإعلام والفصل فى الحكم أى أعلمناهم وأوحينا اليهم وحيا جزما ، وعلى هذا ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع ﴾ ومن الفعل الإلهى قوله : ﴿ والله يقضى

---

٢٨٣ ـ جاء في الإتحافات السنية للمدني برقم ٤٦٧ مثله ولفظه « إن أول شيء كتبه الله تبارك و ـ تعالي ـ في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا شريك لي ، أنه من استسلم لقضائي وصبر علي بلائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين يوم القيامة »

وهو في كنز العمال جـ٣ ٨٦٥٩ .

ورمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا .

٢٨٤ ـ الإسراء ٢٣

٢٨٥ ـ الإسراء ٤

بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء ﴾(٢٨٦) وقوله : **﴿ فقضاهن سبع سموات فى يومين ﴾**(٢٨٧) إشارة إلى إيجاده الإبداعى والفراغ منه .

ومن القول البشرى نحو قضى الحاكم بكذا فإن حكم الحاكم يكون بالقول ، ومن الفعل البشرى **﴿ فإذا قضيتم مناسككم ﴾**(٢٨٨) و**﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ﴾**(٢٨٩) .

وقال صاحب النهاية : أصل القضاء القطع والفصل يقال : قضى يقضى قضاء فهو قاض : أى حكم وفصل ، وقضاء الشىء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق .

وقال الأزهرى : القضاء فى اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع ، الشىء وتمامه ولك ما أحكم عمله أو أتم أو أدى أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى ، والحكم بالشىء أن تقضى بأنه كذا أو ليس بكذا سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه ، والصبر والبلاء تقدم تعريفهما .

والقيامة عبارة عن قيام الساعة المذكورة فى قوله تعالى : **﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾**(٢٩٠) **﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾**(٢٩١) والقيامة أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة أدخل فيها الهاء تنبيها على وقوعها دفعة .

وقوله « الصديقين » جمع صديق وهو من كثر منه الصدق ، وقيل : بل يقال لمن لا يكذب قط ، وقيل بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق وقيل : بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله .

---

٢٨٦ ـ غافر ٢٠
٢٨٧ ـ فصلت ١٢
٢٨٨ ـ البقرة ٢٠٠
٢٨٩ ـ الحج ٢٩
٢٩٠ ـ الروم ٥٥
٢٩١ ـ المطففون ٦

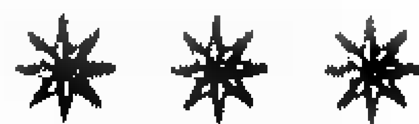
والمعنى أن من استسلم وانقاد وأذعن لقضاء الله جل ذكره ورضي بحكمه وصبر على ما ابتلاه الله به من البلايا والمصائب ولم يقل ما يغضب البارى تعالى ، بل قابل ذلك بالحمد والشكر بعثه الله يوم القيامة - يوم العرض على رب الأرباب يوم يعض الكافر على يديه ويقول يا ليتنى كنت ترابا ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ، يوم حشر الأشباح مع الأرواح يوم المحاسبة والمجازاة - مع الصديقين الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا ما أمروا به حقا واتبعوا سنن المصطفى ﷺ وصدقوا بما جاء به الشرع المنيف دين الاسلام .

اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين .

التعليق

فى حكمه لطيفة من حكم ابن عطاء الله السكندرى يشير إلى أن الرضا بالقضاء والتفويض لأمر الله أساس النجاح والنجاة ، يقول : « **لا تستغرب وقوع الأكدار مادمت فى هذه الدار ، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها** » وإذا تمثل الإنسان هذه الحكمة انشرح صدره ، واطمأن قلبه ، وأدرك مفهوم وصية النبى - ﷺ - لابن عباس : « **إن استطعت أن تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل وإن لم تستطع فاصبر ، فإن فى الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا . .** » قال على ابن أبى طالب كرم الله وجهه : الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو ، وفى بعض الأخبار : انتظار الفرج بالصبر عبادة . . .

ومن أجمل الدعاء فى ساعات الشدة دعاء مؤمن آل فرعون حيث قال وقدأجمعوا على قتله والتخلص منه « **فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد** » فماذا كان ؟ كان ما أخبر الله - تعالى - عنه ﴿ **فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب** ﴾ - غافر ٤٤ ، ٤٥



(من أسباب دفع البلاء)

الحديث الرابع عشر بعد المائة

« تَعْجِزُ يَا ابْنَ آدمَ أنْ تُصلِّى أوَّلَ النَّهارِ أرْبعَ ركَعاتٍ أكْفِكَ آخِرَ يوْمِك »

رواه البغوى عن أبى مرة الطائفى[٢٩٢] .

شرح الحديث

العجز - بفتح العين المهملة وسكون الجيم - نقيض الحزم يقال عجز عن الأمر يعجز - بكسر الجيم - وعجز عجزاً فيهما ، والعجز الضعف وصار فى التعارف اسما للقصور وهو ضد القدرة .

والمراد بالصلاة أول النهار صلاة النفل . وقيل صلاة الفجر وسنته وهو بعيد ، وفيه الحث على الصلاة النافلة قبل الظهر فانها تكفى الإنسان دفع ما يعرض له باقى اليوم مما يضر الانسان ويؤذيه آخر يومه ذلك وقد تقدم الحديث فى أول الكتاب .

تعليق

جاء فيما تقدم عدة أحاديث فى هذا الموضوع ، وقد سبق التعليق عليها فارجع إليه .



٢٩٢ - أخرجه أحمد في مسنده جـ٥ صـ ٢٨٧ بلفظ ، قال الله عز وجل : « ابن آدم صل لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » ورمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بالصحة

الحديث الخامس عشر بعد المائة

« تَوَسَّعْتُ على عبادى بثلاثِ خصال : بعثتُ الدابَّة على القمح والشعير ولولا ذلك لكنزهمَا الناس ، وتغييرَ الجسد بعد الموت ولولا ذلك لما دفن حميمٌ حميمه ، وسلبت حزن الحزين وإلاَّ ما كان يسلو »

رواه ابن عساكر عن زيد بن أرقم [٢٩٣]

شرح الحديث

التوسيع خلاف التضييق ، والخصال جمع خصلة ، أى حالة ، والبعث والابتعاث بمعنى الإرسال .

والدابة كل ما يدب على الأرض من الحيوان ، والمراد به هنا السوس فى الحب فلا يكاد يخلص منه ، والقمح والشعير معروفان ، والكنز فى الأصل المال المدفون تحت الأرض ، والمراد به هنا الجمع والادخار ، والتغيير والتبديل من حالة إلى أخرى .

والحميم القريب الذى يهتم لأمرك .

والسلب نزع الشىء من الغير على القهر .

---

٢٩٣ ـ في الإتحافات السنية للمدني برقم ٢٠٥ ، ولفظه ، يقول الله تعالي : **« إني تفضلت علي عبادي بثلاث : ألقيت الدابة علي الحبة ولولا ذلك لكنزها الملوك كما يكنزون الذهب والفضة ، وألقيت النتن علي الجسد ولولا ذلك لم يدفن حميم حميمه ، وأذهبت الحزن بالسلو ولولا ذلك لذهب النسل »**
وأورده الخطيب عن البراء ـ وهو في كنز العمال جـ٤ ١٠٤١٩
بلفظ ، تفضلت علي عبدي بأربع : سلطت الدابة علي الحبة ولولا ذلك لادخرتها الملوك كما يدخرون الذهب والفضة و ألقيت النتن علي الجسد ولولا ذلك ما دفن خليل خليله أبدا ، وسلطت السلو علي الحزن ولولا ذلك لانقطع النسل ، وقضيت الأجل وأطلت الأمل ولولا ذلك لخربت الدنيا ولم يهَنَ ذو معيشة بمعيشته ،
وقد رمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بأنه موضوع .



والحزن ـ بضم الحاء المهملة وسكون الزاى وبفتحهما ضد السرور .

والسلو الصبر يقال : سلبت عن كذا وسلوت عنه وتسليت إذا زالت عنك محبته .

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الله تبارك وتعالى أخبر أنه توسع على عباده بخصال ثلاث ولم يضيق عليهم ـ كرما منه ورحمة بهم .

الخصلة الأولى أن الله جل وعلا بعث وأرسل الدابة ـ التى تسمى السوس ـ على القمح والشعير وسلطها عليهما رحمة بالعباد ورأفة بهم لأنهما قوت العباد الضرورى لهم ، ولو لم يفعل ذلك بل حفظهما كباقى أنواع الأصناف الأخر لاجتهد الناس فى كنزهما وادخارهما والحرص على إخفائهما عن أعين الناس ، إما لشدة حاجة الناس إليهما فيبيعهما المدخر بثمن متفاحش جدا أو ليأتى يوم تصيب الزرع آفة سماوية أو أرضية فيقل القمح والشعير فلا يجدهما الإنسان ولو بثمن متفاحش فيخرجهما المدخر ويقتات هو وعياله ودوابه منهما فلا يحتاج حينئذ وفى كل منهما مشقة وحرج وتضييق على الناس ، فسهل الله للعباد ، وأرسل هذه الدودة وسلطها عليهما لئلا يدخر أحد منهما شيئا ، سنين فيضيق الناس ويحرجون .

فسبحان من إله ما أكرمه وأحلمه وألطفه وأرأفه بعباده .

الخصلة الثانية : تغيير الجسد بعد الموت وتبديله من حالة مرضية مقبولة إلى حالة نتن وقذر تعافه النفوس ، ولا تتمكن من الإقبال إليه والاستمتاع به ، كما كان قبل الموت فيتبدل إلى جيفة تنفر منها الطباع وتشمئز منها النفوس ويتمنون زوالها من بين أيديهم وإبعادها عنهم ، ولو كان الجسد جسد أحب الناس إليهم وأرضاه عندهم وأقربه لديهم ، وذلك رفق بالناس ورحمة بهم وتوسعة ، ولولا ذلك لما دفن صديق قريب صديقه القريب ، وشح بدفنه وجعله معه يتردد إليه ويتمتع بجسده الفانى ، ولربما تغالى فى حبه وتعظيمه والثناء عليه فيحفظه من أن تمتد إليه يد بسوء

فيموت الآخر ، وهكذا فتضيق الدنيا على أهلها فيكون الحرج والمشقة ، فرفع المولى ذلك عن عباده ووسع عليهم بأن غَيَّر الجسد فيزهد الناس فيه فيدفن ويقبر ويذهب فتأكله الأرض والدود .

فسبحانك يا رب ما أرأفك بعبادك وأرحمك .

والخصلة الثالثة : أن الله جل ذكره - إذا حزن عبده بسبب فقد ولد له أو قريب أو أصابه بلاء أو ذهب ماله بسبب ما أو غير ذلك يسلب ويذهب من صاحب الحزن حزنه ، وينسيه ذلك رحمة بنا وتوسعة على خلقه ، وإن لم يفعل الله ذلك به و تركه ونفسه لأصبح و أمسى حزيناً ، لا يفكر فى شىء ما وكذلك غيره فتتعطل مصالح الناس وتشل حركتهم وتضيق معايشتهم ويحصل الخلل وينعدم التوازن .

فسبحانك من إله تُعْبَد لذاتك . اللهم إنى أسألك أن توفقنى واخوانك الى شكرك والاستسلام لقضائك وحكمك والانقياد لأوامرك .

التعليق

أشار الشارح فى شرح الخصلة الأولى إلى ما يرتكبه بعض أصحاب النفوس الضعيفة من التجار من الاحتكار ، وهو أسلوب يأباه الإسلام ويرفضه ويحرمه . لأن المحتكر مناع لخير معتد أثيم ، مضيق لفضل الله على الناس .

روى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : الجالب مرزوق والمحتكر ملعون . . .

وقال رسول الله - ﷺ - : « **من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء** »

وأثر عنه انه قال « **من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه ، وأيما أهل عرصة - حى - أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله** »

- أخرجه أحمد والحاكم -

وروى عنه أنه قال : « بئس العبد المحتكر ، إن سمع برخص ساءه وإن سمع بغلاء فرح »

وإلا فليتق اللهَ التجارُ فى أقوات المسلمين فإنهم مسئولون عنهم [(٢٩٤)]



(من علامات الولاية لله)

الحديث السادس عشر بعد المائة

« ثَلاثٌ مَنْ حافَظَ عَلَيْهِنَّ كانَ وَلِّيِى حَقًّا وَمَنْ ضَيَّعهنَّ كانَ عَدُوِّى حقًّا الصّلاةُ وَالصَّوْمُ وَالغُسْلُ مِنَ الجَنَابة »

رواه البيهقى عن الحسن مرسلا . وابن النجار عن أنس [(٢٩٥)]

شرح الحديث

الولى ضد العدو . وهو فعيل إما بمعنى مفعول وهو من يتولى الله أمره وحفظه على التوالى فلا يكله إلى نفسه طرفة عين ، قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ **وهو يتولى الصالحين** ﴾ [(٢٩٦)] وإما بمعنى فاعل وهو من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليه من غير تخلل بمعصية ، وكلا الوصفين شرط فى الولاية كما ذكره القشيرى ، والمراد به هنا من حافظ على ثلاث : الصلاة والصوم والغسل من الجنابة .

والعدو ضد الولى ، والصلاة ، والصيام تقدم الكلام عليهما قبل .

والغسل - بضم الغين المعجمة - إراقة الماء على جميع البدن ودلكه وتعميمه مع

---

٢٩٤ ـ راجع آداب السوق في الاسلام لعبد الحفيظ فرغلي ص٣٢ دار الصحوة .

٢٩٥ ـ أورده المدني في الإتحافات السنية برقم ٧٦

والحديث في كنز العمال جـ١٥ ٤٣٢٢١ للطبراني في الأوسط ..

ورمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بالضعف .

٢٩٦ ـ الأعراف ١٩٦

النية .

والجنابة أمر معنوى يقوم بالانسان بسبب الجماع أو نزول المنى منه ، وهى فى الأصل البعد ـ لأن الجنب ـ الذى يجب عبيه الغسل بالجماع وخروج المنى ـ نهى أن يقرب مواضع الصلاة ما لم يتطهر .

وقوله « مرسلا » يعنى أن الحديث روى مرسلا .

تعريف الحديث المرسل

والمرسل ما سقط منه الصحابى لأن الحسن البصرى رضى الله عنه تابعى ولا يصح الاحتجاج بالحديث المرسل ، ورواه ابن النجار عن أنس فهو مرفوع من طريقه والله أعلم .

والمحافظة على هذه الأشياء والمواظبة والاستمرار عليها .

والمعنى أن الله جل ذكره يخبرنا أن ثلاثة أمور من حافظ عليهن ، أى من أتى بهن واستمر عليهن بدون تركهن مرة واحدة كان ولى الله حقا ، وتولى الله أموره وكان ناصرا له فيكلؤه بعنايته ، ويوفقه للأعمال الصالحة فلا يأتى إلا بخير : الأمر الأول الصلاة بأن يأتى بها مستجمعة الأركان والشرائط والمندوبات فى أول أوقاتها المحددة لها شرعاً ـ وهى أفضل الأعمال بعد الشهادتين ، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ـ كما ورد الحديث بذلك عن أنس .

والثانى الصوم بأن يمسك عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ويمسك نفسه عن الفحش وما يستقبح من الأعمال والألفاظ المؤذية ، بحيث إذا أذاه أحد أو شتمه أو سابَّه أو قاتله فلا يرد عليه بل يقول له : إنى صائم إنى صائم ، كما ورد فى الحديث القدسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل « **كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم** » رواه البخارى واللفظ له ،

ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

الثالث الغسل من الجنابة بأن يصب الماء على بدنه ويعم الجميع أعضائه اذا جامع امرأته أو احتلم فى منامه ، أو اذا نظر فأمنى مع المحافظة على ذلك ، وينوى بقلبه ذلك ، فمن ترك أحد هذه الثلاثة عامداً متعمداً فقد برئت منه ذمة الاسلام ، وخرج من ربقه الإيمان وأصبح كافراً بحيث اذا مات لا يصلى عليه ولا يدفن فى قبور المسلمين وأرى أن ناساً كثيرين ممن ينتسب الى العلم فى عصرنا الحاضر يتهاون بإحدى هذه الأمور ، ورأيت أحد الناس ممن لنا به صلة واطلاع يترك الصلاة عامداً متعمداً ، والصوم فى شهر رمضان ويحمل زوجته على الفطر ، فتارة تأبى عليه ذلك وتقوى وتغلبه فلا تطاوعه وتظل صائمة وتارة يتسيطر عليها ويغلبها فتفطر ، ولا يغتسل من الجنابة بشهادة زوجته بذلك فإنا لله وإنا اليه راجعون .

فاللهم اهد قومى فانهم ارتكبوا كل معصية من المعاصى التى كانت الأمم تؤاخذ بواحدة منها وتؤخذ أخذ عزيز مقتدر ، فما أرحمك بأمة محمد ﷺ وعدم أخذك إياهم بجريمتهم كما كنت تفعل بالأمم المتقدمة إكراما لرسولك ونبيك .

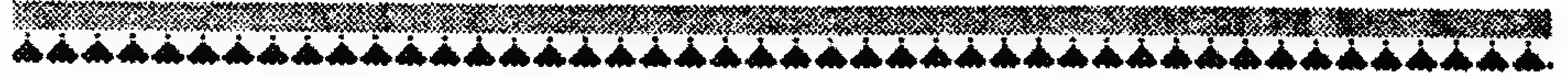
التعليق

قوله أرى أناسا ممن ينتسب إلى العلم يتهاونون بالصلاة ، نقول : إن من شروط العلم الصحيح العمل به ، وكونه لا يعمل بعلمه يؤديه ذلك إلى أوخم العواقب وقد جاء فى كلام الحكماء :

عالم بعلمه لم يعملن معذب قبل عباد الوثن . .

والعلم حجة لصاحبه أو عليه . . فإن عمل به كان حجة له يرفعه إلى أعلى الدرجات كما قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ ـ المجادلة ١١ ـ

وإن اطرحه وراء ظهره ولم يعمل به كان وبالاً عليه ، ودارت به أقتابه فى قعر جهنم كما تدور الأتان بالرحى . .



كان النبى ـ ﷺ ـ يستعيذ من العلم الذى لا ينتفع به صاحبه ، وكان يدعو قائلا : « **اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها** » ـ رواه مسلم والترمذى والنسائى

أما بالنسبة لترك الغسل ، فهذا من الأمور المنهى عنها تماما ، والغسل من علامات الإيمان وقد ورد التحذير الشديد من تأخير الغسل فما بالك بتركه ؟ عن عمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول ـ ﷺ ـ : « **ثلاثة لا تقربهم الملائكة ، جيفة الكافر ، والمتضمخ بالخلوق ، والجنب إلا أن يتوضأ** »

الترغيب والترهيب للمنذرى .



(خصوم الله يوم القيامة)

الحديث السابع عشر بعد المائة

« ثلاثةٌ أنا خصمهُم يومَ القيامة : رَجُل أعطى بى ثم غَدرَ ، ورَجُل باع حراً ثمَّ أكلَ ثمنَهُ ، ورَجُل استأجَرَ حُراً فاستَوْفى منهُ ولَمْ يعطه أجرَه »

رواه أحمد ، والبخارى عن أبى هريرة [(٢٩٧)]

شرح الحديث

الخصم مصدر خصمته ـ أى نازعته ـ خصما يقال : خاصمته وخصمته مخاصمة

---

٢٩٧ ـ هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه جـ٣ صـ١١٨ ، وأحمد في مسنده جـ٢ صـ٣٥٨ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .
وذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ٤ صـ١٨ .
وذكره المدني في الإتحافات برقم ١٦ .
وقد ضعف الألباني هذا الحديث ولكن صاحب جامع الأحاديث القدسية تعقبه وردَّ عليه بما يثبت صحته ..
راجع جامع الأحاديث القدسية جـ١ صـ٥١٦ الحديث رقم ٣٤٧ .

وخصاما ، ثم سمى المخاصم خصما واستعمل للواحد والجمع وربما ثنى ، وقال الهروى : الواحد بكسر أوله ، وقال الفراء : الأول قول الفصحاء ويجوز فى الاثنين خصمان والثلاثة خصوم .

وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أى جانبه وان يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب .

والغدر الإخلال بالشىءوتركه ، والغدر يقال لترك العهد ونقضه ومنه قيل : فلان غادر جمعه غدرة ، وغدار كثير الغدر . والحر خلاف العبد ، قال الخطابى : اعتباد الحر يقع بأمرين : أن يعتقه ثم يكتم ذلك أو يجحد ، والثانى أن يستخدمه كرها بعد العتق ، والأول أشدهما .

وقال الحافظ بن حجر : وحديث الباب - أعنى هذا - أشد لأن فيه مع كتم العتق أو جحده العمل بمقتضى ذلك من البيع وأكل الثمن فمن ثم كان الوعيد عليه أشد .

والمعنى أن الله سبحانه يخبرنا أن ثلاثة من العباد يكون هو خصمهم يوم القيامة بسبب ما ارتكبوه من الآثام الفظيعة والظلم المتناهى .

الأول رجل وعد عبداً من عباده ، أعطى به ثم غدر ، أى أعطى يمينه به أى عاهد عهدا وحلف بالله على ذلك ثم نقضه ، ولا شك أن الغدر من أكبر الصفات المذمومة والمفاسد العظيمة وليس من أخلاق المؤمن الغدر بل الوفاء بالعهد وإمضاؤه ، لأن فى نقضه إخلالاً بنظام الحياة العامة والقوانين الدستورية ، ويفسد على المرء تدبيره لمصلحة نفسه وغيره ، وإضراراً بمن عاهده ثم نقض عهده ، فلذلك جاء فى القرآن الحكيم الحث على إمضاء العهود والوفاء بها والتزامها وعدم نقضها ، أياً كانت ولو مع قوم غير المسلمين بشرط أن لا يُخلُوا بشروطها أو الإتيان بما ينافيها مما يضر بصالح المعاهد ويضعفه ، ويحل عزائمه ويقوى أعداءه عليه ، قال تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ (٢٩٨) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين

٢٩٨ - النحل ٩١ .

آمنوا أوفوا بالعقود ﴾[٢٩٩] وقال تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾[٣٠٠]

وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال : « **إن الغادر يُرْفَع له لواء يوم القيامة يقال : هذه غدرة فلان بن فلان** » وما أصعبَ هذا التشهير بالغادر على رءوس الأشهاد يوم القيامة ، حيث العالم كله مجتمع ويرون حالته وما هو عليه من التشنيع والخزى والتوبيخ والتعذيب ولا ريب أن هذه الحالة هى أفظع حالة يراها الخلق لأن الغدر أكبر جريمة ترتكب ، وصاحبه مهان ذليل حقير تستنفر منه الطباع الحساسة ، وتستقبحه العقول السليمة الراقية .

وأصبح فى عصرنا الحاضر الغدر منتشراً فلا تخلو عائلة منه فإنَّ قيِّم العائلة يعطى زوجته أو أولاده أو أخته أو أحد أقاربه العهود والمواثيق والأيمان الغليظة أنه سيعطى فلانا كذا أو فلانة كذا ويكتب لفلان كذا ويحبو فلانا كذا ، ثم يصبح ثانى الأيام أو بعد أيام أو أشهر وينقض العهد ويعبث بالأيمان والمواثيق ، ولا يعبأ بما هدده الشارع به ، وأمره بالنزاهة والوفاء به ، وكذا تجد الغدر فى القرى والأرياف سواء كانت قريبة إلى المدن العامرة منتشرا وكذلك فى المدن الكبيرة والصغيرة وكلما ارتقى أهل المدينة فى المدنية والترفه والتأنق الحديث ازداد الغدر وتنوع ، واختيرت له أساليب جديدة مموهة وآلات اصطناعية مشوهة حتى صار عادة يألفها الكبراء والعظماء والقواد والرؤساء والملوك والوزراء ، فأمسى الانسان لا يثق بشخص مطلقا ، وضاعت الذمم والشخصيات ، وأصبح الوفاء بالعهود والأيمان فى احتضار وقريبا سيُشَيَّع .

اللهم ارحم عبادك وارشدهم إلى الأخلاق المرضية وحببهم فى الأعمال الصالحة والأفعال المجيدة ، وألهمهم الرأفة والرحمة والشفقة بإخوانهم ليأمنوا شرهم .

واعلم أن سبب الحرب التى قامت الآن فى شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف الهجرية [٣٠١] نقض العهود الملتزمة والعبث بالقوانين الوضعية الدولية وغصب بلاد الضعفاء والاستيلاء على أموالهم واستبعادهم والقضاء على استقلالهم ، وما أخذ بلاد الحبشة والبانيا وبولاندة ببعيد فأسأل الله حسن العاقبة .

---

٢٩٩ ـ المائدة ١ .

٣٠٠ ـ الإسراء ٣٤ .

٣٠١ ـ يقصد الحرب العالمية الثانية التي اشتعلت سنة ١٩٣٩ .

الثاني : رجل من عباده باع حراً وأكل ثمنه ، بأن اعتبده محرراً إن إما أن يعتقه ثم يكتم ذلك ، أو يجحده ، وإما أن يستخدمه كرها بعد العتق ويبيعه قال ابن حزم : إن الحر كان يباع في الدين حتى نزلت ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ ـ البقرة ٢٨٠ ـ واستقر الإجماع على المنع .

وخص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود ، هذا الزجر العظيم لمن استعبد رجلا واحدا ، فما بالك فيمن استعبد ممالك وعباداً واغتصب حقوقهم واستولى على أموالهم وتجارتهم وقضى على استقلالهم ؟ .

الثالث : رجل استأجر أجيراً وعاملا بأجر مخصوص ، وعمل كذلك ، فاستوفى منه عمله ولم يعطه أجره ، وهذا يصدق بأن يستخدمه وأعطاه أقل مما يستحق أو منعه أجره ولم يعطه شيئا منه ، وهذا أيضاً من باب التعبد والاستخدام بغير أجرة ولأنه استوفى منفعته بغير عوض فهو ظالم له ، وقد ورد الترغيب بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه رواه ابن ماجه ، والطبراني وغيرهما .

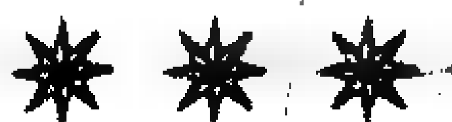
(فإن قيل) : هؤلاء كلهم ظلمة والله سبحانه وتعالى خصم لجميع الظالمين فما وجه التصريح بهذا الحديث بأن الله خصم لهم ؟ والجواب والله عز وجل وإن كان كذلك إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح لفظاعة أمر ذلك في هذه الأشياء واستقباحه والله أعلم .

التعليق

بالإشارة إلى استبعاد الشعوب نذكر أن الدول الاستعمارية لا تجد غضاضة الآن في استنزاف الدول الضعيفة واستغلال مواردها . وانتهاب مقدراتها وخيراتها ، واختراع كافة الوسائل في التحكم في مواردها . . ويستسيغون باسم السياسة ذلك ، ويعتبرونه أمرا مشروعاً ، وفي الوقت الذي لا يأنفون فيه من اغتيال الشعوب واستلاب حرياتها تراهم يتباكون على إيذاء قطة أو قتل كلب أو تعذيب حيوان . .

وما أصدق الشاعر الذي تهكم من منطق الاستعمار فقال

ترويع شخص واحد جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كاملٍ مسألة فيها نظر



(تزكية الله لعباده المؤمنين)

الحديث الثامن عشر بعد المائة

« ثِنْتان لَمْ يكُنْ لكَ واحدةٌ منهُما جَعلْتُ لكَ نَصيباً حينَ أخذْتُ بكَظمكَ لأُطهِّرك وأزكِّيكَ ، وَصلاةُ عِبادِي عَلَيْكَ بَعْدَ انْقِضاءِ أَجلكَ »

رواه عبد بن حميد عن ابن عمر [٣٠٢]

شرح الحديث

الكظم ـ بالتحريك ـ هو مخرج النفس من الحلق وانقطاعه والمعنى أن الله سبحانه وتعالى منح عباده خصلتين ليس لأحد خلقه تأثير فيهما .

إحداهما جعل الله للعبد نصيباً من ماله حين تخرج روحه وينقطع نفسه لتطهير العبد به وانتفاعه بعد موته وتزكيته نفسه .

والثانية جعل صلاة العباد على الميت بعد انقضاء أجله زكاة له وطهراً أيضاً ينتفع بها يوم الحساب والجزاء ، فانظر ما أكرم المولى وأرأفه بعباده وما أسوأ العبد المرتكب الذنوب وما أشد إهماله لأوامر ربه وخالقه .

أليس الأجدر به أن يكون ملتزما لأحكام شرعه وسنن نبيه ﷺ فلا يأتى إلا ما شرع وأبيح له ويتجنب المكروه والمبغوض والممقوت لباريه ومولاه ؟

اللهم اهدنا سبيل الصواب ووفقنا لما تحبه وترضاه يا أرحم الراحمين .

---

٣٠٢ ـ أخرجه ابن ماجه جـ٢ ٢٧١٠ ، والدار قطني جـ٤ صـ١٤٩

وهو في كنز العمال جـ١٦ ٤٦,٤٨

وذكره المدني في إتحافاته برقم ٦٤ .

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف

والحديث الذي رواه جامع الأحاديث القدسية في ذلك هو ، يا بن آدم اثنتان لم تكن لك واحدة منهما : جعلت لك نصيبا من مالك حين أخذت بكظم لأطهرك به وأزكيك ، وصلاة عبادي عليك بعد انقضاء أجلك ،

التعليق

ورد فى فضل صلاة الجنازة وشهودها آثار كثيرة منها ، ما رواه المنذرى فى كتابه « الترغيب والترهيب » : عن كريب أن ابن عباس - رضى الله عنهما - مات له ابن بقديد أو بعُسْفان ، فقال : يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس ؟ قال : فخرجتُ فإذا ناس قد اجتمعوا ، فأخبرته ، فقال : تقول هم أربعون ؟ قال : قلت : نعم .

قال : أخرجوه ، فإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه** » - رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة - .

وعن ميمونة زوج النبى - ﷺ - قالت : أخبرنى النبى - ﷺ - قال : « **ما من ميت يصلى عليه أمة من الناس إلا شفعوا فيه** » فسئل راوى الحديث عن الأمة . فقال : أربعون . . » رواه النسائى .

ويستحب تكثير الصفوف خلف الميت فى أثناء الصلاة عليه لما روى من أن النبى ﷺ قال : « **ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب** » ومعنى أوجب أى استحق دخول الجنة ، ومن ذلك كان الإمام مالك إذا استقبل أهل الجنازة جزأهم ثلاثة صفوف . . رواه أبو داود .

ويؤخذ من هذه الأحاديث أن الميت ينتفع بعمل غيره ، ومن عمل غيره صلاتهم عليه . ولولا ذلك ما أوجب الشارع صلاة الجنازة على الميت .



الحديث التاسع عشر بعد المائة

« شَتَمنى ابنُ آدَمَ وَمَا يَنبَغى لهُ أنْ يَشْتِمَنى وكذَّبَنى وما يَنبغى لهُ أنْ يُكذِّبَنى ، أمَّا شتْمُه إيَّاىَ فقَولهَ : إنّ لى ولَداً وَأنا اللهُ الواحدُ الصَّمدُ لَمْ ألدْ ولَم أولدْ ولم يكُنْ لى كُفُواً أحد . وأمّا تَكذيبُه إيَّاى فقَولُه : لَيْسَ يُعيدنى كما بَدَأنِى ولَيْسَ أوَّلُ الخَلق بأهْوَنَ عَلىَّ منْ إعادته »

رواه أحمد ، والنسائى ، والبخارى عن أبى هريرة [٣٠٣]

شرح الحديث

الشتم السب وهو الوصف بما يقتضى النقص والاسم الشتيمة . والتشاتم التساب ، والمشاتمة المسابة .

والصمد السيد الذى يصمد إليه فى الأمر ، وقيل : الصمد الذى ليس بأجوف ، وما ليس بأجوف شيئان : أحدهما لكونه أدون من الإنسان كالجمادات ، والثانى أعلى منه وهو البارى والملائكة .

وإذا أردت تفسيراً واسعاً فى ذلك فعليك بتفسير سورة الإخلاص للإمام ابن تيمية ـ وغيره من الأئمة المفسرين الذين سبقوه وأخذ عنهم

---

٣٠٣ ـ هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه جـ٤ صـ ١٢٩ .
وهو حديث صحيح .
وذكره أحمد في مسنده جـ١٦ ٨٥٩٥ بلفظ «كذبني ابن آدم ولم يكن لي ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه ....» .
وأخرجه البخاري أيضا بهذا اللفظ جـ٦ صـ٢٢٢ من حديث أبي هريرة .
وأخرجه من حديث ابن عباس بلفظ مقارب جـ٦ صـ٢٤ .
والحديث في الإتحافات السنية للمدني برقم ٢٠ بلفظ «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ...» الخ

والذين جاءوا بعده . . . (٣٠٤) فإنك تجد ما يسرك .

والإعادة بدء الشيء وإرجاعه ثانيا .

والمعيد الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة ، وأهون أسهل يقال : هان الأمر على فلان سهل .

والمعنى - والله أعلم - أن الله عز وجل أخبرنا أن ابن آدم يشتمه ويتنقصه بقول : لا يليق به وما ينبغى له أن يشتمه ويتنقصه لأنه خالقه وباريه وموجده من العدم بقوله « كن » وتولى خلقه فى الرحم من منى إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة ، ثم ينفخ فيه الروح إلى أن يخرج من بطن أمه ، ثم يضع فى قلب والديه الرأفة والرحمة والحنان ، فيقبلان على تربيته والمحافظة عليه إلى أن يفطم ، وبعد ذلك ينتقل من طور إلى طور ومن حال إلى حال ، وكل ذلك يراعيه ويكلؤه ويقدر له رزقا وسعادة ويسهل له الطرق ويضمن له العيش ويكلفه بأمور سهلة يطيقها كل إنسان ، حتى إذا ما واظب عليها وأتى بها تامة مرضية كان له ثوابها وجُزِىَ على عملها ورفعت منزلته فى الدنيا ، ويوم القيامة يدخله الجنة وينعم عليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ومع هذا فإن ابن آدم ينسى هذا كله ويقابل مولاه بالشتم والسب والتكذيب بقوله : لله ولد ، وبقوله ليس يعيدنى كما بدأنى أول مرة .

والمراد بابن آدم بعض بنى آدم « وهم من أنكر البعث من العرب وغيرهم من عباد الأوثان والدهرية ، ومن ادعى أن لله ولداً من العرب أيضاً » ومن اليهود والنصارى ، قال قتادة : إن مشركى العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله فأكذبهم الله سبحانه وبين أنه منزه عن ذلك وأنه الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وأنه جل ذكره يعيده كما خلقه وبدأه أول مرة ، وليس الخلق ابتداء بأهون عليه من

---

٣٠٤ - لم يقل ابن تيمية في ذلك إلا ما قاله العلماء المحققون الذين أخلصوا لله دينهم وعملهم ، فهداهم الله إلي الحق وفتح بصائرهم علي الهدي ..

الإعادة ، بل بالنظر للعادة الجارية المعلومة للعباد أن الإعادة أسهل وأهون من البداءة وإيجاد الشيء ابتداء ، وعليه فلا يحق ولا يصح أن يستبعد بعض بنى آدم ذلك بل يستقر به ويستملحه ويقربه بدون دليل ، لأن البداءة هى البعيدة عن العقل والمستغربة وهذا بالنسبة للمخلوق ، وأما بالنسبة للخالق فليست إحدى الحالتين بأسهل وأهون عليه من الأخرى بل يقول للشيء كن فيكون ، فسورة الإخلاص أعظم سورة تنزه الله جل وعلا وتثبت عقائد التوحيد وتهدم عقائد الشرك بجميع أنواعه ، لذلك أفردها بعض الأئمة بتأليف خاص بها كشيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية وطبعناه والحمد لله ، فيخبرنا الله تعالى أنه الواحد أى وحدة حقيقية غير قابلة للتعدد والكثرة فى ذاته ولا فى ربوبيته ولا فى ألوهيته ولا فى ملكه ، فهو غير مركب من أصلين كما زعمت الثانوية ، ولا من ثلاثة أصول أو أقانيم كما تزعم المثلثون من قدماء وثنيٍّ الهند وغيرهم وتبعهم على ذلك النصارى ، على خلاف أصل دين موسى وعيسى ومن قبلهما من النبيين عليهم الصلاة والتسليم ، وأنه الصمد القادر على قضاء كل ما يحتاج إليه عباده من الحاجات ، وكفايتهم جميع ما يعجزون عنه من المهمات بما يسخره لهم من الأسباب ، وما يهديهم من سننه فيها .

قال صديقنا المرحوم الأستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : فلو كان مبتدعة عبادة القبور [٣٠٥] وأسرى الخرافات يفقهون معنى هذه الكلمة ويؤمنون بها

---

٣٠٥ ـ ليست زيارة القبور عبادة لأصحابها ، وزيارتها في حد ذاتها مباحة بنص الحديث ، **كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب وتدفع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا** ، أخرجه السيوطي في الجامع الصغير مرتين بلفظين ـ ورمز له بالصحة والحسن ، وذكر رواته من أصحاب الصحاح .

ولكن علينا أن ننبه إلى أن زيارة قبور الصالحين ، وقبور الأموات عامة لها آداب يجب مراعاتها ، وليس علينا أن نمنعها ، ولا يصح الخلط بين زيارة القبور وعبادة أصحابها ، فليس أحد يقصد الصالح بالزيارة بنية عبادته ، فهذا شرك صريح نفاه النبي ـ ﷺ ـ عن أمته حيث قال : **، أنا لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ،**

رواه البخاري في كتاب الجنائز .

وما من أحد يزور صالحاً ويعتقد فيه الربوبية ، بل يزوره علي أنه رجل صالح ، زيارته فيها اعتبار وموعظة وصلة رحم وقربة إلي الله ، وقد ورد في الحديث الشريف ، ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام ، أخرجه الخطيب وابن عساكر والسيوطي في الجامع الصغير عن أبي هريرة ، فما بالك إذا كان هذا الرجل المزور مشهوداً له بالصلاح ؟

وجاء في كتاب الروح لابن القيم صـ١٤ : قال : روي من حديث عائشة رضي الله تعالي عنها : أنها قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **، ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتي يقوم ،**

إيماناً إذعانياً صحيحاً يملك قلوبهم لما صمد أحد منهم إلى قبر أحد من الصالحين ولا إلى رجل حى من المعتقدين ، ولا إلى دجال يدعى استخدام الجان وتسخير الشياطين ليقضى له ما عجز عنه من منافعه ومصالحه أو من دفع الأذى عن نفسه وأهله وولده ، فإن هؤلاء الأحياء الدجالين كالموتى من الصالحين عاجزون كلهم عما يظنه الجاهلون فيهم من التصرف فى عالم الغيب والشهادة ، وقد يغترون ببعض ما يجهلون حقيقته من شعوذة وحيل أو مصادفات يوجد أمثالها عند أمثالهم من جميع أهل الملل ولكن هذا الغرور لا سلطان له على الموحدين المؤمنين بواحدانية الله تعالى

وقوله « لم ألد ولم أولد » أى لم يصدر عنه ولد ولم يصدر هو جل وعلا عن شىء لاستحالة نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً . والوالدية والمولودية متلازمان إذ المعهود أن ما يلد يولد وما لا فلا . والاعتراف بهذا هو الاعتراف بذاك لأنه ليس بمخلوق له مزاج وجنس نشأ عن غيره ونشأ غيره عنه فتكون الربوبية والألوهية أسرة وعشيرة كسائر الأحياء الحادثة التى يتوقف وجود بعضها على بعض ، بل هو أحد لا شىء قبله ولده ، ولا شىء مثلهُ ولد منه فيحل محله ، بل هو أزلى سرمدى منزه عن مشابهة كل ما فى العالم من الأجناَس المتسلسلة من الأفراد البسيطة والمركبة .

والله غنى عن الوالدية والمولودية ، وهما نقص فى حقه يستلزمان الحاجة وينافيان الربوبية والألوهية .

فإن قيل : لم قدم ذكر نفى الولد مع أ ن الوالد مقدم ؟ وجوابه أنه قدم للاهتمام لأجل ما كان يقوله الكفار من المشركين إن الملائكة بنات الله ، واليهود عزير ابن الله . والنصارى المسيح ابن الله ولم يدع أحد أن له والداً فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال : « لم ألد ولم أولد »

وقوله « ولم يكن لى كفواً أحد » أى لم يكافئنى أحد ولم يماثلنى ويشاكلنى من صاحبة وغيرها والكفؤ النظير المكافىء والله أعلم .

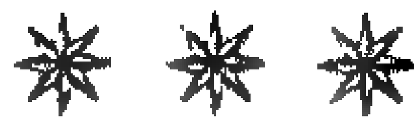
التعليق

قال الله ـ تعالى ـ فى صدد بيان آياته ونعمه التى أنعم بها على عباده ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ ـ الروم ٢٧ ـ

والشاهد لنا فى هذه الآية قوله ﴿ **وهو أهون عليه** ﴾ وهو ما يلتقى مع ما جاء فى الحديث القدسى المذكور « **وليس أول الخلق بأهون على من إعادته** »

قال المفسرون : بدء الخلق بعلوقه فى الرحم قبل ولادته ، وإعادته بإحيائه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث ، فجعل الله ما علم من ابتداء خلقه دليلا على ما يخفى من إعادته ، استدلالا بالشاهد على الغائب ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ **وهو أهون عليه** ﴾ .

قال العلماء : كلمة « أهون» فى الآية ، وفى الحديث أيضا ليست أفعل تفضيل ولكنها بمعنى هيِّن ، أى الإعادة أمر هين عليه ، ذلك لأنه ليس شىء أهون على الله من شىء ، قال أبو عبيدة : ومن جعل أهون يعبر عن تفضيل شىء على شىء فقوله مردود بقوله تعالى ﴿ **وكان ذلك على الله يسيرا** ﴾ ولقوله ﴿ **ولا يئوده حفظهما** ﴾ .



(ما أوسع رحمة الله وأقرب مغفرته)

الحديث العشرون بعد المائة

« عَبْدى ما عَبدْتَنى ورجوْتَنى فإنِّى غافرٌ لكَ على ما كانَ فيكَ ويَا عَبْدَى إنْ لَقيتنى بقُرابِ الأرضِ خَطيئةً ما لَم تُشْرِكْ بى لَقيتُك بِقرابها مغفرةً »

رواه أحمد عن أبى ذر (٣٠٦)

شرح الحديث

الحديث الأول (٣٠٧) تقدم الكلام فيه على صلة الأرحام وزاد فى هذا الحديث قوله « فإنه أبقى لكم فى الحياة » الخ ، ولا شك أن الإحسان إلى الأهل والأقارب يجعل للإنسان المحسن ذكرى وحياة فى الدنيا فيبقى ذكره وإحسانه خالداً فى حال حياته وبعد مماته يذكر بخير وهو خير أيضاً له فى الآخرة لأن له أجراً مخصوصاً يثاب عليه ، ودرجات مخصوصة أيضا يفوز بها يوم التفاخر بالأعمال ، فأحسن ذكرى تبقى للإنسان من وصل رحمه وأحسن إليه واستفقده فى السراء والضراء وأعانه بما يقدر عليه ، وككل إنسان بحسبه وطاقته لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

والحديث الثانى (٣٠٨) تقدم الكلام عليه غير مرة فراجعه ، وكذلك الحديث الثالث فلا حاجة للإعادة .

٣٠٦ - أخرجه أحمد في مسنده جـ٥ صـ١٦٧ بلفظ « ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك علي ما كان فيك ، ابن آدم إن تلقني بقراب الأرض خطايا لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لا تشرك بي شيئا ، ابن آدم إنك إن تذنب حتي يبلغ ذنبك عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي » .

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف ، والضعف من جهة الإسناد ، جـ٢ صـ ١٦٠ .

وهناك أحاديث أخري في هذا المعني ..

٣٠٧ - يقصدالحديث : « صلوا أرحامكم فإنه أبقي لكم في الحياة الدنيا وخير لكم في آخرتكم »

وقد ذكرناه قبل في موضوعه .

٣٠٨ - يقصد الحديث « عبدي إذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا ، وإذا ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكبر » ، وقد ذكرناه قبل .

التعريف بعبد بن حميد

وقوله « عبد بن حميد » هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسى مصنف المسند الكبير والتفسير وغير ذلك ، واسمه عبد الحميد فخفف ، رحل فى طلب العلم وتلقى من فحول علماء الحديث وروى عنه خلق كثير وكان من الأئمة الثقات وعلق له البخارى فى دلائل النبوة من صحيحه توفى سنة تسع وأربعين ومائتين والله أعلم .

التعليق

لم يشر الشارح فى شرحه إلى الحديث الثالث ، وهو يشير إلى سعة رحمة الله وغفران ذنوب عباده .

وقراب الأرض يعنى ما يقارب ملء الأرض . .

وقد جاء فى القرآن الكريم ما يفيد أن الله يغفر لعباده الذنوب ماعدا الإشراك به ، قال ـ تعالى ـ ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما** ﴾ النساء ٤٨ ، وتكررت هذه الآية فى نفس السورة مع تغيير فى عجزها حيث ختمت بقوله تعالى ﴿ **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾ النساء ١١٦ . .

اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا وتوفنا وأنت راض عنا .



(منزلة المؤمن عند ربه)

الحديث الحادى والعشرون بعد المائة

«عَبْدِى الْمُؤمنُ أَحَبُّ إِلىَّ مِنْ بعْض مَلائكتى»

رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة (٣٠٩)

شرح الحديث

المؤمن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قولا وفعلا واعتقاداً ، والإيمان : التصديق والإذعان مع طمأنينة وتحقيق بما تقدم .

وأحب أفعل تفضيل أى أكثر حباً من غيره .

والملائكة جمع ملك وهى أجسام نورانية لطيفة مبرأة من كدورات نفسانية وظلمات حيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة ، معصمون عن المخالفة ، منهم وسائط بين الله وبين أنبيائه المبعوثين إلى الخليقة .

ومنهم الموكل بحمل العرش ، ومنهم الموكل بالصور ، ومنهم الموكل بالموت ، ومنهم الراكع يسبح الله وينزهه ، ومنهم الساجد كذلك ولكل مقام معلوم ومرام مقسوم لا يأكلون ولا يشربون ، نعم غذاؤهم التسبيح والتهليل والتكبير وإلى غير ذلك من أنواع العبادة ، وفى حديث مسلم عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً : **« خلقت الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم »** .

والمعنى أن الله تبارك وتعالى يخبر أن عبده المؤمن الذى آمن بالله وأذعن وانقاد لما جاءت به الشريعة الإسلامية وعمل بأحكام دينه ، وأخلص العمل لله فى سره

---

٣٠٩ ـ ذكر المدني في الإتحافات السنية هذا الحديث برقم ٨٢ .
وهو في كنز العمال جـ١ صـ٧١١ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا .

وجهره لا مطلق العبد المؤمن ، بدليل إضافته إليه عز وجل إضافة تشريف وإعظام ، فلا يصح أن يضاف العبد إلى الله تعالى إلا إذا كان مستجمعا صفات الكمال ومتجنباً صفات النقصان ، أحب إليه وأشد حباً له من بعض ملائكته وهذا يدل على أن بعض الآدميين أفضل من بعض الملائكة وهو القول الراجح ، وقد تقدم الكلام على أفضلية الملائكة مطلقاً وأقوال العلماء فى ذلك فارجع اليه [٢١٠] ، والله أعلم .

التعليق

يشير إلى كرامة المؤمن عند ربه قوله - تعالى - ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾ - الإسراء ٧٠ -

وتفضيل المؤمن على بعض الملائكة مقتضاه محاربة شهواته ، وجهاد نفسه ، وإيثاره رضا الله على ما عداه ، فهو بذلك يقهر حيوانيته فتشرق نورانيته . .

وقد قال العلماء : الإنسان جنس وسط بين الحيوان والمَلَك - فإن هو قهر شهوته وجاهد نفسه ارتفع إلى درجة الملائكية ، وإن هو أتبع نفسه هواها وخضع لشهواته وملذاته ارتكس إلى درجة البهيمية . .



٢١٠ - راجع شرح الحديث ، أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ،

الحديث الثانى والعشرون بعد المائة

« عَلى العاقل أنْ يكونَ لهُ ثَلاثُ ساعات : سَاعةٌ يُناجى فيها ربَّهُ ، وَساعَةٌ يُحاسبُ فيها نَفْسَه ، وَساعَةٌ يَخْلو فيها بَمطْعَمِه ومَشْرَبِه » .

رواه ابن حبان عن أبى ذر . .

شرح الحديث

العاقل من اتصف بالعقل ، وهو غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب وهومناط التكليف ، وبه يدرك الإنسان ما ينفعه ويضره ، ويميز به بين الغث والسمين ، ويعقل صاحبه عن التورط فى المهالك ، أى يحبسه ويمنعه من الوقوع فى ما لا خير فيه ، وبه يتميز الإنسان عن سائر الحيوان ، وكلما كمل عقل الإنسان ازداد الإنسان كمالا ورفعة ووجاهة بين الناس :

إذا تم عقل المرء تمت أموره ... وتمت أمانيه وتم بناؤه

والماديون يعدون العقل نتيجة الشعور الموجود فى الإنسان ، والروح نتيجة التركيب الإنسانى على مثال روح الحيوان ، ولكن أرقى من روح الحيوان لقبول الإنسان الرقى دون الحيوان ، ولما اكتشف علم التنويم المغناطيسى ، وفن استحضار الأرواح أثبتا أن للإنسان روحاً متمتعة بخصائص عالية يحجبها هذا الجسد عن الظهور ، واختلف الناس فى محل العقل هل هو فى القلب أو فى الدماغ ؟ قال إمام الحرمين : [311] فذهب أصحابنا من المتكلمين : إنه فى القلب ، وبه قال

---

٣١١ ـ هو أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين المعروف بإمام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي ولد سنة ٤١٩ هـ وتوفي سنة ٤٧٨ هـ وله مولفات كثيرة وهو من شيوخ حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنهما . ـ وفيات الأعيان جـ١ صـ٥١٥

جمهور المتكلمين وهو قول الفلاسفة ، وقالت الأطباء : هو فى الدماغ وهو محكى عن أبى حنيفة .

احتج أصحابنا بقول الله تعالى ﴿ **أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها** ﴾ (٣١٢) وقوله تعالى ﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب** ﴾ (٣١٣) ويقوله ﷺ : « **ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب** » فجعل ﷺ صلاح الجسد وفساده تابعاً للقلب مع أن الدماغ من جملة الجسد .

واحتج القائلون بالدماغ بأنه إذا فسد الدماغ فسد العقل . والجواب أن الله تعالى أجرى العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ مع أن العقل ليس فيه قوة ولا امتناع فى هذا وهو قسمان : غريزى ومكتسب .

فالغريزى - أى الجبلى والطبيعى - هو العقل الحقيقى وله حد يتعلق به التكليف لا يجاوزه ولا يقصر عنه إلى نقصان .

والمكتسب هو نتيجة العقل الغريزى وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة وإصابة الفكرة ، وليس لهذا حد ومنتهى يقف عنده لأنه ينمو ويزيد إن استعمل وينقص إن أهمل ، وهو لا ينفك . عن العقل الغريزى لأنه نتيجة منه .

وقد ينفك العقل الغريزى عن العقل المكتسب لعدم استعماله أو لاتباعه الهوى فيكون صاحبه مسلوب الفضائل ، موفور الرذائل كالأحمق الذى لا تجد له فضيلة ، والأحمق الذى قلما يخلو من رذيلة .

والساعات جمع ساعة وهو الوقت من ليل أو نهار ، والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وإن قل .

---

٣١٢ - الحج ٤٦ .

٣١٣ - ق ٣٧ .

والمناجاة : المسارة يقال نجوته نجواً أى ساررته وكذا ناجيته ، وانتجى القوم وتناجوا تساروا ، وانتجاه خصه بمناجاته والاسم النجوى .

وقوله « رواه ابن حبان » تقدمت ترجمته .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا بأن على العاقل المتصف بالصفات المميزة له عن الحيوان أن يجعل له فى يومه وليلته ثلاث ساعات وأوقات .

ساعة منها يجعلها للمناجاة ، بأن يناجى ربه ويتكلم بكلام خفى وسر عن الناس ، لأن هذه الحالة أقرب إلى قبول المطالب والدعوات وأبعد عن الرياء والسمعة ، بأن يسأل الله جل ذكره التوفيق للطاعات ، وتسهيل الطرق الصعبة وإبعاده عن المعاصى والرذائل ، وحفظه من المصائب والبلايا ، وأن يختم له بسعادة الدارين ، وأن يصلح حاله وحال إخوانه المؤمنين ، وأن يرفع البأس والظلم والاستبداد والمطامع من أعدائه المستبدين بالضعيف ، والغاصبين حقه ، وأن يغل أيدى وألسنة المذبذبين الذين يظهرون الإسلام والإيمان وحب أهلهما وهم فى الحقيقة جواسيس للأجانب بأجر تافه ، يستبدلون عرض هذه الدنيا بالنعيم الأبدى والخير السرمدى والأجر العظيم الذى لا ينقطع وهم أسوأ الناس فى الدنيا الزائلة ولهم يوم القيامة الخزى والعار وأشد العذاب .

وساعة يخلو فيها بنفسه ويحاسبها على ما عملته من خير وشر فى ذلك اليوم ، فإذا اقترفت ذنباً فيندم عليه ويستغفر الله سبحانه وتعالى ، ويتوب إلى الله جل ذكره ويرجع إليه ، ويعزم أن لا يعود إلى مثله أبداً ويخاطب نفسه ويوبخها ، وإذا لم تعمل سيئة بل كان عملها دائرا بين الأعمال الخيرية والخواطر الإصلاحية ، فيحمد لله تعالى على أن وفقه إلى ذلك ، ويرجو منه استدامة التوفيق والإعانة على البر والتقوى ، ويحث نفسه على زيادة العمل ويرغبها ويشوقها بأن كثرة العمل البار يستوجب زيادة الثواب ويرفع منزلة العبد إلى أن يكون من النبيين والشهداء والصالحين فعليك بالمداومة على ذلك والزيادة منه .

وساعة يخلو الإنسان فيها بمطعمه ومشربه أى بما يقويه على الأعمال الصالحة من مطعم ومشرب وملبس ، وينوى بذلك التقوى بهذه الأشياء على طاعة الله تبارك وتعالى ، والقيام بأداء الواجبات والمندوبات فتكون هذه الأشياء المباحة مشروعة ومسنونة ، فيثاب عليها ويجزى بها ، ولا شك أن المطعم والمشرب والملبس من الأمور الضرورية للإنسان التى تصان بها حياته وجسمه ، وتحفظها من الانحلال والتغير والضعف ، وهذا بالنسبة لما يقومها ويبقيها من القوت الضرورى والمشرب والملبس كذلك ، وما زاد على القوت الضرورى فيكون مباحا ما لم يؤد إلى ضرر بالجسم أو العقل فيكون ممنوعا منه شرعاً وطباً . وأضيف المطعم والمشرب إليه إشارة إلى أن المطعم والمشرب والملبس الذى يختص بالشخص مما يملكه بإذن شرعى ، ويكون حلالا أى لا يطعم إلا بما أباحه الشرع وجوزه وكذلك المشرب والملبس وهذه هى الحياة الطيبة وصاحبها دائماً فى نعيم وراحة فكر وصحة جسم فنسأل الله أن يوفقنا لأن نغلب أنفسنا ونصيرها مركبا تطعينا فى كل أمر ونحظى بالصحة والهناء فى الدنيا ، والسرور والثواب والجزاء فى دار الآخرة .

التعليــق

يُعْنىَ العارفون عناية تامة بتدبير الوقت ، ولا يفرطون فيه ، ولهم فى ذلك دقائق ورقائق ، يقولون فى ذلك : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، ويقولون : من ساعده الوقت فالوقت له وقت ، ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت .

ومن كلام ابن عطاء الله السكندرى : «إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس » ويستشهد شارح الحكم على توضيح مفهوم هذه الحكمة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى** ﴾ .

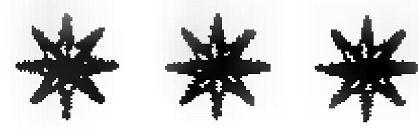
كما يستشهد على ذلك بقول الشاعر :

فما قضى أحد منها لبانته ... ولا انتهى أرب إلا إلى أرب

وفى موضع آخر يذكر كلام الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ : أدركت أقواما كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم . يقول : كما لا يُخرج ديناراً

ولا درهماً إلا فيما يعود عليه نفعه فكذلك لا يحبون أن تخرج ساعة من أعمارهم إلا فيما يعود عليهم نفعها . .

وتدبير الوقت يعنى شغله فيما يفيد الإنسان فى أخراه وتعمير دنياه التى تعينه على أخراه ، وربما كان أصدق تعبير فى ذلك هو قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ .
ويوافق ذلك ما جاء فى الأثر : «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » . .



(قسمت الصلاة بينى وبين عبدى)

الحديث الثالث والعشرون بعد المائة

« قَسمت الصّلاةَ بينى وبَينَ عبدِى نِصْفيْنِ ولِعَبْدى ما سَألَ فإذَا قالَ العَبْدُ الحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين قال الله : حَمدَنى عَبْدِى ، فإذَا قال : الرحْمنِ الرّحيمِ قالَ الله : أثنى علىَّ عبدى فإذا قال العَبْدُ مالك يوْم الدّين قال : مَجّدَنى عَبْدى ، وإذا قال : إيَّاكَ نعْبُد وإيَّاكَ نسْتعينُ قالَ : هذا بيْنى وبَينَ عَبدى ولِعَبَدى ما سَأل ، فإذَا قال : اهْدِنا الصّراطَ إلى آخرِه قال : هذا لِعبدى ولِعبْدى ما سَألَ »

رواه أحمد . ومسلم . وأبو داود . والترمذى . والنسائى . وابن حبان . وابن ماجه . عن أبى هريرة . (٣١٤)

---

٣١٤ ـ الحديث في صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٩٦
عن سفيان بن عيينة عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة
ورواه أحمد في مسنده جـ ١٣ ٧٢٨٩ ، والترمذي جـ ٥ ٢٩٥٣ وابن ماجه جـ ٢ ٣٧٨٤

شرح الحديث

القسْم : بفتح أوله وسكون ثانيه مصدر قسم الشىء فانقسم أى أفراز النصيب ، والقسم ـ بكسر أوله وسكون ثانيه ـ الحظ والنصيب من الخير فيقال : هذا قسمى والجمع أقسام ، وقسمة الميراث والغنيمة تفريقهما على أربابهما .

والصلاة هى العبادة المخصوصة المشتملة على التكبير والتسبيح والقراءة وأصلها الدعاء وهى من العبادات التى لم تنفك شريعة منها وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾ [٣١٥] والمراد بها هنا قراءة الفاتحة لا شتمالها عليها من إطلاق الكل وإرادة الجزء كما يدل عليه تمام الحديث .

والحديث الذى فى أول [٣١٦] الكتاب جاء مصرحا بذلك وقد تقدم ذكره وذكرنا ما يتعلق به إجمالا ، ونذكر الآن ما يتمم ذلك .

والمعنى أن الله تباركت أسماؤه وتنزهت صفاته أخبرنا أن الفاتحة التى اشتملت عليها الصلاة وقسمها بينه عز وجل وبين عبده نصفين ، فيصح أن تكون القسمة من جهة المعنى دون اللفظ لأن نصف الدعاء يزيد على نصف الثناء ، ونصفها الأول تحميد لله تعالى ذكره وتمجيد له وثناء عليه ، ونصفها الثانى سؤال وتضرع وافتقار ، ويحتمل أن تكون باعتبار اللفظ لأنها سبع آيات بدليل حديث أول الكتاب قال الله تعالى : « **ابن آدم أنزلت عليك سبع آيات : ثلاث لى . وثلاث لك . وواحدة بينى وبينك** » الحديث فثلاث منها ثناء ، وثلاث دعاء والآية المتوسطة نصفها ثناء ونصفها دعاء ، فنصفها لله عز وجل خاص به وهى الثلاث الآيات الأول ؛ ونصفها للعبد خاص به وهو من ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ إلى آخر السورة . وقوله ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ بين الله عز وجل وبين عبده . قال أستاذنا الجليل الشيخ محمود محمد خطاب السبكى رحمه الله تعالى فى شرحه على سنن أبى داود :

---

٣١٥ ـ النساء ١٠٣ .

٣١٦ ـ هو الحديث «قال الله ـ تعالي ـ ابن آدم أنزلت عليك سبع آيات : ثلاث لي ، وثلاث لك ، وواحدة بيني وبينك .. إلي آخر الحديث ..



وإضافة العبد إلى ربه لتحققه بصفات العبودية وقيامه بحق الربوبية وشهوده لآثارهما وأسرارهما في صلاته التي هي معراج الأرواح ، وروح الأشباح ، وغرس تجليات الأسرار ، التي يتخلى بها الأحرار عن الأغيار .

ولما كان وصف العبودية غاية الكمال إذ به ينصرف الإنسان من الخلق إلى الحق وصف الله تعالى به نبينا محمدا ـ ﷺ ـ في مقام الكرامة فقال : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا** ﴾ ـ [٣١٧] ـ وقال عز وجل : ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده** ﴾ [٣١٨] وقال : ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ ـ [٣١٩] ـ

وقوله في الحديث : «ولعبدي ما سأل » أي أن الله عز وجل وعد عبده إذا سأله شيئا أن يعطيه ويمنحه إياه ويجيب دعاءه بشرط أن يكون مشروعاً غير مشتمل على ما يمنع شرعا وعقلا .

وقوله : «إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين » بيان للصلاة التي قسمها عز وجل بينه وبين عبده . وبيان لمعنى القسمة لها ، فذكر ـ ﷺ ـ ما يقول الله تعالى عند قراءة العبد كل آية منها ، وأعلم العبد أنه يسمع قراءته وحمده وثناءه عليه وتمجيده إياه ودعاءه ورغبته سماعا يليق بعظمته وجلاله ، فكل حمد وثناء يصدر عن نعمة ما فهو له تعالى لأنه مصدر كل نعمة في الكون تستوجب الحمد ، ومنها نعمة الخلق والإيجاد والتربية والتنمية ، وهو الرحمن كثير الرحمة وغزيرها التي وسعت كل شيء . ورحيم بعباده يعفو ويصفح . يكرم ويحلم ، وهو المالك ليوم الدين له السلطان المطلق والسيادة التي لا نزاع فيها لا حقيقة ولا ادعاء ، والعالم كله يكون فيه خاضعا لعظمته ظاهرا وباطنا يرجو رحمته ويخاف عذابه ذلك اليوم يوم الجزاء ، يوم الحساب ، يوم العرض على رب الأرباب ، يوم تظهر فيه الأعمال ويقول كل شخص : نفسي نفسي ، يوم لا يملك الإنسان شيئا بل الأمر كله يومئذ لله . قال الله

---

٣١٧ ـ الإسراء ١

٣١٨ ـ الفرقان ١

٣١٩ ـ النجم ١٠

تعالى : ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾ (٣٢٠) - : أخرج ابن جرير والحاكم وصححه عن ابن مسعود وناس من الصحابة أنهم فسروا يوم الدين بيوم الحساب : وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس : وأخرج عبد الرزاق : وعبد بن حميد . وابن جرير عن قتادة قال : يوم الدين يوم يدين الله العباد بأعمالهم . وهو الذى يعبد وبه يستعان أى لا يعبد غيره ولا يستعان استعانة حقيقية إلا به .

والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل فاجتث الله بقوله ذلك جذور الشرك والوثنية التى كانت فاشية فى جميع الأمم الغابرة ، وهى اتخاذ أولياء من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية ويدعون لذلك من دون الله : ويستعان بهم على قضاء الحوائج فى الدنيا ويتقرب بها إلى الله زلفى . وجميع ما فى القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين هو تفصيل لهذا الإجمال .

وقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ الهداية الإرشاد أو التوفيق أو الإلهام أو الدلالة . والصراط : الطريق .

والمستقيم : الواضح الذى لا اعوجاج فيه - وهو دين الإسلام - ممن أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير طريق المغضوب عليهم ولا الضالين أى غير المنعم عليهم وهما فريقان : فريق ضل عن صراط الله . وفريق جحد وعاند من يدعو إليه فكان محفوفا بالغضب الإلهى والخزى فى هذه الحياة الدنيا وهما اليهود والنصارى ، اللهم اهد الخلق لأقوم الطرق وأوضحها وأسهلها وهو دين الإسلام الذى ليله كنهاره لا يضل عنه إلا هالك وفى هذا القدر كفاية والله أعلم .

---

٣٢٠ - الانفطار ١٧ - ١٩ .

التعليـق

من أسرار الفاتحة : قال الدكتور محمد طاهر القادرى الباكستانى ، فى بحثه : فلسفة الصلاة والصوم والحج والزكاة : أن الفاتحة فيها إشارة إلى أبواب الجنة الثمانية ، وإذا قرأها المصلى بإخلاص انفتحت له هذه الأبواب الثمانية :

وأول باب هو باب المعرفة ، ويفتح حين يثنى العبد على ربه فى أول باب الصلاة.

والباب الثانى هو باب الذكر ، ويفتح إذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم .

والباب الثالث هو باب الشكر ، ويفتح إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين وعندها يصبح قلبه مغلوبا بالإحساس والشكر والامتنان .

والباب الرابع هو باب ، ويفتح إذا قرأ العبد : الرحمن الرحيم ، يأمر الله ملائكته بفتح هذا الباب لأن العبد ذكر رحمات ربه .

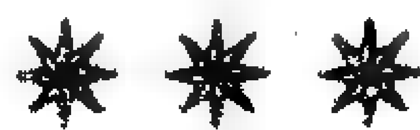
والباب الخامس هو باب الخوف ، ويفتح إذا قرأ العبد مالك يوم الدين . . لأن العبد يتذكر ذنوبه أمام ربه فعند ذلك يسعده الله برحمته بسبب خشيته من ربه .

والباب السادس هو باب الإخلاص ، ويفتح للعبد بقوله : إيا نعبد وإياك نستعين .

والباب السابع هو باب الدعاء ، ويفتح بقوله : اهدنا الصراط المستقيم .

والباب الثامن هو باب الاقتداء ، ويفتح حين يطلب من الله أن يكون من المنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وإذا تحقق العبد بذلك وصلت به صلاته إلى درجة المعراج التى ورد فيها الأثر : «الصلاة معراج المؤمن » .



الحديث الرابع والعشرون بعد المائة

« عِبَادٌ لِى يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الضَّأْنِ وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، يَخْتِلُونَ النَّاسَ بِدِينِهِمْ ، أَبِىَ يَغْتَرُّونَ ؟ أَمْ عَلَىَّ يَجْتَرِئُونَ ؟ فَبِى أَقْسَمْتُ لَأُلْبِسَنَّهُمْ فِتْنَةً تَذَرُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ »

رواه ابن عساكر عن عائشة[٣٢١]

شرح الحديث

المسوك ـ جمع مسك بفتح أوله وسكون ثانيه ـ الجلود جمع جلد والضأن ذوات الصوف من الغنم الواحدة ضائنة والذكر ضائن وهو ضد الماعز .

والقلوب جمع قلب وهو الفؤاد وسمى قلبا لكثرة تقلبه . ويعبر بالقلب عن المعانى التى تختص به من الروح والعلم والشجاعة وغير ذلك .

والصبر : ـ بفتح الصاد وكسر الباء الموحدة فى الأشهر وسكونها للتخفيف لغة قليلة ـ الدواء المر المعروف ، ويختلون يطلبون طلب خداع ومراوغة يقال : ختله ويختله إذا خدعه وراوغه . وختل الذئب الصيد اذا تخفى له .

والدين يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة ، ويغترون يخدعون يقال : اغتر الرجل واغتر بالشيء خدع به . ويجترئون يقدمون بجرأة أى شجاعة .

٣٢١ ـ ذكره كنز العمال جـ١٠ ٢٩٠٥٥ / وجاء في الإتحافات السنية للمدني برقم ٥٧ .
وقد رمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف ..
وقد وردت أحاديث بهذا المعنى منها ما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة : يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ، ويلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلي من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله ـ عز وجل ـ : أبي يغترون ؟ أم علي يجترئون ؟ فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران ،
ورمز جامع الأحاديث بالضعف أيضا . الترمذي جـ٤ ٢٤٠٤

والجرىء - بالمد - المقدام وجرأه عليه تجرئة فاجترأ ، واجترأ على القول أسرع بالهجوم عليه من غير توقف ، والاسم الجرأة .

والقسم - بفتح أوله وثانيه - : اليمين ، وأقسم : حلف ، اللبس : الخلط والتشبه والتشكيك والفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار .

وتذر : تدع ، والحليم : العالم العاقل ، والحلم : الأناة والتثبت فى الأمور .

والحيران الذى لا يدرى وجه الصواب ، ورجل حائر بائر إذا لم يتجه لشىء ، وقوله « رواه ابن عساكر » تقدمت ترجمته وضعف الحديث لا يخفى والله أعلم .

والمعنى أن من عباد الله جل ذكره عباداً يظهرون للناس ويلبسون جلود الشياه وهو كناية عن إظهار اللين فى كلامهم وحنانهم وحسن أخلاقهم وهم فى الحقيقة ذئاب قلوبهم التى يعقلون بها أمر من الصبر ، وألسنتهم بين الناس أحلى من العسل تشتهى أن تسمع منهم وتجالسهم ولا تفارقهم يختلون الناس بدينهم ويخدعونهم ويطلبون بذلك عمل الدنيا بالآخرة ويراوغونهم كما يراوغ الذئب الصيد إذا تخفى له ، وهذا غرور منهم بالله عز وجل ، واغترار به وجرأة عليه جل ذكره لأن الخلق خلقه والعباد عبيده فكيف يقدمون على هذه الأعمال ولا يبالون بأن لهذه الخلائق رباً وإلهاً وخالقاً يحفظهم من أمثال هؤلاء المختالين الذئاب ، فيخبر الله بأنه أقسم وحلف ليلبسنهم ويخلطن عليهم ويوقعهم فى الشكوك جزاء فعلهم ذلك فتنة وابتلاءً وامتحانا تذر وتترك العاقل العالم المتثبت فى الأمور متحيراً ، لا يقدر على دفعها فكيف بغير الحليم ؟

ويصدق هذا على من يتظاهر بالدين والتقوى ويلين للناس فى الكلام والأخلاق ويتساهل فى أحكام الدين فترغب فيه العوام ويقبلون عليه ، ويصيرون من حزبه فتجلب له الأموال ، ويحظى بالرئاسة والوجاهة وكثرة الأتباع وهو فى الحقيقة جهول غشاش لأن ما يدعو إليه ظاهراً إنما هو لغرض دنيوى ومن حطام الدنيا ، لذلك تجد قلوبهم غير موافقة لعملهم لأن ألسنتهم فى الأقوال والدعاوى أحلى من العسل ، وقلوبهم وأفئدتهم خالية من الإخلاص والورع والنية الصالحة فهى أمَرّ من

الصبر .

فنسأل الله أن يهديهم لأقوم الطرق وأحسنها ، ويصدق أيضا على من يدعى الولاية والخلافة من عوام الجهال ويدعون الناس إلى الانضمام لشيعتهم ويَحَسَّنُون لهم كثيراً من البدع والخرافات ويضللون طريق الهدى عليهم بألسنة أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر المعروف ، يخدعونهم بلين أقوالهم لينجذبوا إليهم ويصيروا عبيداً لهم يأتمرون بأمرهم وينتهون بنهيهم ، فهؤلاء أيضا يغترن بالله عز وجل ويجترئون عليهم ، فلهم فتنة يلبس الله عليهم فيها تترك الحليم العاقل حيران لا يدرى ما يفعل فما بالك بغيره والله أعلم .

التعليق

ينطبق هذا الحديث على كل مراء مخادع ، سواءٌ كان واعظاً يعظ الناس ولا يعظ نفسه ، أو عالماً لا يعمل بعلمه ، أو شجاعاً يفاخر بشاعته ، أو مصليا يرائى بصلاته أو غير ذلك .

وقد حذَّر النبى - ﷺ - من الرياء ، وتوعَّد عليه . عن أبى بن كعب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتمكين فى الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب** »

- رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى - - -

وعن جندب بن عبد الله رضى الله عنه - قال - : قال النبى ﷺ : « **من سمَّعَ سمَّع الله به ، ومن يُرَاءِ يُرَاءِ الله به** » - رواه البخارى ومسلم -

وروى الطبرانى فى الكبير قوله - ﷺ « **من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمِسَ وجهه ، ومُحِقَ ذكره ، وأثبت اسمه فى النار** »

نرجو الله أن يرزقنا الإخلاص فى العمل ، فى السر والعلن ، وأن يرزقنا حسن الختام ببركة النبى - عليه أفضل الصلاة والسلام -



الحديث الخامس والعشرون بعد المائة

« عَلامَةُ مَعْرِفَتِى فى قُلوب عبادى حُسْنُ مَوْقِعِ قَدَرِى أن لا أشْتكى وأنْ لاَ أسْتَبْطأ وأنْ أسْتَحْيا »

رواه الديلمى عن أبى هريرة (٣٢٢)

شرح الحديث

العلامة السَّمة جمعها علام وعلامات . والعلامة أيضاً الفصل بين الأرضين . وشيء منصوب فى الطريق يهتدى به ، والمعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وهو أخص من العلم . ويضاده الإنكار .

والقدر ـ بفتحات وقد يسكن داله مصدر قدر يقدر وهو ما قضاه الله تعالى وحكم به من الأمور وقوله « أن لا أشتكى » أى لا يشكو العبد من الله تعالى وحكمه .

وأن لا أستبطأ أى يستبطيء العبد مولاه بأن دعاه وانتظر الإجابة ، وقال : ان الله جل ذكره استبطأ إجابتى وأخرها مثلا ، يقال بطؤ وتباطأ واستبطأ وابطأ فبطؤ إذا تخصص بالبطء وتباطأ تحرى وتكلف ذلك واستبطأ طلبه وأبطأ صار ذا بطء ويقال : بطأه وأبطأه .

---

٣٢٢ ـ هذا الحديث في مسند الفردوس ٥٣ / ٤٤٥٢ .
وكنز العمال جـ١ صـ٦٠٦ ، وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٠٠١١٧ ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .
وهذا الحديث ورد في مطبوعة صبيح بلفظ « وأن لا أستحيا » والصواب ما ذكرناه من جامع الأحاديث القدسية برقم ١١٢٧ جـ٣ صـ٤٥٢
وجاء هذا الحديث في الإتحافات السنية للمدني بلفظ « قال الله ـ عز وجل ـ علامة معرفتي في قلوب عبادي حسن موقع قدري أن لا أشتكي ، وأن لا أستبطأ ، وأن لا أستخفي » .
وعلق مصحح النسخة علي الحديث بقوله : وردالكلمة الأخيرة هكذا ، ولعلها « أستجفي » بمعني أنسب إلي الجفاء ، أو يجفرني عباد.فيملوني .

ـ الإتحافات للمدني صـ٤٠ .

وقوله « **وأن لا أستحيا** » يجوز أن يكون من الاستحياء طلب الحياء ، وأن يكون من الاستحياء الاستبقاء ولعل الأول أقرب إلى ألفاظ الحديث .

والمعنى أن الله جل ذكره أخبر أن علامة معرفته جل وعز فى قلوب عباده حسن موقع قدره وحكمه وقضائه عندهم حيث أن أحدهم إذا أصابه شيء من بلايا الدنيا وامتحاناتها واختباراتها يصبر ويصمد لها ولا يشكو الله سبحانه وتعالى إلى غيره ، ولا يشتكى أيضاً إذا مسه أذى فى جسده وماله وأولاده وأقاربه ، بل يرضى بقضاء الله سبحانه وحكمه ولا يقول إلا خيرا ويحمد الله جل ذكره ويصبر لحكمه وقضائه ففعل هذا يدل أنه عرف الله وآمن بقضائه وقدره ، وقدر الله يجب الإيمان به كله خيره وشره ، حلوه ومره ، نفعه وضره .

ومذهب أهل الحق إثبات القدر والإيمان به كله ، وقد جاء من النصوص القطعيات فى القرآن العزيز والسنن الصحيحة المشهورات فى إثباته ما لا يحصى من الدلالات .

وذهبت القدرية [٣٢٣] إلى إنكاره وأن الأمر أنف ـ أى مستأنف لم يسبق به علم الله ـ تعالى الله عن قولهم الباطل علواً كبيراً ، وقد جاء فى الحديث تسميتهم مجوس هذه الأمة ، لكونهم جعلوا الأفعال للفاعلين ، فزعموا أن الله تعالى يخلق الخير ، وأن العبد يخلق الشر ، جل الله عن قولهم الباطل .

وكذلك إذا طلب من الله شيئا فلا يلح فى الطلب ، ولا يستأخره ويستبطئه ويقول : إن الله تعالى أخر طلبى ولم يجعل لى ، ولربما ظن أن تأخير الله فى طلبه وإجابته عدم قدرته عليه واستطاعته ، فيقع فى الهلاك نسأل الله العافية ، وأن لا يستحيى أحدنا من الله جل ذكره فيقدم على المعاصى ولا يبالى ، لأن المستحيى ينقطع بحيائه عن المعاصى وإن لم يكن تقية وان الحياء من الله فوق ذلك . روي الترمذى عن

---

٣٢٣ ـ القدرية طائفة يزعمون أن الإنسان يصنع قدره بنفسه قائدهم في هذه المقولة غيلان الدمشقي قتل في عهد الأمويين .

عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **استحيوا من الله حق الحياء . قال : قلنا يا نبى الله إنا لنستحيى والحمد لله . قال : ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، وتحفظ البطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء** » .

وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء فلم تلقه إلا مقيتا ممقتاً فإذا لم تلقه إلا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا ، فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة ، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيما ملعنا ، فإذا لم تلقه إلا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الإسلام ، والربقة بكسر الراء وفتحها واحدة الربق وهى عرى فى حبل تشد به إليهم وتستعار لغيره** »

وروى البخارى . ومسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **الحياء لا يأتى إلا بخير** » وفى رواية لمسلم « **الحياء خير كله** »

وروى الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « **الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر** » هذا أحد احتمالين فى قوله « وأن لا أستحيا » وهو الأقرب ويحتمل أن يكون من الاستحياء الاستبقاء أى يعتقد الشخص أو يظن أن الله سبحانه وتعالى غير باق لأن إجابته تأخرت أو طال مرضه وأزمن وهو يدعو الله أن يشفيه من ذلك ويذهب ما به من البلاء ، وفى القلب من الحديث شىء . والله أعلم .

التعليق

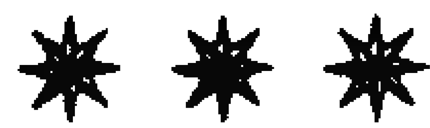
يشير هذا الحديث إلى علامة العارف : أن يعرف قدر ربه فيعظمه حق تعظيمه ، وأن لا يتبرم بقضاء ربه فيشتكيه إلى خلقه حين ينزل عليه بلاء ، وأن يستحيى من الله فلا يرتكب الذنوب حياءً من الله . .

والشكوى المذمومة هى التى تكون مظهر جزع وضيق بالحكم واعتراض على القضاء ، ومصحوبة بما يسخط الرب تعالى . . .

أما الشكوى التى يرفع فيها العبد شكاته إلى ربه ، متضرعاً عنه أن يرفع عنه البلاء ، وأن يفرج عنه الضيق والكرب فلا بأس بها ، بل ربما كانت من الأمور الممدوحة ، فقد ورد فى بعض الأحاديث التى مرت : إنى أحب أن أسمع صوت عبدى . .

وقد جاء فى حق يعقوب عليه السلام حين بكى على يوسف وأخيه قوله ـ تعالى ـ ﴿ قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ يوسف ٨٥ ـ ٨٦ ـ

جاء فى تفسير القرطبى : الحزن ليس بمحظور ، وإنما المحظور الولولة وشق الثياب والكلام بما لا ينبغى . . .



(كراهة مفارقة الروح جسدها)

الحديث السادس والعشرون بعد المائة

« قالَ اللهُ للنَّفسِ اخرُجى ، قالتْ لا أخرُجَ إلاَّ وأنا كارهة ، قالَ اخرُجى وَإنْ كرِهْتِ »

رواه البزار . والديلمى عن أبى هريرة [٣٢٤]

---

٣٢٤ ـ ورد هذا الحديث في الاتحافات السنية للمدني برقم ١٢٠ وعلق عليه المصحح الشيخ محمود النواوي بقوله الحديث تمثيل لحب الناس للحياة وحرصهم علي البقاء ، ومثله في قوله « وما ترددت في شيء ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » .

ـ الإتحافات للمدني صـ٤٥ ـ

شرح الحديث

ـ النفس ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ الروح يقال : خرجت نفسه والنفس الدم يقال : سالت نفسه . والنفس الجسد . ونفس الشيء عينه ، والمراد به هنا الروح والروح للحيوان مذكر وجمعه أرواح . قال ابن الانبارى وابن الاعرابى : الروح والنفس واحد غير أن العرب تذكر الروح وتؤنث النفس ، وقال الأزهرى أيضا : الروح مذكر . قال صاحب المحكم والجوهرى : الروح يذكر ويؤنث . وكأن التأنيث على معنى النفس ، قال بعضهم : الروح النفس فإذا انقطع عن الحيوان فارقته الحياة ، وقالت الحكماء : الروح هو الدم ولهذا تنقطع الحياة بنزفه وصلاح البدن وفساده بصلاح هذا الروح وفساده .

ومذهب أهل السنة أن الروح هو النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب ولا تفنى بفناء الجسد وأنه جوهر لا عرض ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ **بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ (٣٢٥) . والمراد هذه الأرواح .

والكره والكراهية المشقة التى تنال الانسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه ، أو ما يناله من ذاته وهو يعافه ، وذلك على ضربين أحدهما ما يعاف من حيث الطبع ، والثانى ما يعاف من حيث العقل والشرع ، ولهذا يصح أن يقول الإنسان فى الشيء الواحد أنى أريده وأكرهه بمعنى أنى أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل أو الشرع ، أو أريده من حيث العقل أو الشرع وأكرهه من حيث الطبع .

والمعنى أن الله جل ذكره يقول للنفس أى الروح التى بين جنبى العبد وما به حياته : أخرجى من جسد عبدى فقد انقضى أجله وانصرم عمره وانتهت مدة اتصالك به وحلولك فيه وتعلقك به تقول : لا أخرج من جسدى الذى حللت فيه وعلقت به وأنا راضية مرضية فإنه يصعب على مفارقته وتركه ولى بصحبته مدة طويلة قلت أو كثرت لا أنها تمتنع وتأبى على الله وتعصى أمره جل وعز بل يعز عليها

---

٣٢٥ ـ آل عمران ١٦٩

الخروج وترك الجسد منفردا وحيدا بدونها - بل إذا أردت خروجى فأخرج كارهة لذلك غير راضية بذلك فيقول لها المولى جل ذكره : أخرجى وإن كرهت فتخرج كارهة . والروح لها بالبدن تعلقات كثيرة تتغاير أحكامها .

قال العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد الشهير بابن قيم الجوزية فى كتابه الروح : إن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام . أحدها تعلقها به فى بطن الأم جنينا . الثانى تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض . والثالث تعلقها به فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه . الرابع تعلقها به فى البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه ، فإنها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة . الخامس تعلقها به يوم بعث الأجساد ، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن - ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه ، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا ، وأما قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ - (٣٢٦) . فإمساكه سبحانه التى قضى عليها الموت لا ينافى ردها إلى جسدها الميت فى وقت ردا عارضا لا يوجب له الحياة المعهودة فى الدنيا ، وإذا كان النائم روحه فى جسده - وهو حى - وحياته غير حياة المستيقظ فإن النوم شقيق الموت . فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة انتهى . وإذا أردت ما يتعلق بمباحث الروح أوسع من هذا فعليك بهذا الكتاب تجد ما يشرح صدرك والله أعلم .

التعليـق

جاء فى كتاب التذكرة للإمام القرطبى - رضى الله عنه - : ذكر البخارى عن عبادة ابن الصامت عن النبى - ﷺ - : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء

---

٣٢٦ - الزمر ٤٢ .

الله كره الله لقاءه» فقالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت . فقال : «ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان من الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه» - أخرجه مسلم وابن ماجه من حديث عائشة ، وابن المبارك من حديث أنس - رضى الله تعالى عنه - .

وذكر القرطبى حديثا يشير إلى حال المؤمن عند احتضاره فقال : أخرج البزار فى مسنده من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : «إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان ، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين» - التذكرة للقرطبى جـ١ / ١١٦ - بتحقيقنا .

ومما لا شك فيه أن المؤمن الحق فى شوق دائم إلى لقاء ربه ، وقد جاء فى حكم ابن عطاء الله السكندرى : «لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها ، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها» .

واستشهد شارح الحكم على حقيقة ذلك بقوله - ﷺ - : «إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح» قيل : يا رسول الله ، هل لذلك من علامة يعرف بها؟ قال : «نعم التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله» .

روى أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : «بينا رسول الله - ﷺ - يمشى إذ استقبله شاب من الأنصار ، فقال له النبى - ﷺ - : «كيف أصبحت يا حارثة ؟» فقال : أصبحت مؤمنا حقا . قال : «انظر ما تقول ، فإن لكل قول حقيقة» فقال : يا رسول الله ، عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، فكأنى بعرش ربى بارزا ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار يتعاوَوْن فيها . فقال - ﷺ - : «أبصرت فالزم . عبد نَوَّرَ الله الإيمان فى قلبه»

. قال : يا رسول الله ، ادع الله لى بالشهادة ، فدعا له رسول الله ـ ﷺ ـ فنودي يوماً فى الخيل : يا خيل الله اركبى ، فكان أول فارس ركب ، وأول فارس استشهد .

فبلغ ذلك أمه ، فجاءت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت له : يا رسول الله أخبرنى عن ابنى حارثة ، فإن يك فى الجنة فلنْ أبكى عليه ولن أجزع ، وإن يك غير ذلك بكيت ما عشت فى الدنيا .

فقال ـ ﷺ ـ : « يا أم حارثة إنها ليست بجنة ولكنها جنة فى جنان وحارثة فى الفردوس الأعلى» .

فرجعت وهى تضحك ، وتقول : بخٍ بخٍ لك يا حارثة .

اللهم ارزقنا الشوق إلى لقائك



(أحاديث سبق ذكر معناها)

الحديث السابع والعشرون بعد المائة

«كذَّبنى ابنُ آدمَ ولَمْ يكُنْ لهُ ذلكَ وشَتَمنى ولَمْ يَكُن لهُ ذلكَ فأما تكذيبُه إيَّاىَ فزعمَ أنّى لا أقدر أنْ اعيده كما كانَ ، وأمَّا شَتْمُه إيَّاىَ فقَوْلهُ لىِ ولد فَسُبحانىِ أنْ أتخذَ صاحبةً ولا ولداً»

رواه البخارى عن ابن عباس ـ [٣٢٧] ـ .

---

٣٢٧ ـ أخرجه البخاري في صحيحه من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ حـ ٦ ص ٢٤
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .
والحديث في الاتحافات السنية للمدني برقم ٢٠
وقد سبق هذا الحديث عن أبي هريرة .

الحديث الثامن والعشرون بعد المائة

«كذَّبنى عبْدى وكم يكُنْ له انْ يُكذّبنى»

رواه ابن خزيمة عن أنس.[٣٢٨]

* * *

الحديث التاسع والعشرون بعد المائة

«كلُّ عملِ ابْنِ آدمَ لهَ إلاَّ الصِّيامَ فإنهُ لى وأنَا أجْزى بهِ والصيّامُ جنّةٌ وإذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ احَدكمْ فَلا يرفُثْ ولا يَصْخبْ وإنْ سابّهُ احَد اوْ قاتَله فَليَقلْ إنّى امْرؤٌ صائِم والّذى نفس مُحمّدٍ بيَدِه لخُلوف فَمِ الصّائم أطيَبُ عنْدَ الله منْ ريحِ المِسْكِ وللصائِم فَرْحَتانِ يَفرَحُهمَا إذا افْطرَ فَرحَ بفِطْرِه وإذَا لقى ربّه فَرحَ بصَوْمِه».

رواه الشيخان . والنسائى . وابن حيان عن أبى هريرة.[٣٢٩]

* * *

---

٣٢٨ ـ أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٦ ص ٢٢٢ بلفظ : «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك» بلفظ متقارب مفردا إلى أبي هريرة أيضا

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

٣٢٩ ـ أخرجه البخاري جـ ٣ ص ٣٤ .

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

رواه مسلم جـ ٢ ص ٨٠٧ . ورواه النسائي جـ ٤ ص ١٦٣ وهو في الاتحافات السنية للمدني برقم ١٤ .

الحديث الثلاثون بعد المائة

«كلُّ عمَلِ ابنِ آدمَ هوَ له إلاَّ الصَّوْمَ هوَ لي وأنا أجْزى به ولِلصّائم فرْحتان فرْحَة حينَ يُفْطِر وفَرْحَة حِينَ يلقى ربَّه وَلخُلوفُ فَمِ الصّائم أطيبُ عنْدَ الله مِنْ ريحِ المسْكِ» .

رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود . والطبراني . وابن النجار عن ابن مسعود وابن عساكر عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ـ (٣٣٠) ـ .

شرح الأحاديث

الحديث الأول : تقدم ذكره صفحة ١٢١ بألفاظ قريبة من هذا وأشبعنا الكلام عليه ، وزاد هنا لفظ «صاحبة» الصاحبة والصاحب الملازم إنسانا كان أو حيوانا أو مكانا أو زمانا ، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن ـ وهو الأصل والأكثر ـ أو بالعناية والهمة وعلى هذا قول الشاعر

لئن غبت عن عيني ... لما غبت عن قلبي

ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته .

والحديث الثاني : قريب من الحديث الأول وذكره له لاختلاف الرواة له ، والحديث الثالث تقدم ذكره ، وزاد هنا في هذه الرواية ألفاظ نتعرض لشرحها إن شاء الله تعالى .

فنقول : قوله « فلا يرفث » أي فلا يقل قول فحش ، أو لا يجامع .

وقال الأزهري : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة .

---

٣٣٠ ـ أخرجه أحمد في المسند جـ٢ ص ٥١٦ ، ولفظه «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به ، والذي نفس بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك» .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

وقال كثير من (العلماء أن المراد به هذا الحديث الفحش ورديء الكلام) .

وقوله «ولا يصخب » أى ولا يرفع صوته فى الخصام ويضطرب بهذيان . يقال : رجل صخب وصاخبة وصخَّاب وصخبان أى كثير اللغط والجلبة . والمراد بالنهى عن ذلك تأكيده حالة الصوم وإلا فغير الصائم منهى عن ذلك أيضا .

وقوله «فليقل أنى امرؤ صائم» يحتمل القول اللسانى ليندفع عنه الخصم أو النفى بأن يتفكر فى نفسه أنه صائم لا يجوز له الغضب أو السب أو هما معا فيكون أكمل .

وقوله «والذى نفس محمد بيده» قسم من النبى ـ ﷺ ـ للتأكيد وتحقيق الحكم . والخلوف ـ بضم الخاء وفتحها وحكى الخطابى الضم وغلط من فتح وتبعه على ذلك كثير من العلماء وبالغ النووى فى شرح المهذب فقال : لا يجوز فتح الخاء ، وهو مجاز عن القبول والرضا به .

وقوله : «للصائم فرحتان» إلخ قال القرطبى : معناه فرح بزوال جوعه وعطشه ، حيث أبيح له الفطر وهذا الفرح طبيعى وهو السابق للفهم . وقيل : إن فرحه بفطره إنما هو من حيث أنه تمام صومه وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على مستقبل صومه .

قال الحافظ بن حجر : قلت ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس فى ذلك ، فمنهم من يكون فرحه مباحا وهو الطبيعى ؛ ومنهم من يكون مستحبا وهو من يكون سببه شيء مما ذكره . وإذا لقى ربه فرح بصومه أي بجزائه وثوابه وقيل : الفرح الذى عند لقاء ربه إما السرور بربه أو بثواب ربه على الاحتمالين والثانى أظهر إذ لا ينحصر الأول فى الصوم بل يفرح حينئذ بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه

مما ورد من أحاديث تدعو إلى آداب الصوم

وقد وردت أحاديث كثيرة فى النهى عن الأعمال والأقوال غير المستحسنة فى الصيام ، منها ما رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ قال : «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**» .

وعند ابن ماجه «من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به» .

وروى ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم قال : صحيح على شرط مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ «ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابكَ أحد أو جهل عليك فقل إنى صائم إنى صائم» .

وروى ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» .

والحديث الرابع كالثالث ، والله أعلم .

التعليـــق

جاء فى بحث للدكتور محمد طاهر القادرى عن فلسفة الصوم : ينقسم الإنسان بالنسبة للصوم إلى أربعة أقسام :

١ ـ صوم العامة ، وهم الذين يمسكون عن الطعام والشراب والجماع ولا يقومون بمقتضيات الصوم من آداب كاجتناب الكذب والخداع والغيبة والنميمة وغيرها وهؤلاء لا يحصلون على ثمرات الصوم .

٢ ـ صوم الخاصة ، وهم الذين يجتنبون الصغائر والكبائر ، ونتيجة لهذا ينشأ جوهر التقوى فى سيرتهم ، ويجعلون التمييز بين الحلال والحرام شعارهم ومثل هذا الصوم جُنَّةٌ كما جاء فى الحديث الشريف .

٣ ـ صوم خاصة الخاصة ، وهو صوم الأولياء الذين لا يكونون متجسدين بالتقوى فحسب ، بل إنهم يطئون جميع رغبات النفس . هؤلاء الذين يندرجون تحت لواء قوله ـ تعالى ـ ﴿فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾ .

٤ ـ صوم أخص الخاصة ، وهو صوم الذين يسعدون بمقام المشاهدة ، وهم العباد الذين ينسون كل شيء ما سوى ذات الله ـ عز وجل ـ ولا تكون لديهم أمنية إلا الحصول على رضا الله ـ عز وجل ـ

إن الجنة نفسها لا تشغلهم عن الله . روى أن الإمام الجنيد ـ رضى الله عنه ـ قال : منذ أربعين سنة تعرض على الجنة ولكنى لا ألقى نظرة عليها برغبة . . أ هـ .

وهذه هى حال شهيدة العشق الإلهى رابعة العدوية التس سئلت عن الجنة ومدى الشوق إليها ، فقالت : الجار ثم الدار . .



(انتقام الله من الظالم)

الحديث الحادى والثلاثون بعد المائة

« لأنْتَقِمنَّ منَ الظالمِ فى عاجله وآجلِهِ ولأنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأى مظلوماً فَقَدرَ أنْ يَنْصرَه فَلمْ يَنْصرهُ »

رواه أبو الشيخ عن ابن عباس ، والطبرانى عن أبى الدوداء .

شرح الحديث

الانتقام تقدم تفسيره والظلم أيضا تقدم فارجع اليهما والعاجل الحاضر ، والعجل والعجلة ضد البطء ، وعاجله بذنبه إذا أخذه به ولم يمهله ، والآجل ضد العاجل .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أخبر لينتقمن من الظالم ويعاقبنه فى عاجله أى فى الدنيا وآجله آى فى الآخرة لأن الظالم أضر بنفسه فأوردها المهالك . والظلم جاءت جميع الشرائع باستقباحه والتنفير منه واستفظاعه ، وجاء فى القرآن الحكيم آيات كثيرة تندد بالظالم وتتوعده بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة قال الله تعالى : ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾[٣٣١] وقال تعالى : ﴿ **والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير** ﴾[٣٣٢] وقال تعالى : ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾[٣٣٣] وقال تعالى : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار** ﴾[٣٣٤] . وقال عز وجل : ﴿ **فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾[٣٣٥] .

وكذلك وردت أحاديث فى ذلك منها الحديث القدسى الذى تقدم ذكره « **إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا** » الحديث وذكرنا شرحه هناك مستوفى فارجع اليه ، ومنها ما رواه مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه « **أن رسول الله ﷺ قال : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم** » وروى البخارى ، ومسلم والترمذى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أن الله ليملى للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾[٣٣٦]

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث معاذا إلى اليمن فقال : « **اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى فى حديث والترمذى مختصرا هكذا واللفظ له ومطولا كالجماعة ، وكذلك توعد الله فى هذا الحديث بالانتقام والعذاب من قدر على نصر المظلوم

---

٣٣١ ـ آل عمران ١٩٢ ـ المائدة ٧٢ .
٣٣٢ ـ الشورى ٨ .
٣٣٣ ـ غافر ١٨ .
٣٣٤ ـ هود ١١٣ .
٣٣٥ ـ الأنعام ٤٥ .
٣٣٦ ـ هود ١٠٢

وتباطأ عنه ولم ينصره ، وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما - فكيف ننصره ظالما ؟ فقال : تأخذ فوق يديه** » رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى . وروى أبو داود عن جابر وأبى طلحة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من مسلم يخذل امرأ مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته . وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه و ينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته** » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا - يشير إلى صدره - بحسب امرىء من الشر أن يحتقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله** » رواه مسلم .

وحديث الباب ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب وقال : رواه أبو الشيخ أيضا فيه رواية أحمد بن محمد بن يحيى وفيه نظر عن أبيه .

وجد المهدى هو محمد بن على بن عبد الله بن عباس وروايته عن ابن عباس مرسلة[٣٣٧] والله أعلم .

التعليق - فوائد لدفع الظلم

لا شك أن الشعور بالظلم مرٌّ ، ووقعه شديد ، ومما يزيد من مرارته وشدة وقعه ألا يجد المظلوم ممن حوله من يدفع عنه الظلم . أو ينصره بكلمة حق مع قدرته ؛ بل ربما يجد من يعين الظالم عليه مع علمه بباطل الظالم وحق المظلوم . . .

---

٣٣٧ - فى رواية الترغيب والترهيب لهذا الحديث جاء سنده هكذا : عن محمد بن يحيي بن حمزة : كتب إليّ المهدي أمير المؤمنين ، فأمرني أن أصلب في الحكم - أي أكون شديدا قويا - وقال في كتابه : حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال رسول ﷺ - : « **قال الله تبارك وتعالي : وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ، ولانتقمن ممن رأي مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل** » .

- راجع الترغيب والترهيب جـ٣ صـ١٩٠ كتاب الترهيب من الظلم - الحديث ٢٧ -

والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يغفل عن الظالم ، وإنما يملى له حتى إذا أخذه لم يفلته . وهو الذى يقول وقوله الحق ﴿ **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء** ﴾ ـ ابراهيم ٤٢ ، ٤٣ ـ

ومن الفوائد التى ذكرها العلماء للاستجارة من الظالم والتعوذ من بطشه .

ما رواه ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « **إذا تخوف أحدكم السلطان فليقل : اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى جاراً من شر فلان بن فلان ، يعنى الذى يريده ، وشر الجن والإنس وأتباعهم أن يفرط علىَّ أحد منهم ، عزَّ جارك ، وجلَّ ثناؤك ولا إله غيرك** »

ـ رواه الطبرانى ـ

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : إذا أتيت سلطانا مهيبا تخاف أن يسطو بك ، فقل : الله أكبر ، والله أعز من خلقه جميعا ، الله أعز مما أخاف وأحذر ، أعوذ بالله الذى لا إله إلا هو الممسك السموات أن يقعن على الأرض الا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس ، اللهم كن لى جاراً من شرهم ، جلَّ ثناؤك ، وعزَّ جارك ، وتبارك اسمك ، ولا إله غيرك ـ ثلاث مرات ـ
رواه ابن أبى شيبة موقوفا .

وعن أبى مِجْلَز ، واسمه لاحق بن حميد ـ رضى الله عنه ـ وهو تابعى ثقة .

قال : من خاف من أمير ظلما فقال : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ـ ﷺ ـ نبيا ، وبالقرآن حكماً وإماماً نجاه الله منه .

ـ الترغيب والترهيب جـ٣ صـ١٩٣ ـ



الحديث الثانى والثلاثون بعد المائة

« لَسْتُ بِناظِرٍ فى حقِّ عبْدِى حتَّى ينظُرَ عبْدى فى حَقِّى »

رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس[٣٣٨]

شرح الحديث

ـ معنى ألفاظه ظاهرة ، والمعنى أن الله تبارك وتعالى أخبرنا أنه لا ينظر فى حق عبده ومصالحه حتى ينظر العبد فى حق مولاه جل وعز .

وحق الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين : الأول يتعلق بالأعمال والأفعال الظاهرة من صلاة وصيام وحج وزكاة واجتناب الكبائر والتباعد من الصغائر ومعاونة العباد والاحسان اليهم وغير ذلك مما جاءت به الشريعة الغراء . والقسم الثانى يتعلق بالاعتقاد والأعمال الباطنة كاعتقاد أن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وأن الله أرسل رسلا وأنبياء لإرشاد الخلق وتبيين طريق الحق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فيذعن العبد لهم وينقاد ويؤمن بما جاءوا به إجمالا وتفصيلا ، ويؤمن بالكتب المنزلة على الرسل جميعا وأنها من عند الله جل وعز إجمالا وتفصيلا ، ويؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى وحكمه وقضائه .

وحق العبد أن يتولى الله رعاية عبده وحفظه وستره ، ويضمن له الرزق ويوفقه لصالح الأعمال ، ويحببه إلى خلقه ويسهل له الأمور ، ويكثر له الحسنات ويمحو عنه السيئات ويعفو عن مساويه ، ويرفع منزلته دنيا وأخرى ، ويدخله الجنة وينعم

---

٣٣٨ ـ هذا الحديث أخرجه الطبراني في الكبير جـ١٢ ـ ١٢٩٢٢ وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية بأنه : ضعيف جدا ، اجتمع في إسناده ثلاثة من الضعفاء ..

وذكره أبو نعيم في حلية الأولياء جـ٢ صـ٣٠٤ ، وقال عنه : غريب من حديث معاوية بن قرة ، تفرد به عن زيد ، ولا أعلمه ، روي عن النبي ـ ﷺ ـ مرفوعا من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه .

عليه بأشاء كثيرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

فمتى قام العبد بحقوق الله جل ذكره وتعالت أسماؤه تجلى الله جل وعلا على عبده ، وأسدل عليه نعمه وبره وإحسانه ، ووفقه لما يرضى ويحب .

فعلى الانسان أن لا يغفل عن الأعمال الصالحة ويضيع وقته فى قيل وقال ، وإذا شتم هذا وظلم ذاك وجار فانه يأتى يوم القيامة وهو صفر اليدين من الحسنات ، فيلقى عذاب ربه وحتف نفسه .

اللهم إنى أسألك أن توفقنا إلى صالح الأعمال وتجنبنا مساويها إنك على ما تشاء قدير .

التعليق

تنبه العارفون إلى حقوق الله على عباده ، وعبروا عن ذلك تعبيرات دقيقة تدل على ذوقهم ومعرفتهم - قال ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه الجليلة : « حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها ، إذ ما من وقت يرد إلا والله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد ، فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه » ؟

وعلق الشارح على ذلك بقوله : الحقوق الكائنة فى الأوقات هى وظائف العبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرهما ، والحقوق المضافة إلى الأوقات هى المعاملات الباطنة التى تقتضيها أحوال العبد ، وأوقات العبد - كما يقول أبو العباس المرسى - أربعة : النعمة والبلية والطاعة والمعصية ، ولله تعالى عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية . فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه أن هداه لها ، ومن كان وقته المعصية فمقتضى الحق منه وجود الاستغفار والندم ، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر ، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر ، وفى الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ :

« من أعطى الشكر فشكر ، وابتلى فصبر ، وظُلِم فغفر ، وظَلَم فاستغفر » ثم

سكت رسول - الله - فقالوا : ماذا له يا رسول الله ؟ فقال : « **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** » أى لهم الأمن فى الآخرة ، وهم المهتدون فى الدنيا .

شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى لابن عباد الرندى جـ٢ صـ٣٧

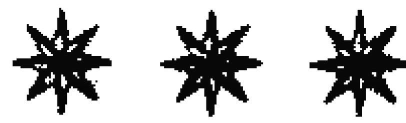


(من الأحاديث التى سبق معناها)

الحديث الثالث والثلاثون بعد المائة

« لَقدْ خَلقْتُ خَلْقاً أَلسنتُهمْ أحْلى من العَسلِ وقُلوبُهمْ أمَرُّ منَ الصَّبْرِ فَبى حَلفْتُ لأتيحَنَّهمْ فِتْنةً تَدَعُ الحليمَ منهمْ حيْرانَ فَبى يَغترُّونَ أمْ عَلىَّ يَجترِئونَ »

رواه الترمذى عن ابن عمر(٣٣٩)



الحديث الرابع والثلاثون بعد المائة

« لوْ أنَّ عَبْدى اسْتَقْبلنى بِقُرابِ الأرْضِ ذُنوباً لا يُشْرِكُ بىِ شَيْئاً اسْتَقْبلْته بِقُرابها مَغْفِرةً »

رواه الطبرانى عن أبى الدرداء(٣٤٠)

---

٣٣٩ - ذكره الترمذي في سننه جـ٤ ٢٤٠٤ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .
وذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ١ صـ٥٣ .
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٣٦١ .

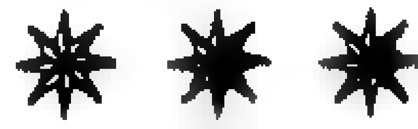
٣٤٠ - الحديث في كنز العمال جـ١ صـ٣١٦ .
وفي إتحافات المدني برقم ١٣٣ .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١٠ صـ ٢١٦ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .

شرح الحديثين

الحديث الأول تقدم ذكر مثله مع تغيير فى بعض ألفاظه .

وقوله « لأتيحنهم » لأقدرن وأنزلن بهم فتنة يقال : أتاح الله لفلان كذا أى قدره له وأنزله به . وتاح له الشيء ، وباقى الشرح تقدم .

والحديث الثانى تقدم بأطول من ذلك فارجع اليه والله أعلم .



(ثمرة الطاعات)

الحديث الخامس والثلاثون بعد المائة

« لوْ أنَّ عبادى أطَاعُونى لأسْقَيْتُهم المطَر باللَّيلِ ولأطْلَعْتُ عَلَيهمُ الشَّمْسَ بالنَّهار ولمَا أسْمَعْتُهمْ صوْتَ الرَّعْد »

رواه أحمد . والبزار والحاكم عن أبى هريرة [٣٤١]

شرح الحديث

ـ السقى والسقيا أن يعطيه ما يشرب . والإسقاء أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء ، فالإسقاء أبلغ من السقى لأن الإسقاء هو أن تجعل له ما سقى منه ويشرب قاله الراغب فى مفرداته .

والمطر الماء المنسكب وماء السحاب وجمعه أمطار .

---

٣٤١ ـ أخرجه الطيالسي في مسنده برقم ٢٥٨٦ .
وأخرجه أحمد في مسنده جـ٢ صـ٣٥٩ .
وأخرجه الحاكم في المستدرك جـ٤ صـ٢٥٦ .
والبزار في كشف الأستار جـ١ صـ٦٦٤ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .
وعلة الضعف من رواية صدقة بن موسي . قال عنه ابن حبان : كان شيخا صالحا إلا أن الحديث لم يكن من صناعته .

والرعد صوت السحاب وروى أنه ملك يسوق السحاب ، وقيل : رعدت السماء وبرقت وأرعدت وأبرقت . ويكنى بها عن التهدد .

والمعنى - والله - أعلم - أن الله جل وعلا يخبرنا أن عباده لو أطاعوه ليسقينهم المطر بالليل ، فينتفع به الزرع والبهائم والآدميون ، فلا يحصل لهم عطلة فى نهارهم لمعاشهم ، بل يصبح كل يزاول عمله ، ولا تشل حركة القوافل فى البرارى والقفار وحركة المشى والسعى فى المدن والقرى تسهيلا للعباد ورأفة بهم ، وليطلعن الشمس على العباد فى النهار لتجف الأراضى التى أصابتها الماء والطرق التى يسلكها العباد وتذهب المكروبات التى تدنو من الثمر والشجر وتلصق بها ، ولما سمع عباده صوت الرعد خوفا من أن يصيبهم رعب أو أذى من صوته . فيا عباد الله أطيعوا ربكم فى جميع أعمالكم ، وقوا أنفسكم من الله وارحموا الضعيف والمسكين ، ووقروا علماءكم وشيوخكم وكبراءكم وعاونوا المحتاج وعابر السبيل إن كنتم تنتظرون المادة والماء ، فإن الله جل ذكره وعدكم الخير الكثير والنعم التى لا تحصى ولا تعد إذا أنتم أطعتموه فى سركم وجهركم ، وأظهرتم شعائر الدين ونشرتم سنة الرسول ﷺ فى كل قطر وبلد وقرية وبيت ومحفل ومجتمع .

فاللهم إنى أسألك أن تهدينا لطاعتك وطاعة رسولك ﷺ .

تعليق

اختلف العلماء فى تسمية الرعد ، فقال بعضهم استنادا إلى حديث شريف فى ذلك : هو « **ملك بيده مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله** » أما الصوت الذى يسمع فهو صوت « **زجر السحاب حتى ينتهى إلى حيث أمره الله** » .

وقال ابن عباس : « **هو ريح تختنق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت** »

وقالت الفلاسفة : الرعد اصطكاك أجرام السحاب ، والبرق مما ينقدح من اصطكاكها وقيل : الرعد من الحركة ، ومنه الرعديد الجبان من الارتعاد وهو

الاضطراب وعلى أى شىء ، فهو ظاهرة تبعث الخوف فى النفوس .

ما يقال عند سماعه :

روى ابن عباس قال : كنا مع عمر بن الخطاب فى سفرة بين المدينة والشام ، ومعنا كعب الأحبار ، قال : فأصابتنا ريح وأصابنا رعد ومطر شديد وبرد . وفرق الناس قال : فقال لى كعب : إنه من قال حين سمع الرعد : سبحان من يسَبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته عوفى مما يكون فى ذلك السحاب والبرد والصواعق . قال : فقلتها أنا وكعب .

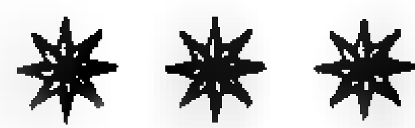
فلما أصبحنا واجتمع الناس قلت لعمر : يا أمير المؤمنين ، كأنَّا كنا فى غير ما كان فيه الناس ؟ قال : وما ذاك ؟

قال : فحدثته حديث كعب .

قال : سبحان الله ، أفلا قلتم لنا فنقول كما قلتم ؟ فى رواية : فإذا بردة قد أصابت أنف عمر فأثرت فيه .

وعن ابن عمر أن النبى ـ ﷺ ـ كان إذا سمع الرعد والصواعق قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك »

ـ تفسير القرطبى سورة البقرة ـ



(قلة الطعام وقاية من السقام)

الحديث السادس والثلاثون بعد المائة

« لمْ يَلْتخفِ العبادُ بلحِافِ أبلغَ عندِى مِنْ قلّةِ الطُّعمِ »

رواه الديلمى عن ابن عباس (٣٤٢)

٣٤٢ ـ هذا الحديث في كنز العمال جـ٣ ٧١٢٨ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف ، وضعفه اسيوطي أيضا .
وهو آخر حديث في جامع الأحاديث القدسية رقم ١١٥٠ .

شرح الحديث

ـ التحف بالثوب تغطى به واللحاف ما يلتحف به . وكل شيء تغطيت به فقد التحفت به وجمعه لحف ، والملحفة ـ بكسر أوله ـ هي الملاءة التي تلتحف بها المرأة .

والطعم ـ بالضم ـ الأكل ، وبالفتح ما يؤديه ذوق الشيء من حلاوة ومرارة وغيرهما وله حاصل .

والمعنى أن الله تبارك اسمه أخبرنا أن العباد لم يلتحفوا ويتغطوا بلحاف وغطاء يقيهم شدة البرد ، ويدفعه عنهم الأذى ، ويحفظ صحتهم ، ويقيها من الآلام والأمراض والعلل أبلغ وأحفظ وأشد وقاية عند الله من قلة الطعام ، فإن في قلة الطعام راحةً للجسم والعقل وحفظهما من الأسقام وقد جاء القرآن بذم الشبع والإسراف في تناول الطعام والشراب قال الله تعالى ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾[٣٤٣] .

وبين الشرع أن شر وعاء ملأه ابن آدم بطنه وأنه يكفيه ثلث للطعام وثلث للشراب ، وثلث لنفسه إذا كان لا محالة فاعلا . روى الترمذي . وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه** » .

وإنما كان ملء البطن شراً لما فيه من المفاسد الظاهرة دينية ودنيوية ، فالشبع يورث البلادة ويعوق الذهن عن التفكير الصحيح وهو أيضاً مدعاة للكسل والنوم فمن أكل كثيراً نام كثيراً ، ومن نام كثيراً ضيَّع وقته وقتله وهو رأس ماله في الحياة العملية فيخسر كثيراً من مصالحه الدينية والدنيوية .

ومن وصايا لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . هذا حال الشبع .

٣٤٣ـ الأعراف ٣١ .

وأما حال الاقلال من الطعام والشراب فالقلب يصفو والقريحة تتقد والبصيرة وتنفذ والشهوة مغلوبة والنفس مقهورة على أمرها ، وقد أرشدنا صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والتسليم إلى المقدار المناسب فى الطعام ـ وهو ما يقيم الحياة ويحفظ الصحة ويمكن الانسان من القيام بواجبه الشخصى والمشترك ، وإن كان لابد مكثراً منه يجعل ثلثى المعدة للطعام والشراب ويترك ثلثها الباقى خالياً حتى يتمكن من التنفس بسهولة ، وذلك إن البطن إذا امتلأت ضغطت على الحجاب الحاجز فضغطت على الرئتين فضاقت مجارى التنفس الذى هو ضرورى لإصلاح الدم الفاسد وتحويله إلى دم صالح تقوم له حياة الانسان وتحفظ صحته ، ولذلك جاء الترغيب فى الصوم وإن الله سجزى به بنفسه لأن أكبر مهذب للإنسان هو الصوم لتقليل الطعام فيه والله أعلم .

التعليق

أعظم قاعدة وضعها الإسلام لحفظ الصحة هى الاعتدال فى تناول الطعام والشراب وعدم الإسراف فيهما وقد قال الله تعالى فى ذلك ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ وقال النبى ـ ﷺ ـ فى ذلك « **نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع** » وقال فى ذلك : « **المعدة بيت الداء والحمية عين الدواء** » ومن لطف الله ـ تعالى ـ فى قدره أن يجعل نفس المريض غير قابلة للطعام . . قال عليه الصلاة والسلام : « **لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فإن الله يطعمهم ويسقيهم** » ويعلق العلماء على ذلك : إنه لا ينبغى أن يكره المريض على تناول شىء من الطعام أو الشراب الا الدواء ، حنانا ورفقا بهم لأن الحمية رأس الدواء . . .

راجع كتاب القرآن ينبوع العلوم والعرفان للأستاذ على فكرى جـ١ صـ١٠٢



(منزلة المتواضع عند ربه)

الحديث السابع والثلاثون بعد المائة

« لَيْسَ كلُّ مُصَلّ يُصَلّى ، إنَّما أتقبَّلُ الصّلاةَ مِمَّنْ تَواضعَ لعَظمَتى وكفَّ شَهواته عَنْ مَحارمى ولَم يُصرّ عَلى مَعْصيتى وآوَى الغَريبَ ، كل ذَلكَ وعزّتى وَجلالى إنّ نُورَ وَجْهه لأَضْوأ عندى مَنْ نُورِ الشّمْسِ عَلى أنْ أجْعلَ الجهالةَ لهُ علماً والظُّلمَةَ نُوراً ، يَدْعونى فَألَبّيه وَيَسْألُنى فأعْطيه ويُقْسمُ عَلّى فَأبرُّه ، أكلؤهُ بقُوتى وأستَحْفظه مَلائكتَى مَثَلهُ عِنْدِى كمَثَلِ الفرْدَوْسِ لا يَتَسَنَّه ثَمرُها ولَا يَتغَيّرُ حَالُها »

رواه الديلمى عن حارثة بن وهب [٣٤٤]

شرح الحديث

- التواضع التذلل والخشوع يقال : تواضع لله - خشع وذل .

والعَظَمة بفتحتين الكبرياء . والكف الترك والمنع .

والشهوات جمع شهوة وأصلها نزوع النفس إلى ما تريده . وذلك فى الدنيا ضربان : صادقة وكاذبة ، فالصادقة ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع ، والكاذبة ما لا يختل من دونه . وقد يسمى المشتهى شهوة ، وقد يقال للقوة التى تشتهى الشىء شهوة .

---

٣٤٤ - جاء هذا الحديث في الإتحافات السنية للدني برقم ١٠١ .
وفيه إضافة هي بعد ، ولم يصر علي معصيتي : « وأطعم الجائع ، وكسا العريان ورحم المصاب ،
ولفظ يتسني : جاء يتسنه بالهاء .
وذكره المنذري في الترغيب والترهيب بلفظ مقارب جـ١ صـ٤٤٦ .
ورمز جامع الأحاديث القدسية لهذا الحديث بالضعف «

والمحارم تطلق على المعاصى وعلى المنهيات وعلى ترك المأمورات .

والإصرار ، التزام الشيء والمداومة عليه . وأكثر ما يستعمل فى الشر والذنوب .

وآوى إلى كذا انضم اليه . وآواه ـ بالمد ـ رق له ورحمه وضمه اليه وأنزله عنده .

والغريب الوحيد الذى لا أهل له والبعيد عن الوطن والأقارب والأنصار .

وبر فى قسمه وأبر صدق وأبر الله حجه : قبله . وأكلؤه أحرسه والكلاءة الحراسة .

والفردوس الحديقة والبستان يذكر ويؤنث عربية واشتقاقها من الفردسة وقيل لغة رومية نقلت إلى العربية والجمع فراديس .

والمعنى أخبر الله تبارك وتعالى أن ليس كل مصل إذا صلى له ثواب صلاته وتقبل . بل لها شروط وأركان وسنن ومستحبات وهيئات ـ هذا كله ظاهراً . ولها شروط باطناً ـ منها التواضع لله والخشوع وكف أنفسه من الوقوع فى شهواتها والنظر إلى المحارم ـ فمن أتى بها كلها قبلت صلاته وجوزى عليها وظهرت علامة ذلك عليه قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾[٣٤٥] ولا شك أن الصلاة التى تنهى عن ذلك هى الصلاة المقبولة ظاهراً وباطناً فلذلك كل شخص تجده يصلى ويكثر الصلاة وهو مرتكب الذنوب والآثام فإنه لم يأت بها كما أمر ، فإنه وإن أحسن الظاهر فإنه لم يحسن الباطن ، وقد مدح الله فى كتابه الحكيم الخاشعين فى الصلاة قال : ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾[٣٤٦] قال ابن لهيعة[٣٤٧] عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى عن سعيد

---

٣٤٥ ـ العنكبوت ٤٥

٣٤٦ ـ المؤمنون ١ ، ٢

٣٤٧ ـ ابن لهيعه : هو أبو عبد الرحمن الحضرمي الغافقي المصري كان مكثرا من الحديث والأخبار والرواية ، وكان أبو جعفر المنصور قد ولاه القضاء بمصر في مستهل سنة ١٦٤ هـ ، وهو أول قاض ولي من قبل الخليفة .

ـ إعجام الأعلام لمحمود مصطفي صـ ٣٧ ـ

ابن جبير : الذين هم فى صلاتهم خاشعون - يعنى متواضعين لا يعرف من عن يمينه ولا من عن شماله ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل .

وخرج الإمام أحمد والنسائى والترمذى من حديث الفضل بن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **الصلاة مثنى مثنى تشهد فى كل ركعتين . وتخشع وتضرع وتمسكن وتقنع يديك - يقول ترفعهما إلى ربك عز وجل - وتقول يا رب يا رب يا رب فمن لم يفعل ذلك فهى خداج** » ، والخداج النقصان ومعناه هنا أنه ناقص من الأجر والفضيلة وكذلك الإصرار والاستمرار على المعاصى والتزامها فإنه يسبب رفض الصلاة وعدم قبولها .

ويأوى الغريب ويحسن اليه كل ذلك يفعله العبد لله عز وجل . ثم أقسم المولى جل وعـز بعزته وجلاله أن من كان موصوفاً بهذه الصفات الحميدة يكون نور وجهه أضـوأ عنـده من نور الشمس ويجعل له الجهالة - إذا كان جاهلا - علماً - أو إذا كان عالماً يزده علماً - ويجعل له الظلمة نوراً فلا يرى ظلمة أمامه لا ليلا ولا نهاراً ، فمن كان متصفاً بذلك يدعو الله جل وعز فيجاب دعاؤه . ويلبى ويسأل فيعطى ، ويقسم على الله جل علاه فيبر قسمه ويصدق يمينه ، وزيادة على ذلك فإن الله عز وجل يكلؤه ويحرسه بقوته وحوله ويستحفظه ملائكته ويكون مثله عند الله كمثل جنة الفردوس ، لا يتغير حالها ولا يتلف ثمرها أى أن الله سبحانه وتعالى يجعله مقبولا لكل أحد قلباً وقالباً من أين أتيته وجدته نافعاً ، ذا فائدة دينية ودنيوية . اللهم وفقنا لذلك يا رب .

والحديث ذكره الحافظ المنذرى بألفاظ قريبة من هذا من رواية ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل : « **إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصراً على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب وذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى أجعل له فى الظلمة نوراً . وفى الجهالة حلماً . ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة** »

رواه البزار من رواية عبد الله بن واقد الحرانى وبقية رواته ثقات(٣٤٨) .

---

٣٤٨ - كشف الأستار جـ١ صـ٣٤٨

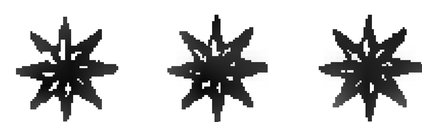
التعليق

يعنى أهل الذوق من العارفين بالتواضع ، ويأملون أن يتحققوا به كمقام من مقامات أهل العرفان ، ولهم فى التعبير عن التواضع أذواق رفيعة . انظر الى قول ابن عطاء الله السكندرى : « **ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع** » .

وعلق شارح الحكم على هذه الحكمة بأقوال بعض العارفين مثل قول أبى يزيد البسطامى : ما دام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر . قيل : فمتى يكون متواضعا ؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ، وتواضع كل أحد على قدر معرفته بربه وبنفسه .

ومن علامات التحقق بهذا الخلق أن لا يغضب إذا عيب أو تُنُقِّصَ ، ولا يكره أن يُذَم ويُقْذَف ، ويشتد حرصه على أن لا يكون له جاه وقدر عند الناس ، ويلتزم الصدق فى حاله بأن لا يرى لنفسه موضعا فى قلوبهم . . إن أصدق وصف لحال المتواضع هو الحديث الشريف : « **رب أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره** » . .

وصدق ابن عطاء الله السكندرى حيث يقول : « **التواضع الحقيقى هو ما كان ناشئا عن شهود عظمة الله ويملى صفته** » .



(كراهة العجب بالطاعة)

الحديث الثامن والثلاثون بعد المائة

« لَوْلاَ أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِعَبْدِى الْمُؤْمِن مِنَ الْعُجْبِ مَا خَلَّيْتُ بَيْنَ عَبْدِى الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الذَّنْبِ »

رواه أبو الشيخ عن كليب الجهنى [٣٤٩]

شرح الحديث

ـ الذنب يستعمل فى كل فعل يستوخم عقباه اعتباراً بذنب الشيء ، ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتباراً لما يحصل من عاقبته ، وجمع الذنب ذنوب ، والعجب ـ بضم العين المهملة وسكون الجيم ـ يقال فلان أعجب بنفسه وبرأيه ـ على ما لم يسم فاعله ـ فهو معجب بفتح الجيم والاسم العجب بضم العين ورأى : الزهو والكبر وإنكار ما يرد على الإنسان . ويظن بنفسه ما ليس عند غيره فيرى رأيه صواباً ورأى غيره خطأ .

وخلاه تركه وخاليته تاركته ، وأبو الشيخ تقدمت ترجمته ، وكليب الجهنى هو صحابى [٣٥٠] .

والمعنى والله أعلم ـ ان الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن الذنب للعبد المؤمن خير له من العجب ، ولولا ذلك لما خلى الله جل ذكره بين عبده المؤمن وبين الذنب بأن كفه وأمسكه وحفظه عن اقتراف ذنب ما لأن العبد إذا أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً يشعر بأنه عمل عملا سيئا وخالف سيده ، وأغضب خالقه واقترف ما يستحق الذم

---

٣٤٩ ـ الدحيث في كنز العال جـ٣ ٧٦٧٢ .
وهو في الإتحافات السنية للمدني برقم ١١٧ .
ولم يطق جامع الأحاديث القدسية بشيء حول درجته .

٣٥٠ ـ هو كليب أبو كثير الجهني ، روي عنه أولاده ما رواه عن النبي ﷺ .
من ذلك قوله : أتيت النبي ـ ﷺ ـ فبايعته علي الإسلام فأسلمت ، فقال : « احلق عنك شعر الكفر » فحلقته .
أسد الغابة جـ٤ صـ ٤٩٨

واللوم عليه من مولاه فيتراجع ويصغر فى نفسه ، وينقبض ويرى نفسه مخطئة فيعالج طرق الرضا ويطرق باب الصلح ويتذلل ويتواضع لمولاه وليقبل ولا يؤاخذ بذنبه ويعفى من ذلك ويسامح ، فمن هذا ما رواه مسلم فى صحيحه وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**» وأما اذا لم يقترف ذنباً ولم يقدم على معصية وداوم على البر والتقوى ، فينظر إلى غيره ممن غرق فى بحار المعاصى أو أتى مخالفة أو ارتكب محظوراً فإنه يرى نفسه خالية من كل ذلك فيدخله العجب فلا يلجأ إلى بارئه ويستفتح بابه ويسأله ويتواضع له ويتذلل فلا تظهر عظمة الرب وجلاله ويخفى سر الألوهية .

وروى البزار عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «**لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب**» لأن صاحب الذنب لا يأمن من مكر الله وعذابه كما قدمناه آنفا ، و لا يرى له منة وحقاً عند الله تعالى بل يكون دائماً فى خوف ووجل من ذنبه راجيا عفو مولاه لأنه يعرف عصيانه فيرجو له التوبة والمعجب مغرور بعلمه وعمله فتوبته بعيدة فهو من قبيل ﴿**وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**﴾ [٣٥١] فالعجب يصرف وجه العبد عن الله والذنب يصرفه إليه لأن العجب ينتج الاستكبار والذنب ينتج الاضطرار ويؤدى إلى الافتقار .

و خير أوصاف العبد افتقاره واضطراره إلى ربه ، وعلى هذا يظهر لك سر الحديث وما اشتمل عليه من الكنوز ، والله أعلم .

التعليق

للعارف بالله ابن عطاء الله السكندرى حكمة نفيسة تحلق فى فلك هذا الحديث الشريف وهى : «**لا يعظم الذنب عندك عظمة تَصُدُّك عن حسن الظن بالله تعالى ، فإن من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه**» .

وجاء فى حكمة أخرى : «**رب معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً**»

---

٣٥١ ـ الكهف ١٠٤ .

ان المعصية التى تؤدى إلى التوبة والاستغفار والفرار إلى الله أحب من الطاعة التى تؤدى بصاحبها إلى العجب والزهو ورؤية النفس . .

وكم من مذنب كثرت إساءته ومخالفته وجبت له الرحمة من ربه فكان له راحما وبقدر إيمانه وإن عصى عالما . .

إن الذنب يصرف العبد إلى ربه أما العجب فيصرف العبد عن ربه . . وكم بين هذين من فرق ! !

ويستشهد شارح الحكم بقصة طريفة نذكرها للعظة والاعتبار : روى عن أبان بن عياش قال : خرجت يوما من عند أنس بن مالك ـ رضى الله عنه بالبصرة ، فرأيت جنازة ، يحملها أربعة من الزنج ، ولم يكن معه رجل آخر .

فقلت : سبحان الله ! بسوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها أحد ، فلأكونن خامسهم ، فمضيت معهم .

فلما وضعوها بالمصلى قالوا لى : تقدم ، فقلت : أنتم أولى به ، فقالوا : كلنا سواء . فتقدمت فصليت عليه ، وقلت لهم : ما القصة ؟

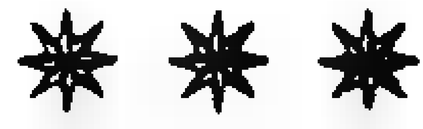
فقالوا : اكترتنا تلك المرأة .

قال : فقعدت حتى دفنوه ، فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهى تضحك ، فدخل فى قلبى شىء .

فقلت لها لا ينجيك إلا الصدق أى شىء قصة هذا الفقير ؟

فقالت : إن هذا ابنى ما ترك شيئا من المعاصى إلا فعله ، فمرض منذ ثلاثة أيام ، فقال : يا أماه ، إذا مت فلا تخبرى بوفاتى جيرانى ، فإنهم لا يحضرون جنازتى ويشمتون بموتى ، واكتبى على خاتمى هذا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، واجعليه على كفنى . فلعل الله ـ تعالى ـ يرحمنى به ، وضعى رجلك على خدى وقولى : هذا جزاء من عصى الله . فإذا دفنتينى فارفعى يديك إلى الله تعالى ، وقولى : إنى رضيت عنه فارض عنه .

فلما مات فعلت جميع ما أوصى به ، فلما رفعت يدى إلى السماء سمعت صوته بلسان فصيح يقول : انصرفى يا أماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان على - فإنما ضحكت من هذا . . شرح الحكم جـ١ صـ ٧٥ .



(أفضل ما يقرب العبد إلى الله)

الحديث التاسع والثلاثون بعد المائة

« مَا تقَرَّبَ إلىَّ العَبْدُ بمثْل أداء فَرائضى وإنَّهُ لَيتقرَّبُ إلىَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه فإذَا أحْبَبْتُه كُنْتُ رجْلَهُ الَّتى يَمْشى بهَا ويَدَهُ الَّتى يَبْطشُ بها ولسانَه الَّذى يَنْطقُ بهِ وَقلْبَهُ الَّذى يَعْقلُ بهِ إنْ سَألنى أعْطَيْته ، وإنْ دَعانى أجَبْتُهُ »

رواه ابن السنى عن ميمونة (٣٥٢)

شرح الحديث

- التقرب طلب القربة وأخذ المثوبة والفرائض جمع فريضة بمعنى مفروضة وأصل الفرض القطع وفى الشرع ما أوجبه الله تعالى وألزمه عباده ، وهو أعم من أن يكون فرض عين أو كفاية ، والنوافل جمع نافلة الزيادة ، والتنفل التطوع . والحب تقدم الكلام عليه غير مرة . والبطش الأخذ بعنف ، والقلب تقدم الكلام عليه .

---

٣٥٢ - أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مثل هذا الحديث ولفظه : « إن الله قال : من عادي لي وليا فقد أذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي به ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته »

البخاري جـ٨ صـ١٣١

وقد رمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

والمعنى أن الله عز وجل أخبر أن العبد لم يتقرب إلى الله ويتطلب القربة من رحمته والمثوبة من عنايته به بوسيلة عمل اليه جل ذكره من الذى فرضه عليه، وألزمه به وقدره، ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات لأن ذلك كله من فرائض الله التى افترضها على عباده .

قال الحافظ زين الدين بن رجب : وأداء الفرائض أفضل الأعمال كما قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله : وصدق النية فيما عند الله .

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : أفضل العبادات أداء الفرائض واجتناب المحارم ، وذلك أن الله تعالى إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم عنده ويوجب لهم رضوانه ورحمته ، وأعظم فرائض البدن التى تقرب اليه الصلاة كما قال تعالى ﴿ **واسجد واقترب** ﴾ (٣٥٣)

وقال النبى ﷺ : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد** » وقال : « **إذا كان أحدكم يصلى فإنما يناجى ربه وربه بينه وبين القبلة** » وقال : « **إن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت** » ومن الفرائض المقربة إلى الله تعالى عدل الراعى فى رعيته سواء كانت رعيته عامة كالحاكم أو خاصة كعدل آحاد الناس فى أهله وولده ، كما قال ﷺ « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** »

وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « **إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم اليه مجلسا إمام عادل** » . هذه درجة أولى للعبد المؤمن فاذا قام بأداء الفرائض سقط عنه الطلب وخلص من ربقة التكليف .

والدرجة الثانية هى أرقى من الأولى وأرفع ، وحال صاحبها أعلى . وهو من أتى بالفرائض وقام بها تماماً وزاد عليها - تقرباً إلى الله جل وعز - النوافل والطاعات الزائدة عن الفرائض والواجبات واجتهد فيها وانكفَّ عن دقائق المكروهات وهذه

---

٣٥٣ - العلق .

درجة السابقين المقربين .

ومن أعظم ما يتقرب به العبد إلى مولاه من النوافل كثرة تلاوة القرآن وسماعه بتفكر وتدبر وتفهم . روى الترمذى عن أبى امامة مرفوعاً « **ما تقرب العبد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه** » يعنى القرآن ومن ذلك كثرةذكر الله الذى يتواطأ عليه القلب واللسان .

روى البزار فى مسنده عن معاذ رضى الله تعالى قلت يا رسول الله أخبرنى بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله تعالى قال : « **أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى** » ومتى أكثر العبد من فعل الطاعات والبعد عن المخالفات أوجب ذلك حب الله فيحبه الله ومتى أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته ، فيصير الشخص لا يرى إلا الله ولا يسمع إلا بالله ولا يمشى إلا لله ولا ينطق إلا بالله وولا ينظر إلا بالله ولا يبطش إلا بالله الخ .

قال الحافظ ابن رجب(٣٥٤) : المراد من هذا الكلام ـ أى قوله تعالى « **كنت رجله التى يمشى بها** » الخ ـ ان من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه إليه فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه حتى يصير فى قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة كما قيل :

ساكن في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره
غاب عن سمعي وعن بصري ... فسويد القلب يبصره

قال الفضيل بن عياض(٣٥٥) إن الله تعالى : يقول « **كذب من ادعى محبتى ونام عنى . أليس كل محب يحب خلوة محبوبه ؟ ها أنا مطلع على أحبابى**

---

٣٥٤ ـ ابن رجب : هو زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ولد سنة ٧٣٦ ببغداد وتوفي سنة ٧٩٥ هـ وله مؤلفات نافعة كثيرة .

٣٥٥ ـ الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ، خراساني ، من أئمة الحديث والتصوف كان زاهدا إماما عالما توفي سنة ١٨٧ هـ بمكة ،، طبقات الصوفية للسلمي صـ٩ .

وقد مثلونى بين أعينهم ، وخاطبونى علـى المشاهدة ، وكلمونى بحضور ، غداً أقر أعينهم فى جناتى » .

ومن أشار إلى غير هذا فانما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد والله ورسوله بريئان منه ، وإذا وصل العبد الى هذه المنزلة اقتضى أنه اذا سأل الله شيئا أعطاه إياه واذا دعاه بشىء أجاب دعاءه فيصير مجاب الدعوة لكرامته على الله تعالى ، وقد كان كثير من السلف الصالح من الصحابة وغيرهم مجاب الدعوة ولولا الإطالة لسردت لك جملة صالحة من ذلك والله أعلم .



(من وسائل القرب الزهد والفرائض)

الحديث الأربعون بعد المائة

« مَا تَقرَّبَ إلَى عَبْدى المُؤمِنُ بِمثْلِ الزُّهْدِ فى الدُّنْيا ولا تَعبَّدَنى بِمِثْلِ أداءِ ما افْتَرَضْتُه »

رواه القضاعى عن ابن عباس

شرح الحديث

- زهد فى الشىء تركه وأعرض عنه ، فهو زاهد والجمع زهاد .

والدنيا عبارة عن الأعيان الثابتة وهى الأرض وما عليها من المواليد الثلاثة وهى جمادات والنباتات . والحيوانات مما للانسان فيها حظ ولذة مالية أو جاهية وله فى صلاحها شغل لحظه أو لحظ غيره فيندرج فيه الحرف والصناعات .

وقد تقدم معنى التقريب إلى الله عز وجل فى الحديث المتقدم ، وقد ذكرنا أن الله جل ذكره يتصف بالتقرب وآتينا هناك بما يشفى الصدر .

والمعنى - والله أعلم - أن الله عز وجل يخبرنا بأن العبد المؤمن ما تقرب اليه جل وعز

بعمل مثل الزهد فى الدنيا ولا تعبد الله تعالى بمثل أداء الفرائض . أما الزهد فى الدنيا فقد جاء القرآن بالحث عليه وتحبيبه إلى خلقه ومدحه والتنفير من ضده وذم الرغبة فى الدنيا قال الله تعالى : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى** ﴾ [٣٥٦] وقال تعالى ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ [٣٥٧] وقال تعالى : ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد** ﴾ [٣٥٨] وقال تعالى : ﴿ **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى** ﴾ [٣٥٩] وقال تعالى ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا** ﴾ [٣٦٠] الآية وقال تعالى : ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ [٣٦١] والقرآن مملوء بذلك .

ومن الأحاديث ما رواه ابن ماجه وغيره عن بن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال : « **ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس** » وهو حديث حسن رواه بأسانيد حسنة كما قال النووى رحمه الله .

وروى مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه مر بالسوق والناس مكتنفوه فمر بجدى أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه فقال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشىء وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم؟ قالوا : والله لو كان حيا لما رغبنا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت فقال : والله الدنيا أهون على الله من هذا عليكم وقوله أسك أى مصطلم الأذنين مقطوعهما .

---

٣٥٦ ـ الأعلى ١٦ ، ١٧ .
٣٥٧ ـ النحل ٩٦ .
٣٥٨ ـ الحديد ٢٠ .
٣٥٩ ـ النساء ٧٧ .
٣٦٠ طه ١٣١ .
٣٦١ـ الحديد ٢٠

وخرج الترمذى من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقى كافراً منها شربة ماء » .

وقد أكثر الناس الكلام فى الزهد وكل أشار إلى ذوقه ونطق عن حاله وشاهده وقد سئل الرسول ﷺ عن الزهد فأجاب : خرج الترمذى . وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس عن أبى ادريس الخولانى عن أبى ذر عن النبى ﷺ قال : « **الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو إنها بقيت لك** » قال الترمذى : غريب لا تعرفه إلا من هذا الوجه ، وعمرو بن واقد منكر الحديث ، والصحيح وقفه كما رواه الإمام أحمد فى كتاب الزهد ، وقال سفيان الثورى : الزهد فى الدنيا قصر العمل ، وليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء وقال ابن الجلاء (٣٦٢) : الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر فى عينك فيسهل عليك الإعراض عنها .

وقال الجنيد (٣٦٣) : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد .

وقال الإمام أحمد : الزهد فى الدنيا قصر الأمل . وعنه رواية أخرى : انه عدم فرحه بإقبالها وحزنه على إدبارها ، فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدا ؟ فقال : نعم على شريطة أن لا يفرح اذا زادت ولا يحزن اذا نقصت . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : الزهد ترك ما لا ينفع فى الآخرة والورع ترك ما تخاف ضرره فى الآخرة ، قال تلميذه العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية فى كتابه مدارك السالكين : هذه العبارة من أحسن ما قيل فى الزهد والورع وأجمعها .

---

٣٦٢ - ابن الجلاء : هو أبو عبد الله بن الجلاء واسمه أحمد بن يحيي ، وقيل محمد بن يحيي ، وأحمد أصح ، من كبار شيوخ التصوف ، كان عالما ورعا كان يقال : في الدنيا ثلاثة من أئمة الصوفية لا رابع لهم : الجنيد ببغداد ، وأبو عثمان بنيسابور ، وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام . طبقات الصوفية للسلمي صـ٤١ .

٣٦٣ - هو أبو القاسم الجنيد محمد الخزاز ، نشأ بالعراق وكان فقيها تفقه علي أبي ثور ، وكان يفتي في حلقته ، وهو من أئمة الصوفية وساداتهم مقبول علي جميع الألسنة . توفي سنة ٢٩٧ هـ . طبقات الصوفية صـ٣٦

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : الزهد على ثلاثة أوجه : الأول : ترك الحرام وهو زهد العوام . والثاني : ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص والثالث : ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين .

ومتعلق الزهد ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهي : المال ، والصور ، ، والرياسة ، والناس ، والنفس ، وكل ما دون الله عز وجل ، وليس المراد رفضها من الملك بل المراد رفضها من القلب فقد كان نبيا الله سليمان . وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما ، وكان نبينا محمد رسول الله ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة وكان على بن أبي طالب كرم الله وجهه وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان من الزهاد مع ما لهم من الأموال ، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما من الزهاد مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناها ، وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير . وكذلك الليث بن سعد وسفيان من أئمة الزهاد وكان له رأس مال يقول : لولا هو لتمندل [٣٦٤] بنا هؤلاء .

قال الحافظ زين الدين بن رجب : واعلم أن الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس هو راجعا الى زمانها الذي هو الليل والنهار المتعاقبان الى يوم القيامة فان الله تعالى جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ، ويروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : « **إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تصنعون فيهما** » وكان يقول عليه الصلاة والسلام : اعملوا الليل لما خلق له ، والنهار لما خلق له .

وقال مجاهد : ما من يوم إلا يقول : ابن آدم قد دخلت عليك اليوم ولن أرجع اليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل في ، فإذا انقضى طوى ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذي يفضه يوم القيامة ولا الليل الا تكون كذلك ، وقد أنشد بعض السلف .

---

٣٦٤ ـ تمندل بنا هؤلاء : يقصد لعبوا بنا واتخذوا وسائل لمسح أوزارهم يشير إلي الملوك والرؤساء .

إنما الدنـيا إلى الجـنة والنار طريق   والليالى متجر الإنسان والأيام سوق

وليس الذم راجعاً إلى مكان الدنيا الذى هو الأرض التى جعلها الله لبنى آدم مهاداً ومسكنا ، ولا إلى ما أودع الله من الجبال والبحار والأنهار والمعادن ، ولا إلى ما أنبته فيها من الزرع والشجر ، ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك فان ذلك كله من نعم الله على عباده لما لهم فيه من المنافع ، ولهم فيه من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته ، وإنما الذم راجع إلى أفعال بنى آدم الواقعة فى الدنيا لأن غالبها واقع على غير الوجه الذى تحمد عاقبته ، بل يقع على ما تضر عاقبته أو لا تنفع كما قال عز وجل : ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً** ﴾ (٣٦٥) .

(فائدة) اختلف الناس فى الزهد هل هو ممكن فى هذه الأزمنة أم لا ؟ فقال بعضهم : الزهد لا يكون إلا فى الحلال ولا حلال فى الدنيا فلا زهد . وقال بعضهم : بل الحلال موجود فيها وفيها الحرام كثيراً وعلى تقدير أن لا يكون فيها الحلال فهذا أدعى إلى الزهد فيها وتناول ما يتناوله المضطر منها كتناوله للميتة ، والدم ، ولحم الخنزير . وفى ذلك كفاية والله أعلم .

التعليق

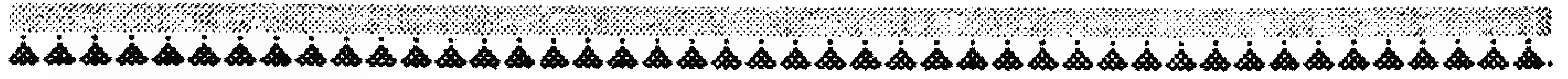
جاء فى حكم ابن عطاء الله السكندرى : « **ما قل عمل برز من قلب زاهد ، ولا كثر عمل برز من قلب راغب** » .

والعلة فى ذلك أن الزاهدين سلموا من الآفات التى تقدح فى إخلاص أعمالهم من مراءاة الناس والتصنع لهم . أما الراغبون فتعتريهم الآفات المبطلة لأعمالهم القادحة فى إخلاصهم بسبب رغبتهم فى الدنيا .

روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ركعتان من زاهد عالم خير

---

(٣٦٥) - الحديد ٢٠ .



من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا .

وقال بعض الصحابة لصدر التابعين : أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وهم كانوا خيرا منكم . قيل : ولم ذلك ؟ قال : كانوا أزهد منكم فى الدنيا .

قال أبو عبد الله القرشى : شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد حلاوة فى قلبه . فقال له : لأن عندك بنت إبليس ، وهى الدنيا ، ولابد للأب أن يزور ابنته فى بيتها وهو قلبك ، ولا يؤثر دخوله إلا فسادا .

شرح حكم ابن عطاء الله . . جـ١ صـ٤١



(الدين النصيحة)

الحديث الحادى والأربعون بعد المائة

« ما يَزالُ عَبْدى يَتقرَّبُ إلىّ بالنَّوافل حتّى أحبَّهُ فأكون سَمْعَهُ الّذى يَسْمعُ به وَبصرهُ الّذى يُبْصرُ به ولسانَهُ الّذى ينْطقُ به وَقلبهُ الّذى يَعْقلُ به فإذَا دَعانى أجَبْتُه وَإذَا سَألنى أعطَيْتَه وإنَ استَنْصرنى نَصرتُه وأَحبُّ مَا تَعَبَّدَنى عَبْدى به النُّصْحَ لى » .

رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة [٣٦٦]

شرح الحديث

٣٦٦ ـ الحديث بلفظ مقارب في الإتحافات السنية للمدني برقم ٣٦٠ ولفظه « إن الله تعالي قال : من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ....

وقد مر مثل هذا الحديث منذ قليل وهو في البخاري جـ ٨ ١٣١ مرويا عن أبي هريرة .

راجع جامع الأحاديث القدسية جـ ٣ صـ ٤٠٢ حديث رقم ١٠٦٧ .

ـ تقدم شرح الحديث غير مرة بألفاظ متقاربة من هذا مع زيادة ونقص فيها فلا حاجة للإعادة ، وهنا زيادة فيه لفظ « النصح لى » فلا بأس من الكلام عليه بما يناسبه فنقول :

النصح فى اللغة الخلوص . يقال : نصحته ونصحت له ، والنصح تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه ، وهو من قولهم : نصحت لهم الود أى أخلصته ، وناصح العسل خالصه أو من قولهم : نصحت الجلد خطته . والناصح الخياط . والنصاح الخيط .

والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هى إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها ، وقد جاء القرآن يحكى نصح الأنبياء لقومهم قال حكاية عن صالح عليه الصلاة والسلام ﴿ **فتولى عنهم وقال : يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** ﴾ (٣٦٧) وقال تعالى حكاية عن نبى الله شعيب عليه الصلاة والسلام ﴿ **فتولى عنهم وقال : يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين** ﴾ (٣٦٨) وقال تعالى : ﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** ﴾ (٣٦٩) يعنى أن من تخلف عن الجهاد لعذر فلا حرج عليه بشرط أن يكون ناصحا لله ورسوله فى تخلفه ، فإن المنافقين كانوا يظهرون الأعذار كاذبين غير ناصحين الله ورسوله .

وقال تعالى حكاية عن نبى الله نوح على السلام : ﴿ **أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ (٣٧٠) وقال تعالى حكاية عن نبى الله

---

٣٦٧ ـ الأعراف ٧٩ .
٣٦٨ ـ الأعراف ٩٣ .
٣٦٩ ـ التوبة ٩١ .
٣٧٠ ـ الأعراف ٦٢ .

هود عليه السلام ﴿ **أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين** ﴾[371] وقال تعالى حكاية عن إخوة يوسف : ﴿ **قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون** ﴾[372] . وروى مسلم فى صحيحه عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **الدين النصيحة - ثلاثا - قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ﷺ ، ولأئمة المسلمين وعامتهم** » وروى الإمام أحمد من حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : قال الله عز وجل : ﴿ **أحب ما تعبدنى به عبدى النصح لى** ﴾ وهو قطعة من حديث الكتاب ، وقد ورد فى أحاديث كثيرة النصح للمسلمين عموما وفى بعضها النصح لولاة الأمور وفى بعضها نصح ولاة الأمور لرعاياهم ، وفى بعضها النصح لله وحده جل عزه كما فى حديث الكتاب ، وفى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال بايعت النبى ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن الله يرضى لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم** » وقد تقدم ذكر الآيات الدالة على نصيحة الأنبياء لأممهم .

والنصح لله هو أن يقوم العبد بأداء واجباته على أكمل وجوهها - وهو أن يعبد الله كأنه يراه - فلا يكمل النصح لله بدون ذلك ، ومن النصيحة لله صحة الاعتقاد فى وحدانيته ، وإخلاص النية فى عبادته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال واعتقاد ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة من الصفات بدون تأويل ولا تشبيه وتنزيهه عما يضادها ويخالفها وتجنب معاصيه والقيام بطاعته ومحابه بوصف الاخلاص ، والحب فيه و البغض فيه وجهاد من كفر به تعالى وكراهية أهل البدع والأهواء وما ضاهى ذلك والحث عليه .

ولما ذكر النصح والنصيحة هنا ، وبينا النصح لله جل وعز فلا بأس من إيراد جملة تتعلق بنصيحة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونصيحة خلفه إتماما للفائدة فأقول :

النصيحة لرسول الله ﷺ الإيمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله

---

٣٧١ - الأعراف ٦٨ .

٣٧٢ - يوسف ١١

والتمسك بطاعته ، وإحياء سنته وانتشار علومه ، ونشرها ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ووالاها ، والتخلق بأخلاقه والتأدى بآدابه ومحبة آله وأصحابه ونحو ذلك .

والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به وتنبيههم فى رفق ولطف . ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك .

والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دنياهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم ونصرتهم على أعدائهم . ، والذب عنهم ومجانبة الغش والحسد لهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لنفسه . والله أعلم .

التعليق

النصيحة لون من ألوان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا حق كل مسلم بل واجبه الذى حملته إياه مسئوليته عن الإسلام .

وبهذا المعنى يأخذ الإنسان حظه من المسئولية فى مجال التوجيه والإرشاد كفاء قدرته على إلزام نفسه ، ثم وفائه بهذا الالتزام .

إنه حين ينهى عن المنكر يبذل بهذا النهى فطرته ، ولا يستجديه من خارج ذاته ، بحيث لا يخرج من عموم هذه المسئولية سوى المجنون والمعتوه .

يقول النبى - ﷺ - : « **الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة .** فقلنا لمن يا رسول الله ؟

قال : لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم » - أخرجه البخاري في التاريخ - انظر ، إنهم يسألون عن المنصوح من هو ؟ ولا يسألون عن الناصح ، اعتقادا منهم بأن واجب النصيحة أمر مفروغ منه ، وإذ تتعدد مجالات النصح هنا ، فذلك يعني شمول المسئولية كل مسلم ، كل في حدود طاقته

- من كتاب من الذي يغير المنكر ؟ د . محمد عمارة صـ١٢ -



(غيرة الله على أوليائه)

من عادى لله وليا

الحديث الثانى والأربعون بعد المائة

« مَنْ آذَى لِى وليا فَقَدْ اسْتحَلَّ محاربتى ، وَمَا تَقرّبَ إلىَّ عبَدى بمثْل أداَء الفَرائض وَمَا يَزالُ عَبْدى يَتقرّبُ إلىَّ بالنَّوافلِ حتَّى أحبَّه فَإِذَا أحْببْتُه كنْتُ عَيْنَه الَّتى يُبصرُ بهَا وأذُنَهُ الَّتى يَسْمعُ بهَا ورجْله الَّتى يَمْشى بهَا وفُؤادَه الَّذى يَعْقل به ولسانَهُ الَّذى يَتكلَّم به ، إنْ سَألَنى أعْطَيْتُه وَإنْ دَعانى أجَبْتُه وَماَ ترَدَّدْتُ عنْ شَىء أنَا فاعلهُ تَردُّدى عنْ وَفاتهِ لأنّه يكرَه المَوْتَ وأكْرهَ مُساءَتَهُ »

رواه أحمد . والحكيم . وأبو يعلى . والطبرانى . وأبو نعيم . وابن عساكر عن عائشة [(٣٧٣)].

شرح الحديث

الأذى ما يصل إلى الحيوان من الضرر إما بنفسه أو جسمه أو تبعاته دنيويا كان أو أخرويا يقال : أذيته أوذيه إيذاء وأذية وأذى ، وأذى الرجل أذى وصل اليه المكروه ، والولى تقدم الكلام عليه .

واستحل الشيء عده حلالا ، وباقى ألفاظ الحديث تقدم الكلام عليها غير مرة

٣٧٣ ـ الحديث في كنز العمال جـ١ صـ١١٥٧ .
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ١١٣ ، وفي مجمع الزوائد جـ٢ صـ ٢٤٧ وأخرج ابن أبي عاصم في كتاب السنن جـ١ صـ ٤١١ الجزء الأخير منه .
وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية بأنه صحيح لغيره ، وأخرج البغوي من حديث أنس بن مالك مثله بلفظ « من أهان لي وليا ، وفي نهايته : « وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد» .
شرح السنة جـ ٥ ١٢٤٩ .
وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية بالضعف ..

فلا حاجة للاعادة .

والمعنى أن الله جل وعز يخبرنا أن من آذى وليا من أولياء الله بأى نوع من أنواع الأذى فقد استحل محاربة الله وتعرض لها وعدها حلالا ، والمراد بالولى هنا كما قال النووى رحمه الله تعالى : المؤمن ـ قال الله تعالى : **﴿ الله ولى الذين آمنوا ﴾** (٣٧٤) وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : المراد بولى الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص فى عبادته وهو أوجه بدليل ما ذكر من ألفاظ الحديث بعده ، ووصف الله أولياءه فى كتابه الحكيم قال : **﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾** (٣٧٥)

فكيف يليق بعاقل أن يتعرض لمحاربة الله جل ذكره ، واقتراف المعاصى لمحاربة لله تعالى ، قال الحسن : ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة ؟ فإن من عصى الله فقد حاربه ، وكلما كان الذنب أقبح كانت المحاربة لله أشد ، ولهذا سمى الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله لعظم ظلمهم لعباده ، وسعيهم بالفساد فى بلاده ، وكذلك معاداة أوليائه فإنه تعالى يتولى نصرة أوليائه ويحبهم ويؤيدهم ، فمن عاداهم فقد عادى الله تعالى وحاربه وتعرض لهلاك نفسه .

وخرج الترمذى وغيره عن النبى ﷺ قال : « **الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا فمن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه** » ولما ذكر الله تعالى من آذى أولياءه فقد استحل محاربته ، وصف أولياءه الذين يحرم إيذاؤهم وتجب موالاتهم والتحبب إليهم فذكر ما يقرب إليه تعالى الخ ، ثم ذكر حال العبد والموت النازل به وكراهته لذلك فقال : « **وما ترددت عن شىء أنا فاعله الخ** » قال الحافظ ابن حجر فى الفتح نقلا عن أئمة الحديث فى إشكال هذا الحديث .

---

٣٧٤ ـ البقرة ٢٥٧ .

٣٧٥ ـ يونس ٦٢ ـ ٦٤ .

قال الخطابى : التردد فى حق الله غير جائز ، والبداء عليه فى الأمور غير سائغ ، ولكن له تأويلان : أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك فى أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها ، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمراً ثم يبدو له فيه ، فيتركه ويعرض عنه ، ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه (والثانى) أن يكون معناه ما رددت رسلى فى شىء أنا فاعله كترددى إياهم فى نفس المؤمن كما روى فى قصة موسى وما كان من لطمة عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد أخرى ، قال : وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه . وقال الكلاباذى [٣٧٦] ـ ما حاصله ـ أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات أى عن الترديد بالتردد ، وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته فى الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك ، قال : وقد يحدث الله فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلا عن إزاله الكراهة عنه فأخبر أنه يكره الموت ويسوؤه ، ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال فيأتيه الموت وهو له مُؤْثِر وإليه مشتاق قال : وقد ورد تفعل بمعنى فعل مثل تفكر وفكر وتدبر ودَبَّر وتهدد وهدد والله أعلم .

وعن بعضهم يحتمل أن يكون تركيب الولى يحتمل أن يعيش خمسين سنة وعمره الذى كتب له سبعون فإذا بلغها فمرض دعا الله بالعافية فيجيبه عشرين أخرى مثلا فعبر عن قدر التركيب وعما انتهى إليه بحسب الأجل المكتوب بالتردد .

وعبر ابن الجوزى عن الثانى بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وأضاف الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره قال : وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة .

(فإن قيل) إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد ؟ فالجواب أنه يتردد فيما

---

٣٧٦ ـ الكلاباذي أبو بكر من علماء التصوف له كتاب قيم اسمه : التعرف على مذهب أهل التصوف .

لم يجد له فيه الوقت كأن يقال : لا تقبض روحه إذا رضى .

ثم ذكر جواباً ثالثاً وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأنَّ الملك يؤخر القبض فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه ، فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بداً من امتثاله .

وجواباً رابعاً وهو أن يكون هذا خطاباً لنا بما نعقل والرب منزه عن حقيقته بل هو من جنس قوله : « **ومن أتانى يمشى أتيته هرولة** » فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديباً فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة ، فيتردد بينهما ، ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد ، بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه فأريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولى بذكر التردد .

وجوز [٣٧٧] الكرمانى احتمالاً آخر وهو أن المراد أنه يقبض روح المؤمن بالتأنى والتدريج بخلاف سائر الأمور فإنها تحصل بمجرد قوله : « كن » سريعاً دفعة .

وقال فى قوله تعالى : « **فإنه يكره الموت وأنا أكره مساءته** » أسنده البيهقى فى الزهد عن الجنيد سيد الطائفة قال : الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وكربه وليس المعنى أنى أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته انتهى . وعبر بعضهم عن هذا بأن الموت حتم مقضى وهو مفارقة الروح للجسد ولا تحصل غالباً إلا بألم عظيم جداً كما جاء عن عمرو بن العاص أن ابنه سأله ـ وهو يموت ـ عن حقيقة الموت فقال : والله لكأن جنبى فى تخت ولكأنى أتنفس من خرم إبرة وكأن غصن الشوك يجربه من قامتى إلى هامتى .

وعن كعب أن عمر سأله عن الموت فوصفه له بنحو هذا فلما كان الموت بهذا الوصف والله يكره أذى المؤمن ذكر تلك [٣٧٨] الكراهة .

ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة ، لأنها تؤدى إلى أرذل العمر

---

٣٧٧ ـ هو أبو الفوارس شاة بن شجاع الكرماني ، كان من أولاد الملوك ، من تلاميذ أبي تراب النخشبي ، من العلماء وله رسائل مشهوره منها : مرآة الحكماء توفي قبل الثلاثمائة . طبقات الصوفية صـ٤٥

٣٧٨ ـ جاء في النص : لفظ (علي ذلك) وأبدلناه بلفظ (ذكر تلك) ليتضح المعني .

وتنكس الخلق والرد إلى أسفل سافلين .

وجوز الكرمانى أن يكون المراد أكرهُ مكرِّهه الموت فلا أسرع بقبض روحه فأكون كالمتردد .

قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء فى هذا الحديث عظم قدر الولى لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه وعن انتصاره لنفسه إلى انتصاراته له وعن حوله وقوته بصدق توكله اهـ .

قال الحافظ بن رجب وأما الأنبياء فلا يقبضون حتى يخبروا .

قال الحسن : لما كرهت الأنبياء الموت هون الله عليهم بلقائه لما أحبوه من تحفة وكرامة حتى أن نفس أحدهم تنزع من بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل له .

وقالت عائشة ما أغبط أحداً يهون الله عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ قالت : وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول : اللهم أعنى علي سكرات الموت قالت : وجعل يقول : لا إله إلا الله إن للموت سكرات ، وجاء فى حديث مرسل أنه ﷺ كان يقول « **اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل ، اللهم فأعنى على الموت وهونه على** »

وقد كان بعض السلف يستحب أن يجهد عند الموت كما قال عمر بن عبد العزيز : ما أحب أن تهون على سكرات الموت إنه لآخر ما يكفر به عن المؤمن .

وقال النخعى[٣٧٩] : كانوا يستحبون أن يجهدوا عند الموت وكان بعضهم يخشى من تشديد الموت أن يفتن ، وإذا أراد الله أن يهون على العبد الموت هونه عليه ، فى الصحيحين عن النبى ﷺ قال « **إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامة فليس شىء أحب إليه مما أمامه وأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه** »

قال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال له إن ربك يقرئك السلام .

---

٣٧٩ ـ هو أبو عمران ، وأبو عمار ابراهيم بن يزيد النخعى الكوفي أحد التابعين المشهورين توفي سنة ٩٥ هـ .

وقال محمد بن كعب : يقول له ملك الموت : السلام عليك يا ولى الله : الله يقرئك السلام ثم قال ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم** ﴾[٣٨٠]

وقال زيد بن أسلم : تأتى الملائكة للمؤمن إذا احتضر وتقول له : لا تخف مما أنت قادم عليه فيذهب الله خوفه ، ولا تحزن على الدنيا وأهلها وأبشر بالجنة فيموت وقد جاءته البشرى .

وخرج البزار من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ « **أن الله أضن بموت عبده المؤمن من أحدكم بكريمة ماله حتى يقبضه على فراشه** » وقال زيد بن أسلم : قال رسول الله ﷺ : « **إن لله عباداً هم أهل المعافاة فى الدنيا والآخرة** » وقال ثابت البنانى[٣٨١] : إن لله عباداً يضن بهم فى الدنيا عن القتل والأوجاع يطيل الله أعمارهم ويحسن أرزاقهم ويميتهم على فرشهم ويطبعهم بطبائع الشهداء .

أخرجه ابن أبى الدنيا والطبرانى مرفوعاً من وجوه ضعيفة .

وفى بعض ألفاظها أن لله ضنائن من خلقه يأبى بهم عن البلاء يحييهم فى عافية ويميتهم فى عافية ويدخلهم الجنة فى عافية .

قال ابن مسعود وغيره : إن موت الفجأة تخفيف عن المؤمن .

وقال أبو ثعلبة الخشنى : إنى لأرجو أن لا يخنقنى كما أراكم تخنقون عند الموت .

وكان ليلة فى داره فسمعوه ينادى يا عبد الرحمن وكان عبد الرحمن قد قتل مع رسول الله ﷺ ثم أتى مسجد بيته فصلى فقبض وهو ساجد وقبض جماعة من السلف فى الصلاة وهم سجود .

وكان بعضهم يوما قاعداً مع أصحابه فقال لبيك ثم خر ميتاً .

---

٣٨٠ ـ النحل ٣٢ .

٣٨١ ـ من أئمة التابعين اسمه ثابت بن اسلم البُنَاني كان من شيوخ البصرة وعلمائها المتقدمين توفي سنة ١٢٣ هـ .

وكان بعضهم جالساً مع أصحابه فسمعوا صوتاً يقولُ : يا فلان أجب والله آخر ساعتك من الدنيا فوثب فقال : هذا والله منادى الموت فودع أصحابه وسلم عليهم ثم انطلق نحو الصوت وهو يقول : سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثم انقطع عنهم الصوت فتتبعوا أثره فوجدوه ميتاً .

وكان بعضهم جالساً يكتب فى مصحف فوضع القلم من يده وقال : إن كان موتكم هكذا فو الله إنه لموت طيب ثم سقط ميتاً .

وكان آخر جالساً يكتب الحديث فوضع القلم من يده ورفع يديه يدعو الله فمات رحمه الله تعالى . انتهى والله وأعلم .

نقول : ومثل هذا الحديث الحديث الآتى :

* * *

الحديث الثالث والأربعون بعد المائة

«مَنْ أهانَ لي وليًّا فقَدْ بَارَزَنْه بالمحَارَبة ومَا تَرَدَّدْتُ نى شَىء أنا فاعلهُ ترددي فى قَبْض نَفَسِ عبْدِى المؤْمنِ يكْرَه المَوْتَ وَأكرَهُ مُسَاءَتَهُ وَلا بُدَّ لهُ مِنْه » .

رواه البخارى عن أبى هريرة ـ (٣٨٢) ـ

شرح الحديث

هذا الحديث مختصر ورواه البخارى أيضاً عن أبى هريرة مطولا بألفاظ قريبة من ألفاظ الحديث السابق ، وأعاد المصنف ذكره هنا لأن لفظه السابق «من آذى» وهذا «من أهان لى» ينبه على أن الإيذاء سواء كان مشتملا على إهانة أم لا يعد محاربة لله تعالى . وثانياً أن الرواة له مختلفة . والله أعلم .

---

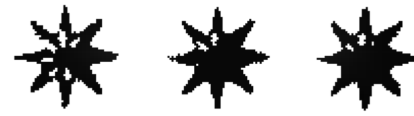
٣٨٢ ـ الحديث في البخاري جـ ٨ ص ١٣١ بلفظ «من عادي لي وليا ...» وهو حديث صحيح .

تعليق

جاء فى كتاب جامع الأحاديث القدسية تعليقا على هذا الحديث :

فى هذا الحديث : العبد محب لله محبوب له ، فحبه لله يجعله يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه الله . كما يتقرب إليه بالفرائض أيضاً . والله تعالى - يحب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكرهه محبوبه والله - تعالى - قد قضى بالموت على عباده ، والموت مكروه من العباد ، فالله يريد أن ينفذ قضاءه وهو مع ذلك كاره لأن يسىء عبده الذى يحبه ، وبذلك أصبح الموت مراداً للحق من جهة مكروها له من جهة أخرى ، وهذا هو مفهوم التردد ، وهو أن يكون الشىء مرادا من جهة مكروها من جهة أخرى . . . جامع الأحاديث القدسية حـ ٣ ص ٤٠٨ باختصار .

وعلى كل فإن العبد المؤمن يعشق مرادات الله ، وقد ورد عن بعض العارفين أنه كان يقول : أصبحت ولا سرور لى إلا فى مواقع القضاء والقدر ، ومما يؤثر عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - أنه تمنى أن يكون له نصيب من طاعون عمواس ، فلما طعن - واشتد عليه كان يقول : اخنقنى خنقانك فوحقك إنك لتعلم أننى أحبك .



(أحاديث أخرى بهذا المعنى)

الحديث الرابع والأربعون بعد المائة

« مَنْ عادَى لى وليًا فقَدْ آذنْتهُ بالحرْب ومَا تقرَّبَ إلىَّ عبْدى بشَىْء أحَبَّ ممَّا افْترَضْتُه عَليْه ولا يزَالُ عبْدى يتقَرَبُ إلَىَّ بَالنَّوافل حَتّىَ أحبَّهُ فإذَا أحْبَبْتُه كنْتُ سمْعَه الّذى يَسْمعُ به وَبصرهُ الّذى يُبْصرُ به وَيدَهُ الّتى يبْطشُ بها وَرجْلَهُ الّتى يَمشى بها وَإنْ سَألنَى لأعْطينَّه وإنْ استَعاذَ بى لأعيذنَّه وَما تردَّدْتُ فى شَىْء أنا فاعلهُ تردُّدى عَنْ قَبْضِ نفسِ المُؤمنِ يَكْرَهُ المَوْتَ وأنَا أكْرَهُ مَسَاءتَه »

رواه البخارى عن أبى هريرة (٣٨٣)

شرح الحديث

ـ الحديث تكرر ذكره غير مرة إما لزيادة بعض ألفاظ أو اختلاف فى اللفظ أو فى السند وهنا فيه « **وإن استعاذ بى لأعيذنه** » بدل قوله « **وإن دعانى أجبته** » يقال عذت به أعوذ عوذا وعياذا ومعاذا أى لجأت إليه . والمعاذ المصدر والمكان والزمان ، والعوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به . والله أعلم .

---

٣٨٣ ـ صحيح البخاري جـ٨ صـ١٣١ .
وفي صحيح الجامع الصغيير جـ٢ ١٧٧٨ .
وأخرجه البيهقي في سننه الكبري جـ٣ صـ٣٤٦ ، جـ١٠ صـ٢١٩ .
وأخرجه أبو نعيم في الحلية جـ١ صـ٤ ، ٥ ..

(إيثار هوى الله على هوى النفس)

الحديث الخامس والأربعون بعد المائة

« مَنْ عادَى لى وليا فَقدْ ناصَبنى بالمُحاربَة وَما تردَّدْتُ عنْ شىْء أنا فاعلهُ كَترَدُّدى عنْ مَوْتِ المُؤمنِ يكْرَه المَوْتَ وأنا أكْرهُ مساءته وربَّما سَألنى وَليى المؤمنُ الغنى فَأصْرفه منَ الغنَى إلى الفَقْر ولَوْ صرَفْتُه إلى الغنَى لكانَ شراً لهُ وَرُبمَا سَألنى وَليِّى المؤمنُ الفَقْرَ فأصْرفُه إلى الغَنَى ولَوْ صرَفْتُه إلى الفَقْر لكان شراً له إنَّ الله قالَ وَعزَّتى وَجلالى وعُلُوِّى وبَهائى وارْتفاعِ مكانى لا يُؤْثرُ عَبْد هوَايَ عَلى هوَى نَفْسه إلاَّ أثْبَتُّ أجَلهُ عنْدَ بَصره وَضمَّنْتُ السَّماء والأرْضَ رِزْقَه وكُنْتُ لهُ مِنْ ورآءِ تِجارَة كل تاجرٍ »

رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس . (٣٨٤)

شرح الحديث

تقدم ذكر الحديث غير مرة بألفاظ قريبة من هذا إلا أن ما هنا فيه زيادة ألفاظ لم تذكر قبل فلا مانع من التعرض لشرحها وبيانها فأقول .

قوله « ناصبنى بالمحاربة » النصب التعب . وأنصبنى كذا أى أتعبنى وأزعجنى قال الشاعر :

---

٣٨٤ ـ أخرجه البغوى في شرح السنة بلفظ مقارب من حديث أنس بن مالك :
شرح السنة جـ٥ ١٢٤٩ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .

تأويني هم مع الليل منصب [385]

ويقال ناصبه الحرب والعدواة ونصب له ، والمعنى هنا والله أعلم اجتهد العبد في المحاربة على مثال قوله تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾[386] أي اجتهد في الدعاء والغنى - بكسر الغين المعجمة والقصر اليسار تقول منه غني بالكسر غنى فهو غني وتغنى أيضا أي استغنى وتغانوا استغنى بعضهم عن بعض .

والفقر قلة المال وضيق اليد ويؤثر : يفضل . وباقي ألفاظ الحديث منها ما تقدم تفسيره ومنها ما هو ظاهر ، ووقع في كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي في هذا الحديث (عند نصره) بالنون بدل (عند بصره) بالباء الموحدة ولعله تصحيف .

والمعنى - والله أعلم بمراده - من عادى لله وليا من أوليائه الصالحين - الذي تقدم وصفه سابقا - فقد ناصب الله واجتهد وأتعب نفسه وتهيأ لمحاربة الله جل ذكره - ومن يقدر أو يجسر على ذلك إلا هالك ؟ . وما تردد الله عن شيء هو فاعله كتردده عن موت المؤمن يكره الموت الذي من شأنه ذلك لما يعتري المؤمن من الشدائد والأهوال ، والله سبحانه وتعالى يكره مساءة عبده المؤمن ، وربما سأل الله الولي المؤمن الغنى في بعض الأوقات - وهو لا يدرى ما الأحسن له هل الغنى أم الفقر ؟ والله تعالى يعلم ما يناسب حال العبد ، فلا يجيب طلبه بل يعطيه ما يوافق حاله ويصرف عنه ما لا يوافقه وينفعه ، ولو صرفه إلى طلبه الذي هو الغنى مثلا . ويكون شرا له في ماله وولده لكان شرا له ، وربما سأل الله الولي المؤمنُ الفقر - وهو لا يناسب حاله فلا يجيب طلبه - ويصرفه إلى الغنى وهو مما يناسب حاله بالنسبة لعلم الله تعالى ولو صرفه إلى الفقر - وهو كذلك - لكان شرا له والله جل اسمه لا يرضى له ذلك .

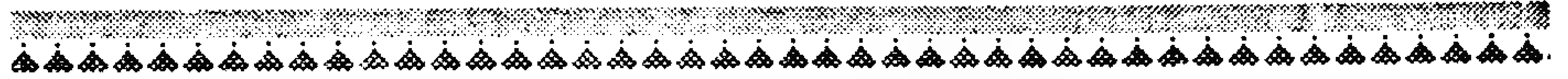
ثم أخبر المصطفى ﷺ أن الله أقسم وقال وعزتي وجلالي وعلوي على خلقي

---

٣٨٥ - تأوب : أرْجع ، ومُنْصب : متعب
وفي شعر النابغة الذبياني :

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

الهم الناصب : هو المتعب .
٣٨٦ - سورة الشرح ٧ .



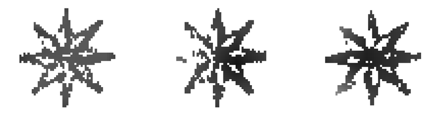
وبهائى ، وارتفاع مكانى . نؤمن بذلك ونعتقده ولا نؤول ولا نصرف بل نقول : الله سبحانه وتعالى أخبر بذلك ووصف نفسه بذلك بدون تشبيه وتنزه المولى عن المثل والشبه والصفات التى لا تليق به قال الله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [٣٨٧] وهذا مذهب السلف الصالح وعليه أئمة الهدى وأرباب الفتوى وهم أعلم بما تضمن كلام البارى تعالى وأسلم عقيدة ومذهبا .

لا يؤثر ويفضل هوى المولى جل علاه وأمره ونهيه على هوى نفسه إلا أثبت أجله المقدر له أزلا عند بصره ، ليراه حين يريد فيعرف متى دنوه وانتهائه فيجتهد لاكتساب الطاعات وتكثير الحسنات فإنه قادم على يوم يحتاج فيه إلى كثرة العمل الصالح ، ولا يقدم على معصية ويتجنب المضار فلا ينهمك بالشهوات ويتباعد عن المنهيات لأنه لا يسوف إلا إذا غاب عنه أجله وخفى عليه وقته ، فإنه يطمع أن يعيش كثيرا فيؤثر هوى نفسه وشيطانه على هوى مولاه ، فيغشى اللذات الدنيويةيتساهل فيأتى يومه المقدر له بغتة وهو لا يشعر فلا يجد وقتا للتوبة والإنابة ، فمن آثر وفضل هوى مولاه على هوى نفسه يضمن الرب جل وعز السماء والأرض رزقه ، أى يكلفهما ضمان رزقه من أن السماء تمطر والأرض تخرج الأقوات قال الله ﴿ **وفى السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ [٣٨٨] وقال تعالى ﴿ **وما أنزل الله من السماء من رزق** ﴾ [٣٨٩] وقال تعالى : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض** ﴾ [٣٩٠] وقال تعالى ﴿ **قل من يرزقكم من السموات والأرض** ﴾ [٣٩١] وزيادة من ذلك الخير العظيم والنعم الجسيمة فإن الله عز جلاله يكون له من وراء تجارة كل تاجر ، أى ينمى له تجارته ويبارك له فيها ويحفظها له من كل ما يطرأ عليها مما يذهبها ويشينها ويمحقها . فسبحانه من إله ما أرحمه وأرأفه وأكلأه وأحرسه وأمنعه لعبده المطيع .

٣٨٧ ـ الشورى ١١
٣٨٨ الذاريات ٢٢
٣٨٩ الجاثية ٥
٣٩٠ ـ يونس ٣١
٣٩١ سبأ ٢٤

أفلا يطيع العبد العاصى ربه وينيب إليه ؟ فيتمتع بذلك كله ويحظى بنعيم مؤبد وثواب عظيم ومال لا ينفد ولا يبيد ؟ اللهم وفقنا لطاعتك وجنبنا معاصيك ومخالفتك .

والحديث رواه الطبراني فى معجمه الكبير كما قال المصنف ودرجته غير معلومة وفى القلوب منه شيء والله أعلم .



الحديث السادس والأربعون بعد المائة

« مَنْ عادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ »

رواه البخارى عن أبى هريرة .

شرح الحديث

ـ تقدم الكلام عليه غير مرة وأعاده هنا لوجود لفظة « آذنته بالحرب » ولاختلاف الراوى ، وآذنته بهمزة ممدودة أى أعلمته بأنه محارب لى والله إذا حارب العبد أهلكه قاله النووى . ويؤيده ما وقع فى بعض الروايات « فقد بارزنى بالحرب » أو بالمحاربة ، وقال بعض العلماء : أى أعلمته بأنى محارب له أى معامل له معاملة المحارب وهو أبلغ .

ففى الحديث تسلية الأصفياء عن معاداة الأعداء وتحذير للأعداء عن إيذاء الأولياء وترك حرمتهم ، وتنبيه على تعظيم شأنهم وحفظ قلوبهم ودفع كربتهم لما فى مفهومه حيث جاء فى معاداة الولى عظيم الوعيد يكون فى موالاته جسيم القرب والتأييد كما قيل :

وكم لله أشراف البرايا ... لهم قدر عظيم بالكرامة
فمن والاهم حقا وصدقا ... كرامته الشفاعة في القيامة

التعليق

جاء فى الرسالة القشيرية فى تفسير معنى الولى :

الولى له معنيان : أحدهما فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله ـ تعالى ـ رعايته والثانى فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعته ، فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان ، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولى وليا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ، ودوام حفظ الله ـ تعالى ـ إياه فى السراء والضراء . .

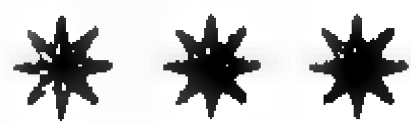
قال : ومن شرط الولى أن يكون محفوظا ، كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما ، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع . .

ـ الرسالة القشيرية صـ١٢٨

ولأن الولاية لها شأن عظيم كان التعبير عنها على ألسنة العارفين محل اعتبار وتقدير . قال ابن عطاء الله السكندرى : « سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه » .

وعلق الرندى شارح الحكم على ذلك بقوله « لا دليل على الله سواه ، ولا وصول إليه بغيره » وكذلك أولياؤه . لقد خلع عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بمننه الجسيمة فاصطفاهم لنفسه ، واختصهم بمحبته وأنسه ، وطهر أسرارهم من أنجاس الأغيار ، فكانوا لذلك صفوته .

جاء فى بعض الإشارات عنه ـ سبحانه ـ : أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم أحد غيرى . وهذا من غيرته عليهم ـ شرح الحكم للرندى جـ٢ صـ٢ .



(غضب الله على من يقنط من رحمة الله)

الحديث السابع والأربعون بعد المائة

« مَا غَضِبْتُ عَلَى أَحَدٍ غَضَبِي عَلَى عَبْدٍ أَتَى مَعْصِيَةً فَتعاظَمها فِي جَنْبَ عَفْوِي فَلَوْ كُنْتُ مُعَجِّلاً العُقُوبَةَ أَوْ كانتْ العَجلةُ مِنْ شأني لعجَّلْتُها للقانطينَ منْ رَحْمَتِي ولَوْ لم أرْحَمْ عبادي إلاَّ مَنْ خَوْفِهمْ منَ الوُقوفِ بَيْنَ يَدَيَّ لشكَرْتُ ذلكَ لهمْ وَجَعلْتُ ثَوابَهَمْ مِنهُ الأمْنَ لِمَا خافُوا »

رواه الرافعي عن ناجية بن محمد بن المنتجع عن جده (٣٩٢)

شرح الحديث

ـ الغضب تقدم الكلام عليه والقانطين جمع قانط اليائس والقنوط اليأس من الخير يقال : قنط يقنط بفتح الماضي وكسر المضارع ـ قنوطاً . وقنط يقنط ـ بكسر الماضي وفتح المضارع .

والشكر تصور النعمة وإظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها .

---

٣٩٢ ـ هو في كنز العمال جـ٣ ٥٩٠١ وأوله : جلت تسألني عن سعة رحمة الله ، وأخبرك أن الله ـ تعالي ـ يقول : ما غضبت علي أحد غضبي ...

وذكره المدني في الإتحافات السنية تحت رقم ٥٩٥

وناجية الذي أسند الحديث هو ناجية بن محمد بن المنتجع النجدي ـ كان من أهل وكان له مائة وعشرون عاما .

قال ابن الأثير في أسد الغابة : لم يرو منتجع إلا ثلاثة أحاديث ، وذكر له حديثا هو : قال رسول ﷺ :ـ أوحي الله إلي نبي من أنبياء بني إسرائيل : إذا أصبحت فشمر ذيلك ، فأول شيء تلقاه فكله ، والثاني فادفنه ، والثالث فآوه والرابع فأطعمه . فأول شيء لقيه جبل شامخ في الهواء ، فقال : يا ويلتا أمرت أن آكل هذا الجبل ولست أطيقه . فتضام الجبل حتي صار كالتمرة الحلوة . فابتلعها .

ثم مضي فإذا هو بطست علي قارعة الطريق ، فاحتفر لها قبرا فدفنها ، فكان كلما دفنها نبت عن الأرض ، فلما أعيته تركها ... وذكر الحديث وهوغريب ..

وقال وهب بن منبه : إن هذا النبي كان شعيبا ـ أسد الغابة جـ٥ صـ ٢٦٣

ورمز جامع الأحاديث القدسية لحديث الباب بالضعف . جـ٢ صـ١٧٧ وذكره أيضا جـ٣ صـ٤٥٢ ورمز له أيضا بالضعف .

والثواب المجازاة يقال أثابه يثيبه إثابة والاسم الثواب ، ويكون فى الخير والشر إلا أنه بالخير أخص وأكثر استعمالا ، والأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، وباقى ألفاظ الحديث منها ما تقدم الكلام عليه ومنها ما هو ظاهر .

والمعنى أن الله تبارك وتعالى يخبرنا على لسان نبيه المصطفى ﷺ أنه ما غضب على أحد من عباده غضبه على عبد أتى معصية من المعاصى صغيرة أو كبيرة فتعاظمها فى جنب عفو البارى تعالى وقنط من رحمته ، فلو كان الله سبحانه معجلا العقوبة لأحد من الناس أو كانت العجلة من شأنه عز وجل لعجل العقوبة للقانطين من رحمة الله ، ففيه حث على المبادرة إلى الله تعالى بعد فعل الذنب واقتراف المعصية والإنابة إليه ، واعتقاد الرجاء والعفو واستبعاد القنوط واليأس من رحمة الله وعفوه . وقد جاء القرآن الحكيم ببيان أن باب الله مفتوح للعصاة والمذنبين والمسرفين على أنفسهم مهما بلغت ذنوبهم سوى الشرك ، وحض المذنبين على الإنابة والرجوع إلى الله وعدم القنوط واليأس من رحمة الله تعالى ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿**قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**﴾ [٣٩٣] وقال تعالى : ﴿**قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون**﴾ [٣٩٤] وقال تعالى : ﴿**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾ [٣٩٥] وقال تعالى ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [٣٩٦] وقد تقدم أحاديث فى هذا الكتاب منها ما رواه أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه قال الله تعالى : «**عبدى ما عبدتنى ورجوتنى فإنى غافر لك على ما كان فيك ، ويا عبدى إن لقيتنى بقراب الأرض خطيئة ما لم تشرك بى لقيتك بقرابها مغفرة**» وروى الترمذى . وقال حديث حسن . .

عن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى : «يا ابن

---

٣٩٣ ـ الزمر ٥٣

٣٩٤ ـ الحجر ٥٥ ،٥٦

٣٩٥ ـ يوسف ٨٧

٣٩٦ ـ النساء ٤٨ ، ١١٦



آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » وروى ابن ماجه بإسناد جيد - عن أبى هريرة رضى الله عـنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن نبى الله ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم من يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذافإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاه ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم ،فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة » وفى رواية « فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى ، وقال : قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له » وفى رواية قتادة قال الحسن : « ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها » رواه البخارى . ومسلم . وابن ماجه بنحوه .

وقوله « ولو لم أرحم عبادى إلا من خوفهم » الخ أى أن الله سبحانه يخبرنا أنه لو لم يرحم عباده إلا من خوفهم من الوقوف بين يديه لشكر ذلك لهم ، وجعل ثوابهم ذلك الأمن لما خافوا ففيه الترغيب فى التوبة والرجوع إلى الله سبحـانه وتعالى ، ولا سيما الخائفين من الله تعالى الذين أذنبوا وخافوا من الوقوف بين يدى الله جل ذكره يوم الموقف الأكبر اليوم الذى تظهر فيه عورات الناس ويشرف المطيع

ويذل فيه العاصى غير التائب من الذنب ، روى الترمذى وقال : حديث حسن غريب والبيهقى عن أنس رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ : « **يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرنى أو خافنى فى مقامى** »

التعريف بالرافعى

وقوله : « رواه الرافعى » هو العالم الفقيه عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعى القزوينى الشافعى كان من أئمة الشافعية أصحاب التآليف القيمة منها المحرر فى فقه الشافعية ، والتدوين فى أخبار قزوين ولعله روى الحديث فيه ، .

وفتح العزيز - وشرعنا بطبعه وتم منه مع المجموعة شرح المهذب ١٢ جزءاً ونسأل الله الإتمام - كان له مجلس بقزوين فى التفسير والحديث وتوفى فيها سنة ثلاث وعشرين وستمائة والله أعلم .

التعليق

قال ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه « إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يؤيسك من حصول الاستقامة مع ربك ، فقد يكون آخر ذنب قدر عليك » .

وقال أيضا « من استغرب أن ينقذه الله من شهوته ، وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية . وكان الله على كل شيء مقتدرا» قال شارح الحكم : عن رجل من العلماء أنه رأى فى منامه شيخا وجماعة من الشعراء قد أحدقوا به يسألونه ، قال : فقلت له أيها الشيخ أخبرنى بأحكم بيت قالته العرب : فأنشدنى :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه   فلما علاه قال للباطل : ابعد

قال : فو الله لقد نفعنى الله - عز وجل - بهذا البيت ما ذكرته بعد ذلك عند شهوة أو خطيئة إلا ارتدعت عنها .



الحديث الثامن والأربعون بعد المائة

« مُرُوا بِالْمَعْرُوف وانهوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبلِ أَنْ تَدْعونى فَلا أُجِيبُ لكمْ وَتسْألونِي فَلا أُعْطِيَكمْ وَتَسْتَنصرونى فَلا أَنْصُرَكمْ »

رواه الديلمى عن عائشة [٣٩٧] .

شرح الحديث

ـ يقال أمره بكذا طلب فعله منه ، والاسم الأمر واحد الأوامر ، والمعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس . وكل ما ندب اليه الشرع .

والنهى ضد الأمر ، ونهاه عن كذا ينهاه نهيا وانتهى عنه وتناهى أى كف ، وتناهوا عن المنكر نهى بعضهم بعضا ، والمنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف فى استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة . وهو ضد المعروف .

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الله عز وجل أمرنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، لئلا يأتى يوم فتفشو فيه المعاصى والمنكرات ولا آمر ولا ناهي وتتسلط علينا الآفات والبلايا والمصائب بترك ذلك ، فندعو الله جل ذكره فلا يجيب لنا دعاء ونسأله كشف ذلك فلا نعطى ونستنصر بالله جل وعز من عدونا وما حل بنا فلا ينصرنا ولا يلتفت

---

٣٩٧ ـ أخرجه الديلمي في كنز العمال عن عائشة جـ٣ ٥٥٥٤
وهو في مسند أحمد جـ٦ صـ١٥٩ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ٣ صـ٤٠٣
وقد رمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف
وللحديث قصة جاءت في سمند أحمد هي :
عن عروة عن عائشة قالت : دخل علي رسول الله ﷺ فعرفت في وجهه أنه قد حفزه شيء فتوضأ ، ثم خرج فلم يكلم أحدا ، فدنوت من الحجرات فسمعته يقول : « يا أيها الناس ، إن الله ـ عز وجل يقول : مروا بالمعروف ... الحديث وفي نهايته قالت : فما زاد عليهن حتي نزل ..

إلينا ، وقد جاء الحث بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتنفير من ترك ذلك وتهديد من تركه فى آيات كثيرة من القرآن الحكيم ، وأحاديث تبلغ حد التواتر ، فمن الآيات قوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾(٣٩٨) وقال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾(٣٩٩) وقال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾(٤٠٠) وقال تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾(٤٠١) وقال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾(٤٠٢) وقال تعالى حكاية عن لقمان ﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾(٤٠٣) وقال تعالى فى وصف المؤمنين ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾(٤٠٤) . وقال تعالى فى وصفهم أيضا ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴾(٤٠٥) الآية .

ومن الأحاديث النبوية ما رواه مسلم . والترمذى . و ابن ماجه . والنسائى عن أبى سعيد الخدرى ولفظه أن رسول الله ﷺ قال : « من رأى منكم منكراً فغيره بيده فقد برىء ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء ومن لم يستطع

٣٩٨ - آل عمران ١٠٤
٣٩٩ - المائدة ٧٨ ، ٧٩
٤٠٠ - التوبة ٧١
٤٠١ - طه ١٣٢
٤٠٢ - آل عمران ١١٠
٤٠٣ لقمان ١٧
٤٠٤ - الأعراف ١٥٧
٤٠٥ - التوبة ١١٢

أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء وذلك أضعف الإيمان » .

وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » والحوارى هو الناصر للرجل والمختص به والمعين والمصافى .

وروى الترمذى ـ وقال حديث حسن غريب ـ عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : قال « **والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم** » .

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا** » رواه أبو داود عن أبى إسحق قال : أظنه عن ابن جرير عن جرير ولم يسم ابنه . رواه ابن ماجه . وابن حبان فى صحيحه والأصبهانى . وغيرهم عن أبى إسحق عن عبيد الله بن جرير عن أبيه .

وروى أبو الشيخ فى كتاب الثواب . والبيهقى فى الزهد الكبير وغيره عن درة بنت أبى لهب رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله من خير الناس ؟ قال : أتقاهم للرب عز وجل وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر .

وروى الأصبهانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « **يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم وإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا وإن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا**

بالبلاء » .

وروى الإمام أحمد . والترمذى ـ واللفظ له وابن حبان فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر** » .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعظم وظائف الشرع المحمدى وهو وظيفة الأنبياء والرسل ومن بعدهم العلماء قادة الأمة ومعلموها أهل الفراسة والذكاء وفيهما تتفاضل الأمم قال الله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[406] فوصف أمة محمد ﷺ بأنها خير أمة أخرجت للناس وعلل ذلك بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله جل وعز فإنها خير أمة لأجل ذلك ولا شك أن الأمم الغابرة كانوا يتساهلون فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويسكتون على من فعل ذلك ولذلك شنع عليهم البارى تعالى فى القرآن الحكيم فى غير آية ، وقد تقدم ذكر بعضها أول الشرح ، ولا شك أن هذين الوصفين من أهم الأمور التى تحفظ الأمة من التدهور والسقوط وتنتشر فيها المعاصى ويكثر الفساد والفساق وتذهب ثروة البلاد . وتنحط الأخلاق وانظر إلى حال الأمة الإسلامية فى بدء ظهورها وبعد أن تكونت وانتظمت ، وأصبحت أمة ودولة يخاف قوتها وبطشها جميع الأمم المعاصرة لها كالروم والفرس ، اللتين كانتا أعظم الأمم فى عصرهما ، فاجتثت الدولة الإسلامية أصولهما وقهرتهما وذلتهما فى أقرب وقت وأقل زمن ، وذلك بسبب التآلف والتحابب بين المسلمين واتحاد كلمتهم وصفوفهم وانتشار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الجميع لا فرق بين عالم وجاهل بين كبير وصغير بين عظيم وحقير لذلك نجحت الأمة الإسلامية ، وتقهقرت الأمم الأخرى لسلب المزايا منها التى وجدت فى الشريعة الإسلامية ، ولم تزل كذلك حتى قل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهاب العلماء نصيحة ملوكهم وإرشاد أمرائهم ، ففشت المعاصى

406 ـ آل عمران ١١٠

وعم الفساد وتسلط العدو ووقع الغلاء والقحط ، وكثرت المصائب والبلايا وندعو الله فلا يستجيب لنا ونستنصره على عدونا فلا ينصرنا ونسأله فلا نعطى ، وأكره العلماء على عدم النصيحة لملوكهم وأمرائهم استبداد رؤساء بنى أمية ومن سار على طريقهم ممن بعدهم وقد كان أول أمير منهم أظهر هذه الفتنة والبدعة الشنعاء جهرة عبد الملك بن مروان إذ قال على المنبر :

من قال لى اتق الله ضربت عنقه . وقال صديقنا الأستاذ المرحوم الشيخ رشيد رضا : فقد كانت شجرة بنى مروان الخبيثة هى التى سنت فى هذه الأمة سنة الاستبداد ، فما زال يعظم ويتفاقم حتى سلب الأمة أفضل مزاياها فى دينها ودنياها بعد الإيمان اهـ [(٤٠٧)] .

وقدأصبحنا فى زمن القابض على دينه كالقابض على الجمر ، فانظر إلى حصول الفساد فى جميع الأقطار الإسلامية من فشو الربا والزنا والقمار بأنواعه بترخيص من الحكومات المحلية وإباحة ذلك رسميا والكذب واللواط والسرقات وقطع الأشجار وحرق الزروع وإفساد ما بين المرأة وزوجها ، وما بين الوالد وولده ، وما بين الأخ وأخيه ، وما بين الصاحب وصاحبه . والغيبة . والنميمة . وتبرج النساء وخلع عذار الحياء . ووجودهن فى حمامات البحر مختلطين بالرجال الأجانب الفجرة الفسقة والاجتماع بدور الملاهى والسينما والنوادى وغير ذلك مما يوجب غضب الله تعالى وسخطه فنسأل الله تعالى السلامة وتغيير الحال إلى أصلح وإرجاع العباد إلى مجد سلفهم وما كانوا عليه من الحمية والشهامة والتقوى والمهابة وغير ذلك من صفات المؤمنين الذين قال الله تعالى فى حقهم ما قال فى غير آية .

ولا تكون الأمة خير الأمم إلا اذا كانت متصفة بهذه الأصول الثلاثة : الإيمان بالله تعالى قلبا وقالبا ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . وإذا فقدت هذه الأصول

---

٤٠٧ ـ علي الرغم من ذلك فإن للدولة الأموية مزايا لا تنكر ، فقد اتسعت الدولة الإسلامية في أيامهم ، وعظم شأن العروبة والإسلام ، وقد وصلت الفتوحات الإسلامية في عهدهم إلي أوربا حيث فتحت الأندلس في أيام الوليد بن عبد الملك وبقيادة موسي بن نصير بن زياد . ويكفي الدولة الأموية شرفا أنها أنجبت الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي يطلق عليه خامس الخلفاء الراشدين الذي أعاد العدل إلي نصابه ، ونشر الأمن والإنصاف بين الناس ..

أو بعضها لا تكون كذلك . ولا تحفظ ولا تدوم إلا بإقامة هذه الأصول الثلاثة ولذلك اشترط على هذه الأمة أن يكون من غرضها فى الدفاع عن نفسها وحفظ وجودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كأنها لولا ذلك لا تكون مستحقة للبقاء فى الأرض وأكد الأمر بهذه الفريضة فى آيات سورة آل عمران بما لا يعرف له نظير فى كتاب من الكتب السابقة ولم تقم به أمة من الأمم على هذا الوجه .

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يحتاجان إلى تحمل مكاره وصبر على أذى فى سبيلهما فمن قام بذلك فلا يسخط ولا يمل ولا يغضب بل يواصل ذلك بصدر رحب وأخلاق حميدة ولسان طلق وقلب متسم بالإيمان والصدق والإخلاص ويلين للناس جانبه حتى يتمكن من إزالة المنكر بطرق مفيدة وسبل سهلة ويكون أسلوبه ذا فنون وأنواع ليقتنع صاحب المنكر ويستولى على قلبه ولبه ويستعمل له الأدلة الوافية كل بحسبه وينزل الناس منازلهم .

قال الحافظ بن رجب : اعلم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثواب الله ، وتارة خوف العقاب فى تركه ، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه . وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه فى الدنيا والآخرة ، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته وأنه أهل أن يطاع ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وأنه يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال كما قال بعض السلف : وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وأن لحمى قرض بالمقاريض .

وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز يقول لأبيه : وددت أنى غلت بى وبك القدور فى الله تعالى ، ومن لحظ هذا المقام والذى قبله هان عليه كل ما يلقى من الأذى فى الله تعالى وربما دعا لمن أذاه كما قال ذلك النبى ﷺ لما ضربه قومه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : « رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » وبكل حال فتبين الرفق فى الإنكار قال سفيان الثورى : لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عدل بما يأمر ، عدل بما ينهى ، عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى ، وقال أحمد : الناس محتاجون إلى مداراة

ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له قال : وكان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون : مهلا رحمكم الله مهلا رحمكم الله .

وقال أحمد : يأمر بالرفق والخضوع فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد أن ينتصر لنفسه ، وقد ذكر الحافظ المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب حديث الكتاب عن عائشة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « **يا أيها الناس إن الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم وتسألونى فلا أعطيكم وتستنصرونى فلا أنصركم** »

رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

التعليق

لاشك أن الغلظة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يأتى بآثار عكسية ، وقد أمر الله نبيه - ﷺ - باستعمال الحكمة فى دعوته فقال له : « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** » وخير وسيلة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر القدوة الطيبة والأسوة الحسنة . .

وقد قال الله تعالى - لنبيه - ﷺ - ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ ففى « خذ العفو » صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين ، وفى قوله « وأمر بالعرف » صلة الأرحام وتقوى الله فى الحلال والحرام وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار . وفى قوله « وأعرض عن الجاهلين » الحض على التخلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم . .

لقد جمعت هذه الآية مكارم الأخلاق . .

قال القرطبى بعد كلامه السابق تعليقا على الآية المذكورة : عن جابر بن سليم أبو جرى : ركبت قعودى ثم أتيت مكة فطلبت رسول الله ﷺ ، فأنخت قعودى بباب المسجد ، فدلونى على رسول الله ﷺ . فإذا هو جالس عليه برد من صوف فيه

طرائق حمر . فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، فقال : وعليك السلام ، فقلت : إنا معشر أهل البادية قوم فينا الجفاء فعلمني كلمات ينفعني الله بها . فقال : ادن - ثلاثا - فدنوت ، فقال : أعد علي ، فأعدت عليه ، فقال : اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ، وأن تلقى أخاك بوجه منبسط ، وأن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى ، وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه ، فإن الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا ، ولا تسبن شيئا مما خولك الله - تعالى -

قال جابر : فو الذى نفسي بيده ما سببت بعده شاة ولا بعيرا . .

تفسير القرطبي - سورة الأعراف آية ١٩٩ -



(من ترك شيئا لله كافأه الله)

الحديث التاسع والأربعون بعد المائة

« مَنْ تَركَ الخمْرَ وَهوَ يَقْدرُ عَليه لأسْقينَّهُ منه فى حَظيرَة القُدْسِ ، ومَنْ تَركَ الحَريرَ وَهوَ يَقْدِر عَلَيْهِ لأكْسُونَّهُ إيَّاه فى حَظيرَةِ القُدْسِ »

رواه البزار عن أنس (٤٠٨)

شرح الحديث

- الخمر مؤنثة فى اللغة الفصيحة المشهورة ، وأصل الخمر ستر الشيء وتغطيته وسميت خمراً لكونها خامرة لمقر العقل ، قال الواحدى : الخمر عند أهل اللغة سميت خمرا لسترها العقل . قال الليث : اختمار الخمر إدراكها وغليانها

٤٠٨ - ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب جـ٣ صـ٤٤٦ .
ورمز له جامع الأحادث القدسية بالحسن .

ومخمرها متخذها وخمرت الدابة أخمرها سقيتها الخمر .

قال الكسائى : يقال اختمرت خمراً ولا يقال أخمرتها . وأصل هذا الحرف التغطية ، وقيل سميت خمراً لأنها تغطى حتى تدرك . وحظيرة القدس الجنة وهى فى الأصل الموضع الذى يحاط عليه لتأوى اليه الغنم والإبل يقيها البرد والريح ، ويطلق أيضا على الشريعة وكلاهما صحيح ، فالشريعة حظيرة منها يستفاد القدس أى الطهارة ، والتقديس التطهير ومنه بيت المقدس ، و الحرير معروف .

والمعنى أن من ترك شرب الخمر بأن لم يشربه ابتداء أو تركه بعد أن شربه مدة وهو يقدر على شربه ليسقينه المولى جل ذكره من خمر الجنة فى حظيرة القدس - أى فى الجنة - التى قال الله تعالى فى وصفها فى كتابه المبين ﴿ **يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون** ﴾ (٤٠٩) أى يطاف على أهل الجنة بكأس فيه خمر يجرى كما تجرى العيون على وجه الأرض وهذه الكأس بيضاء صافية اللون ترى من الظاهر ذات لذة وأشد بياضاً من اللين وليس كخمر الدنيا يغتال العقول ويذهب بها ولا يسكرون بعد شربها فلا يصيبهم منها مرض ولا صداع وتغيب بل يملكون حواسهم وشعورهم ويجدون لذة لو عرضت على أهل الدنيا لماتوا من شدة لذتها واستطابتها . اللهم لا تحرمنا منها .

والخمر جاء الشرع بتحريمها واستنكارها وبيان مضارها واستفظاعها والتهديد لمن شربها ووعيده قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ (٤١٠) وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** ﴾ (٤١١) وقال تعالى : ﴿ **يسألونك عن**

---

٤٠٩ ـ الصافات ٤٥ ـ ٤٧

٤١٠ ـ المائدة ٩٠ ، ٩١

٤١١ ـ النساء ٤٣

﴿ الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ الآية (٤١٢) . أخبر سبحانه بأن الخمر والميسر فيهما إثم كبير لأن مضرتهما كبيرة ولا إثم إلا ما كان ضاراً فإثم شارب الخمر ينشأ من فساد عقله وإضعاف القوة العاقلة ، فيصدر عنه ما يصدر عن فساد العقل من المخاصمة والمشاءمة وقول الفحش والزور وإفشاء السر ، لا سيما في السياسة الدولية فإن كثيراً من الأسرار الحربية تؤخذ بطريق السكر ، وله حوادث كثيرة متكررة ، وتعطيل الصلوات وسائر ما يجب عليه ومخالطة الفساق والفجار ، وغشيان بيوت الدعارة والملاهى ، وضياع الأموال وغير ذلك مما فساده ظاهر لكل عاقل . هذه مضاره الخلقية ، والمالية .

وأما مضاره الصحية فإفساد وفقد شهوة الطعام ، وتغيير الخلق فالسكارى تسرع اليهم النشوة فتجحظ أعينهم وتمتقع سحنتهم وتعظم بطونهم . ومرض الكبد والكلى . وداء السل الذى يفتك فى البلاد الأوربية فتكا ذريعا على عناية أهلها بقوانين الصحة ، ولكن لا وقاية من شرور السكر إلا بتركه . وقد قيل : ان نحو نصف الوفيات فى بعض بلاد أوربا بداء السل .

قال الأستاذ المرحوم السيد رشيد رضا : ولم يكن هذا الداء معروفا أو منتشرا فى مثل هذه البلاد - مصر - قبل شيوع السكر فيها فهو من الأدواء التى حملها اليها الأوربيون وقد كثر كثرة فاحشة فى مصر على أن جوها لا يساعد على انتشاره . وقال أحد أطباء المانيا : اقفلوا لى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والتكايا والسجون ، وقد قال بعض الأطباء إن المسكر لا يتحول إلى دم كما تتحول سائر الأغذية بعد الهضم بل يبقى على حاله ، فيزاحم الدم فى مجاريه فتسرع حركة الدم وتختل موازنة الجسم ، وتتعطل وظائف الأعضاء أو تضعف وتخرج عن وضعها الطبيعى المعتدل .

فمن تأثيره فى اللسان إضعاف حاسة الذوق وفى الحلق الالتهاب ، وفى المعدة ترشيح العصارة الفاعلة فى الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها ، وقد

---

٤١٢ - البقرة ٢١٩

يحدث فيها احتقانا والتهابا ، وفى الأمعاء التقرح ، وفى الكبد تمديده وتوليد الشحم الذى يضعف عمله ، وكل هذا يتعلق بما يسمونه الجهاز الهضمى .

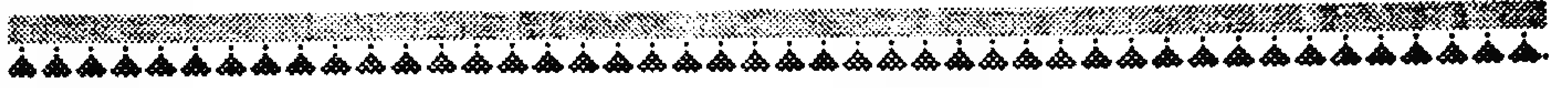
ومن تأثيره فى الدم أنه بممازجته له يعيق دورته وقد يوقفها أحيانا فيموت السكور فجأة .

ويضعف مرونة الشرايين فتتمدد وتغلظ حتى تفسد أحيانا ، فيفسد الدم ولو فى بعض الأعضاء فتكون الغنغرينا التى تقضى بقطع العضو الذى تظهر فيه لئلا يسرى الفساد إلى الجسد كله ، فيكون هالكا . ومن تأثيره فى جهاز التنفس إضعاف مرونة الحنجرة وتهييج شعب التنفس ، وأهون ضرر ذلك بحة الصوت والسعال ، وأعظمها تدرن الرئة أى السل الفاتك بالشبان والقاطع لجميع لذات الانسان .

وأما تأثيره فى المجموع العصبى فهو الذى يولد الجنون ويهلك النسل فولد السكور لا يكون نجيبا ، وولد ولده يكون شراً من ولده وأضعف بدنا وعقلا ، وقد يؤدى تسلسل هذا الضعف إلى انقطاع النسل بالمرة ، لا سيما إذا جرى الأبناء على طريق الآباء كما هو الغالب .

وأطباء الافرنج وعلماؤهم مجمعون على أن ضرر الخمر أكبر من نفعها ، وقد ألفت جمعيات فى أوربا وأمريكا ومصر للسعى فى إبطال المسكرات فهم يتعاهدون على عدم الشرب وعلى الدعوة إلى ذلك ، والسعى لدى الحكومات بالتشديد على بائع الخمور ، فالأيام والأجيال كلما تقدمت وارتقت تؤيد قول القرآن بأن إثم الخمر والميسر أكبر من نفعهما ، فإن أطباء هذا العصر يصفون من مضرات الخمر ما لم يكن معروفا عند الأطباء المتقدمين وهو ما أطلقه الله تعالى لعباده ليبحثوا فيه ويتبينوا صدقه بأنفسهم لتكون عقولهم مؤيدة لكتابه بوجوب اجتنابه .

وأما إثم الميسر أى إثم متعاطيه فما ينشأ عن ذلك من الفقر وذهاب المال فى غير طائل ، والعداوة وإيحاش الصدور وضياع مستقبل نفسه إذا لم يكن صاحب عائلة ، أو ضياعه وضياع مستقبل عائلته فإذا كان مستخدما فى مصالح الحكومة أو



الشركات الأجنبية أو الأهالى فإنه بسبب الميسر ، يتطلع إلى ما فى يده من مال الغير أو ما فى يدى غيره من المال فتحدثه نفسه باغتيال ذلك ، ويحسن له الشيطان ذلك ويوقع فى قلبه بأنه لو مد يده إلى أموال الغير التى تحت يده وبددها فى القمار لربما يربح فى أقرب وقت مالا كثيرا فيرد ما اغتاله من أموال الناس ولا يطلع عليه أحد فيتجاسر ويأخذ شيئا فشيئا إلى أن ينكشف أمره ، ويؤخذ على يديه ويفتضح وتذهب منه وظيفته ويحكم عليه بالحبس ويعد من المجرمين ، ويقتل مستقبله قتلا مؤبدا حيث يموت موتا معنويا فلا يرفع بعد ذلك رأسا ، وتمسى عائلته فقراء يتطلبون العيش فلا يجدونه وهذا كثير فى زماننا تنشره الجرائد على صفحاتها وتتكرر حوادثه فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ومن مضاره إفساد التربية بتعويد النفس على الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية ، وإضعاف القوة العقلية بترك الأعمال المفيدة فى طريق الكسب ، وإهمال المقامرين الزراعة والصناعه والتجارة التى هى أركان العمران ، وأما منافع الخمر على ادعاء ذلك فربح التجارة وما يصدر عنها من الطرب والنشاط وقوة القلب وثبات الجنان وإصلاح المعدة وقوة الباءة ، وقد أشار أحد شعراء العرب إلى شيء من ذلك قال :

وإذا شربت فإنني ... رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإنني ... رب الشويهة والبعير

وقال آخر :

ونشربها فتتركنا ملوكا ... وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

وقال بعض الشعراء وأشار إلى ما فيها من المفاسد والمصالح :

رأيت الخمر صالحة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا ... ولا أشفي بها أبداً سقيما
ولا أعطي بها ثمنا حياتي ... ولا أدعو لها أبدا نديما

ومنافع الميسر ـ على زعم أنه فيه منافع ـ مصير الشيء إلى الإنسان بغير تعب ولا نصب ، وسرور الرابح وأريحيته عند أن يصير له منها سهم صالح ، وغير ذلك وقد جاء فى السنة النبوية تشديد عظيم فى شرب الخمر وبيعها وشرائها وعصرها وحملها وأكل ثمنها ، وترغيب عظيم فى ترك ذلك والتوبة منه .

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن** » زاد مسلم فى رواية له . وأبو داود آخره « ولكن التوبة معروضة بعد » وفى رواية للنسائى فال « **لا يزنى الزانى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن** » ـ وذكر رابعة فنسيتها .

فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه فإن تاب تاب الله عليه ، وروى أبو داود « **لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه** » ورواه ابن ماجه زاد « وآكل ثمنها » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه** » رواه أبو داود وغيره . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أتانى جبريل فقال يا محمد **إن الله لعن** الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها » . رواه أحمد باسناد صحيح وابن حبان فى صحيحه . والحاكم وقال صحيح الإسناد ، وروى ابن ماجه عن خباب بن الأرت رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إياك والخمر فإنها تفرع الخطايا كما أن شجرها يفرع الشجر** » قال الحافظ المنذرى : وليس فى إسناده من تُرك .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « **كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها فى الآخرة** » رواه البخارى . ومسلم . وأبو داود . والترمذى . والنسائى . والبيهقى ولفظه فى إحدى رواياته قال : قال رسول الله ﷺ « **من شرب الخمر فى الدنيا ولم يتب لم يشربها فى الآخرة وإن دخل الجنة** » . وفى رواية لمسلم قال :

«**من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمَها فى الآخرة**» قال الخطابى ثم البغوى فى شرح السنة : وفى قوله «**حُرِمها فى الآخرة**» وعيد بأنه لا يدخل الجنة لأن شراب أهل الجنة خمر إلا أنهم لا يَصدعون عنها ولا ينزفون ومن دخل الجنة لا يحرم شرابها انتهى .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «**ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق السحر ومن مات مُدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : نهر يجرى من فروج المومسات يؤذى أهل النار ريح فروجهم**» رواه الإمام أحمد . وأبو يعلى . وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ، وفى رواية لابن حبان قال رسول الله ﷺ : «**لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم**»

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «**اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر**» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن ابن جابر رضى الله عنه أن رجلا قدم من جيشان . وجيشان من اليمن ـ فسأل رسول الله ﷺ ، **عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المذر فقال رسول الله ﷺ . أوَ مسكر هو ؟ قال : نعم قال رسول الله ﷺ : كل مسكر حرام وإن عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ، قالوا : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار**»

رواه مسلم . والنسائى ، وفى الباب أحاديث كثيرة تركتها خشية التطويل .

حد الخمر

واختلف العلماء فى حد الخمر وحقيقته الشرعية فقال سفيان الثورى . وأبو حنيفة وأهل الرأى الخمر ما اعتصر من العنب والنخلة فيغلى بطبعه دون عمل النار وما سوى ذلك ليس بخمر ، وقال مالك والشافعى وأحمد وأهل الأثر من المحدثين رضى الله عنهم . أن الخمر كل شراب مسكر فسواء كان عصيرا أو نقيعا مطبوخا كان أو نيئاً واللغة تشهد لهذا قال الزجاج : القياس أن ما عمل عمل الخمر يقال له خمر

وأن يكون فى التحريم بمنزلتها ، قاله الواحدى ونقله عنه الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات المطبوع فى إدارتنا وهو من الكتب المفيدة المحققة .

حكم الحرير

وأما الحرير فقد ورد بتحريمه أحاديث صحاح وحسان كثيرة ، منها ما رواه البخارى . ومسلم ، والترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة** » والنسائى وزاد : وقال ابن الزبير : « **من لبسه فى الدنيا لم يدخل الجنة** » قال الله تعالى : ﴿ **ولباسهم فيها حرير** ﴾ (٤١٣) .

وروى البخارى عن حذيفة رضى الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه . والديباج ، بكسر الدال وقد تفتح ـ الثياب المتخذة من الإبريسم سداها ولحمتها منه ، وذكره له يعد الحرير من باب ذكر الخاص بعد العام ، وعن أبى أمامة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهبا** » رواه أحمد ورواته ثقات .

وعن خليفة بن كعب قال : سمعت ابن الزبير يخطب ويقول : « **لا تلبسوا نساءكم الحرير** » فإنى سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله ﷺ « **لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة** » رواه البخارى ومسلم والنسائى وزاد فى رواية : ومن يلبسه فى الآخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى ﴿ **ولباسهم فيها حرير** ﴾ . وحديث الكتاب ذكره المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب . وقال : رواه البزار بإسناد حسن .

وأما حكم لبس الحرير فقال العلامة ابن دقيق العيد فى شرحه عمدة الأحكام : الحديث يتناول مطلق الحرير وهو محمول عند الجمهور على الخالص منه فى حق الرجال وهو عندهم نهى تحريم ، وأما الممتزج بغيره فللفقهاء فيه اختلاف كثير

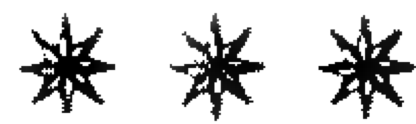
---

٤١٣ ـ الحج ٢٣



فمنهم من يعتبر الغلبة فى الوزن ، ومنهم من يعتبر الظهور فى الرؤية ، واختلفوا فى العتابى من هذا ، ومن يقول بالتحريم لعله يستدل بالحديث ويقول : إنه يدل على تحريم مسمـــى الحرير فما خرج منه بالإجماع حل ويبقى ما عداه على التحريم انتهى .

والحديث الذى أشار اليه ابن دقيق العيد هو ما رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد بن حنبل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة** » وإذا أردت أن تتوسع فى ذلك فانظر تعليقنا على أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام تجد ما يسرك .



(عقوبة شارب الخمر)

الحديث الخمسون بعد المائة

« لاَ يَشْرَبُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ شَرْبَةً مِنْ خمْرٍ إلاَّ سَقَيْتُهُ بِما انْتَهكَ منها مِنَ الحميم مُعَذَّبٌ بَعْدُ أَوْ مَغْفورٌ لَهُ وَلا يَترُكُها وَهُوَ عَلَيها قَادر ابْتِغاءَ مَرْضاتى إلاَّ سَقَيْتُه مِنها فَأَرْدَيْتُه فى حَظِيرَةِ القُدْسِ »

رواه الطبرانى عن ابن عمر (٤١٤)

شرح الحديث

ـ الخمر تقدم الكلام عليها فى هذا الكتاب .

والانتهاك المبالغة فى خرق محارم الشرع وإتيانها .

---

٤١٤ ـ روي مثله أبو داود الطيالسي من حديث أبي أمامة برقم ١١٣٤ بلفظ « لا يشرب عبد من عبادي جرعة من خمر متعمدا في الدنيا الا سقيته مكانها من الصديد يوم القيامة مغفورا له أو معذبا ... » ورمز له جامع الحديث القدسية بأنه ضعيف جدا .

والحديث في الترغيب والترهيب .. جـ٣ صـ٤٤٥ .

والحميم الماء الشديد الحرارة .

وأرديته جعلته مرتديا فى حظيرة القدس لا يصيبه سوء أبداً وقد دكرنا تفسيرها ، وأورد الحديث الحافظ الهيثمى فى جميع الزوائد بأطول من هذا وقال في آخره . رواه كله أحمد . والطبرانى وفيه على بن يزيد وهو ضعيف .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا . أن العبد المسلم لا يشرب شربة من خمر فى الدنيا إلا سقاه بسبب ما انتهك وخرق من محارم الشرع ماء شديد الحرارة ، سواء كان يعذب بعد ذلك أو يغفر له ، ولا يترك عبد شرب الخمر فى الدنيا وهو قادر عليها قاصدا بذلك الترك وجه الله وابتغاء مرضاته إلا سقاه الله منها وعوضه خيرا منها ألا وهى خمر الجنة التى قال الله فى وصفها ﴿ **بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون** ﴾ اللهم أذقنا لذتها فى الآخرة ولا تحرمنا منها .

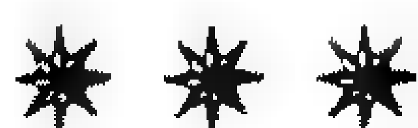
وبعد ذلك يرديه الله جل ثناؤه فى حظيرة القدس وهى الجنة وقد تقدم الكلام على الخمر ومضارها بما فيه الكفاية والله أعلم .

التعليق

تسمى الخمر أم الكبائر لأنها الطريق إلى كل معصية وإثم . روى النسائى عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل ممن قبلكم تعبد ، فعلقته امرأة غوية ، فأرسلت إليه جاريتها ، فقالت له : إنا ندعوك للشهادة . فانطلق مع جاريتها ، فطفت كلما دخل بابا أغلقته دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : إني والله ما دعوتك للشهادة ، ولكن دعوتك لتقع على ، أو تشرب من هذه الخمر كأسا ، أو تقتل هذا الغلام . قال : فاسقينى من هذه الخمر كأسا . قال : زيدونى ، فلم يرم ـ يبرح ـ حتى وقع عليها وقتل النفس . فاجتنبوا الخمر ، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر ، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه .

ـ تفسير القرطبى ـ الآية رقم ٢١٩ من سورة البقرة ـ

وهذا الحديث الذى ذكرناه ترتيبه فى النفحات السنية للمناوى رقم ١٧٢ وقدمناه لتعلقه بما قبله .



(التواضع رفعة)

الحديث الحادى والخمسون بعد المائة

« مَن تَواضعَ لى هكذا وَجَعلَ النبىُّ ﷺ بَطْنَ كفِّه إلى الأرْضِ رَفَعتُه هكَذا وَجعلَ بَطْنَ كفِّهِ إلى السَّماءِ »

رواه أحمد . والبزار . وأبو يعلى . والطبرانى فى الأوسط عن عمر [415]

شرح الحديث

ـ التواضع التخاشع والتذلل وهذه صفة المؤمنين حقا وهى من أكمل الصفات وأدلها على حسن أخلاق المتصف بها وهى منزلة من منازل ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ .

واختلفت عبارات القوم فى حقيقته سئل الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى عن التواضع ؟ فقال يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله . وقيل : أن لا ترى لنفسك قيمة فمن رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب ، وهذا مذهب الفضيل وغيره ، وقال الجنيد رئيس الطريقة رحمه الله هو خفض الجناح ولين الجانب . . وقال أبو يزيد البسطامى رحمه الله : هو أن لا يرى لنفسه مقاماً ولا حالا ولا يرى فى الخلق شراً منه .

وقال ابن عطاء رحمه الله هو قبول الحق ممن كان والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر فهو كتطلب الماء من النار وهذا مبالغة من ابن عطاء رحمه الله كالفضل فو التواضع فصيره ذلة .

وعرفه العلامة الهروى فى منازل السائرين بقوله : التواضع أن يتواضع العبد

---

٤١٥ ـ هذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده جـ١ صـ٣٠٩ وفيه « وجعل يزيد باطن كفه إلي الأرض » .
ويزيد هذا هو راوي الحديث عن عاصم بن محمد عن ابيه عن ابن عمر عن عمر ...
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة . ورواه الطبراني في الصغير جـ١ صـ ٢٣١ .
وهو في إتحافات المدني برقم ٢١٠ ، ولفظه فيه : من تواضع لي هكذا رفعته هكذا ..

لصولة الحق قال العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية فى شرحه يعنى أن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له والذل والانقياد والدخول تحت رقه بحيث يكون الحق متصرفا فيه تصرف المالك فى مملوكه فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع ولهذا فسر النبى ﷺ الكبر بضده فقال : « **الكبر بطر الحق وغمص الناس** » . فبطر الحق رده وجحده والدفع فى صدره كدفع الصائل ، وغمص الناس احتقارهم وازدراؤهم انتهى .

وقسمه إلى ثلاث درجات : الأولى التواضع للدين وهو أ لا يعارض بمعقول منقولا ولا يتهم للدين دليلا . ولا يرى إلى الخلاف سبيلا ، والدرجة الثانية أن ترضى بما رضى الحق به لنفسه عبداً من المسلمين أخا وأن لا ترد على عدوك حقا ، وتقبل من المعتذر معاذيره ، والدرجة الثالثة أن تتضع للحق فتنزل عن رأيك وعوائدك فى الخدمة ورؤية حقك فى الصحبة ، وعن رسمك فى المشاهدة .

وقد وردت آيات كثيرة فى مدح التواضع وذم الكبر منها قوله تعالى : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ (٤١٦)

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ (٤١٧) وقال تعالى : ﴿ **إنه لا يحب المستكبرين** ﴾ (٤١٨) وقال تعالى : ﴿ **إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ، وكذلك نجزى الظالمين** ﴾ (٤١٩) ومن الأحاديث ما رواه مسلم فى

---

٤١٦ ـ الفرقان ٦٣
٤١٧ ـ المائدة ٥٤
٤١٨ ـ النحل ٢٣
٤١٩ ـ الأعراف ٤٠

صحيحه والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال : ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »

وروى الطبراني بلفظ قال عمر بن الخطاب على المنبر : أيها الناس تواضعوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تواضع لله رفعه الله وقال : انتعش[420] نعشك الله فهو فى أعين الناس عظيم وفى نفسه صغير ، ومن تكبر قصمه الله . وقال اخسأ فهو فى أعين الناس صغير وفى نفسه كبير » وروى الطبرانى أيضاً فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ، ومن ارتفع عليه وضعه الله » وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « ما من آدمى إلا وفى رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك : ارفع حكمته . وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته » رواه الطبراني . والبزار بنحوه من حديث أبى هريرة وإسنادهما حسن هكذا قال الحافظ المنذرى .

(الحكمة) بفتح الحاء المهملة والكاف هى ما تجعل فى رأس الدابة كاللجام ونحوه ، وحديث الكتاب ذكره الحافظ المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب[421] وقال : رواه أحمد . والبزار ورواتهما محتج بهم فى الصحيح .

كان إمام المتقين ورسول رب العالمين كثير التواضع ، لين الجانب ، بعيداً من الكبر ، قال الحافظ شمس الدين بن قيم الجوزية فى مدارك السالكين وكان النبى ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت ، وكان إذا أكل لعق أصابعه الثلاثة ، وكان يكون فى بيته فى خدمة أهله ولم يكن ينتقم لنفسه قط ، وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويحلب الشاة لأهله ، ويعلف البعير ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين ويمشى مع الأرملة واليتيم فى حاجتهما ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شىء ،

---

٤٢٠ ـ انتعش نعشك الله أي ارتفع رفعك الله. النهاية لابن الأثير جـ٤ صـ٥٧ .

٤٢١ ـ هو في الترغيب والترهيب جـ٣ صـ٨١٣

وكان هيِّن المؤنة لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة ، طلق الوجه بساماً متواضعاً من غير ذلة جواداً من غير سرف ، رقيق القلب رحيما بكل مسلم ، خافض الجناح للمؤمنين ، لين الجانب لهم ، وقال « ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل » رواه الترمذى وقال : حسن . وقال : « **لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ، ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت** » رواه البخارى ، وكان يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار ، ويجيب دعوة العبد ، وكان يوم قريظة على حمار مختوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف والله أعلم .

التعليق

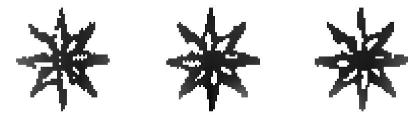
يعنى العارفون بأخلاق الرسول لله - عناية فائقة ، يلتمسون الاقتداء بها ومحاولة تحقيقها فى أنفسهم ، ومن ذلك صفة التواضع التى اتسم بها النبى - ﷺ - وكان قدوة مثلى فيها ، مع أنه كان أشرف الخلق وأكرمهم على الله وأقربهم منه ، لا يراه أحدٌ على الرغم من تواضعه الشديد إلا هابه ، لأن تواضعه الصادق أكسبه الهيبة والرفعة تصديقا للحديث الشريف « **من تواضع لله رفعه** » ولقد رآه مرة بعض الناس ففرق وارتعدت فرائصه ، فقال له النبى - ﷺ - « **هَوِّن عليك فإنى ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة** » .

ويرى العارفون أن التواضع الحقيقى له آداب يأتى فى مقدمتها أن لا يكون متكلفا ، فالذى يتكلف التواضع متكبر ، يقول ابن عطاء الله السكندرى فى ذلك « **من أثبت لنفسه تواضعا فهو متكبر حقا ، إذ ليس التواضع إلا عن رفعة فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر** »

ويقول أبو يزيد البسطامى فى بيان حقيقة التواضع : « **مادام العبد ينظر أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر** » قيل : فمتى يكون متواضعا ؟ فقال : « **إذا لم ير لنفسه حالا ولا مقاما** »

ويقول ذو النون المصرى : « **من أراد التواضع فليوجه قلبه إلى عظمة الله ـ تعالى ـ فإنها تذوب وتصغر ـ أى النفس ـ ومن نظر إلى سلطانه تعالى ذهب سلطان نفسه** » وإن أحق الناس بالتحلى بصفة التواضع هم العلماء ، لأن ثمرة العلم التواضع . . ولكن الذى نراه بكل أسف أن أكثر الناس تعاليا هم العلماء لأنهم يعتقدون أنهم وصلوا بعلمهم إلى منزلة ترفعهم فوق رءوس الناس . .

ولو نظرنا إلى الحقيقة لرأينا أن الذى يرفع الإنسان حقا ليس علمه ، وإنما العمل بعلمه والعمل بالعلم يقتضى الخشية والورع والتواضع ، لقد قال تعالى « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** »



(فضل ذكر الله عند الغضب)

الحديث الثانى والخمسون بعد المائة

« مَنْ ذكرَنى حين يَغْضَبُ ذكرتُه حِينَ أغضبُ ولا أمحقُه فِيمنْ أمحَقُ »

رواه الديلمى عن أنس [422]

شرح الحديث

ـ الغضب تقدم تفسيره غير مرة والبارى تعالى يتصف به كما يليق به ليس كمثله شىء وليس كما نعرفه ونعهده فى الحادث جل الله عن ذلك .

والمحق ـ بفتح الميم وسكون الحاء المهملة ـ النقص والمحو والإبطال يقال محقه إذا

---

٤٢٢ ـ هذا الحديث في كنز العمال جـ٣ / ٧٧١٨ وذكره المدني في الإتحافات برقم ٨٩ رمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف وهناك حديث عن ابن عباس بهذا المعني هو :ـ « يقول الله : ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق ، وهو في كنز العمال جـ٣ / ٧٧١٩ ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف كذلك .

نقصه وأذهب بركته ومنه قوله تعالى : ﴿ **يمحق الله الربا ويربى الصدقات** ﴾[٤٢٣] . قال تعالى : ﴿ **ويمحق الكافرين** ﴾[٤٢٤].

والمعنى أن الله جل ذكره يخبرنا أن من ذكره من عباده فى حالة غضبه ذكره الله تعالى حين يغضب ، ولا يمحقه المولى فيمن يمحق حينئذ ، ففيه ترغيب فى ذكر الله تعالى ولو فى حال الغضب ، لأن ذكر الله تعالى شفاء من كل داء ، ولا شك أن حال الغضب قل أن يملك الانسان نفسه ، فإنه يريد أن يفتك بخصمه ويهلكه ، أو يذهب ما يراه فالله سبحانه وتعالى إذا ذكر الإنسان فى حال الغضب لا يهلكه ولا يذهب ويمحو من غضب عليه أو يذهب بركة ماله أو ولده ، بل يعفو عن ذلك .

فعلى الإنسان إذا اشتد به الغضب أن يذكر الله ويصلى على النبى ﷺ أو يتوضأ ، وفيه تنفير من الغضب والتباعد عنه وعدم الانتقام وقت الغضب .

روى البخارى ومسلم . وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه « **أن النبى ﷺ قال : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** » رواه ابن حبان فى صحيحه مختصراً « **ليس الشديد من غلب الناس إنما الشديد من غلب نفسه** » وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ادفع بالتى هى أحسن . قال : الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم . ذكره البخارى تعليقاً .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رءوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء** » رواه أبو داود . والترمذى وحسنه . وابن ماجه كلهم من طريق أبى مرحوم .

وروى أبو داود عن أبى وائل القاص قال : دخلنا على عروة بن محمد السعدى

---

٤٢٣ ـ البقرة ٢٧٦

٤٢٤ ـ آل عمران ١٤١

فكلمه رجل فأغضبه فقام فتوضأ فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ** » ، وهذا كله إذا لم يكن لله جل وعز بل كان لأمر دنيوى أو شخصى كما لا يخفى على العاقل . والحديث رواه الديلمى كما قال المصنف ولا يخفى ما فيه . والله أعلم .

التعليق

جاء فى الآثار النبوية الشريفة « **الحلم سيد الأخلاق** » وكاد الحليم أن يكون نبيا » وامتدح النبى ـ ﷺ ـ رجلا حليما من أصحابه اسمه أبو ضمضم ـ فقال : « **أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم** » كان إذا خرج من منزله قال : « **اللهم إنى تصدقت بعرضى على عبادك** » .

ومن أبيات الحكمة فى الصفح عن الجهال وعدم مجاراة السفهاء والحلم عند استفزازات الغضب قول بعض الشعراء :

أحب مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما ... وشر الناس من يهوي السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا

ومن كان يضرب بهم المثل فى الحلم الأحنف بن قيس . قال : ما عادانى أحد قط إلا أخذت فى أمره بإحدى ثلاث خصال : إن كان أعلى منى عرفت له قدره ، وإن كان دونى رفعت قدرى عنه ، وإن كان نظيرى تفضلت عليه ، فأخذه الخليل بن أحمد ونظمه شعرا فقال :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه إلي الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم

أدب الدنيا والدين للماوردى صـ٣١٠

وذكر القرطبى فى تفسيره تعليقا على قوله تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ ـ آل عمران ١٣٤ ـ قال : روى عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت يوما بصحيفة فيها مرقة حارة ، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرقة عليه ، فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية : يا مولاى استعمل قول الله تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ قال لها : قد فعلت . فقال : اعمل بما بعده ﴿ والعافين عن الناس ﴾ فقال : قد عفوت عنك فقالت الجارية : اعمل بما بعده ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ قال ميمون : قد أحسنت إليك ، فأنت حرة لوجه الله تعالى .

وروى مثل ذلك عن على زين العابدين ابن الإمام الحسين ـ رضى الله عنهما ـ وروى مثله أيضا عن الأحنف بن قيس . .

روى أنس أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما أشد من كل شىء ؟

قال : غضب الله .

قال : فما ينجى من غضب الله ؟

قال : لا تغضب .



(فضل المساجد الثلاثة)

الحديث الثالث والخمسون بعد المائة

« مَنْ زارَنى فى بَيْتى أوْ فى مَسْجد رسولِ اللهِ ﷺ أوْ فى بيْتِ المَقْدسِ فَماتَ ماتَ شهيداً »

رواه الديلمى عن أنس (٤٢٥)

---

٤٢٥ ـ أورد المدني في الاتحافات السنية هذا الحديث برقم ٩٠
وهو في كنز العمال جـ١٢ ٣٥٠٠٤
وذكره الديلمي في مسند الفردوس جـ٣ / ٤٤٧٧
وقد رمز جامع الأحاديث القدسية لهذا الحديث بالضعف .

شرح الحديث

ـ الزيارة فى العرف قصد المزور إكراماً له واستئناسا به ، وزاره يزوره زيارة وزورا قصده فهو زائر وزور . وقوم زور وزوار ، والمزار موضع الزيارة والمراد بقوله « بيتى » الكعبة .

ومسجد رسول الله ﷺ فى المدينة ، وبيت المقدس معلوم .

لم سمى الشهيد شهيداً ؟

والشهيد فى الأصل من قتل مجاهداً فى سبيل الله ويجمع على شهداء ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبى ﷺ من المبطون . والغرِق . والحرِق . وصاحب الهدم . وذات الجنب وغيرهم : وسمى شهيداً لأن الله وملائكته شهود له بالجنة . وقيل : لأنه حى لم يمت كأنه شاهد أى حاضر . وقيل : لأن ملائكة الرحمة تشهده . وقيل : لقيامه بشهادة الحق فى أمر الله حتى قتل ، وقيل : لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل : وقيل غير ذلك ، فهو فعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول على اختلاف التأويل قاله العلامة ابن الجزرى فى النهاية ، والمراد به هنا أن له ثواب الشهيد وفضله .

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الله تعالت أسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا أن من زاره وقصده فى بيته الذى هو الكعبة شرفها الله وزادها رفعة وحفظها من كل سوء وأذى فمات بعد الزيارة أو قبلها ـ من باب إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ـ مات شهيداً أى يثيبه ثواب الشهيد وله أجره .

آداب زيارة الكعبة

وينبغى لزائر الكعبة إذا وصلها وأراد دخولها أن يدخلها متواضعاً خاشعاً خاضعاً لما رواه البيهقى عن سالم بن عبد الله : أن عائشة رضى الله عنها كانت تقول : عجبا للمرء المسلم إذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قِبَل السقف يدع ذلك إجلالا لله تعالى وإعظاماً ،

دخل رسول الله ﷺ الكعبة ما خلف بصرهُ موضعَ سجوده حتى خرج منها ، ولأنه أشرف بقعة فى الأرض ومحل الرحمة والأمان .

وكذلك من زار مسجد المدينة الذى فيه قبر رسول الله ﷺ وجسده الشريف بأبى وأمى ومالي وأولادى أفديه عليه الصلاة والسلام فإنه يكون كذلك ، وقد وردت أحاديث صحيحة فى شد الرحال اليه وقصده . روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا** » وروى البخارى . ومسلم من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام** » وروى أحمد فى مسنده . والبيهقى بإسناد حسن عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « **صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام . وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة فى مسجدى** » وروى البيهقى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « **صلاة فى مسجدى هذا تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام فهو أفضل** » وكذلك من زار بيت المقدس فله ذلك ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضله وشد الرحال إليه والصلاة فيه وكذلك جاء القرآن بالتنويه بفضله وإنه بورك فيه قال الله تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله** ﴾

وثبت فى الصحيحين من رواية أبى سعيد الخدرى ومن رواية أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا** » ، وعن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ « **أن سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثاً : سأل الله تعالى حكما يصادف حكمه فأوتيه ، وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه ، وسأل الله عز وجل**

---

٤٢٦ ـ الإسراء ١

حين فرغ من بناء المسجد لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه » رواه النسائي بإسناد صحيح ، ورواه ابن ماجه وزاد (**فقال النبي ﷺ : أما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة**) ، وعن ميمونة بنت سعد ويقال بنت سعيد مولاة النبي ﷺ قالت : يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس . قال : المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه لويأتيه قال فليهد إليه زيتاً يسرج فيه فإنه من أهدى له كان كمن صلى فيه » رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بهذا اللفظ ، ورواه به أيضا ابن ماجه بإسناد لا بأس به ، ورواه أبو داود مختصرا قالت : قلت يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس فقال : ائتوه فصلوا فيه وكانت البلاد إذ ذاك حرباً فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله . هذا لفظ رواية أبي داود ذكره في كتاب الصلاة بإسناد حسن ، أورد هذا النووي في كتاب المجموع شرح المهذب وحديث الكتاب رواه الديلمي كما قال المصنف وسنده لا يخلو من خدش والله أعلم .



(أحاديث في فضل الذكر والصبر)

الحديث الرابع والخمسون بعد المائة

« مَنْ ذكرني في نَفْسه ذكرتُه في نَفْسي وَمَنْ ذَكرني في مَلإٍ ذكرته في ملأ أكثرَ منهُ وأطيبَ »

رواه ابن شاهين عن أبي هريرة(٤٢٧)



٤٢٧ ـ هذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده جـ١٦ / ٨٦٣٥
بلفظ « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ من الناس ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب »
وقد رمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة

الحديث الخامس والخمسون بعد المائة

« مَنْ سَلَبتُ كَرِيمَتَيهِ عَوَّضتُه مِنهُما الجنّة »

رواه الطبراني فى الكبير والأوسط عن جرير [(٤٢٨)]

شرح الحديث

ـ الحديث الأول تقدم ذكره ما يشبهه ألفاظاً ومعنى وذكر ما يتعلق به .

والذكر فى الجملة أعظم دواء للقلب فإنه يجلوه من الظلمات ويريه الحق والباطل وله فوائد عظيمة ذكر بعض المصنفين فى الأذكار له مائة فائدة ، وأفيد كتاب فى ذلك كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب للإمام ابن قيم الجوزية فعليك به ، والحديث الثانى تقدم ذكر مثله أيضاً فارجع اليه والله أعلم .

التعليق

سبق أن ذكرنا أن ترتيب المناوى لكتابه تم بناء على الحروف الأبجدية . . بمعنى أنه ذكر الأحاديث المبدوءة بهمزة أولا ثم المبدوءة بالباء وهكذا . . ويلاحظ أن هناك أحاديث بمعناها تجدها بعد ذلك لأنها لم تبدأ بالحرف الذى تم ذكره . .

والحديث الأول ورد ذكره فى باب الهمزة « **إذا ذكرنى عبدى خاليا ذكرته خاليا** »

والحديث الثانى ورد ذكره أيضا فى باب الهمزة « **إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه . . .** » و « **إذا أخذت كريمتى عبدى . . .** »

وقد حاولنا فى الكتاب ضم الأحاديث المتشابهة تحت موضوع واحد بقدر المستطاع .

---

٤٢٨ ـ أخرجه الطبراني في الكبير جـ٢ ٢٢٦٣
وهو في كنز العمال جـ٣ / ٦٥٤٣ ، وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ١٢٤ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف .

ولكن أبقينا بعض الأحاديث على ترتيب المؤلف لتكون من باب التذكير ، والذكرى تنفع المؤمنين . .

ونحن فى حاجة دائما إلى التكرار الذى يزيل غشاوة القلب ، ويدفع العقل إلى التنبه والاستبصار والله ولى التوفيق وإليك حديثا آخر حول هذا المعنى أيضا : ـ



الحديث السادس والخمسون بعد المائة

« وَعِزَّتِى لا أَقْبِضُ كَرِيمَتى عَبْدٍ فَيصبرُ لِحُكْمى وَيَرضى بِقَضائى فأَرْضَى لهُ بثَوابٍ دُونَ الجنةِ »

رواه عبد بن حميد . وابن عساكر عن أنس .

شرح الحديث

الحديث الأول والثانى تقدم ذكرهما إلا أنه لم يذكر فيهما « يتلاقون » واللقاء مقابلة الشيء ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل واحد منهما يقال : لقيه يلقاه لقاء ولقيا ولقية ، واللقاء الملاقاة ، والمتجالسين جمع متجالس والتجالس أن يجلس كل واحد إلى الآخر .

والحديث الثالث تقدم ذكر مثله فلا حاجة للإعادة .

ففى هذه الأحاديث الترغيب فى مصاحبة الناس ومحبتهم ومجالستهم وزيارتهم وبذل المعونة لهم وتلاقيهم كل ذلك يكون فى الله تعالى لا لغرض دنيوى فإذا كان لله كان متصلا ويدوم وله ثواب عظيم ، وكذلك من طرأ عليه وجع في عينه فصبر لحكم الله ويرضي بقضائه فالله جل ذكره لا يرضى له بثواب دون الجنة ، فعلى الإنسان أن يصبر لصدمات الزمن ويتلقاها بصدر رحب وقلب مفعم بالإيمان .

التعليق

يقصد بالحديث الأول « **وجبت محبتى للذين يتلاقون فى** » وبالحديث الثانى

« وجبت محبتى للمتحابين فى . . . . . »

وقد سبق الحديث عنهما وشرحهما

والحديث الثالث مناسب لما ذكرناه قبله ، مراعين فى ذلك الترتيب بين موضوعات الأحاديث بقدر المستطاع . .

ومن الأحاديث التى سبق ذكرها وتكرررت بسبب الترتيب الأبجدى الذى اتبعه المناوى ـ رحمه الله ـ هذا الحديث الذى يتعلق بالانتقام من الظالم وهو : ـ



الحديث السابع والخمسون بعد المائة

« وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل »

رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط عن ابن عباس

لقد تقدم هذا الحديث برقم ١٢٩ مع تغيير فى بعض ألفاظه . يقول الشارح :

وأشبعنا الكلام عليه هناك فارجع إليه .

إلا أنه هناك رواه أبو الشيخ عن ابن عباس والطبرانى عن أبى الدرداء .

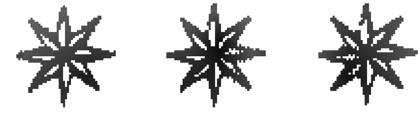
أما هذا الحديث فقد جاء فى كنز العمال جـ٣ / ٧٦٤ ، والاتحافات المدنى برقم ٢١٩ وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب جـ٣ صـ٣٣٣ وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية جـ١ صـ٤٧٤ بالضعف



الحديث الثامن والخمسون بعد المائة

« مَنْ شَغلهُ ذِكْرِى عَنْ مَسْألَتى أعْطَيْتُه أفْضلَ مَا أعْطَيْتُ السَّائِلينَ »

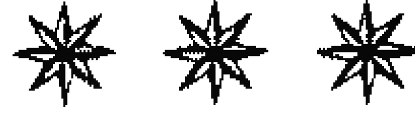
رواه البخارى . والبزار . والبيهقى عن ابن عمر [٤٢٩]



(الحديث التاسع والخمسون بعد المائة)

« مَنْ شَغلهُ ذِكْرِى عَنْ مَسألَتى أعطَيْتُه قَبْلَ أنْ يَسْألَنى »

رواه أبو نعيم . والديلمى [٤٣٠]



---

٤٢٩ ـ أخرجه المدني في الإتحافات السنية برقم ٢٢٦ ، وكنز العمال جـ١ ١٨٧٤
وذكره الغزال في إحياء علوم الدين جـ١ صـ ٢٩٦
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن .
٤٣٠ ـ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء جـ٧ / صـ٣١٣
وهو في كنز العمال جـ١ / ١٨٧٣
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٨٨
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف

الحديث الستون بعد المائة

« مَنْ شَغَلَهُ قِراءة القُرآنِ عنْ دُعائي وَمسْألَتي أعْطَيْتُه ثَوَابَ الشَّاكِرِين »

رواه ابن حذيفة شاهين عن أبي سعيد الخدرى [٤٣١]

شرح الحديث

ـ الحديث الأول يخبرنا المولى جل ذكره فيه أن من شغله ذكر الله عز وجل من عباده عن مسألة الله وطلبه يعطيه ويمنحه أفضل ما يعطى السائلين إذا كان طلبهم مشروعاً مقبولا وأجيب ، ففيه الحث والترغيب فى ذكر الله عز وجل والإكثار منه ، وجعله فى أول درجة الأعمال المطلوبة للعبد لأن فيه فوائد تعود على العبد لا تنحصر ، فنسأل الله التوفيق لذلك .

والحديث الثانى كالحديث الأول إلا أن فيه أن الله تبارك وتعالى يعطيه ويجيب طلبه قبل أن يسأله ، ولا شك أن الله سبحانه يعلم ما فى القلوب قبل إظهاره على الألسن ، فعلى العبد أن يهتم بذكر الله ويداوم عليه ويكثر منه .

والحديث الثالث فيه الحث والترغيب فى قراءة القرآن ، ولا ريب أن أعظم الذكر هو تلاوة كلام الله الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وقد تقدم ذكر أحاديث كثيرة ترغب فى الذكر وتحث عليه وأزيدك هنا أحاديث

---

٤٣١ ـ أخرجه الترمذي في صحيحه جـ٥ / ٢٩٢٦

وقال عنه : حديث حسن غريب .

وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا

ولفظه عن الترمذي وفي جامع الأحاديث القدسية ، **يقول الرب عز وجل :ـ من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله علي سائر الكلام كفضل الله علي خلقه ،**

وعلة الضعف الإسناد ، ففي سنده عطية بن سعد بن جنادة العوفي ضعّفه غير واحد .

وهذا الحديث ذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٢٢٣ وحديث المناوي ذكره بعده برقم ٢٢٤ .

لم تذكر من قبل ، منها ما رواه الترمذي ـ واللفظ له وقال حديث حسن وغريب ـ وابن ماجه وابن حبان في صحيحه . والحاكم وقال : صحيح الإسناد عن عبد الله ابن بسر رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرني بشيء أتشبث به قال : لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله . وقوله « أتشبث به » أتعلق .

وعن جابر رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال : ما عمل ابن ادم عملا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى . قيل : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع .

رواه الطبراني في الصغير ، والأوسط ، ورجالهما رجال الصحيح .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال : ذكر الله** »

قال معاذ بن جبل : ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله . رواه أحمد بإسناد حسن . وابن أبي الدنيا . والترمذي . وابن ماجه . والحاكم . والبيهقي .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد . ورواه أحمد أيضاً من حديث معاذ بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً ، وقد شرحت هذا الحديث في تعليقي على الكلم الطيب بما لا تجده لغيري فعليك به فإنه اشتمل على فوائد كثيرة ، وأرجو الله أن يوفقني إلى تكميله .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون** » رواه الإمام أحمد . وأبو يعلى . وابن حبان في صحيحه . والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

ومن الآيات الدالة على فضل القرآن وتلاوته قول الله تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ [٤٣٢] وقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور** ﴾ [٤٣٣] وقال تعالى : ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾ [٤٣٤] ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما رواه البخارى . ومسلم . وأبو داود . والترمذى . والنسائى . وابن ماجه . وغيرهم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » وروى مسلم . وأبو داود وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ما اجتمع قوم فى بيت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده . وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أوصنى قال قال : عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله . قلت : يا رسول الله زدنى . قال : عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء . رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل ، والحديث الثالث ذكره الحافظ المنذرى بزيادة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الرب تبارك وتعالى : « **من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** » . رواه الترمذى وقال : حديث غريب . والحديث الثانى صححه الحاكم ونازعه الحافظ الذهبى فى ذلك .

اهـ والله أعلم .

---

٤٣٢ ـ البقرة ١٨٥

٤٣٣ ـ فاطر ٢٩ ، ٣٠

٤٣٤ ـ طه ١٢٤ ـ ١٢٦

التعليق

أعظم شيء عند العارف هو الذكر ، إنه لا يفتر عنه. وقد اعتنى أهل المعرفة به حتى لقد اعتبروا الانقطاع عن الذكر عقوبة معجلة .

وأوجبوا على مريديهم ألا ينقطعوا عن ذكر الله حتى ولو كانت قلوبهم مشغولة بشيء آخر ، وقال ابن عطاء الله في ذلك : « **لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، فإن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز** »

لقد اعتبر الصوفية أن الذكر هو منشور الولاية فمن أعطيه فقد أعطى المنشور .

ويكفي في فضل الذكر قوله تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ وقوله في حديث قدسي : « **أنا جليس من ذكرني** » . قال ابن عباس : لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر ، فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوبا على عقله ، فقال : « **فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** » وقال « **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا** » - شرح حكم ابن عطاء الله -

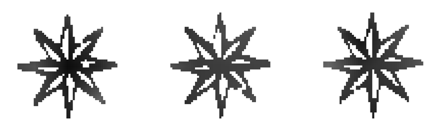


(الاعتراف بقدرة الله من أسباب المغفرة)

الحديث الحادي والستون بعد المائة

« من علم أنّي ذو قدرةٍ علي مَغْفِرَةِ الذنوبِ غَفَرْتُ له ولا أُبالي مالم يُشْرِكْ بي شيئا »

رواه الحاكم ، والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس [٤٣٥]



(لا يقبل الله عملا يشرك فيه معه غيره)

الحديث الثانى و الستون بعد المائة

« من عمل عملاً أشركَ فيه غيري فهو له كله ، وأنا أغني الشركاء عن الشرك »

رواه ابن جرير عن أبى هريرة [٤٣٦]

شرح الحديثين

قوله «ذو قدرة» أى صاحب قدرة ، والقدرة هى الصفة التى يتمكن الحى من الفعل وتركه بالإرادة . وهى من صفات القهر ، قال الراغب الأصفهانى : فإذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شىء ما وإذا وصف الله تعالى

٤٣٥ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك حـ ٤ ص ٢٦٢ وذكره المدني في إتحافاته برقم ٦٥ ورمز له جامع الأحاديث القدسية رقم ٤٨٦ بأنه حسن لغيره .

٤٣٦ ـ روي مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة حديثا مقاربا له ، ولفظه «قال الله تبارك وتعالي «أنا أغني الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» صحيح مسلم حـ٤ ٢٢٨٩ .

وفي سنن ابن ماجه حديث آخر يشبهه هو : «قال الله ـ عز وجل ـ أنا أغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك» سنن ابن ماجه حـ ٢ ٤٢٠

وقد علق جامع الأحاديث القدسية عن الحديثين بالصحة حـ١ ص ٧٢ .

بها فهى نفى العجز عنه ؛ ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وإن أطلق عليه لفظا بل حقه يقال : قادر على كذا . ومتى قيل هو قادر فعلى سبيل معنى التقييد ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه ، والله تعالى هو الذى ينتفى عنه العجز من كل وجه ، والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضى الحكمة لا زائدا عليه ولا ناقصا عنه ، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى ، والمقتدر يقاربه .

والمغفرة هى أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته ، والمغفرة من الله والغفران هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب .

والذنوب جمع ذنب وهو الإثم أى ما يحجبك عن الله تعالى .

[ولا أبالى أى لا أحتفل ولا أكترث به] والشرك أن يعتقد أن لله شريكا أو الكفر . والغنى السعة .

والمعنى أن الله جل اسمه يخبرنا أن من اعتقد فيه أنه جل عزه ذو قدرة على غفران ذنوب العبد إذا ساء وارتكب بعض المعاصى يغفر الله جل جلاله ذلك ولا يبالى ، أى يكترث بذلك ولا يحتفل ، مهما بلغت ذنوبه فإن جرائم العباد وآثام أهل العناد فى جنب عظمة الرب كذرة صغيرة فى أرض فلاة ، ولأن الاعتراف بالذنب سبب الغفران إلا إذا أشرك فى أعماله غير الله جل وعز ، واعتقد ذلك فإن الله لا يغفر له ذنوبه قال الله تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾(٤٣٧) والشرك أعظم كفر ، قال تعالى : ﴿ **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** ﴾(٤٣٨) وقال تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة** ﴾(٤٣٩) وهذا الشرك الأكبر .

والشرك الأصغر هو مراعاة غير الله معه فى الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه

---

٤٣٧ ـ النساء ٤٨

٤٣٨ ـ النساء ١١٦

٤٣٩ ـ المائدة ٧٢

بقوله تعالى : ﴿ شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ﴾ [٤٤٠] وقوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [٤٤١] ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام : « **الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا** » .

ومن عمل عملا أشرك فيه غير الله فهو كله لمن أشرك وهو كناية عن وده وعدم قبوله ، والله جل وعز أغنى الشركاء عن الشرك ففيه التنفير من الشرك مطلقا وإن من أشرك ولو فى بعض أعماله فعمله كله مردود عليه والله أعلم .

التعليق

لا قيمة لعمل بدون إخلاص ، والإخلاص هو الذى يحرر العمل من الشرك الأصغر والأكبر . يقول العارفون : « الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها » .

ويقولون : إخلاص كل عبد فى أعماله على حسب رتبته ومقامه . فإن كان من الأبرار فمنتهى درجة إخلاصه أن تكون أعماله سالمة من الرياء الجلى والخفى وقصد موافقة هوى النفس ، ويكون متحققا بمعنى قوله تعالى ـ « إياك نعبد » أى لا نعبد إلا إياك ولا نشرك فى عبادتنا غيرك .

وأما إن كان المقربين فقد جاوز هذا إلى عدم رؤيته نفسه فى أعماله ، فإخلاصه إنما هو شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه ، من غير أن يرى لنفسه حولا ولا قوة . وهو فى مشهد قوله تعالى « وإياك نستعين » أى لا نستعين إلا بك لا بأنفسنا وحولنا و قوتنا .

فعمل الأول هو العمل لله تعالى . وعمل الثانى هو العمل بالله تعالى .

والعمل لله يوجب المثوبة ، والعمل بالله يوجب القربة .

---

٤٤٠ الأعراف ١٩٠

٤٤١ ـ يوسف ١٠٦

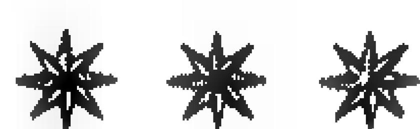
والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الإرادة

والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد

والعمل لله قيام بأحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر . .

ـ شرح حكم ابن عطاء الله ـ

اللهم اجعلنا من الذين يتحققون بمقام الإخلاص ، ويـدركون معنى قوله تعالى « **كل شىء هالك إلا وجهه** »

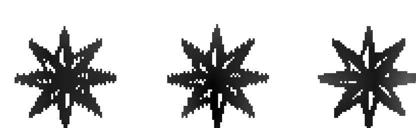


(من علامات الإيمان الرضاء بالقضاء)

الحديث الثالث والستون بعد المائة

« من لم يرض بقضائى وقدرى ، فليلتمس ربًا سواى ـ وفى رواية ـ غيرى »

ـ رواه البيهقى عن ابن عمر ، والطبرانى وابن حبان عن أبى هند ، والبيهقى وابن النجار عن أنس [٤٤٢]



٤٤٢ ـ أخرجه البيهقي في شعب الايمان ، وهو في كنز العمال جـ١ / صـ٤٨٢
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٧
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا جـ٣ صـ٨٢

الحديث الرابع والستون بعد المائة

« من لم يرض بقضائي ، ولم يصبر على بلائي فليلتمس ربا سواي »

- رواه ابن حبان والطبراني وأبو داود وابن عساكر عن أبي هند الداري [٤٤٣] -

شرح الحديثين

- القضاء والقدر تقدم الكلام عليهما قبل ، والالتماس الطلب .

والرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام ، يقال : ربه ورباه وربيه ، ويطلق في اللغة على المالك ، والسيد ، والمدبر ، والمربي والقيم ، والمعنم ، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات . وإذا أطلق على غيره تعالى أضيف فيقال : رب الدار . ورب الفرس ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **اذكرني عند ربك** ﴾ [٤٤٤] وقوله تعالى : ﴿ **فأنساه الشيطان ذكر ربه** ﴾ [٤٤٥] وقوله تعالى : ﴿ **ارجع إلى ربك** ﴾ [٤٤٦] .

والسِّوَى . الغير .

والصبر لغة الحبس والكف ، وفي الشرع حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، أو عما يقضيان حبسها عنه ، فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لا غير ويضاده الجزع ، وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن ، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر ، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده المذل .

---

٤٤٣ - أخرجه الطبراني في الكبير جـ٢٢ / صـ٨٠٧
وذكره ابن حبان في الضعفاء
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا جـ٣ صـ٨١

٤٤٤ يوسف ٤٢

٤٤٥ يوسف ٤٢

٤٤٦ - يوسف ٥٠

والمعنى أن الله جل ذكره يخبرنا فى الحديث الأول أن من لم يرض بقضائه وقدره وسخط ذلك وضجر فليلتمس ويطلب رباً سواه تعالى وكأن المولى يقول لنا : هذا لا يرضانا رباً حين سخط فليتخذ رباً آخر يرضاه ، وهذا غاية التهديد . ولا شك أن الله تبارك اسمه عالم بأحوال العبد وظروفه فإنه يقضي عليه بأشياء هي خير له إذا اتسع لها صدره وقبلها ووضعها فى محالها واستعملها فى الحكمة والمعرفة ، ولم يضق بها ذرعاً فإنها تنفعه فى حياته وفى معاده ، وأما إذا تلقاها بسخط وضجر فإنها تكون عليه وبالا وإثماً ، وهذا ما قدره الله عز وجل على العبد من الأمور هى فى الحقيقة خير للعبد وأنفع مما يظنه العبد أو يريده .

فعلى العبد أن يسلم للقضاء والقدر ويحمد الله سبحانه وتعالى فى السراء والضراء ، وافق هواه أم لا ويذعن لما قدره وقضاه عليه .

والحديث قال المناوى فى شرح الجامع الصغير : رواه الطبرانى عن أبى هند الدارى وإسناده ضعيف ، رواه البيهقى عن أنس انتهى .

والحديث الثانى يخبرنا أن من لم يرض بقضاء الله عز وجل ولم يصبر على بلائه الذى ظاهره وباطنه دواء وشفاء من الأمراض الظاهرة والباطنة .

والصبر من الصفات التى تحتاج إلى جهاد النفس والشيطان والهوى وهو من آكد المنازل فى طريق المحبة وألزمها للمحبين وهم أحوج إلى منزلته من كل منزلة ، قال الإمام أحمد بن حنبل : ذكر الله تعالى الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعا على ما حكاه ابن قيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين وهو واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر ، وهو من الإيمان أيضاً بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له كما أن لا جسد لمن لا رأس له

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : خير عيش أدركناه بالصبر . وأخبر النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : أنه ضياء وقال : « **ومن يتصبر يصبره الله** » وفى الحديث الصحيح « **عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا لمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له** » ، وأمر الأنصار بأن يصبروا على الأثرة التى يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض ، وأمر

عند ملاقاة العدو بالصبر ، وأمر بالصبر عند المصيبة ، وأخبر أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى ، وأمر المصاب بأنفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب فإن ذلك يخفف مصيبته ويوفر أجره ، والجزع والتسخط والتشكى يزيد فى المصيبة و يذهب الأجر ، وأخبر أن الصبر خير كله فقال : « **ما أعطى أحد عطاء خيراً له و أوسع من الصبر** » .

أقسام الصبر

وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع : الأول صبر على طاعة الله تعالى ، وصبر عن معصية الله تعالى ، وصبر على امتحان الله تعالى . فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب والثالث صبر على ما كسب للعبد فيه ، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز عن شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له فى الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه ، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر ، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضاء ومحاربة للنفس ولا سيما مع الأسباب التى تقوى معها دواعى الموافقة ، فإنه كان شاباً وداعية الشباب إليها قوية ، وعزباً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته ، وغريباً والغريب لا يستحى فى بلد غربته مما يستحى منه بين أصحابه ومعارفه وأهله ، مملوكاً والمملوك أيضاً ليس وازعه كوازع الحر ، والمرأة جميلة وذات منصب وهى سيدته ، وقد غاب الرقيب ، وهى الداعية له إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص ، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار ومع هذه الدواعى كلها صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله ، وأين هذا من صبره فى الجب على ما ليس من كسبه ؟ وكان يقول : الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل ، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية انتهى .

وهذا القدر كاف نسأل الله الصبر .

التعليق

من دعاء أبى الحسن الشاذلى - رضى الله عنه - فى حزب البر « **اللهم رضنا بقضائك، وصبرنا على طاعتك وعن معصيتك وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك، وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف غيرك، ولا نرجو غيرك، ولا نحب غيرك، ولا نعبد شيئا سواك، وأوزعنا عنا شكر نعمائك، وغطنا برداء عافيتك، وانصرنا باليقين والتوكل عليك، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، يا نعم المجيب . . .** »



(المطالب بحق الله ، المتواضع له فى أعلى عليين)

الحديث الخامس والستون بعد المائة

« من لان لحقى، وتواضع لى، ولم يتكبر فى أرضى رفعته حتى أجعله فى علِّيين »

رواه أبو نعيم عن أبى هريرة [(٤٤٧)].

شرح الحديث

اللين : ضد الخشونة ، ويستعمل ذلك فى الأجسام ، ثم يستعار للخلق وغيره

---

٤٤٧ ـ هذا الحديث في الإتحافات السنية للمدني رقم ٩١

وفي جامع الأحاديث القدسية برقم ٨٧٤ جـ٣ صـ١٣٨ ولفظه « من لان لحقي ...»

وقال : إنه في كنز العمال جـ٣ ٥٧٤١ ، ولم يذكر درجته ، وإنما وضع علامة استفهام حوله .

وهذا الحديث جاء في الإتحافات السنية للمناوي برقم ١٥٤ ، بين الحديثين السابقين عليه ، وقد ذكرناه بعدهما ليتم التناسق .

وجاء بلفظ « من لان لحقي » بالباء . ولذلك عدلنا عنه إلي ماجاء في إتحافات المدني لوضوح المعني .

من المعانى فيقال : فلان لين وفلان خشن ، وكل واحد منهما يمدح به طورا ، ويذم به طوراً بحسب اختلاف المواقع .

والتواضع تقدم الكلام عليه . ،الكبر ضد التواضع ، وهو الحالة التى يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه ، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره .

وعليين - كما قال الراغب - : اسم أشرف الجنان ، كما أن سِجِّيناً اسم شر النيران .

وقيل : بل ذلك فى الحقيقة اسم سكانها ، وهذا أقرب فى العربية ، إذ كان الجمع يختص بالناطقين . قال : والواحد على نحو (بطيخ) .

وقال ابن الأثير فى النهاية : عليون اسم للسماء السابعة ، وقيل : هو اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد .

والحديث يخبرنا أن من لان وتساهل ووطأ نفسه للأخذ بحق الله وواجبه والقيام بما فرضه عليه من العقائد والأحكام - ولم يجف لها ويخشن ويتباعد من الانقياد لحقه تعالى وأمره - وتواضع واستكان وتذلل عبد منكسر خاشع لله جل عزه ولم يتكبر فى أرض الله على خلقه رفعه الله جل جلاله منازل عالية حتى يجعله فى أعلى عليين وهو اسم لأشرف الجنان فيحظى بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

اللهم إنا نسألك أن توفقنا لطاعتك حتى نفوز بدرجاتك .

التعليق

من دعاء الشاذلى - رضى الله عنه - فى حزب البر : « **اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك ، وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك ، فإنه قد ظهرت السعادة على من**

أحببته ، وظهـرت الشقاوة على من غيرك ملكه ، فهـب لنا من مواهب السعداء ، واعصمنا من موارد الأشقياء »

يشير إلى ضراوة امتحان أحباب الله ليُعْرَف مقدار ثباتهم على محبة الله جاء فى تعليق على شرح هذا الحزب :

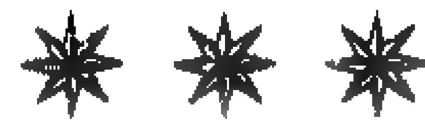
خرج أحد الصالحين للحج . وبينما هو يطوف ، والحجاج يرددون « لبيك اللهم لبيك »سمع أصواتا ترد على الحجاج أيضا بالتلبية ، إلا شيخا صالحا كان بجواره ، كان كلما نادى لبيك اللهم لبيك ، إذا به يسمع صوتا يرد عليه : لا لبيك ولا سعديك فقال له : ألا تسمع يا أخى هذا الصوت ؟

فقال الشيخ باكيا : نعم والله إنى لأسمعه منذ أربعين عاما ، فما ثنانى هذا عن أن أناديه : لبيك اللهم لبيك ، وما ثنانى هذا عن أن أظل واقفا على بابه ، لاجئا إلى رحابه ، حتى يرد على ، وهل لى رب سواه ؟

وفى اليوم التالى بينما كان الشيخ يطوف ويلبى ، إذا به يسمع صوتا يرد عليه لبيك وسعديك .

فبكى الشيخ ، ثم أسلم روحه إلى بارئها . وكان الرجل الصالح على مقربة منه يسمع ويرى . وصلى عليه .

شرح حزب البر لعبد الرحمن بن محمد الفاسى صـ٩٤



الحديث السادس والستون بعد المائة

« مَنْ لا يَدْعُونى أَغْضَبُ عَلَيهِ »

رواه العسكرى عن أبى هريرة [٤٤٨]

شرح الحديث

- الدعاء النداء والابتهال إلى الله بالسؤال . والدعاء إلى الشىء الحث على قصده ، وقد جاء القرآن بالدعاء وحث عليه فى غير آية قال الله تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ [٤٤٩] وقال تعالى ﴿ **فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون** ﴾ [٤٥٠] وقال تعالى : ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ [٤٥١] وقال تعالى : ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ [٤٥٢] الآية ، وقال تعالى : ﴿ **وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين** ﴾ [٤٥٣] وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض** » . رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . رواه أبو يعلى من حديث على ، وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **لا تعجزوا فى الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد** » رواه ابن حبان فى صحيحه . والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وعن ثوبان رضى الله عنه قال

---

٤٤٨ - ذكر هذا الحديث المدني في الإتحافات السنية برقم ١٦٠
وهو في كنز العمال جـ٢ / ٣١٢٧
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٢ / صـ١٠٣
٤٤٩ - الأعراف ٥٥
٤٥٠ - غافر ١٤
٤٥١ - غافر ٦٠
٤٥٢ الإسراء ١١٠
٤٥٣ الأعراف ٥٦

قال قال رسول الله ﷺ « **لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه** » رواه ابن حبان فى صحيحه . والحاكم واللفظ وقال صحيح الإسناد . وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **الدعاء مخ العبادة** » رواه الترمذى وقال : حديث غريب ، والحافظ المنذرى أورده بصيغة « روى » وهو يدل على ضعفه ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له ؟** » رواه مالك . والبخارى . ومسلم . والترمذى وغيرهم ، وفى رواية لمسلم « **إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح** » وهذا الحديث أفرده شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس بن تيمية بالتأليف وشرحه لم يترك لغيره مجالا ولا كلاماً فإنه حقق ودقق فيه بما لا ترى العيون مثله من فوائد ومسائل وتنشرح له الصدور وطبع فى الهند وهو من أمهات الكتب التى يؤخذ منها مذهب الإمام الجليل ابن تيمية وعقيدته السلفية الموافقة للكتاب والسنة وجماهير العلماء والمحققين فإنه تكلم على نزول الرب وأتى بأقوال علماء السلف والخلف وحل إشكالات كثيرة . والكتاب الثانى : التوسل والوسيلة فإنه حقق الوسيلة لغة وشرعاً وعرفاً ونفى كل ما فيه شائبة من كفر أو تلويث من رجس ، والكتاب متداول بين أيدى العلماء والعوام ، ومما يستغرب منه أن أبا عبد الله بن بطوطة قال فى رحلته المسماة تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار أنه رأى عالم الحنابلة تقى الدين بن تيمية كبير الشام وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكى يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدى والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكروا عليه لباسها واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضى الحنابلة فأمر بسجنه وعزره بعد ذلك . . الخ

. فانظر أرشدك الله إلى قول الحق والحجة البينة كيف يكون هذا النقل فى نظرك ورأيك ألم يكن تخبطا من صاحب الرحلة فإنه سمع هذا القول بزعمه من شيخ الإسلام ابن تيمية ولم يزد عليه قوله ورفع أمره إلى حاكم (٤٥٤) تلك الجهةأو شهره بين علماء الشام وغيرها من بلاد الإسلام التى تجول فيها المؤلف واجتمع بملوكها وأمرائها وعلمائها ولا ريب أن من يصلى فى مسجد عام كمثل هذا يجتمع فيه العالم والجاهل ، والعاقل ، والمتعصب ، والمنصف فحكاية ابن بطوطة لهذا تحامل منه ظاهر ، وبعيد كل البعد فإن التلفظ بهذا يعد كفراً فإن الله يقول فى كتابه الحكيم : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ (٤٥٥) والإمام ابن تيمية يقول ـ على زعم صاحب الرحلة ـ إن الله له مثل وهذا كفر بإجماع المسلمين فإن كان صحيحا لقام عليه علماء عصره وقتئذ وكفروه وشكوه إلى الحاكم ولألف فى ذلك رسائل رد فيها على ابن تيمية وبيان كفره وكل ذلك لم يحصل فدل على أنه خطأ فى النقل . وفى كلام صاحب الرحلة سقط وهو قوله « لا » أى : لا كنزولى هذا ، ويشهد لذلك تآليف شيخ الإسلام ابن تيمية ولم نجد أنزه من ابن تيمية فى عصره لله تعالى ، وهذا السقط يقع كثيراً فى التآليف ، وواجب على العلماء أن يحترموا أنفسهم ويقدروا تفوق غيرهم و يقروا لهم بالفضل والسبق ، وشيخ الإسلام ابن تيمية يرفع الرأس به ويفتخر المسلمون بوجود مثله فى عصره فإنه كان هادماً للتقاليد الضارة وداعية إلى الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ومن طالع مؤلفاته وترك التعصب لمذهب أو رأى يرى ذلك ويتحقق (٤٥٦) .

والمعنى أن الله جل اسمه يخبرنا على لسان رسول الله ﷺ أن من لا يدعوه يغضب

---

٤٥٤ ـ في الرحلة : أنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ـ أي الفقيه ابن الزهراء ـ ورفعوا الأمر إلي ملك الأمراء سيف الدين تنكيز ، وكان من خيار الأمراء وصلحائهم ، فكتب إلي الملك الناصر بذلك وكتب عقدا شرعيا علي ابن تيمية بأمور منكرة ... وبعث العقد إلي الملك الناصر ، فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة ..

رحلةابن بطوطة المسماة تحفة النظار صـ٦٧

كتاب التحرير بالقاهرة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م

٤٥٥ ـ الشوري ١١

٤٥٦ ـ شكرا للشارح أن أبعد عن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هذه الشبهة التي أذيعت عنه ، وهذا هو الظن بالإمام المحقق القدوة .

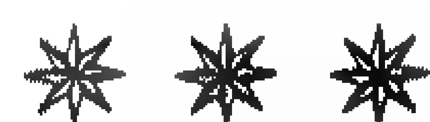
عليه ، ومفهومه أن من يدعوه يحبه ويرضى عنه ويستجيب له ففيه حث على الدعاء والإكثار منه وقد تقدم ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى ذلك قال المناوى فى شرح الجامع الصغير فى حديث الكتاب . رواه العسكرى فى كتاب المواعظ عن أبى هريرة بإسناد حسن .

التعليق

جاء فى فضل الدعاء ما ذكره الشيخ أحمد عبد الجواد فى مقدمة كتابه « الدعاء المستجاب » قال النبى ـ ﷺ ـ « **يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه ، فيقول : عبدى ، إنى أمرتك أن تدعونى ووعدتك أن أستجيب لك ، فهل كنت تدعونى ؟ فيقول : نعم يا رب . . . فيقول : أما إنك لم تدعنى بدعوة إلا أستجيب لك . أليس دعوتنى يوم كذا و كذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟ فيقول : نعم يا رب . فيقول : إنى عجلتها لك فى الدنيا . ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجا : قال : نعم يا رب ، فيقول : إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا . ودعوتنى فى حاجة أن أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها ؟ فيقول : نعم يا رب . فيقول : إنى عجلتها لك فى الدنيا ، ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة قضيتها لك فلم تر قضاءها ؟ فيقول : نعم يا رب . فيقول : ادخرتها لك فى الجنة كذا وكذا . .**

قال رسول الله ﷺ : فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بيّن له ، إما أن يكون عجل له فى الدنيا ، وإما أن يكون ادخر له فى الآخرة . قال : فيقول المؤمن فى ذلك المقام : يا ليته لم يكن عجل له شيئا من دعائه »

ـ رواه الحاكم عن جابر ـ رضى الله عنه ـ كنز العمال ـ الدعاء المستجاب صـ ٥



الحديث السابع والستون بعد المائة

« هَذَا دِين ارْتَضَيْتُه لنفْسي ولنْ يُصْلِحَه إلاَّ السَّخاءُ وحسْنُ الخُلُقِ فأكْرِموهُ بهِما ما صَحِبْتُموه »

رواه الرافعى عن أنس وسمويه . وابن عدى . والعقيلى . والخرائطى . والخطيب وابن عساكر . والقضاعى عن جابر بلفظ « إن هذا دين » الخ [٤٥٧]

شرح الحديث

ـ الدين ـ بكسر الدال المهملة وسكون الياء التحتية ـ وضع إلهى يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ ، أو ما شرع الله لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلى جوار الله تعالى . والدين والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار ، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى دينا ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة ، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهبا .

وقيل : الفرق بين الدين . والملة . . والمذهب أن الدين منسوب إلى الله تعالى . والملة منسوبة إلى الرسول ﷺ . والمذهب منسوب إلى المجتهد .

والدين الصحيح هو دين الإسلام والسخاء ـ بالمد ـ الجود والكرم . والحديث ذكره الغزالى فى الإحياء قال الحافظ العراقى : رواه الدار قطنى فى المستجاد دون قوله « وحسن الخلق » بسند ضعيف . ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات

---

٤٥٧ ـ أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق صـ٥٣
وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية بالضعف
وهو في كنز العمال جـ٣ / ٥٢٣٥
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقمي ١٣٩ ، ٦٣٠ وهناك حديث آخر رواه الرافعي من حديث أنس بهذا المعنى قال : « سمعت ميكائيل يقول : سمعت اسرافيل يقول : قال الله ـ تعالى : هذا دين ارتضيته لنفسي لن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق ، ألا فكرموه بهما ما صحبتموه» ـ كنز العمال جـ٦ ١٦٢١٤
ولم يذكر جامع الأحاديث القدسية درجته .

وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقية عن يوسف بن السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ، وزاد المدنى فى كتابه الإتحافات السنية : رواه أبو نعيم . والضياء المقدسى عن جابر ، قال العقيلى لم يتابع عليه إبراهيم بن أبى بكر ابن المنكدر من وجه يثبت . ويوسف ضعيف . والخلق تقدم الكلام عليه فارجع إليه .

والمعنى - والله أعلم بمراده - أن الله تبارك وتعالى يخبرنا أن الذى اختاره لنفسه وارتضاه لعباده هذا الدين - وهو دين الإسلام - الدين الصحيح الذى ينتهى بانتهاء الدنيا لا دين غيره ولا يقبل من العبد سواه قال الله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ (٤٥٨) وقال تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ (٤٥٩) .

وقوله « ولا يصلحه إلا السخاء » هو الجود فيما يملك . واختلف الناس فى تعريفه وكل قال بحسب ذوقه وحاله . سأل معاوية الحسن بن على رضى الله عنهم عن المروءة . والنجدة . والكرم فقال : أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه وحسن المسارعة والإقدام فى الكراهية ، وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر فى المواطن ، وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام فى المحل (٤٦٠) والرأفة بالسائل مع بذل النائل . قال على بن الحسين رضى الله عنهما : من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا ، وإنما السخى من يبتدىء بحقوق الله تعالى فى أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تاما .

وقيل للحسن البصرى ما السخاء ؟ فقال : أن تجود بمالك فى الله عز وجل . قيل : فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه . قيل : فما الإسراف ؟ قال : الإنفاق لحب الرياسة .

---

٤٥٨ - آل عمران ٨٥

٤٥٩ - آل عمران ١٩

٤٦٠ - المحل : الجدب والشدة

وقيل لسفيان بن عيينة : ما السخاء ؟ قال : البر بالإخوان والجود بالمال .

وقيل للأحنف : ما اللؤم ؟ فقال : الاستفضال على الملهوف . فقيل وما الجود ؟ فقال : الاحتيال للمعروف .

وقيل لإبليس من أحب الناس إليك ؟ فقال عابد بخيل قيل فمن أبغض الناس إليك ؟ قال . فاسق سخى فينجيه سخاؤه . قيل : السخى حر لأنه يملك بماله والبخيل لا يستحق اسم الحرية لأنه يملكه ماله .

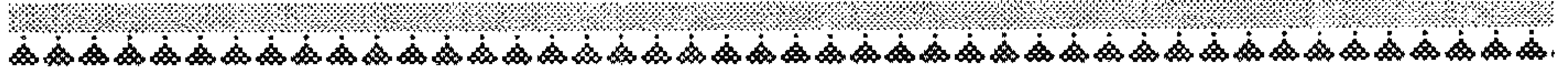
وهو خلق شريف من جملة أخلاق الأنبياء عليهم السلام ، وكان سيد الخلق وشامة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكرم الناس وأجودهم وأسخاهم وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر . وكان عطاؤه كالريح المرسلة ، وكان أصحابه رضى الله عنهم فى السخاء لا يجارون ، وهاك بعض ما ورد فى مدح السخاء ونبذة من سخاء الصحابة وجودهم وكرمهم .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « **إن السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، وإن البخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، قريب من النار . وجاهل سخى أحب إلى الله من عالم بخيل** » رواه الترمذى وقال غريب . وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « **ما جبل الله تعالى أولياءه إلا على السخاء وحسن الخلق** » رواه ابن عساكر فى التاريخ من رواية عروة مرسلا .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « **تجافوا عن ذنب السخى فإن الله آخذ بيده كلما عثر** » رواه الطبرانى فى الأوسط . والخرائطى فى مكارم الأخلاق ، وفى الباب أحاديث كثيرة إلا أنها لا تخلو عن طعن .

ومما يروى عن الأسخياء ما صح عن النبى ﷺ أنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وأنه عليه الصلاة والسلام ما سئل شىء قط فقال لا .

وإن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فأتى الرجل قومه فقال : يا قوم أسلموا



فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر .

وكان لعثمان على طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج إلى المسجد فقال له طلحة رضى الله عنه : قد تهيأ مالك فاقبضه فقال : هو لك يا أبا محمد معونة على مروءتك .

وجاء أعرابى إلى أبى طلحة فسأله وتعرف إليه برحم فقال : إن هذا الرحم ما سسألنى بها أحد قبلك فأعطاه ثلاثمائة ألف درهم .

وقال عروة رضى الله عنه : رأيت عائشة رضى الله عنها تقسم سبعين ألفا وهى ترفع درعها . وروى أنها قسمت فى يوم ثمانين ومائة ألف بين الناس فلما أمست قالت يا جارية ، على فطورى بخبز وزيت ، فقالت لها أم درة : أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت : لو ذكرتينى لفعلت .

واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التى فى السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله ما لهؤلاء قالوا يبكون على دارهم . قال : يا غلام ائتهم فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعا .

وقال مصعب بن الزبير : حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة قال الحسين بن على لأخيه الحسن : لا تلقه ولا تسلم عليه ، فلما خرج معاوية قال الحسن : إن علينا دينا فلابد لنا من إتيانه ، فركب فى أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه ، فمروا عليه ببختى عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الإبل وقوم يسرقون . فقال معاوية : ما هذا ؟ فذكر له فقال اصرفوه بما عليه لأبى محمد .

وسأل رجل الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما حاجة فقال له : يا هذا حق سؤالك إياى يعظم لدى ومعرفتى بما يجب لك تكبر على ويدى تعجز عن نيلك بما أنت أهله ، والكثير فى ذات الله تعالى قليل وما فى ملكى وفاء لشكرك فإن قبلت الميسور ورفعت عن مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت فقال : يا ابن بنت رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع .

فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال : هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال : فما فعلت بالخمسمائة دينار ؟ قال : هى عندى قال : أحضرها فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم إلى الرجل وقال : هات من يحملها لك فأتاه بحمالين فدفع إليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه : ما عندنا درهم فقال : أرجو أن يكون لى عند الله أجر عظيم .

وقال أبو الحسن المدائنى : خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقالوا : هل من شراب؟ فقالت نعم فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة فى كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام ؟ قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمى بنا فإنا صانعون بك خيرا ، ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل ، وقال : ويلك تذبحين شاتى لقوم لا تعرفينهم ، ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلا وجعلا ينقلان البعر إليهما ويبيعانه ويتعيشان بثمنه ، فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن على جالس على باب داره فعرف العجوز وهى له منكرة فبعث إليها غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيننى قالت : لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز : بأبى أنت وأمى أنت هو ؟ قال : نعم ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار ، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخى ؟ قالت : بألف شاة وألف دينار ، فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر ، فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ قالت : بألفى شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله وبألفى شاة وألفى دينار . وقال لها

: لو بدأت بى لأتعبتهما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . انتهى .

أقول : وهذا لا يستكثر من مال بيت النبوة لأنه جاء من معدنه ، والذى جاء من معدنه لا يستغرب منه .

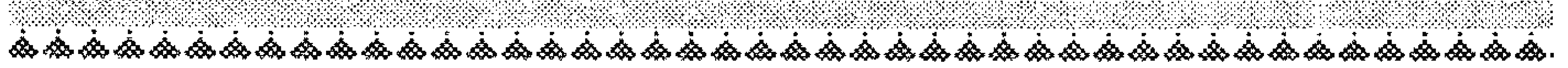
وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال : يا هذا أعنا على الدهر ، فقال الرجل لغلامه : ما بقى معك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام فى حجر الاعرابى أربعة آلاف درهم ، فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك ؟ لعلك استقللت ما أعطيناك ؟ قال : لا ولكنى ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكانى .

وتقدم ذكر تراجم الأئمة المذكورة هنا كلهم إلا سمويه ، فإنه الإمام الحافظ المتقن الطواف أبو بشر إسماعيل بن عبد الله بن مسعود العبدى الأصبهانى له كتاب العوائد توفى سنة سبع وستين ومائتين .

التعليق

السخاء نعمة من الله على صاحبه ، وقمة السخاء الإيثار ، وقد امتدح الله الأنصار بالإيثار فى قوله ـ تعالى . « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » الحشر ٩

ومن قصص الإيثار المأثورة ما يرويه الأبشيهى فى كتابه المستطرف قال : عن حذيفة العدوى أنه قال : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى ومعى شىء من الماء ، وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته . فإذا أنا به بين القتلى ، فقلت له : أسقيك ؟ فأشار إلى أن نعم . فإذا برجل يقول : آه . فأشار إلى ابن عمى أن انطلقْ إليه واسقه . فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ، فأشار إلى أن نعم ، فسمع آخر يقول : آه ، فأشار إلى أن انطلق إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات . . لقد



آثر كل منهم صاحبه على نفسه بالماء حتى ماتوا جميعا ، ولم يشرب واحد منهم .

وقال الأبشيهى : قال بعض الحكماء : أصل المحاسن كلها الكرم ، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام ، وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام ، وجميع خصال الخير من فروعه . .

ومن القصص المأثورة التى تضرب بها الأمثال : دخل المنكدر على عائشة - رضى الله عنها - فقال : يا أم المؤمنين ، أصابتنى فاقة . فقالت : ما عندى شىء ، فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها إليك . فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها إليه فى أثره .

ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة هم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر . . .

المستطرف من كل فن مستطرف للأبشيهى جـ١ صـ ١٥٧

فانظر إلى كرمها حيث وجهت إليه بكل ما وصل إلى يدها ولم تمسك منه شيئا ، وانظر إلى صدقه فى الطلب ، حيث بارك الله له فأعقبه النجابة فى ولده .



(النار محرمة على من قال لا إله إلا الله)

الحديث الثامن والستون بعد المائة

« وَعِزَّتِى وَجَلالِى وَرَحمَتى لاَ أَدَعُ فى النَّارِ أحداً قالَ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ »

رواه تمام عن أنس بن مالك .

شرح الحديث

- ألفاظ الحديث تقدم الكلام عليها غير مرة ، وفيه حث وترغيب فى قول لا إله

إلا الله ، وفى غير هذا الحديث الترغيب فى قول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وإحداهما لا تغنى عن الأخرى فالجملتان لابد منهما فى دخول الجنة ، وكذلك لابد من دخول الجنة مباشرة من الأعمال المفروضة على الإنسان من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك كما هو مبين فى غير هذا الموضع وأن تكون خالصة من كل شائبة رياء وعجب وكبر ، أو يحمل على أن هذا كان فى ابتداء الإسلام قبل أن تشرع الفرائض ، قال الحافظ عبد العظيم المنذرى فى كتابه ـ الترغيب والترهيب [٤٦١] ـ وقد ذهب طوائف من أساطين أهل العلم إلى أن مثل هذه الاطلاعات التى وردت فيمن قال لا إله إلا الله دخل الجنة أو حرم الله عليه النار ونحو ذلك إنما كان فى ابتداء الإسلام حين كانت الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد فلما فرضت الفرائض وحدت الحدود نسخ ذلك ، والدلائل كثيرة متظاهرة . وإلى هذا القول ذهب الضحاك والزهرى . وسفيان الثورى . وغيرهم .

وقالت طائفة أخرى . لا احتياج إلى ادعاء النسخ فى ذلك فإن كل ما هو من أركان الدين وفرائض الإسلام وهو من لوازم الإقرار بالشهادتين وتتماته فإذا أقر ثم امتنع عن شىء من الفرائض جحداً أو تهاونا على تفصيل الخلاف فيه حكمنا عليه بالكفر وعدم دخول الجنة وهذا القول أيضا قريب ، وقالت طائفة أخرى : التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضى دخول الجنة والنجاة من النار بشرط أن يأتى بالفرائض ويجتنب الكبائر فإن لم يأت بالفرائض ولم يجتنب الكبائر لم يمنعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول النار . وهذا قريب مما قبله أو هوهو انتهى .

تعليق

مما جاء فى فضل « لا إله إلا الله » أنها ذكر ، ينبغى الإكثارمنها ، عن يعلى بن شداد قال : حدثنى أبى شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال : كنا عند النبى ـ ﷺ ـ فقال : هل فيكم غريب ؟ ـ يعنى أهل الكتاب ـ قلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا

---

٤٦١ ـ الترغيب والترهيب جـ٢ / صـ٤١٣

الله .

فرفعنا أيدينا ساعة . ثم قال : الحمد لله ، اللهم إنك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة وأنت لا تخلف الميعاد . ثم قال : أبشروا فإن الله قد غفر لكم ـ الترغيب والترهيب ٢ / ٤١٥ ومن فضلها أنها تشفع لصاحبها . .

قال ـ ﷺ ـ : « **يؤتى برجل إلى الميزان ، ويؤتى بتسعة وتسعين سجلا ، كل سجل منها مد البصر ، فيها خطاياه وذنوبه ، فتوضع فى كفة الميزان ، ثم تخرج بطاقة بقدر الأنملة ، فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فتوضع فى الكفة الأخرى ، فترجح بخطاياه وذنوبه** » .

وما أحسن قول بعضهم فى ذلك :

مهما تفكرت في ذنوبي ... خفت علي قلبي احتراقه
لكنه ينطفي لهيبي ... بذكر ما جاء في البطاقة

ـ مطية السالك إلى مالك الممالك للشيخ أحمد الطاهر الحامدى ـ صـ١٥٥



(حكم التصوير والتمثيل)

الحديث التاسع والستون بعد المائة

« وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يخلُقُ خَلقاً كخَلقى فَلْيَخْلُقوا ذرَّةً أوْ لِيخْلُقوا حَبَّةً أوْ لِيَخْلُقوا شَعيرَةً »

رواه أحمد . والشيخان عن ابن عباس (٤٦٢)

---

٤٦٢ ـ الحديث في صحيح البخاري جـ٧ صـ٢١٥ من حديث أبي هريرة وفي صحيح مسلم أيضا من حديث أبي هريرة جـ٣ ١٦٧١

وفي مسند أحمد أيضا من حديث أبي هريرة جـ٢ ٧١٦٦ والحديث صحيح في كل المسانيد .

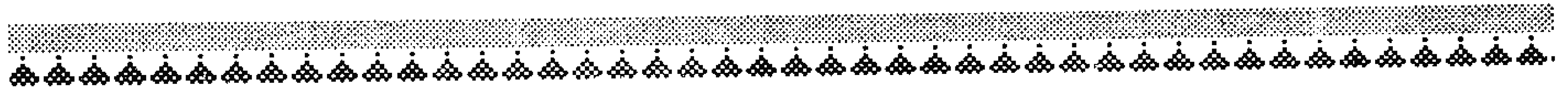
وهو في جامع الأحاديث القدسية جـ١ صـ٤٢٥ بمختلف رواياته .

شرح الحديث

- قوله « ذهب » قصد ، والذرة - بتشديد الراء وفتحها - واحدة الذر وهو النمل الأحمر الصغير . وسئل ثعلب عنها فقال إن مائة نملة وزن حبة والذر واحد منها ، وقيل الذرة ليس لها وزن ويراد بها ما يرى فى شعاع الشمس الداخل فى النافذة ، والحبة والشعيرة معلومان .

والمعنى - والله أعلم - أن الله عز وجل يخبرنا أن لا أحد أظلم ممن يذهب ويقصد أن يخلق خلقا كخلق الله عز وجل - وهو كناية عن التصوير الذى فى استطاعة العبد لا الإيجاد الذى ليس فى استطاعته ، أو نسب الخلق إليهم على سبيل الاستهزاء والتهكم بهم - ثم أمرهم بأن يخلقوا ذرة - وهى التى لا جرم لها - أمر تعجيز وتحقير وهو إشارة إلى ما ليس له جرم محسوس أو بأن يخلقوا حبة قمح بدليل قوله « أو ليخلقوا شعيرة » إشارة إلى ما له جرم . وفيه التنديد بصنعة التصوير والتهديد للمصورين ولذلك وردت أحاديث كثيرة فيها ذم التصوير ووعيد المصورين بالعذاب الأليم سيأتى ذكرها فى محل أليق من هذا إن شاء الله تعالى .

قال الحافظ شهاب الدين أحمد كخلقى العسقلانى فى شرح هذا الحديث . وقوله « ومن ذهب » أى قصد ، وقوله « يخلق كخلقى » نسب الخلق إليهم على سبيل الاستهزاء أو التشبيه فى الصورة فقط ، وقوله « فليخلقوا ذرة أو شعيرة » أمر بمعنى التعجيز وهو على سبيل الترقى فى الحقارة أو التنزل فى الإلزام والمراد بالذرة إن كان النملة فهو من تعذيبهم وتعجيزهم بخلق الحيوان تارة وبخلق الجماد أخرى وإن كان بمعنى الهباء فهو بخلق ما ليس له جرم محسوس تارة وبما له أخرى ، ويحتمل أن يكون « أو» شكا من الراوى ، قال ابن بطال قوله فى حديث عائشة وغيره . يقال لهم « أحيوا ما خلقتم » إنما نسب خلقها إليهم تقريعا لهم بمضاهاتهم الله تعالى فى خلقه فبكتهم بأن قال إذا شابهتم بما صورتم مخلوقات الله تعالى فأحيوها كما أحيا هو ما خلق وقال الكرمانى : أسند الخلق إليهم صريحا وهو خلاف الترجمة لكن المراد كسبهم فأطلق لفظ الخلق عليهم استهزاء أو ضمن



خلقتهم معنى صورتهم تشبيها بالخلق أو أطلق بناء على زعمهم فيه انتهى .

(فإن قيل) : الكافر أظلم فكيف عبره هنا بأظلم ؟ أجيب بأنه إذا صور الصنم للعبادة كان كافرا فهو هو وزيد عذابه على سائر الكفار بقبح كفره .

التعليق

جاء فى الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ما يلى :

التصوير من الكبائر السبعين التى عدها الذهبى فى كتابه « الكبائر » . .

وقد استقر رأى الكثيرين المفسرين والفقهاء على أن القصد من تحريم التصوير هو إبعاد المسلمين عن عبادة الأصنام التى كانت سائدة عند الكثير من القبائل العربية ، ولا يكون حراما إذا قصد به الزينة المباحة . . .

والعلماء المعاصرون يبيحون التصوير ما دام لا يصرف المسلمين عن العقيدة أو العمل ، وفى ذلك يقول الشيخ محمد عبده : « وبالجملة يغلب ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد التحقق أنه لا خطر منه على الدين لا من جهة العقيدة ، ولا من جهة العمل » .

يقول الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق : « العقيدة الإسلامية السمحة لم تحرم عمل الصور إذا كان الغرض منها الزينة أو إقرار حقيقة علمية أو شرعية ، ودليل ذلك ما خلفه المسلمون فى جميع أرجاء الوطن الإسلامى من آثار تزخر برسوم الكائنات الحية التى بعدت عن المحاكاة بعدا واضحا إلا ما كان منها فى كتب العلم . . »

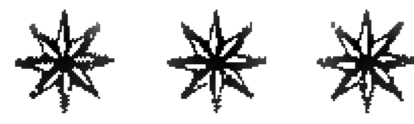
وكان آخر ما صدر عن دار الإفتاء المصرية فتوى بتاريخ ١١ من مايو سنة ١٩٨٠م جاء فيها عن التصوير ما ملخصه :

لقد ذم الرسول - ﷺ - الصور وصنعها فى كثير من أحاديثه ، لعلة التشبيه بخلق الله ولعبادتها من دونه . . . وبعد هذه المقدمة جاء فى حكم التصوير الضوئى

والرسم ما يلى :

الذى تدل عليه الأحاديث النبوية الشريفة . . أن التصوير الضوئى للإنسان والحيوان المعروف الآن . والرسم كذلك لا بأس به متى كان لأغراض علمية مفيدة للناس . إذا خلت الصور والرسوم من مظاهر التعظيم ومظنة التكريم والعبادة ، وخلت كذلك من دوافع تحريك غريزة الجنس وإشاعة الفحشاء ، والتحريض على ارتكاب المحرمات »

ـ الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية د . فاطمة المحجوب جـ٩ صـ٤٨٠ ـ دار الغد

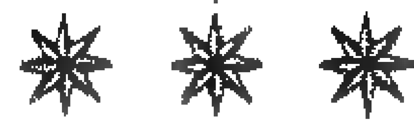


(حِصْنُ الله)

الحديث السبعون بعد المائة

« لا إلهَ إلاَّ الله كلامِى وأنا هُوَ فمَن قالَها دَخلَ حِصْنِى وأَمِنَ عِقابِى »

رواه ابن النجار عن على (٤٦٣)



الحديث الحادى والسبعون بعد المائة

« لا إلهَ إلاَّ الله حِصْنِى وَمَنْ دَخلَ حِصْنِى أمِنَ مِنْ عَذابِى »

رواه أبو نعيم . وابن النجار . وابن عساكر عن على (٤٦٤)

---

٤٦٣ ـ الحديث في الإتحافات السنية للمدني برقم ٥٠ ، وفي كنز العمال جـ١ صـ ١٦٧ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ١ صـ٦٤ .

٤٦٤ ـ ذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٥٩٦ ، وهو في كنز العمال جـ١ صـ١٥٨ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا ..

شرح الحديثين

ـ الحصن بكسر الحاء وسكون الصاد المهملتين ـ فى اللغة المكان الذى لا يقدر عليه لارتفاعه ومناعته ، وجمعه حصون ، وفى اصطلاح أهل الحرب عبارة عن مكان معد لدفع حملات العدو ومهاجمته . وأسباب حصانته قد تكون طبيعية كالآجام والأنهار أو صناعية كالأسوار والمتاريس الخشبية أو الحجرية أو الترابية أو الحديدية .

والحصون فى أول أمرها كانت بسيطة على حسب أزمنتها ثم ترقت واستحدثت حصون منيعة بطرز غير الطراز الأول ، فكان أول إنشائها عند اختراع البارود واستعماله فى الحروب . ويضرب المثل فى عصرنا الحاضر بخط ماجينو الفرنسى وخط سيجفريد الألمانى والأول أحصن وأتقن وأقوى صرف عليه ملايين من الدنانير حتى أصبح الوحيد فى هذا العصر ـ أعنى القرن الرابع عشر الهجرى ـ يقال : إن فرنسا أنفقت على خط ماجينو وتحصينه ما يساوى مائة بارجة عظيمة من التى تفريغ الواحدة منها خمسة وثلاثون ألف طن ، وثمن مائة بارجة من هذا القدر يبلغ فى أيامنا هذه على حسب تقدير الخبيرين بذلك ألف مليون جنيه على الأقل ، وعن قريب سنسمع ما يحصل هل الألمانيون يهاجمونه مهما كلفهم من النفقات والقتلى والجرحى ؟ (٤٦٥) .

والعقاب ـ بكسر العين المهملة ـ الجزاء بالشر ، وقيل هو ما يلحق الإنسان بعد الذنب من المحنة فى الآخرة ، قال الاصفهانى فى مفرداته : والعقوبة ، والمعاقبة ، والعقاب يختص بالعذاب والعذاب فى أصل كلام العرب الضرب ثم استعمل فى

---

٤٦٥ ـ جاء بعد ذلك أحكم خط عُرف ، هو الخط الذي يعرف بخط بارليف ، الذي أنشأه الإسرائيليون علي شاطيء القناة بعد احتلالهم سيناء عام ١٩٦٧ م .. وقد أصبح هذا الخط بعد إنشائه عقبة في طريق استرداد سيناء ، حتي جاءت معركة العبور العظيمة في العاشر من رمضان سنة ١٤٩٣ هـ / ٦ أكتوبر ١٩٧٣م واستطاع المصريون اختراق هذا الخط الحصين الذي كان العسكريون العالميون يقولون بأنه خط لا يمكن اقتحامه .. وتم العبور والحمد لله ، وتحطم الخط ، وانتصر الجيش الإسلامي المصري الذي كان يردد أثناء عبوره « الله أكبر » انتصارا ساحقا أعاد الكرامة المصرية وحطم الأسطورة الإسرائيلية ..

كل عقوبة مؤلمة . واستعير للأمور الشاقة فقيل السفر قطعة من العذاب .

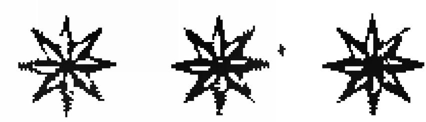
والمعنى - والله أعلم - أن الله جل ذكره يخبرنا أن كلمة لا إله إلا الله كلامه فمن قالها ونطق بها واعتقدذلك دخل حصن البارى جل وعز وتحصن به ، وامتنع من أن يمس بسوء وأمن عقاب الله جل وعلا وعذابه يوم القيامة ، ولاشك أن من دخل حصناً من الحصون المنيعة المستحكمة البنيان أمن من العدو، ووقى من الأذى ، على فرض أن خصمه لم يتمكن من مناهضته وتخريب حصنه ومحاصرته فهو لم يأمن ذلك ولم يذهب خوفه إلا إذا خابت مساعى عدوه ، وفشل تمام الفشل وتركه وذهب من حيث أتى بخلاف حصن الرب جل ذكره من دخله كان آمناً من كل عدو وحركة مطمئن القلب هادىء البال منشرح الصدر .

وإذا علم الإنسان ذلك فليكثر من ذكرها ، وقد ورد أن أفضل شيء قاله النبيون لا إله إلا الله ، روى البزار والإمام أحمد بن حنبل عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله : « **من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث - أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه** » رواه البخارى ، وفيه دليل على أن الله تبارك وتعالى يتصف بصفة الكلام وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهو المذهب الحق والطريق الواضح نسأل الله تعالى أن يميتنا عليه .

ذكر الحاكم فى تاريخ نيسابور ، ونقله عنه المناوى أن علياً الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين لما دخل نيسابور وكان فى قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة الرازى ، وابن أسلم الطوسى ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا : أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثا عن

آبائك عن جدك نذكرك به ؟ فاستوقف غلمانه أمر وبكشف المظلة ، وأقر عيون الخلائق برؤية طلعته فكانت له ذؤابتان متدليتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ ومتمرغ فى التراب ومقبل لحافر بغلته وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام : معاشر الناس أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم وكان المستملى أبو زرعة ، والطوسى فقال الرضى : حدثنا أبى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه على زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء عن أبيه على المرتضى قال حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله ﷺ قال حدثنى جبريل عليه السلام قال حدثنى رب العزة سبحانه يقول كلمة لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى ثم أرخى الستر على القبة وسار ، فعد أهل المحابر والدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا ، وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن فى قبره فرئى فى النوم بعد موته فقيل ما فعل الله بك ؟ قال غفر لى بتلفظى بلا إله إلا الله وتصديقى بأن محمدا رسول الله ﷺ .

وذكر الجمال الزرندى فى معراج الوصول أن الحافظ أبا نعيم روى هذا الحديث بسنده عن أهل البيت إلى على سيد الأولياء قال قال رسول الله ﷺ سيد الأنبياء حدثنى جبريل عليه السلام سيد الملائكة قال قال الله تعالى : إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى فمن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى (شيرازى) فى الألقاب (عن على) أمير المؤمنين ، ونحوه خبر الحاكم فى تاريخه وأبو نعيم عن على أيضا « **لا إله إلا الله حصنى الخ** » قال الحافظ العراقى إسناده ضعيف ، وقول الديلمى حديث ثابت مردود انتهى .



الحديث الثانى والسبعون بعد المائة

« لاَ أتقبَّل إلاَّ ما ابْتُغِي به وَجْهي »

رواه البخارى فى تاريخه عن أنس (٤٦٦)

شرح الحديث

- الابتغاء طلب الشيء يقال : ابتغيت الشيء وتبغيته طلبته مثل بغيته .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أنه عز وجل لا يقبل من أحد إلا ما طلب وقصد وجهه يعنى خالصاً من شوائب المصالح الدنيوية ولذلك أمرنا فى كتابه أن نعبده مخلصين قال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ (*) وانظر إلى مثل من يخلص فى عمله ويبتغى به وجه الله قال الله تعالى : ﴿ **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعلمون بصير** ﴾ (**) .

وروى البخارى عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ قال « **إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فم امرأتك** » فقيد النفقة بطلب وجه الله فيها وعلق عليها الثواب لذلك ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة فى ذلك .

---

٤٦٦ ـ أخرجه الدار قطني في سننه جـ١ صـ٥١ بأطول من هذا
ولفظه « يجاء يوم القيامة بصحف مختمة فتنصب بين يدي الله ـ عز وجل ـ فيقول الله ـ عز وجل ـ لملائكته : ألقوا هذا واقبلوا هذا . فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول وهو أعلم : إن هذا كان لغيري ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما كان ابتغي به وجهي »
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٣٠٤
والمنذري في الترغيب والترهيب جـ٣ صـ٦٥
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ١ صـ٨٩ برقم ٣٢ .
ـ البينة ٥
ـ البقرة ـ ٢٦٥

التعليق

من دعاء الشاذلى : « اللهم هب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف غيرك ولا نرجو غيرك ولا نحب غيرك ولا نعبد شيئا سواك ، وأوزعنا شكر نعمائك وغطنا برداء عافيتك وانصرنا باليقين والتوكل عليك ، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك ، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك . . . »

إنه يشير إلى أن الإيمان الحقيقى الذى لا يلابسه شك أو ريب أن يكون قلب الإنسان خالصا لله ، فلا يخاف غيره ولا يحب غيره ولا يعمل شيئا من أجل غيره ، وهذه منحة خالصة من الله لمن يشاء من عباده ، كما ورد فى بعض الآثار : الإخلاص سر من أسرار الله يهبه لمن أراد من عباده . .



الحديث الثالث والسبعون بعد المائة

« لاَ أجْمَع عَلَى عَبدى خَوْفين وَلا أجْمَعُ لهُ أمْنَيْنِ إذَا أمنَنى فى الدُّنيَا أخَفْتُه يوْمَ القِيامةْ وَإذَا خافَنِى فى الدُّنياَ أمَّنْتُه يَوْمَ القيامةِ »

رواه ابن المبارك عن الحسن مرسلا[٤٦٧] .

ورواه أبو نعيم عن شداد بن أوس موصولا بلفظ[٤٦٨] .

« إنْ هُوَ أمِنَنى فى الدُّنيا أخفتُه يَومَ أجمَعُ عِبادِى وَإنْ هُوَ خافَنِى فى الدُّنيا أمَّنتُه يَومَ أجمَعُ عِبادِى »[٤٦٨]

شرح الحديث

ـ الخوف والأمن تقدم الكلام عليهما غير مرة ، والحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير باللفظ الثانى وعزاه إلى الحلية ، قال المصنف فى شرحه ورواه

---

٤٦٧ ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه : موارد الظمآن ٢٤٩٤
وذكر في كنز العمال جـ٣ ٨٥٢٩
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٢٢١
وجاء في الترغيب والترهيب جـ٤ صـ٤٨٧
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن جـ٢ صـ١٧٠
والحسن المذكور هو الحسن بن سفيان النسوي ـ وقيل : الفسوي ـ الشيباني
من الرواة الذين لقيهم ابن حبان في مدينة (نسا) وله مسند منسوب إليه ، وله جمع يعرف بالأربعين . قال الذهبي في ميزان الاعتدال عنه :
أنه ثقة ، مسند ، ما علمت به بأسا .

٤٦٨ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية جـ٦ صـ٩٨
وذكره المدني في الإتحافات برقم ٨٣
وفي كنز العمال جـ٣ ٥٨٧٨
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بأنه حسن لغيره جـ٢ صـ١٧٢ .

البزار ، والبيهقى عن أبى هريرة .

والمعنى أن الله سبحانه يخبرنا أنه لا يجمع على عبده خوفين ولا أمنين فمن خاف الله تعالى فى الدنيا بأن تباعد عن الذنوب والآثام ، وأقبل على الطاعات والمندوبات فإن الله لن يخيفه يوم القيامة وينجيه من أهوالها وشدائد أحوالها ، وكذلك من أمن عذاب الله فى الدنيا واطمأن بسبب ما يسو له الشيطان له من عظيم عفو الله تعالى فيركن إليه ويسبح فى غمرات الشهوات ويتمتع فى لذات الدنيا ومناهيها ، فإن الله سبحانه وتعالى لا يؤمنه يوم القيامة يوم العرض عليه بل يخيفه يوم جمع الناس وعرضهم .

ولاشك أن كلما اشتد خوف العبد من الله فى الدنيا كان أبعد عن ارتكاب ما يخل به عقلا وشرعا وعادة ، وكلما قل خوفه كثرت جرأته على المخالفات وإتيانها فمن كان خوفه فى حياته شديدا كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس ، وهذا معنى قول بعض العارفين ، لأن الشخص لما صَلى حَرَّ مخالفة الهوى فى الدنيا لم يذقه الله كرب الحر فى العقبى ، قال القرطبى : فمن استحى من الله تعالى مما يصنع استحى الله عن سؤاله فى القيامة ولم يجمع عليه حياءين كما لا يجمع عليه خوفين . وقال :

[الحر إلى نار الحق فى الدنيا للمعترف رحمة من عذاب النار تفديه من نار السطوة فى الآخرة] (٤٦٩) ومحمد عليه الصلاة والسلام يُعْطَى الأمن يوم القيامة حتى يتفرغ للشفاعة وما ذاك إلا من الخوف الذى كان علاه أيام الدنيا فلم يجتمع عليه خوفان ، فكل من كان له حظ من اليقين فعاين منه ما ذاق من الخوف بقدر ما ذاق هنا ، قال العارفون الخوف خوفان : خوف عقاب وخوف جلال . والأول يصيب أهل الظاهر والثانى يصيب أهل القلوب . والأول يزول والثانى لا يزول والله أعلم .

---

٤٦٩ ـ لعل التعبير : [التعرض إلي حر نار الحق في الدنيا للمعترف رحمة من عذاب النار تفديه من نار السطوة في الآخرة]

التعليق

المؤمن ينبغي أن يكون على خوف دائم من الله ، والخوف هو سمة العلماء العارفين ، قال ـ تعالى ـ « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** »

وكلما اشتد قرب العبد من ربه ازداد خوفه منه ، ففي الآثار النبوية « أنا أقربكم من الله وأخشاكم له »

وقد اعتنى أهل المعرفة بذلك الباب حتى اعتبروا الخوف مقاما من مقاماتهم يتحققون به ويلتزمون بآدابه ، وبعضهم يعتبره حالاً لا مقاما .

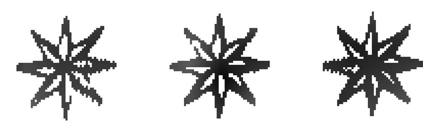
يقول الطوسي في كتابه « اللمع » الخوف على ثلاثة أوجه ، وقد ذكر الله تعالى الخوف وقرنه بالإيمان بقوله « فلا تخافوهم وخافون إنْ كنتم مؤمنين » وهذا هو خوف الأجلة .

وقال : « **ولمن خاف مقام ربه جنتان** » وهذا هو خوف الأوساط

وقال : « **يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** » وهذا خوف العامة . .

إن الأجلاء يخافون القطيعة ، أما العامة فيخافون العقوبة ، وخوف الأجلاء أقطع .

ومن الأحاديث التي مرت قبل ذلك . وأعادها المؤلف لمراعاة الترتيب الأبجدي الذي التزمه الحديث الآتي : ـ



الحديث الرابع والسبعون بعد المائة

« لا أذهب حبيبتى عبدى فصبر واحتسب إلا ثبتهما بهما الجنة »

رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى هريرة [٤٧٠]

وقد علق الشارح عليه بقوله : ـ تقدم ذكره غيره مرة ، فلا حاجة لإعادة الكلام عليه ، إلا أنه عبر هنا بحبيبتى عبدى ، وهناك بكريمتى عبدى ـ سماهما هنا كذلك لما فيهما من جلب المسارّ ودفع المضار وتوقى الأخطار .

وسماهما كريمتين لكثرة منافعهما دينا ودنيا ، ولأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوت رؤية ما يريد رؤيته من خير ، فَيُسَّر به أو شر فيجتنبه . والله أعلم .



(كراهة نذر العوض)

الحديث الخامس والسبعون بعد المائة

« لاَ يأتى ابْن آدَمَ النَّذْرُ بشَىْء لَمْ أكُن قَدْ قَدَّرْتُه ولَكنْ يُلْقيه النَّذْرُ إلىَ القَدر وَقدْ قدرْتُه أسْتخرِجُ به منَ البَخيلِ فيُؤْتيني عَليه ما لَم يُؤْتِنى عَلَيْه مِنْ قَبْلُ »

رواه أحمد والبخارى والنسائى عن أبى هريرة .

---

٤٧٠ ـ وردت عدة أحاديث في هذا المعنى وسبق تخريجها ومنها ما أخرجه الترمذي عن أبي هريرة جـ٤ ٢٤٠١ بلفظ : يقول الله عز وجل : من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة ، ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة .

شرح الحديث

ـ يقال : نذرت أنذر ـ بكسر الذال المعجمة ـ وأنذر ـ بضمها نذرا إذا أوجبت على نفسك شيئا متبرعا من عبادة أو صدقة أو غير ذلك لحدوث أمر .

والقدر ـ بفتح الدال المهملة ـ تقدم الكلام عليه .

والبخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود يقال بخل فهو باخل .

وأما البخيل فالذى يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم . وقيل : هو المنع من مال نفسه والشح هو بخل الرجل من مال غيره ، وقيل ترك الإيثار عند الحاجة . وقيل البخل محو صفات الإنسانية وإثبات عادات الحيوانية . وقد جاءت آيات قرآنية وأحاديث نبوية فى ذم البخل كثيرة ليس هنا محل ذكرها .

والمعنى والله أعلم ـ أن الله جل ذكره يخبرنا على لسان رسول الله ﷺ أن ابن آدم إذا نذر شيئا بسبب حادث من الحوادث ، بأن يقول إذا شفيت من مرضى فعلى كذا وكذا أو إن رد غائبى على فلأفعلن كذا وكذا أو إن قضيت حاجتى فلأعملن كذا وكذا ، هذا النذر لا يرد من قضاء الله وقدره شيئا إذا زعم الزاعم ذلك بل يستخرج به من البخيل ماله ويلزم ذلك شرعا .

وقد اختلف العلماء فى مشروعيته والنهى عنه قال العلامة أبو السعادات فى النهاية : وقد تكرر فى الأحاديث ذكر النهى عنه وهو تأكيد لأمره ، وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ، ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل لكان فى ذلك إبطال حكمه ، وإسقاط لزوم الوفاء به إذا كان بالنهى يصير معصية ، فلا يلزم وإنما وجه الحديث أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لا يجر لهم فى الآخرة نفعا ولا يصرف عنهم ضرا ولا يرد قضاء فقال : لا تنذروا على أنكم قد تدركون بالنذر شيئا لم يقدره الله لكم أو تصرفون به عنكم ما جرى به القضاء عليكم ، فإذا نذرتم ولم تعتقدوا هذا فأخرجوا عنه بالوفاء فإن الذى نذرتموه لازم لكم اهـ .

وقال البيضاوى : عادة الناس تعليق النذر على تحصيل منفعة أو دفع مضرة فنهى عنه لأنه فعل البخلاء إذ السخى إذا أراد أن يتقرب بادر إليه ، والبخيل لا تطاوعه نفسه بإخراج شىء من يده إلا فى مقابلة عوض يستوفيه أولا ، فيلتزمه فى مقابلة ما يحصل له وذلك لا يغنى من القدر شيئا فلا يسوق إليه خيراً لم يقدر له ، ولا يرد عنه شراً قضى عليه ، لكن النذر قد يوافق القدر فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن ليخرجه .

قال ابن العربى : فيه حجة على وجوب الوفاء بما التزمه الناذر ، لأن الحديث نص على ذلك بقوله يستخرج به فإنه لو لم يلزمه إخراجه لما تم المراد من وصفه بالبخل من صدور النذر عنه ، إذ لو كان مخيرا فى الوفاء لاستمر لبخله على عدم الإخراج .

وقد روى الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه : « **أن الصدقة تدفع ميتة السوء** » ما يخالف ظاهره قوله عليه الصلاة والسلام « **إن النذر لا يرد القدر** » وجمع بينهما بأن الصدقة تكون سببا لدفع ميتة السوء والأسباب مقدرة كالمسببات ، وقد قال ﷺ لمن سأله عن الرقى هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال « **هى من قدر الله** » أخرجه أبو داود والحاكم ، ونحوه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « **نفر من قدر الله إلى قدر الله** »

قال ابن العربى : النذر شبيه بالدعاء فإنه لا يرد القدر ولكنه من القدر أيضا ومع ذلك فقد نهى عن النذر وندب إلى الدعاء والسبب فيه أن الدعاء عبادة عاجلة ويظهر به التوجه إلى الله والتضرع له والخضوع ، وهذا بخلاف النذر فإن فيه تأخير العبادة إلى حين الحصول ، وترك العمل إلى حين الضرورة .

وفى الحديث إن كل شىء يبتدؤه المكلف من وجوه البر أفضل مما يلتزمه بالنذر ، قاله الماوردى ، وفيه الحث على الإخلاص فى عمل الخير وذم البخل ، وأن من اتبع المأمورات واجتنب المنهيات لا يعد بخيلا . انتهى من فتح البارى باختصار .

وقد وقع الإجماع على صحة النذر ووجوب الوفاء به إذا كان الملتزم به طاعة ، فإن كان معصية أو مباحا كدخول السوق فإنه لا ينعقد نذره ولا كفارة عليه عند

الشافعي وجمهور العلماء .

وأما ما يفعل فى هذا الزمن من النذور لغير الله تعالى فى مصر وغيرها بأن يقول إن شفى مريضى أو قضيت حاجتى فعلى للشيخ الفلانى شاة أو بقرة أو غير ذلك فهذا من النذور الباطلة التى لم تشرع . قال الإمام الرافعى فى شرح المنهاج : وأما النذر للمشاهدة التى على قبر ولى أو شيخ أو على اسم من حلها من أولياء أو تردد فى تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك ـ وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة ـ تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد ، فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ، ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء ، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى أنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند إليها عبد صالح ، وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون : القبر الفلانى أو المكان الفلانى يقبل النذر ، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال ، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا . ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركا وتعظيما ، ظاناً أن ذلك قربة فهذا مما لا ريب فى بطلانه ، والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع أم لا ، قال الشيخ قاسم الحنفى فى شرح درر البحار : النذر الذى ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتى إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول : يا سيدى فلان إن رد الله غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه : منها نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها أنه ظن

أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا إليها محرم بإجماع المسلمين . نقله عنه ابن نجيم فى البحر الرائق ، ونقله المرشد فى تذكرته وغيرهما عنه وزاد : وقد ابتلى الناس بهذا لا سيما فى مولد البدوى ، وقال الشيخ صنع الله الحلبى الحنفى فى الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء : فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله فيكون باطلا . وفى التنزيل « **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** »[471] « **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له** »[472] والنذر لغير الله إشراك مع الله كالذبح لغيره

التعليق

جاء فى كتاب « بيان للناس من الأزهر الشريف » حديث عن النذر رأينا أن ننقل منه طرفا للانتفاع به ، ولأنه يبدد كثيرا من الشبهات التى تثار . .

- النذر عبادة قديمة من قبل الإسلام ، ومنه نذر أم مريم ﴿ **رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا ..** ﴾ آل عمران ٣٥

- وشرعه الإسلام فيما يتقرب به إلى الله وحده ، فهو من العبادات التى لا تكون لغيره قال تعالى « **ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم** » - الحج ٢٩

وقال - ﷺ - : « **من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه** » - وللعلماء آراء حول النذر :

- منهم من وقف به عند درجة الإباحة التى لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب .

- ومنهم من قال : إنه مندوب لأن الله مدح به المؤمنين فى قوله ﴿ **يوفون بالنذر** ﴾ الإنسان ٧

ومنهم من قال بكراهته لورود النهى عنه ، ومنها هذا الحديث : حديث الباب .

---

٤٧١ - الأنعام ١٢١ .

٤٧٢ - الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ .

ـ ومنهم من قال بحرمته حملا للنهى الوارد عنه على التحريم ، أو إذا نذر معصية ، أو نذر لغير الله تقربا إليه .

وعلق الخطاب على من قال بالكراهة أو الحرمة قائلا : كيف يقال إنه منهى عنه مع أنه إذا وقع صار لازما يعاقب على تركه .

وإذا صحت صيغة النذر بأنه لله وقصد به جهة معينة ، فإن كان شخصا حيا يعطى النذر له ، وإن كان ميتا بطل النذر ، إلا إذا قصد به من يتصل به كأولاده أو تلاميذه أو مسجده ، فإنه يصح ويجب توجيهه لما قصد به . وأجاز بعض الفقهاء توجيهه إلى جهة أخرى من جهات البر .

ـ وتجب توعية المسلمين بذلك ، حتى تصح قربتهم وتسلم لهم عقيدتهم .

ـ وإذا أخطأ أحدهم فى صيغة النذر لا يجوز أن يبادر بالحكم عليه بالكفر أو المعصية ، فما دام يعتقد أن الله وحده هو المقصود بالعبادة ، وهو الذى ينفع ويضر فعقيدته سليمة ، وعلينا أن نعرفه الصيغة الصحيحة للنذر ، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة .

ـ راجع كتاب بيان الناس من الأزهر الشريف جـ٢ صـ١٢١ ـ



(أفضلية الأنبياء)

الحديث السادس والسبعون بعد المائة

« لاَ يَنبَغِي لِعَبْدِي أنْ يَقُولَ : أنَا خَيْرٌ مِنْ يونُس بْنِ مَتَّى »

رواه مسلم عن أبى هريرة [(٤٧٣)]

---

٤٧٣ ـ أخرجه مسلم جـ٤ صـ ١٨٤٦ بلفظ « لا ينبغي لعبد لي أن يقول : أنا خير من يونس بن متي عليه السلام »

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ٣ صـ٢٨٧

وذكره المدني في إتحافاته برقم ٣١ .

شرح الحديث

- لا ينبغى أى لا يجوز ولا يليق ، ويونس فيه ست لغات أو أوجه ضم النون وكسرها وفتحها مع الهمز وتركه والفصيح ضمها بلا همز وبه جاء القرآن ، ومتى اسم أبيه وهو بفتح الميم وتشديد التاء المثناة فوق مقصوداً . ويونس عليه الصلاة والسلام نبى من أنبياء الله عز وجل الصالحين وآيات كثيرة من القرآن تنطق بفضله ومكانته .

والمعنى لا ينبغى ولا يليق ولا يجوز لعبدى وفى رواية « لعبد لى يقول » وفى رواية « لعبد يقول » أى من الأنبياء أنا خير من يونس بن متى ، أى من حيث النبوة فإن الأنبياء فيها سواء وإنما التفاوت فى الدرجات ونحوها ، والمراد لا ينبغى لعبد بلغ كمال النفس والصبر على الأذى أن يرجح نفسه على يونس لأجل ما حكيت عنه من قلة صبره على أذى قومه لأن تلك أمور خارجة .

وللعلماء فى هذا وجهان أحدهما أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس فلما علم ذلك قال : أنا سيد ولد آدم ، ولم يقل هنا أن يونس أفضل منه عليه الصلاة والسلام أو من غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، والثانى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال هذا زجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئا من حط مرتبة يونس صلى الله عليه وآله وسلم من أجل ما فى القرآن العزيز من قصته قال العلماء وما جرى ليونس صلى الله عليه وآله وسلم لَم يَحطه من السنبوة مثقال ذرة ، وخص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره فى القرآن بما ذكر

وأما قوله ﷺ : لا ينبغى لعبد ى أن يقول أنا خير من يونس ، فالضمير فى أنا قيل يعود إلى النبى ﷺ ، وقيل : يعود إلى القائل أى لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين فى عبادة أو علم أو غير ذلك من الفضائل ، فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة .

ويؤيد هذا التأويل بعض روايات مسلم لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى . أفاده النووى رحمه الله تعالى وحاصل قصته عليه الصلاة والسلام كما فى

القرآن الحكيم قال الله تعالى في سورة يونس ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين** ﴾[٤٧٤] وقال جل وعز فى سورة الأنبياء ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين** ﴾[٤٧٥] وقال تعالى في سورة الصافات ﴿ **وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين** ﴾[٤٧٦] وقال جل وعز فى سورة نون : ﴿ **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين** ﴾[٤٧٧]

وحاصل ما قاله المفسرون فى قصة يونس بن متى عليه السلام : إن الله بعثه إلى أهل نينوى - بكسر النون الأولى وضم الثانية - من أرض الموصل فدعاهم إلى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم ، فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب قذف الله فى قلوبهم التوبة والإنابة ، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم ، فلبسوا المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم رجعوا إلى الله عز وجل وصرخوا وتضرعوا إليه وتمسكنوا لديه ، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات وجأرت الأنعام والدواب والمواشى ، فرغت[٤٧٨] الإبل وفصلانها

٤٧٤ - يونس ٩٨
٤٧٥ - الأنبياء ٨٧ - ٨٨
٤٧٦ - الصافات ١٣٩ - ١٤٨
٤٧٧ - القلم ٤٨ - ٥٠
٤٧٨ - جأرت : صاحتْ . صوت الأنعام جؤار
ورغت : صوت الإبل رغاء
والفصلان : جمع فصيل وهو ولد الناقة
وخارت : صوت البقر خوار
وثغت : صوت الغنم ثغاء

وخارت البقر وأولادها وثغث الغنم وحملانها ، وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذى كان قد اتصل بهم بسببه ، ودار على رءوسهم كقطع الليل المظلم ولهذا قال تعالى : ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها** ﴾[٤٧٩] أى هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكمالها فدل على أنه لم يقع ذلك بل كما قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾[٤٨٠] وقوله : ﴿ **إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين** ﴾ أى آمنوا بكمالهم ، وقد كان قومه مائة ألف باتفاق واختلف العلماء فى الزيادة فقيل عشرة آلاف ، وقيل عشرون ألفا وقيل غير ذلك .

واختلف العلماء أيضا فى إرسال يونس إليهم هل كان قبل الحوت أو بعده ، أو هما أمتان ؟ على ثلاثة أقوال ذكرت فى الكتب المطولة .

والمقصود أنه عليه الصلاة والسلام لما ذهب مغاضبا بسبب قومه ركب سفينة فى البحر ، فلجت بهم واضطربت ، وماجت بهم وثقلت بما فيها ، وكادوا يغرقون فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتحفظوا منه. وكان من عادة الناس فى ذاك الزمن متى حصل لهم مثل ذلك فى سفينة علموا أن فى السفينة عبداً آبقا أو رجلا آثما فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبى الله يونس ، فلم يسمحوا به لظهور الصلاح وسمة الأخلاق السمحة فيه ، فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضا فشمر ليخلع ثيابه ويلقى بنفسه إلى البحر ، فأبوا عليه ذلك ثم أعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه أيضا لما يريده الله تعالى به من الأمر العظيم والتشريع الحكيم ، قال الله تعالى : ﴿ **وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم** ﴾[٤٨١]

---

٤٧٩ ـ يونس ٩٨

٤٨٠ ـ سبأ ٣٤

٤٨١ ـ الصافات ١٣٩ ـ ١٤٢

وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ألقى فى البحر وبعث الله عز وجل حوتا عظيما من البحر فالتقمه ، وأمره الله تعالى أن لا يأكل له لحما ولا يهشم له عظما ، فليس لك برزق ، فأخذه فطاف به البحار كلها ، وقيل : إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه ولما استقر فى جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرك جوارحه فتحركت فاذا هو حى ، فخر لله ساجدا وقال : يارب اتخذت لك مسجدا لم يعبدك أحد مثله .

واختلفوا فى مقدار لبثه فى بطن الحوت فقال مجالد عن الشعبى : التقمه ضحى ولفظه عشية وقال قتادة : مكث فيه ثلاثة ، وقال جعفر الصادق سبعة أيام ويشهد له شعر أمية بن أبى الصلت [٤٨٢] :

وأنت بفضل منك نجيت يونساً ... وقد بات فى أضعاف حوت لياليا

وقيل غير ذلك والله أعلم كم مقدار ما لبث فيه .

قال الحافظ ابن كثير : والمقصود أنه لما جعل الحوت يطوف به فى قرار البحار اللجية ، ويقتحم به لجج الموج الأجاجى [٤٨٣] فسمع تسبيح الحيتان للرحمن ، وحتى سمع تسبيح الحصى لفالق الحب والنوى ورب السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان الحال والمقال كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذى يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى سامع الأصوات وإن ضعفت وعالم الخفيات وإن دقت ومجيب الدعوات وإن عظمت حيث قال فى كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين وهو أصدق القائلين ورب العالمين وإله المرسلين **﴿ وذا النون إذ ذهب ـ الى أهله ـ مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾** والله أعلم .

---

٤٨٣ ـ أمية بن أبي الصلت الثقفي : شاعر من المتحنفين قبل الإسلام ، قرأ الكتب السابقة وآمن بأن هناك نبيا يبعث في آخر الزمان ، وطمع أن يكون هو ، فلما بعث الله نبيه محمدا ـ ﷺ ـ كفر به .
وكان شعره يدور حول الدين والبعث والنشور . فلما سمعه النبي ﷺ قال : هذا شاعر آمن شعره وكفر وقلبه .
٤٨٣ ـ الأجاجي : المالح المر الذي يلذع الفم بمرارته أو ملوحته .

تعليق

جاء فى تفسير القرطبى : قال ابن عباس - رضى الله عنهما : - إن الله فضل محمدا - ﷺ - على الأنبياء ، وعلى أهل السماء .

فقالوا : بم يا بن عباس فضله على أهل السماء ؟

فقال : إن الله تعالى قال - أى فى حق الملائكة - : ﴿ **ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين** ﴾ - الأنبياء ٢٩ - وقال لمحمد - ﷺ ﴿ **إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما** ﴾ الفتح ١ ، ٢

قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟

قال : قال الله - تعالى - : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾ - ابراهيم ٤ - وقال الله - عز وجل - لمحمد - ﷺ - ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس** ﴾

- سبأ ٢٨ - فأرسله إلى الجن والإنس وفى حق دعوة يونس - عليه السلام التى دعا بها ربه فأجاب . جاء فى قصص الأنبياء لابن كثير :

عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك وهو ابن أبى وقاص يقول : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **اسم الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى** »

قال : فقلت : يا رسول الله ، هى ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين ؟

قال : « **هى ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها** » ألم تسمع قول الله - تعالى - ﴿ **فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين** ﴾

فهو شرط من الله لمن دعا به .

وعن سعد أيضا قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **من دعا بدعاء يونس استجيب له** »

قصص الأنبياء لابن كثير صـ٢٩٣ عن تفسير الطبرى جـ١٧ / صـ٦٥



(الأمانة التى عرضت على السموات والأرض)

الحديث السابع والسبعون بعد المائة

« يَا آدَمُ إنِّى عرَضْتُ الأمَانَةَ عَلى السَّموَات والأرْضِ فَلَمْ تُطقْها فَهلْ أنتَ حاملُها بما فيهَا قالَ : وَمَالى فيها قالَ : إنْ حَمَلتَها أُجِرْتَ وإنْ ضَيَّعتَها عُذبْتَ . فقَالَ : قَدْ حملتُها بمَا فيهَا فَلمْ يَلْبَثْ فى الجنَّة إلاَّ ما بيْنَ صَلاة الأولىَ والعَصْر حتى أخرَجَه الشَّيْطانُ منْهاَ »

رواه أبو الشيخ عن ابن عباس [٤٨٤]

شرح الحديث

ـ آدم وزنه أفعل والألف منه مبدلة من همزة وهى فاء الفعل ، لأنه مشتق من أديم الأرض أى وجهها ، أو من الأدمة أى لونها ، ولا يجوز أن يكون أصله فاعلا بفتح العين إذ لو كان كذلك كان كعالم وخاتم ، والتعريف وحده لا يمنع الصرف وليس بعجمى .

والعرض ـ بفتح العين المهملة وسكون الراء ـ البدو والظهور يقال : عرض الشىء

---

٤٨٤ ـ ذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ١١٩
وجاء في كنز العمال جـ٦ /١٥١٤٢
وقد رمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٣ صـ١٦٦ ، صـ٤٥٦

له أظهره له وعرض المتاع للبيع أظهره لذوي الرغبة ليشتروه . والشيء عليه أراه إياه . والأمانة ضد الخيانة ، والمراد بها هنا كما ذكره الراغب الاصفهانى : كلمة التوحيد ، وقيل : العدالة ، وقيل : حروف التهجى ، وقيل : العقل ، وهو صحيح فإن العقل هو الذى لحصوله يتحصل معرفة التوحيد وتجرى العدالة ، و تعلم حروف التهجى ، بل لحصوله يعلم كل ما فى طوق البشر تعلمه ، وفعل ما فى طوقهم من الجميل فعله ، وبه فضل على كثير ممن خلقه انتهى .

والسموات والأرض معلومة .

وقوله « لم يلبث » لم يمكث وصلاة الأولى الفجر .

والمعنى والله أعلم - أن الله جل وعز يخاطب آدم عليه السلام ويخبره أنه تعالى عزُّه عرض الأمانة الخ .

وآدم عليه السلام كنيته أبو البشر ، ويقال أبو محمد ، خلقه الله عز وجل بيده وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته ، واصطفاه وكرَّم ذريته ، وعلمه جميع الأسماء وجعله أول الأنبياء وعلّمه ما لم يعلم الملائكة المقربين ، وجعل من نسله الأنبياء والمرسلين والأولياء والصديقين قال الله تعالى ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا** ﴾[٤٨٥] الآية وقال تعالي ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾[٤٨٦] الآية . وثبت فى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله تعالى خلق آدم يوم الجمعة** » واشتهر فى كتب الحديث والتواريخ أنه عاش ألف سنة ، وكان النبى ﷺ أشبه الناس بآدم عليه السلام . قال أبو إسحق الزجاج . اختلفت الآيات فيما بدىء به خلق آدم ففى موضع خلقه الله تعالى من تراب . وفى موضع من طين لازب ، وفى موضع من حمأ مسنون وفى موضع من صلصال . قال : وهذه الألفاظ راجعة إلى أصل واحد وهو التراب الذى هو أصل الطين ، فأعلمنا الله عز وجل أنه خلقه من تراب جُعل طينا ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون ، ثم انتقل فصار صلصالا كالفخار .

٤٨٥ ـ آل عمران ٣٢

٤٨٦ ـ البقرة ٣١

وفى عصرنا الحاضر ادعى رجل من دمنهور مصر أن آدم ليس بنبى وأنكر نبوته جهارا ، وقامت القيامة ورفعت عليه دعوى فى المحكمة الشرعية ، وصدر عليه الحكم بالتفريق بينه وبين زوجته لردَّته بذلك الإنكار ، وشنع عليه وطرد من بلده دمنهور . ولما استأنف الحكم إلى محكمة الاسكندرية أنكر ذلك وحاور فى كلامه ، وقال أمام رؤساء المحكمة فى عقد الجلسة إنه لم ير لفظا فى القرآن يذكر آدم بالنبوة وأنه يعتقد ويقر بنبوته فصدر الحكم بإلغاء الحكم الأول وأعيدت إليه زوجته .

وهذا ليس عمل الرجل الذى يعتقد شيئا ولا يدافع عنه ويرجع القهقرى وهذا الرجل له سقطات كثيرة أسأل الله تعالى هدايته .

قال الأستاذ النجار [٤٨٧] : إن القرآن الكريم وإن لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء كإسماعيل وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ، فقد ذكر أنه خاطبه بلا واسطة وشرع له فى ذلك الخطاب ، فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولا ، وهذا هو كل معانى النبوة فمن هذه الناحية نقول إنه نبى وتطمئن أنفسنا بذلك . وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه ، وشأننا أن نفرض علم ذلك إلى الله تعالى على إنى رأيت فى حديث أبى هريرة فى الشفاعة الواردة فى صحيح مسلم أن الناس يذهبون إلى نوح ويقولون له أنت أول رسل الله إلى الأرض ، فلو كان آدم رسولا لما ساغ هذا القول ، والعلماء القائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأن نوحا أول رسول بعد الطوفان وهو تأويل متكلف [٤٨٨] .

---

٤٨٧ هو الأستاذ عبد الوهاب النجار صاحب كتاب قصص الأنبياء من اساتذة كلية دار العلوم ومن علماء العصر الحديث

٤٨٨ ـ جاء في كتابنا : سلسلة القصص القرآني جـ١ صـ٥٧ ، تحت عنوان : رسالة آدم : جاء في الأخبار أن حواء حملت من آدم عشرين بطنا ، وفي كل بطن ذكر وأنثي ، وتناسل أولاده من بعده ، عن طريق أن ذكر كل بطن يتزوج من أنثي البطن الذي قبله ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا قابيل .. فكان ثمرة هذا التزاوج التناسل الذي أصبح أمة في حياة آدم ، وقد طال عمره حتي شهد أحفاد أحفاده ، حيث تفرقوا في أماكن كثيرة وعمروا مناطـــق مختلفة من الأرض ..

وكان لا بد لهؤلاء من رسالة ترشدهم وتوجههم وتنير لهم الطريق ، وتبين لهم الحلال والحرام . وتهديهم إلي عبادة الواحد الأحد ..

وروي ابن سعد في طبقاته عن أبي ذر قال : قلت للنبي ـ ﷺ : أي الأنبياء أول ؟ قال : آدم . قلت : أو نبيا كان ؟ قال : نعم نبي مكلم .

قلت كم المرسلون ؟ قال : ثلثمائة وخمسة عشر . جما غفيرا ـ الطبقات الكبري جـ١ صـ١٦

وعرض الأمانة إبرازها وإظهارها فى معرض المحسوسات ، وليس ببعيد على الله جل ذكره أن يظهر المعانى فى قالب المحسوس ، لتشاهد وترى ، وخلق الله تعالى للسموات والأرض والجبال فهماً وتمييزاً فخيرت فى الحمل فأبت فيكون الكلام حقيقياً ، ويشهد لهذا ما قاله الحافظ ابن الجوزى أن الله عز وجل لما خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح مثلت له الأمانة بصخرة ثم قال للسموات : احملى هذه فأبت وقالت : إلهى لا طاقة لى بها ، قال سبحانه للأرض : احمليها فقالت : لا طاقة لى بها . قال تعالى للجبال : احمليها فقالت : لا طاقة لى بها ، فأقبل آدم عليه السلام فحركها بيد وقال : لو شئت لحملتها فحملها حتى بلغت حقويه ، ثم وضعها على عاتقه ، فلما أهوى ليضعها نودى من جانب العز : يا آدم مكانك ، لا تضعها ، فهذه الأمانة قد بقيت فى عنقك وعنق أولادك إلى يوم القيامة ، ولكم عليها ثواب فى حملها وعقاب فى تركها انتهى .

وهذا ظاهر فى أن الحمل على حقيقته ، أو هو تمثيل نَزَّل المعانى لتحققها منزلة ما يحس ويبصر ، وأسند لها العرض ونَزَّل السموات والأرض منزلة من يعقل وأستد لها الإباء والله أعلم .

والأمانة هى التكاليف وقبول الأوامر والنواهى بشرطها ، وهو أنه إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله ، وروى عن الحسن البصرى رحمه الله أنه تلا هذه الآية ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال** ﴾[489] قال : عرضها على السبع الطباق الطرائق التى زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم ، فقيل لها : هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها إن أحسنت جزيت وأن أسأت عوقبت قالت : لا ، ثم عرضها ، على الأرضين السبع الشداد التى شدت بالأوتاد ، وذللت بالمهاد ، قال : فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها إن أحسنت جزيت ، وإن أسأت عوقبت . قالت لا . ثم عرضها على الجبال

---

٤٨٩ ـ الأحزاب ٧٢

الشم الشوامخ الصعاب الصلاب قال : قيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها ؟ قالت : وما فيها ؟ قال : قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت . قالت : لا . وأمر السموات والأرض بحمل الأمانة أمر تخيير لا أمر تكليف ، لذلك لم يكن الإباء منهن معصية والله أعلم .

وقصة آدم عليه السلام مع ابليس عليه لعنة الله مذكورة فى الكتاب الحكيم وسنن من بالمؤمنين رءوف رحيم . وحاصل قصته أن الله تعالى أخبرنا فى كتابه المكنون فى سورة البقرة ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤) وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٣٥) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٣٦) فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (٣٧) قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٩)** ﴾ .

وذكرت أيضا قصته عليه السلام فى القرآن الكريم فى سورة الأعراف والإسراء والكهف ، وطه ، وصاد ، كلها بمعنى واحد لا يختلف ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط . وذلك مما يدل على إعجاز القرآن الحكيم ، فإن أكتب الكاتبين وأبلغ

البلغاء المشهورين ، وأفصح فرسان المنشئين إذا كتب قصة مرة يستحيل عليه أن يكتبها مرة أخرى ، بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على المتانة فى الأسلوب والبلاغة في التعبير ، كما تراه فى القرآن المنزل على سيد البشر ، محمد رسول الله ﷺ . وقد أراد المولى جل ذكره أن يظهر شرف آدم وفضله على سائر المخلوقات فقدمها عليه فى الخلق ، ولهذا قالت الملائكة ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا ، فلما خلق آدم وأمرهم بالسجود له ظهر فضله وشرفه عليهم بالعلم والمعرفة ، فلما وقع فى الذنب ظنت الملائكة أن ذلك الفضل قد نسخ ولم تطلع على عبودية التوبة الكامنة ، فلما تاب إلى ربه وأتى بتلك العبودية علمت الملائكة أن لله فى خلقه سراً لا يعلمه سواه ، ولما علم السيد أن ذنب عبده لم يكن قصداً لمخالفته . ولا قدحا فى حكمته علمه كيف يعتذر إليه ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾

العبد المخلص لا يريد مخالفة سيده ولا الجرأة على محارمه ولكن غلبات الطبع وتزيين النفس والشيطان وقهر الهوى والثقة بالعفو ، ورجاء المغفرة هذا من جانب العبد ، وأما من جانب الربوبية فجريان الحكم وإظهار عز الربوبية وذل العبودية وكمال الاحتياج ، وظهور آثار الأسماء الحسنى كالعفو والغفور والتواب والحليم ، لمن جاء تائباً نادماً ، والمنتقم والعدل وذى البطش الشديد لمن أصر ولزم المضرة فهو سبحانه يريد أن يرى عبده تفرده بالكمال ونقص العبد وحاجته إليه ويشهده كمال قدرته وعزته وكمال مغفرته وعفوه ورحمته ، وكمال بره وستره وحلمه وتجاوزه وصفحه ، وأن رحمته به إحسان إليه لا معاوضة وأنه إن لم يتغمده برحمته وفضله فهو هالك فكم لله فى تقدير الذنب من حكمة ، وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة ورحمة : التوبة من الذنب كشرب الدواء للعليل ، ورب علة كانت سبب الصحة

لعل عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجساد بالعلل

وقوله « حتى أخرجه الشيطان منها » أى من الجنة بسبب ما وسوس له إبليس حتى أخرجه حسداً وبغضاً نسأل الله السلامة .

تعليق

مما جاء فى مفهوم الأمانة ما ذكره القرطبى فى تفسيره قال :

قيل : هى الفرائض التى ائتمن الله عليها العباد .

قال ابن مسعود : هى فى أمانات الأموال كالوادائع وغيرها .

وروى أنها كل الفرائض ، وأشدها أمانة المال .

وقال أبى بن كعب : من الأمانة أن ائتمنت المرأة على فرجها .

وقال أبو الدرداء : غسل الجنابة أمانة ، وأن الله ـ تعالى ـ لم يأمن ابن آدم على شىء من دينه غيرها .

وفى حديث مرفوع : الأمانة الصلاة . إن شئت قلت قد صليت ، وإن شئت قلت لم أصل . وكذلك الصيام وغسل الجنابة .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه وقال : هذه أمانة استودعتكها فلا تضيعها إلا فى حقها ، فإن حفظتها حفظتك ، فالفرج أمانة ، والأذن أمانة ، والعين أمانة ، واللسان أمانة ، والبطن أمانة ، واليد أمانة ، والرِّجْل أمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة له . .

ومن غريب التفسير فى معنى الأمانة ما جاء من أن المقصود بها ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده وأهله ، وخيانة قابيل أباه فى قتل أخيه .

وقصة ذلك : أن الله ـ تعالى ـ قال لآدم : يا آدم ، هل تعلم أن لى بيتا فى الأرض ؟

قال : اللهم لا .

قال : فإن لى بيتا بمكة فأته .

فقال آدم للسماء : احفظى ولدى بالأمانة فأبت . . وقال للأرض والجبال كذلك فأبت فقال لقابيل : احفظ ولدي بالأمانة . فقال : نعم ، تذهب وترجع فتجد

ولدك كما يسرك . فرجع فوجده قد قتل آخاه . . .

راجع تفسير القرطبى ـ سورة الأحزاب ـ



(لا تستكثر الخطايا على المغفرة)

الحديث الثامن والسبعون بعد المائة

« يَا ابْنَ آدمَ مَهْما عَبدْتَنى وَرَجوْتَنى ولم تُشْركْ بى شَيْئا غَفَرْتُ لكَ عَلى ما كَان فيكَ وإن اسْتَقبلْتنى بملْء السّمَوات والأرْضِ خَطايا وذنُوباً اسْتَقْبلتُك بِمثْلِهنّ مَغْفِرَةً وَأغْفِرُ لكَ ولاَ أُبالِى »

رواه الطبرانى فى الكبير . والبيهقى والشيرازى عن أبى الدرداء (٤٩٠)

شرح الحديث

ـ مهما اسم شرط زمان . والرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة والملء ـ بكسر أوله وسكون ثانيه ـ ما يملأ الشىء وباقى ألفاظ الحديث تقدم الكلام عليها غير مرة . والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الله جل ذكره يخاطب عباده ويخبرهم أن أحدهم مهما عبده فى أى مكان ووقت ورجاه ولم يشرك به شيئا وفعل ما فعل من المعاصى يغفرها له ويسترها عليه بعدم العقاب فى الآخرة .

وإن استقبله بما يسع السموات والأرض من الخطايا والذنوب ـ على فرض إبرازها بصور مجسمة محسوسة ـ

يستقبله الله جل اسمه بمثلهن ـ أى بملء السموات والأرض مغفرة يغفرها له ،

---

٤٩٠ ـ الحديث في كنز العمال ج١ صـ٢٥٢
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٢ صـ١٦٣

ولا يبالى ، ولا يكترث بذنوبه ولا يستكثرها وإن كثرت ، فلا يتعاظمه جل وعلا شيء ولأنه لا حجر عليه تعالى فيما يفعله أو معنى لا أبالى : لا أشغل بالى به . وهذا يدل دلالة واضحة على أنه لا أقبح ذنباً من الشرك وأنه لا يغفر لصاحبه ، وأن أجمل شيء وأعلاه هو التوحيد ، وهو مفزع أعداء الله جل ذكره وأوليائه فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها قال الله تعالى : ﴿ **فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ (٤٩١) وأما أولياؤه رضى الله عنهم وأرضاهم فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرةوشدائدها ، ولذلك فزع إليه يونس بن متى فنجاه الله من تلك الظلمات وقد تقدم الكلام على ذلك قريبا . وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب المشركون فى الدنيا وما أعد لهم فى الآخرة .

ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه ، لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل - هذه سنة الله فى عباده فما رفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد ، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذى النون التى ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد فلا يلقى فى الكرب العظام إلا الشرك ، ولا ينجى منها إلا التوحيد فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها ، وأفاده ابن قيم الجوزية فى كتابه الفوائد . قال العلماء لا يوجد فى الأحاديث أرجى من هذا الحديث .

وقال بعض العلماء لا يجوز لأحد أن يغتر به ويقول : أكثر من الخطيئة ليكثر مغفرتى وإنما قاله لئلا ييأس المذنبون من رحمته ، ولله مغفرة وعقوبة لكن مغفرته أكثر لكن لا يعلم أحد أنه من المغفورين أو من المعاقبين فينبغى التردد بين الخوف والرجاء .

وقال العلامة الطيبى : هذا عام خص بحسب الأحوال والأزمان فإن جانب الخوف ينبغى رجحانه ابتداء والرجاء انتهاء أو مطلق محمول على المقيد بالمشيئة فى ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (٤٩٢) أو بالعمل الصالح مع الإيمان .

٤٩١ - العنكبوت ٦٥

٤٩٢ - النساء ٤٨

والحديث رواه الطبرانى وغيره كما قال المصنف وقال أيضا فى شرح الجامع الصغير : ورمز المصنف لحسنه قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الثلاثة وفيه إبراهيم ابن إسحق الضبى . وقيس بن الربيع وفيهما خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح . وقع هنا فى الحديث « مهما عبدتنى » وسيأتى بعد اللفظ « دعوتنى » والله أعلم .

تعليق

هذا الحديث من الأحاديث التى تدعو إلى الرجاء ، فعلى العبد أن ينتهز هذه الفرصة ، فيتوب من ذنوبه ، ويقبل على ربه ، والله بواسع رحمته يغفر له ويتوب عليه . . ويبدل سيئاته حسنات . .

والآيات التى تصدق هذا الحديث كثيرة منها ما جاء فى أول سورة غافر . حيث يقول الله تعالى . ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾

قال ثابت البنانى : كنت إلى سرادق مصعب بن الزبير فى مكان لا تمر فيه الدواب . قال : فاستفتحت « **حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم** » فمر على رجل على دابة . فلما قلت : « **غافر الذنب** » قال : قل يا غافر الذنب اغفر لى ذنبى فلما قلت : « **قابل التوب** » قال : قل يا قابل تقبل توبتى . فلما قلت . « **شديد العقاب** » قال : قل يا شديد العقاب اعف عنى فلما قلت : « **ذي الطول** » قال : قل يا ذا الطول طل على بخير . فقمت إليه فأُخذ ببصرى ، فالتفت يمينا وشمالا فلم أر شيئا .

وقال أهل الإشارة حول تفسير هذه الآيات : « **غافر الذنب** » فضلا .

و «**قابل التوب** » وعدا « **شديد العقاب** » عدلا ، « **لا إله إلا هو إليه المصير** » فردا . .

ومن الأقاصيص الطريفة فى حسن استجابة الراجين رحمة الله :

روى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام . فقيل له : تتابع فى هذا الشراب .

فقال عمر لكاتبه : اكتب ، من عمر إلى فلان ، سلام عليك ، وأنا أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو « **بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير » ثم ختم الكتاب ، وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا .** ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة .

فلما أتته الصحيفة ، جعل يقرؤها ويقول : قد وعدنى الله أن يغفر لى ، وحذرنى عقابه ، فلم يبرح يرددها حتى بكى ، ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته .

فلما بلغ عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا ، وإذا رأيتم أحدكم زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه .

ـ تفسير القرطبى سورة غافر ـ



(خزائن الله لا تنفد)

الحديث التاسع والسبعون بعد المائة

« يَا ابْنَ آدمَ أنفقْ أُنفقْ عَليك فإنَّ يمينَ اللهِ مَلأى سَحًا لا يَغِيضُها شىءٌ باللَّيلِ ولاَ بالنَّهار »

رواه الدار قطنى عن أبى هريرة (٤٩٣)

٤٩٣ ـ وردت بهذا المعني عدة أحاديث منها ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة جـ٧ صـ٨٠ ولفظه « قال الله ـ عز وجل ـ : « **أنفق يا بن آدم أنفق عليك** »

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ١ صـ٢٥٥

وجاء برواية أخري جـ٦ صـ٩٢ بلفظ أطول وهو :

« قال الله عز وجل : أنفق أنفق عليك ، وقال : يد الله ملأي لا تغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال : أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه علي الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع »

شرح الحديث

ـ تقدم الكلام على هذا الحديث إلا أنه أورده بلفظ « **أنفق أنفق عليك** » مختصراً على هذا اللفظ ، وأسنده إلى الإمام أحمد والشيخين عن أبى هريرة .

وقوله « **يمين الله** » سبق ذكر ما كان فى معناه مما أضيف إلى الله تعالى ويوهم التشبيه وتحقيق ذلك فلا حاجة إلى الإعادة .

وقوله « سحًا » بفتح السين والتنوين وفى رواية « سحاء » بالمد ، قال العلامة مجد الدين أبو السعادات فى النهاية : « **يمين الله سحاء لا يغيضها شىء بالليل والنهار** » أى دائمة الصب والهطل بالعطاء يقال : سح يسح سحاً فهو ساح ، والمؤنثة سحاء وهى فعلاء لا فعل لها كهطلاء وفى رواية « **يمين الله ملأى سحاً** » بالتنوين على المصدر ، ولا يغيضها شىء أى لا ينقصها يقال غاض الماء يغيض وغضته أنا وأغضته غيضة وأغيضه .

والمعنى والله أعلم أن الله جل ذكره أمر عباده أن ينفقوا مما رزقهم الله جل وعز على الفقراء والمساكين ومصالح الناس ومرافقهم ولا يمسكوا أيديهم ويبخلوا خوفا من أن ينفد ما فى أيديهم من المال فإن رازقهم الله سبحانه وتعالى يعطيهم خلفه ، بل أكثر منه أضعافا مضاعفة قال الله تعالى : ﴿ **وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه** ﴾[٤٩٤] ولا ينفد ما عنده من الرزق فيقتر على خلقه ، بل خزائنه ملأى بالخيرات لا تبيد ولا تنقص .

قال العلامة الطيبى : هذا مشاكلة من إنفاق الله لا ينقص من خزائنه شىء وهذا ظاهر ، لأنه إذا أنفق ظهر بصورة الفقر والعبودية والسخاء فاستحق نظر الحق إليه من جهة فقره الذى لابد من جبره ، ومن جهة مقابلة وصفه بوصف ربه وظهور معانى أسمائه ، فكأنه قال لعبده عند إنفاقه : أنت سخى علىّ وأنا خلقت السماء ، وقد امتثل المصطفى ﷺ أمر ربه فكان أكثر الناس إنفاقاً وأكملهم جوداً والله أعلم .

---

٤٩٤ ـ سبأ ٣٩

التعليق

جاء فى صحيح مسلم : قال رسول الله - ﷺ - : « **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا** »

قال أبو نعيم فى حلية الأولياء جـ١٠ صـ٢١٦ : بلغ النبى - ﷺ - عن الزبير بن العوام إمساك ، فأخذ بعمامته فجذبها إليه وقال : « **يا بن العوام ، أنا رسول الله إليك وإلى الخاص والعام ، يقول الله - عز وجل - أنفق أنفق عليك ، ولا ترد فيشتد عليك الطلب ، إن فى هذه السماء بابا مفتوحا ينزل منه رزق كل امرىء بقدر نفقته أو صدقته ونيته ، فمن قلل قُلِّل عليه ومن كثر كثر عليه** »

فكان الزبير بعد ذلك يعطى يمينا وشمالا . .

ويزكى هذا قوله - تعالى - : ﴿ **قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ - سبأ ٣٩ -

وعلق القرطبى على تفسير هذه الآية بما رواه الدار قطنى من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل معروف صدقة ، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة ، وما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة ، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها إلا ما كان من نفقة فى بنيان أو معصية** »

قال القرطبى : أما ما أنفق فى معصية فلا خلاف أنه غير مثاب عليه ولا مخلوف له . وأما البنيان فما كان منه ضروريا يكنُّ الإنسان ويحفظه فذلك مخلوف عليه ومأجور عليه ومأجور ببنياانه كذلك كحفظ بنيته وستر عورته . قال - رسول الله ﷺ « **ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال : بيت يسكنه وثوب يوارى عورته ، وحلف الخبز والماء** »



الحديث الثمانون بعد المائة

« يَا ابْنَ آدمَ أفرِغْ منْ كَنزِكَ عندى وَلا حرَق وَلا غَرَقَ وَلا سَرَقَ أوفيكَهُ أحْوَجَ ما تكونُ إليه »

رواه البيهقى عن الحسن مرسلا [٤٩٥] .

شرح الحديث

- أفرغ من كنزك ابذله وأنفقه ، والكنز فى الأصل - بفتح الكاف وسكون النون - ما ادخر وجمع من مال ودفن فى الأرض ، والمراد به هنا ما ادخر عند الله من ثواب وأجر .

والمعنى - والله أعلم بمراده - أن الله جل ذكره يخبرنا عن لسان نبيه عليه الصلاة والسلام ، ويحثنا على الإنفاق فى سبيل الله ويبين لنا أن الكنز الموجود لأحدنا عند الله تعالى من البر والإخلاص والعمل الصالح مملوء ولا يصل إليه الحرق ولا الغرق ، ولا أحد يقدر أن يمد إليه يدا بسرقة ، وزيادة على ذلك فإن أحدنا إذا أنفق كنزه وبذل جهده فى وجوه الخير والسبل المشروعة فإن الله تعالى يوفيه إياه فى وقت ما يكون العبد أحوج إليه فإذا علم العبد ذلك ازداد إنفاقا ، وتوسع فى قضاء مصالح الناس وأعان الفقير والمسكين وابن السبيل وغيرهم ممن يستحق ذلك ، وفقنا الله وإياك إلى ذلك .

التعليق

يشير هذا الحديث الشريف إلى ما جاء فى قوله - تعالى - « **ما عندكم ينفد وما**

---

٤٩٥ - ذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٤١٨ بلفظ ، إن الله - تعالي - يقول : يا بن آدم أودع من كنزك عندي ، ولا حرق ولا غرق ولا سرق ، أو فك أحوج ما تكون إليه ،
وهو في كنز العمال جـ٦ / ١٦٠٢١ عن الحسن البصري .
وقد رمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ١ صـ٢٦٧
والحديث في الترغيب والترهيب جـ٢ صـ١٩

عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »

النحل ٩٦

لقد بين الله ـ تعالى ـ فى هذه الآية الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة ، فحال الدنيا مصيره إلى الفناء ، وحال الآخرة باق لا يفنى ، فما قدمه الإنسان لآخرته فهو مدخر عند الله فى خزائن لا يطمع فيها سارق أو ناهب ، ولا يتلفها إغراق أو إحراق . . ولقد أحسن من قال :

المال ينفد حله وحرامه يوما وتبقي في غد آثامه
ليس التقي بمتق لإلهه حتي يطيب شرابه وطعامه

وقال آخر :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلي انتقال
وما دنياك إلا مثل فيء أظلك ثم آذن بالزوال

ـ من تفسير القرطبى ـ سورة النحل ـ الآية ٩٦ ـ

ومن الأحاديث التى سبقت بمعناها وكررها المؤلف لالتزامه بالترتيب الأبجدى الحديث الآتى : ـ



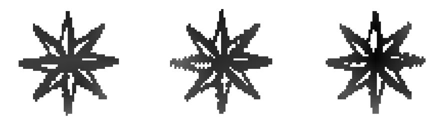
الحديث الحادى والثمانون بعد المائة

« يا بن آدم اثنتان لم يكن لك واحدة منهما ، جعلت لك نصيباً من مالك ، حين أخذت بكظمك لأطهرك به وأزكيك ، وصلاة عبادى عليك بعد انقضاء أجلك »

رواه ابن ماجه عن ابن عمر (٤٩٦)

قال الشارح : تقدم ذكره فراجعه .

قال الفاكهانى : من خصائص هذه الأمة الصلاة على الميت والإيصاء بالثلث



(لا لَوْمَ على الكفاف)

الحديث الثانى الثمانون بعد المائة

« يَا ابْنَ آدمَ إنْ تَبْذُلِ الفَضْلَ فهوَ خيرٌ لكَ وإنْ تُمْسكْهُ فهوَ شرٌّ لكَ وَلا تُلام عَلى الكفَاف وَابْدَأ بمَن تَعولُ واليَدُ العُلْيَا خيرٌ مِنْ اليَدِ السُّفْلى »

رواه البيهقى عن أبى أمامة (٤٩٧)

---

٤٩٦ ـ سبق تخريج هذا الحديث . وقلنا : أخرجه ابن ماجه جـ٢ / ٢٢٧٠
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ١ صـ٢٦٦
وهو مذكوور في الإتحافات السنية للمدني برقم ٦٤

٤٩٧ ـ ذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٨٥
والحديث في كنز العمال جـ٦ / ١٦١٦٤
ورواه أحمد في مسنده جـ١٦ ٨٧٢٨ ، بلفظ ، ان الله ـ عز وجل ـ يقول ـ : يا بن آدم إن تعط الفضل فهو خير لك ، وان تمسكه فهو شر لك وابدأ بمن تعول ولا يلوم الله علي الكفاف ، واليد العليا خير من اليد السفلي ،
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ١ صـ٢٥٩

شرح الحديث

ـ يقال بذل المال بذلا من باب قتل سمح به وأعطاء وبذله أباحه عن طيب نفس .

و ـ إن ـ هنا بكسر الهمزة وجزم تبذل وضبطه النووى فى شرح مسلم بفتح الهمزة والفعل بعدهامنصوب والذى يعين الجزم هنا قوله فى الجواب فهو خير لك .

والفضل ما زاد على قدر الحاجة .

والكفاف ـ بفتح الكاف ـ ما كف عن الحاجة إلى الناس مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة .

وبمن تعول أى بمن تمون وتلزمك نفقته من عيالك ، يقال : عال الرجل عياله يعولهم إذا قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة وغيرهما وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى والله تعالت أسماؤه يخبرنا أن ابن آدم إذا بذل ما فضل عن حاجته ولم يدخره كان خيرا له ، وإن أمسكه وادخره ولم ينفقه فى المصالح الحيوية والمشاريع الشرعية كان شراً له .

ولا تلام على كفاف أى ما كف عن الحاجة أى إذا لم يكن عندك كفاف لم تلم على أن لا تعطى أحداً .

وقدم فى النفقة وابدأ بمن تعوله ويجب عليك نفقته من عيال وأهل وأقارب ، لأنهم أحق من الغير فيجب عليه أن يقدم نفسه بحديث « **فابدأ بنفسك ثم بمن تعول** »

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم : معناه إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه فى آخرته ، وهذا كله شر . ومعنى لا تلام على كفاف : أن

قدر الحاجة لا لوم على صاحبه ، وهذا إذا لم يتوجه فى الكفاف حق شرعى كمن كان له نصاب زكوى ووجبت الزكاة بشروطها وهو محتاج إلى ذلك النصاب لكفافه وجب عليه إخراج الزكاة ، ويحصل كفايته من جهة مباحة . ومعنى ابدأ بمن تعول أن العيال والقرابة أحق من الأجانب ا هـ .

واليد العليا خير من اليد السفلى جاء فى صحيح البخارى ومسلم تفسير اليد العليا بالمنفقة من الإنفاق والسفلى بالسائلة .

وذكره أبو داود عن أكثر الرواة . ورواه عبد الوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر العليا المتعففة بالعين من العفة ، ورجح الخطابى هذه الرواية قال لأن السياق فى ذكر المسألة والتعفف عنها ، والصحيح الرواية الأولى . ويحتمل صحة الروايتين فالمنفقة أعلى من السائلة والمتعففة أعلى من السائلة ، وقال بعض العلماء : العليا الآخذة والسفلى المانعة . والمراد بالعلو علو الفضل والمجد ونيل الثواب . وذكر هذا الحديث فى مسلم على أنه حديث نبوى لا قدسى والله أعلم .

التعليق

يرى بعض أهل المعرفة أن اليد العليا هى يد الفقير الذى يأخذ واليد السفلى هى يد الغنى الذى يعطى ، ولهم فى ذلك فهم عجيب . لأنهم قالوا : إن الفقير وإن أخذ فقد كان سببا فى ثواب المعطى ، والحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء ، وإذَنْ فقد رد الفقير لمن أعطاه أضعاف ما أخذ ، وردَّ عليه ثواباً باقيا فى حين أنه قد أخذ منه عرضاً فانيا . فكانت يده هى العليا .

وللإعطاء والأخذ آداب فصلها العارفون ، كانوا يعطون لله ، ويأخذون من الله . . ولذلك كان كثير من الفقراء ينقبضون عن الأخذ ، لا يأخذون من أى أحد . كان إبراهيم التيمى - رضى الله عنه - يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذ .

يروى عن الأعمش أنه قال : جاء شاب من العرب إلى إبراهيم التيمى بألفى

درهم فقال : يا أبا عمران خذ هذه الدراهم ، والله ما هى من ذى سلطان ولا من كذا ولا من كذا ، فقال إبراهيم : بارك الله لك وجزاك خيرا .

فلما ولّى قلت : يا أبا عمران ، ما منعك أن تأخذها ، والله مالا مرأتك قميص .

فقال صدقت يا سليمان ، ولكن هذا شاب من العرب لم يحنكه السن ، ولم تحنكه الآداب ، فكرهت أن يجلس فى حيه ، فيقول : أعطيت إبراهيم ألفى درهم فيحبط الله أجره ، وتذهب دراهمه - شرح حكم ابن عطاء الله جـ٢ صـ٢٥ -

ومن الأحاديث التى سبقت بمعناها ، وأعادها المؤلف لالتزامه الترتيب الأبجدى الحديثان الآتيان :

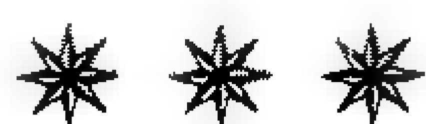


الحديث الثالث والثمانون بعد المائة

« يا بن آدم ، إنكَ ما دعَوتَنى ورَجَوتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالى ، يا بَن آدم لو أنك أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »

رواه الترمذى والقضاعى عن أنس والطبرانى عن ابن عباس وابن النجار عن أبى هريرة (٤٩٨)

وقال الشارح : تقدم ذكره غير مرة ، وسيذكره المصنف أيضا بعد ، مع اختلاف فى بعض الألفاظ .



---

٤٩٨ - أخرجه الترمذي جـ٥ / ٣٥٤٠
وذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ٢ صـ٧٩٩
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن جـ٢ صـ١٥٩
وهو في إتحافات المدني برقم ١٠٥

الحديث الرابع والثمانون بعد المائة

« يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفـرت لك ما كان فيك ، ولو أتيتنى بملء الأرض خطايا أتيتُك بملء الأرض مغفرةً ما لم تشرك بى ، ولو بلغت خطاياك عنان السماء ثم استغفرتنى لغفرت لك»

رواه الطبرانى فى الثلاثة عن ابن عباس [(٤٩٩)]

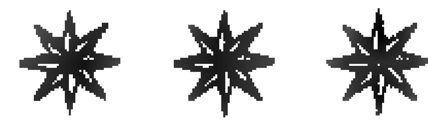
وقال الشارح : سبق ذكره غير مرة .

والعَنان ـ بفتح أوله ـ السحاب ـ واحده عنانة .

التعليق

سبق أن ذكرنا أن رحمة الله واسعة ، وأن رحمته قريب من المحسنين ، ولعل العاقل يغتنم هذه الفرصة فيسارع إلى رحمة ربه ، ويبادر بالاعتراف بذنبه والاستغفار منه قبل فوات الأوان ، وسيجد أن له ربا غفورا رحيما لا يضنُّ عليه بالعفو ، ولا يغلق فى وجهه باب القبول . وما أصدق البوصيرى فى قوله :

وقد أتينا ذنوباً لاعداد لها   لكن عفوك لا يبقي ولا يذر
فامنن علينا بعفو ثم مغفرة   فإن جودك بحر ليس ينحصر



٤٩٩ ـ هو الطبراني في الصغير جـ٢ صـ٢٠
ورمز له جامع الأحاديث القدسية حسن لغيره جـ٢ صـ١٦١

الحديث الخامس والثمانون بعد المائة

« يَا ابْنَ ادمَ إنْ ذَكَرتَنى ذَكرتُكَ وَإنْ نَسيتَنى ذَكرتُكَ فإذَا أطَعْتَنى فَاذهَب حَيثُ شئت مُخلّى تُوالينى وأُوَاليك وتُصَافينى وأُصافيكَ وتُعرضُ عَنّى وَأنَا مُقبلٌ عَليْكَ مَنْ أوْصَلَ إليكَ الغَذاءَ وَأنتَ جَنينُ فى بَطن أُمِّكَ لم أزَلْ أُدبِّرُ فيكَ تَدبيراً حَتَّى أنْفَذْتُ إرَادَتى فيكَ فَلمّا أخْرَجْتُكَ إلى دَارِ الدُّنْيا أكْثَرْتَ المَعاصِى ما هكذَا جَزَاءُ مَنْ أحْسَنَ إليكَ »

رواه أبو نصر ربيعة بن على العجلى . والرافعى عن ابن عباس (٥٠٠)

شرح الحديث

ـ المولاة القرب والعناية والتناصر وهى من قبيل المشاكلة .

والمصافاة الإخلاص فى الود .

والجنين الولد ما دام فى البطن وجمعه أجنة .

وأنفذت إرادتى أمضيتها وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى أن الله تعالت أسماؤه وتنزهت صفاته يخبرنا أنه جل ذكره يذكر عبده وأَمَتَه فى كل حال ، سواء ذكره عبده وأَمَتُه أو نسياه ، وذكر العبد خالقه بأن يعكف على المأمورات ويتباعد عن المنهيات ، ونسيانه بأن يلهو ويلعب وينهمك فى ما لا ثواب فيه ولا أجر ، وهذا من كرم الله تعالى الذى أسدله على عبده بأن لا ينساه لا

---

٥٠٠ ـ الحديث في كنز العمال جـ١٥ / ٤٣٦٠٩

وذكره المدني في إتحافاته برقم ١٠٩

وقد رمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف قال : لا أعلم إسناده ولكن علامات النكارة بادية على متنة . جـ٢ صـ٣٨

فى الطاعة ولا فى حال المعصية ، فواجب على العبد أن لا يغفل عن الله تعالى أو ينساه ، فالمعصية والغفلة عن ذكر الله تعالى تتولد منها أشياء كثيرة مضرة للعبد حالا ومآلا ، كما يتولد الزرع عن الماء والإحراق عن النار . منها قلة التوفيق وفساد القلب والرأس وخفاء الحق ، وخمول الذكر ، وإضاعة الوقت ونفرة الخلق والوحشة بين العبد وبين ربه ومنع إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ومحق البركة فى الرزق والعمر ، وحرمان العلم ، ولباس الذل ، وإهانة العدو ، وضيق الصدر والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ، وطول الهم والغم ، وضنك المعيشة وكسف البال . وأضداد هذه تتولد عن الطاعة فأسأل الله العظيم أن يوفقنا لطاعته ويجنبنا معصيته إنه سميع الدعاء .

فإذا أطاع العبد ربه فليذهب حيث شاء مخلى يوالى العبد ربه ويتصل به ويناصره ويصافيه ويخلص له العمل كما أن الله جل ذكره كذلك ، وانظر كيف يخبرنا الله تعالى أنه يقبل على عبده ولو فى حال إعراض العبد عنه وهى حال نسيان الله تعالى وانهماكه فى المحظورات . ثم يعدد الله جل ذكره نعمه على عبده وهو جنين فى بطن أمه وهى حال عجز العبد عن القدرة والاكتساب ، وعدم دفع الأذى عنه منها أنه لا يزال الله تعالى يدبر فيه تدبيرا من منى إلى نطفة إلى مضغة إلى علقة مخلقة وتقدير عمر وتسجيل حياة هل هو سعيد أم شقى ، حتى إذا ما تكاملت أيامه ونضج برز إلى عالم الوجود فى أحسن تقويم وأبهى صورة ، فكان جزاء من فعل ذلك الشكر الدائم والطاعة المستمرة إلا أن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ، فعند ما يقوى وتدب فيه الحواس وتركب فيه الشهوة يميل إلى المخالفات ويؤثر حب النفس وميل الهوى ووساوس الشيطان ويطيعها وينسى الله تعالى . ما هكذا جزاء من أحسن إليك ؟ فنسأل الله الهداية واللطف .

التعليق

من مناجاة الإمام أبى الحسن الشاذلى : « يا من هو هو . إن لم نكن لرحمتك أهلاً أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا . يا رباه ، يا مولاه ، يا مغيث من عصاه أغثنا

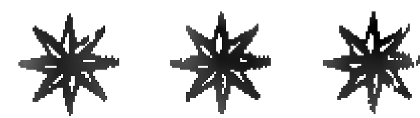
يا رب يا كريم ، وارحمنا يا بر يا رحيم ، يا من وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما إن الله لا يبخل بالإجابة على من يناديه ولو كان عاصيا . .

وقد عبر الشاذلى عن ذلك بعبارة أخرى فقال هأنذا عبدك إن تعذبنى بجميع ما علمت من عذابك فأنا حقيق به ، وإن ترحمنى كما رحمتهم مع عظيم إجرامى فأنت أولى بذلك وأحق من أكرم به . .

فليس كرمك بمن أطاعك وأقبل عليك ، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك . . »

ما أوسع رحمة الله ، وما أشد إقباله على عباده ، وما أرأفه بهم ! ! فأولى بالعبد أن يقبل على ساحة مولاه ، يطلب رضاه ، ويتزلف إليه لعله يشمله بعفوه ، ويرمقه بعين الرحمة ، ويسبغ عليه رداء فضله ، والله لا يخيب رجاء من استرجاه ، ولا يغلق الباب فى وجه من طلب قراه . . .

ومن الأحاديث التى مرت معانيها الأحاديث الآتية التى ذكرها المؤلف ضمن التزامه بالترتيب الأبجدى :



الحديث السادس والثمانون بعد المائة

« يا بن آدم قم إلى أَمْشِ إليك ، وامش إلى أُهرْوِلْ إليك »

رواه أحمد عن رجل من الصحابة [٥٠١]

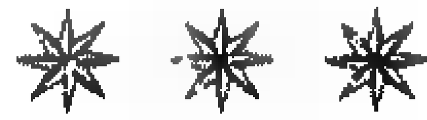


٥٠١ ـ هذا الحديث تقدم بلفظ : « إذا تقرب إلي العبد شِبْراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتي إلي مشيا أتيته هرولة »
وقد سبق تخريجه ..

الحديث السابع والثمانون بعد المائة

« يا بنَ آدم ، إنْ ذكرتني في نفسك ذكرتُك في نفسي ، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتُك في ملأ خَيْرٍ منهم ، وإن دنوتَ مني شبْراً دنوتُ منك ذِراعاً ، وإن دنوتَ مني ذِراعاً دنوتُ منك باعاً ، وإن أتيتني تمشي أتيتُك هَرْوَلَةً »

رواه أحمد وعبد بن حميد عن أنس



الحديث الثامن والثمانون بعد المائة

« يا بن آدم ، ثلاثُ خصال ، واحدةٌ منهن لي ، وواحدةٌ لك وواحدةٌ فيما بيني وبينك ، فأمَّا التي لي فتعبدني لا تشركُ بي شيئا ، وأما التي لك ، فما عملتَ من خيرٍ جزيتُك به ، فإنْ أغفر فأنا الغفور الرحيم ، وأمَّا التي بيني وبينك فعليك الدعاءُ والمسألة وعليَّ الاستجابة والعطاء »

رواه الطبراني في الكبير عن سلمان[٥٠٢]

---

٥٠٢ ـ هذا الحديث تقدم بلفظ « أربع خصال : واحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادي ، وواحدة لك .. »

أما هذا الحديث فقد ورد في كتاب الزهد لأحمد صـ٤٧

ولفظه « لما خلق الله ـ عز وجل آدم عليه السلام ـ قال : واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك ، فأما التي لي تعبدني ولا تشرك بي شيئا ، وأما التي لك فما عملت من شيء جزيتك به ، وأنا أغفر وأنا غفور رحيم ، وأما التي بيني وبينك : منك المسألة والدعاء وعلي الإجابة والعطاء »

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ٢ صـ٨٦

وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ١١١

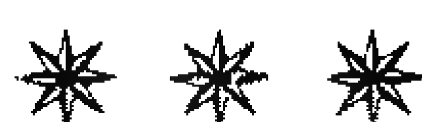
وقد علق الشارح بقوله : ـ الحديث الأول والثانى تقدم ذكر مثلهما بألفاظ قريبة من هذه . فارجع إليه .

والحديث الثالث تقدم أيضا ذكره مع زيادة خصلة رابعة ، وهى بين العبد وغيره ويرضى للحق ما يرضاه لنفسه .

وقد ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ورمز لحسنه .

قال المناوى فى شرحه هناك : قال الهيثمى : وفيه حميد بن الربيع ، مدلس وفيه ضعف .

ومن أحاديث الحث على الصبر ، وبخاصة فيما يتعلق بفقد العينين ذكر المؤلف الحديث الآتى : ـ



الحديث التاسع والثمانون بعد المائة

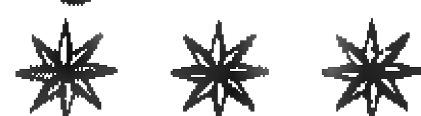
« يا بن آدم ، اذا أخذت كريمتيك فصبرتَ واحتسبتَ عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثواباً دون الجنة »

رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة (٥٠٣)

وقد علق الشارح على هذا الحديث بقوله : الصدم : ضرب الشيء الصلب بمثله والصدمة : المرة منه ـ والصدمة الأولى عند قوة المصيبة وشدتها .

والحديث تكرر ذكره غير مرة بألفاظ مختلفة . .

نقول : ومثل هذا الحديث : الحديث التالى .



---

٥٠٣ ـ الحديث في مسند أحمد جـ٥ صـ٢٥٨
وذكره المدني في إتحافاته برقم ١٣٢
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ٣ صـ٧١

(النظر يساوى الجنة)

الحديث التسعون بعد المائة

« يا جبريلُ ، ما ثوابُ عبدى إذا أخذت كريمتيه إلا النظرُ إلى وجهى والجوارُ فى دارى »

رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى ظلال القسملى [(٥٠٤)]

شرح الحديث

ـ جبريل هو الملك أمين الوحى إلى رسل الله عليهم الصلاة والسلام وفيه تسع لغات حكاهن ـ كما قال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات ـ ابن الأنبارى وابن الجوالقى . جبريل و جبريل بكسر الجيم وفتحها وجبرئل بفتح الجيم وهمزة مكسورة وتشديد اللام وجبرائيل بعدها وجبراييل بياءين بعد الألف وجبرئيل بهمزة بعد الراء وياء وجبرئل بكسر الهمزة وتخفيف اللام مع فتح الجيم والراء وجبرين وجبرين بفتح الجيم وكسرها ، ويقال لجبريل الناموس ـ بالنون كما ثبت فى الصحيحين فى حديث المبعث .

قال أهل اللغة : الناموس صاحب سر الرجل الذى يطلعه على باطن أمره وقيل : الناموس صاحب خبر الخير ، والجاسوس صاحب خبر الشر ، وقد تظاهرت الدلائل على عظم مرتبة جبريل عليه السلام وورد أكثر من آية أو حديث فى فضله وكمال منزلته وكان يأتى النبى عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية الكلبى [(٥٠٥)] ورأته الصحابة حين جاء فى صورة رجل شديد بياض الثياب سواد

---

٥٠٤ ـ الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي جـ٢ صـ٣٠٩
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٢ صـ٦٥
وقال : بل هو منكر أيضا ...

٥٠٥ ـ هو الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي ، شهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد وبعثه رسول الله ـ ﷺ ـ إلي قيصر الروم رسولا سنة ست في الهدنة ، وكان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورته أحيانا
روي عنه الشعبي وعبد الله بن شداد وغيرهما ..

ـ أسد الغابة جـ٢ صـ١٥٨

الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد ، فسأل النبى ﷺ وهم يرونه ويسمعونه عن الإيمان والإسلام والساعة وأمارتها ثم خرج فطلبوه فى الحال فلم يجدوه ، فقال النبى ﷺ : هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم والحديث فى الصحيحين .

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال يوم بدر : « **هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب** » وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة . وظلال هو بكسر المعجمة وتخفيف اللام والقسملى بفتح القاف وسكون المهملة بصرى ضعيف واسمه هلال بن أبى هلال مشهور بكنيته .

وهذا الثواب مقيد فيما إذا صبر العبد واسترجع وحمد الله جل ذكره .

وهذا الحديث وما تقدمه من مثله يدل على أن من كان أعمى فى هذه الدنيا وصبر وجاهد فإنه يبعث يوم القيامة بصيراً ، وهذا لا ينافى ما ورد فى القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ **ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى** ﴾ (٥٠٦) فإنه محمول على عمى البصيرة وكذلك لا يعارض خبر « **من مات على شىء بعثه الله عليه** » فالمراد من الأعمال الصالحة والأحوال الطالحة .

التعليق

الآية التى استشهد بها الشارح تشير إلى وجوب التأويل بالنسبة للتشابه من القرآن . فلو كان العمى على ظاهره إذن لبعث كل أعمى فى الدنيا أعمى يوم القيامة ، فلابد إذن من تأويل العمى إلى الضلال وعدم الهداية . . قال الحسن : من كان فى هذه الدنيا كافرا ضالا فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، وقيل : من كان فى الدنيا أعمى عن حجج الله بعثه الله يوم القيامة أعمى . وقيل : من عمى عن النعم التى أنعم الله عليه بها فى الدنيا فهو عن نعم الآخرة أعمى . . قال عكرمة : جاء نفر من أهل اليمن إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فسألوه عن هذه الآية فقال : اقرءوا

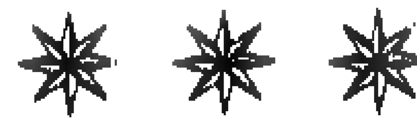
---

٥٠٦ ـ الإسراء ٧٢

ما قبلها « **ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما ـ إلى قوله تعالى : وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » (ـ الإسراء ٦٦ ـ ٧٠) أى من كان عن هذه النعم والآيات التى رأى أعمى فهو عن الآخرة التى لم يعاين أعمى وأضل سبيلا . .

اللهم اجعلنا ممن أبصر نعمك فشكر ولا تجعلنا ممن جحد فكفر

ومن الأحاديث التى سبقت بمعناها وأعادها المؤلف لالتزامه بالترتيب الأبجدى الحديث الآتى



الحديث الحادى والتسعون بعد المائة

« يا بن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره »

رواه أحمد ومسلم عن أبى الدرداء (٥٠٧)

قال الشارح : تقدم ذكر مثله بألفاظ قريبة من هذه فارجع إليه .



---

٥٠٧ ـ رواه أحمد في مسنده جـ٦ صـ٤٥١ بلفظ « إن الله يقول : ابن آدم لا تعجز من أربع ركعات أول النهار أكفك آخره »

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ١ صـ٦٠٢

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ١ صـ٢١٩

الحديث الثانى و التسعون بعد المائة

« يَا ابْنَ آدمَ إِذَا ذكَرْتَنِى شكرْتَنِى وإِذَا نَسيتنِي كفَرْتنى »

رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة . وابن شاهين . والخطيب والديلمى . وابن عساكر[(٥٠٨)]

شرح الحديث

ـ الشكر تصور النعمة وإظهارها قيل : وهو مقلوب عن الكشر أى الكشف ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها .

والشكر على ثلاثة أضرب : شكر القلب وهو تصور النعمة ، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم ، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه .

والكفر نوعان : كفر عناد وإنكار كأن يعرف الحق وينكره ويعاند فى قبوله كأصحاب الكتب المنزلة على غير نبينا ﷺ ، فإنهم يعرفونه حقيقة وينكرونه عناداً ، وكفر جحود بأن يقر ويعترف ولا ينقاد لبعض الأحكام الفرعية غير المجمع عليها ، أو لا يعمل بعلمه ، كمن ينسى نعم الله جل ذكره ولا يشكره عليها ، ويذكره بأن يقوم بتأدية الحقوق المطلوبة .

والذكر تقدم الكلام عليه وفضله غير مرة .

والمعنى أن ابن آدم إذا ذكر الله جل وعز فهو يشكره وإذا نسى ذكر الله تعالى فهو يكفره لأنه كفر أنعام الله تعالى عليه وأفضاله ، قيل : مكتوب فى التوراة عبدى اذكرنى إذا غضبتَ أذكرك إذا غضبتُ ، فإذا ظلمت فاصبر فإن نصرتى لك خير من

---

٥٠٨ ـ ذكره المدني في إتحافاته برقم ٩ بلفظ « قال الله تعالي : يا بن آدم ، إنك ما ذكرتني شكرتني وما نسيتني كفرتني »

وهو في كنز العمال جـ١ / ١٩١٥

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف

نصرتك لنفسك ، وحرك يدك أفتح لك باب الرزق ، قال المؤلف فى فيض القدر : قال الهيثمى فيه أبو بكر الهمذانى وهو ضعيف اهـ .

وأورده ابن الجوزى فى الواهيات وقال : لا يصح .

التعليق

كان النبى - ﷺ - سيد الشاكرين ، فهو القدوة العليا لأمته فى كل شىء جاء فى الرسالة القدسية مسندا إلى يحيى بن يعلى عن أبى خباب عن عطاء قال : « دخلت على عائشة - رضى الله عنها - مع عبيد بن عمير ، فقلت : أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله - ﷺ - فبكت ، وقالت : وأى شأنه لم يكن عجبا ؟ إنه أتانى فى ليلة فدخل معى فى فراشى - أو قالت فى لحافى - حتى مسَّ جلدى جلده ، ثم قال : يا بنت أبى بكر ذرينى أتعبد لربى . قال : قلت إنى أحب قربك ، فأذنت له ، فقام إلى قربة من ماء فتوضأ ، وأكثر صبَّ الماء . ثم قام يصلى فبكى ، حتى سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة ، فقلت : يا رسول الله ، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟

فقال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ ولم لا أفعل وقد أنزل الله على : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . . .** ﴾

ومن القصص العجيبة فى الشكر : مر بعض الأنبياء - عليهم السلام - بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه ، فأنطقه الله - تعالى - فقال : مذ سمعت الله - تعالى - يقول « نارا وقودها الناس والحجارة ، فأنا أبكى من خوفه . فدعا ذلك النبى أن يجير الله ذلك الحجر فأوحى الله - تعالى - إليه أنى أجرته من النار . فمر ذلك النبى ، فلما عاد وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك فعجب ، فأنطق الله ذلك الحجر معه . فقال له : لم تبكى وقد غفر الله تعالى لك ؟ فقال : ذلك كان بكاء الحزن والخوف ، وهذا بكاء الشكر والسرور . الرسالة القشيرية صـ٨٩

وإذا كان الحجر الجامد قد استشعر الخوف فبكى ، واستشعر النعمة فشكر أفلا يليق بالإنسان الحى أن يفعل ذلك فيخشى الله ويحذره ، ويحمد نعمته ويشكره .

ولكن صدق الله ـ تعالى إذ يقول : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ ـ البقرة ٧٤ ـ

ومن الأحاديث التى سبقت بمعناها وأعادها المؤلف لالتزامه بالترتيب الأبجدى الحديثان الآتيان : ـ



(الغنى غنى النفس)

الحديث الثالث والتسعون بعد المائة

« يا بنَ آدمَ تفرغْ لعبادتى أملأْ قلبَك غنىً ، وأملأْ يديك رزقاً ، يا بنَ آدمَ لا تباعدْ منى فأملأْ قلبَك فقراً وأملأْ يديك شُغْلاً »

ـ رواه الحاكم عن معقل بن يسار ـ [٥٠٩]



٥٠٩ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٤ صـ٣٢٦ ورمز له بالصحة أما جامع الأحاديث القدسية جـ٣ صـ٣٩٩ فقد رمز له بالضعف

الحديث الرابع والتسعون بعد المائة

« يا بنَ آدمَ تفرغْ لعبادتى أملأْ صدرَكَ غنىً وأسُدَّ فقرك وإلاَّ تفعلْ ملأتُ يديك شُغْلاً ولم أسدَّ فقرك »

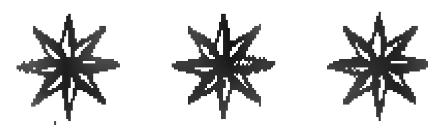
رواه أحمد والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم عن أبى هريرة (٥١٠)

قال الشارح : تقدم الكلام على مثلهما فارجع إليه . وقال الترمذى فى الحديث الثانى : حسن غريب .

التعليق

قد يظن ظانٌّ أن الغنى والرزق اللذين يفيضهما الله على المتفرغين للعبادة هما كثرة المال . كلا ، إن الغنى المشار إليه هو الطمأنينة التى يحس بها العابد ، والسعادة التى تملأ قلبه فيستوى فى نظره حينئذ الوُجد والعدم ، ويصبح القليل عنده كثيرا ، لقد ألبسه الله كساء القناعة ، والقناعة كنز لا يفنى . وإذا جاءت الدنيا إليه أصبحت فى يديه فقط أما قلبه فهو فارغ منها . ولذلك يسخو بها وينفق من غير حساب .

أما اللاهى عن الله فإنه يزداد فقرا على كثرة ما يكون لديه من مال ، ذلك أنه ألبسه الله لباس الجشع فلا يشبع من شىء ، ويشتد نهمه فى الدنيا فلا يفرغ من طلبها تصديقا للأثر « **خذ من الدنيا ويقدره هم** » **وهؤلاء ينطبق عليهم الحديث « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثا ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب** »



---

٥١٠ ـ أخرجه أحمد في مسنده جـ١٦ / ٨٦٨١
ورمز له جامع الأحاديث القدسية جـ٣ صـ٣٩٧ بأنه صحيح لغيره

الحديث الخامس والتسعون بعد المائة

« يَا جبْريلُ إنِّى خَلقتُ ألفَ ألف أمّة لا تَعلمُ أمّةَ أنّى خَلقْتُ سواها لَمْ أطْلعْ عَلَيها اللَّوْحَ المَحْفوظَ وَلا صَريرَ القَلم ، إنَّما أمْري لِشْيءٍ إذَا أردْتُ أنْ أقُولَ لهُ كُنْ فَيكُونَ وَلا يَسْبِقُ الكافُ النُّونَ »

رواه الديلمى عن ابن عمر (٥١١)

شرح الحديث

ـ الأمة ـ بضم الأول وتشديد الميم المفتوحة ـ يطلق على معان كثيرة تطلق على جماعة يجمعهم أمر ما ، إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختياراً ، وجمعها أمم .

وعلى النوع ومنه قوله تعالى ﴿ **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم** ﴾ (٥١٢) أى كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع ، فهى من بين ناسجة كالعنكبوت وبانية كالسرفة (٥١٣) ، ومدخرة كالنمل ، ومعتمدة على قوت وقته كالعصفور والحمام إلى غير ذلك من الطبائع التى تخصص بها كل نوع .

وعلى الصنف ومنه قوله تعالى : ﴿ **كان الناس أمة واحدة** ﴾ (٥١٤) أى صنفا

---

٥١١ ـ الحديث في كنز العمال جـ١٠ ص٢٩٨٤٤
وفي مسند الفردوس للديلمي جـ٣ ٤٥٢١
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ١ صـ١٦١

٥١٢ الأنعام ٣٨

١٥٣ جاء في حياة الحيوان : السُّرْفة ـ بضم السين واسكان الراء وبالفاء ، وهي الأرضة . دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا ،مربعا من دقاق العيدان ، تضم بعضها إلي بعضها بلعابها علي مثال الناموس ، ثم تدخل فيه وتموت ويقال في الأمثال : أصنع من سرْفة . حياة الحيوان جـ٢ صـ٣٤

٥١٤ ـ البقرة ٢١٣

واحداً وعلى طريقة واحدة فى الضلال والكفر وعلى الدين ومنه قوله تعالى ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة** ﴾ (٥١٥) أى على دين مجتمع .

وعلى حين ومنه قوله تعالى : ﴿ **وادكر بعد أمة** ﴾ (٥١٦) أى حين ، وجمعه أمم وآم على وزن عام .

والمراد بالأمة هنا الطائفة متخالفة النوع والجنس ، وروى الحكيم الترمذى وأبو الشيخ فى العظمة والبيهقى فى الشعب وضعفه « **إن الله تعالى خلق ألف أمة : ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر ، فأول هذه الأمم هلاكا الجراد فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل نظام السلك إذا انقطع** » واللوح - بفتح اللام وسكون الواو - واحد ألواح السفينة وما يكتب فيه من الخشب وغيره ، واللوح المحفوظ المشهور هو ما روى عنه ابن عباس - والعهدة على الراوى كما قال العلامة الألوسى فى تفسيره روح المعانى المطبوع تحت إشرافنا - لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ، ياقوتة حمراء وقلبه نور وهو معقود بالعرش وأصله فى حجْر ملك يقال له : ساطريون لله عز وجل فيه فى كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وأنه كتب فى صدره لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة .

وقال مقاتل : إن اللوح المحفوظ عن يمين العرش وجاء فيه أخبار غير ذلك ونحن نؤمن به ولا يلزمنا البحث عن ماهيته ، وكيفية كتابته ونحو ذلك ، نعم نقول : إن ما يزعمه بعض الناس من أنه جوهر مجرد ليس فى حَيِّز وأنه كالمرآة للصور العليا مخالف لظواهر الشريعة وليس له مستند من كتاب ولا سنة أصلا اهـ بحروفه .

وقال العلامة الراغب وقوله : ﴿ **فى لوح محفوظ** ﴾ (٥١٧) فكيفيته تخفى علينا

---

٥١٥ الزخرف ٢٢ ، ٢٣

٥١٦ ـ يوسف ٤٥

٥١٧ ـ البروج ٢٢

إلا بقدر ما روى لنا من الأخبار ، والصرير : الصوت يقال صر القلم والباب يصرصريرا صوت .

والكاف والنون حرفان من قولك « كن »

والمعنى أن الله جل ذكره يخاطب جبريل ويخبره عن عظمته جل جلاله وقدرته وكثرة خلقه ومخلوقاته وتنوعها ، وأن كل نوع وجنس منها لا يعلم بخلق الآخر ولا صفاته وأشكاله ، لأنه ملك شاسع وعد د لا يعرف حصره لا أوله ولا آخره إلا القاد ر العظيم والمبدع الحكيم ، الذى حارت أولو النهى ببديع صنعه وإتقان خلقه وإعظام بدعه وأحكامه ، وأنه لم يطلع على إيجاده الأمَ وخلقها اللوحَ المحفوظ الذى يكتب فيه كل شيء ولا صرير القلم الذى هو ألصق شيء باللوح المحفوظ لأنه المنفرد بالخلق والإيجاد على الإطلاق وسرعة تكوينه الشيء ، بلا تفكير ومراجعة ومشاورة ومخابرة ، بل إذا أراد كان وإذا لم يرد لم يكن ، وضرب مثلا لسرعة إيجاده وخلقه « بكن » بدون سبق أحد الحرفين الآخر ، وهذه نهاية السرعة التى لا توجد لغيره أيا كان جل ذكره وتعالت عظمته .

فعلى العقلاء أن يخضعوا لعظمة الرب تعالى وينقادوا لشريعته المحمدية ، ويتحلوا بالصفات الدينية ويتركوا التعصبات المزرية والانتقادات الوهمية والمشاغبات اللفظية ، ويسمعوا قوله تعالى ويستجيبوا له ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ (٥١٨) اللهم اهد خلقك له وذلل لهم الصعاب .

التعليق

هل اللوح المحفوظ هو أم الكتاب ؟

قال الفخر الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب : المراد بأم الكتاب أصل الكتاب ، والمقصود به ما يكون أصلا لجميع الكتب ، وفيه قولان :

أحدهما أن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ ، وجميع حوادث العالم العلوى

---

٥١٨ ـ آل عمران ١٩

والسفلى مثبت فيه ، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : « **كان الله ولا شيء معه ، ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق إلى قيام الساعة** »

قال المتكلمون : والحكمة فيه أن يظهر للملائكة كونه عالما بجميع المعلومات على سبيل التفضيل . وعلى هذا التقدير فعند الله كتابان : الكتاب الأول هو الذى يكتبه الملائكة على الخلق ، وهو محل المحو والإثبات . والكتاب الثانى هو اللوح المحفوظ ، وهو الذى يشتمل على تعين جميع الأحوال العلوية والسفلية وهو الباقى . . روى أبو الدرداء أن الله ـ سبحانه وتعالى فى ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء »

والقول الثانى أن أم الكتاب هو علم الله تعالى ، وأنه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات وإن تغيرت ، إلا أن علم الله تعالى باق منزه عن التغير .

راجع كتابنا : الدر النظيم فيما ورد من أخبار حول آى الذكر الحكيم جـ١ صـ٣٢

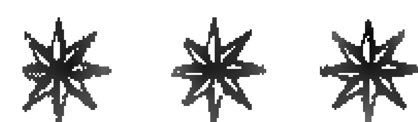


(حفظ الله أولياءه من الدنيا وجعلها فى خدمتهم)

الحديث السادس والتسعون بعد المائة

« يَا دُنْيا اخْدِمِي مَنْ خدمني وَاسْتَخْدِمِي مَنْ خَدَمَكِ »

رواه القضاعى عن ابن مسعود (٥١٩)



٥١٩ ـ أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ـ الفوائد المجموعة صـ٢٣٨ / ٦٤
قال صاحب جامع الأحاديث القدسية عنه إنه موضوع جـ١ صـ٤٨٨
والحديث ذكره المدني في الاتحافات السنية برقم ٢٥٧
ولفظه : **« أوحي الله إلي الدنيا أن اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك »**

الحديث السابع والتسعون بعد المائة

« يا دُنْيَا مُرِّى علَى أوْلِيائِي لاَ تَحْلو لِى لَهُمْ فَتَفْتنِيهِمْ »

رواه القضاعي عنه (٥٢٠)

شرح الحديثين

- الدنيا بالضم فى اللغة عبارة عن هذا العالم من دنا يدنو قرب ، وسميت هذه الحياة بذلك لقربها وبعد الآخرة منها ، والسماء الدنيا لقربها من ساكنى الأرض ، ، وفسرها بعض العلماء بأنها ما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الأرض .

وقوله « اخدمى » أمر من الخدمة يقال خدمه يخدمه بالكسر ويخدمه بالضم خدمة بكسر أوله ، وخدمة بفتح أوله مهنة وعمل له ، فهو خادم يطلق على الذكر والأنثى والخادمة بالهاء فى المؤنث قليل ، والجمع خدم خدام ، واستخدمه اتخذه خادما وجعله يخدمه .

وقوله فى الحديث الثانى « مرى » أمر من المرارة ضد الحلاوة يقال : مر الشىء يمر ويمر مرارة من باب نصر وعلم صار مراً .

وقوله : « لا تحلو لى » من الحلاوة يقال حلا الشىء يحلو حلاوة فهو حلو ، والأنثى حلوة حلا لى الشىء إذا لذ .

وقوله « فتفتنيهم » من الفتنة وهى الامتحان والاختبار وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والضلال والإحراق والإزالة والصرف عن الشىء وجمعها فتن .

---

٥٢٠ ـ أخرجه الطبراني عن قتادة بن النعمان ، وذكره الألباني في الأحاديث الضعيفة والموضوعة ولفظه : « أنزل الله إليّ جبريل في أحسن ما كان يأتي صورة فقال : إن الله يقرئك السلام يا محمد ، ويقول لك : إني أوحيت إلي الدنيا أن تمرري وتكدري وتضيقي وتشددي علي أوليائي كي يحبوا لقائي ، وتسهلي وتوسعي وتطيبي لأعدائي حتي يكرهوا لقائي ، فإني خلقتها سجنا لأوليائي وجنة لأعدائي »

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا جـ١ صـ٤٨٩

والحديث ذكره المدني في الاتحافات السنية برقم ٣٣٨

وهى من الأفعال التى تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة ومتى كان من الانسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك ، ولهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة فى كل مكان .

والمعنى أن الله جل جلاله يخاطب الدنيا لتنزيلها منزلة من يعقل ، ويأمرها بأن تخدم من تفرغ لخدمة ربه ، واجتهد فى العبادة ، وأكثر من الخيرات ، وتجنب المنهيات ، وأكب على الطاعات بأن داوم على الصلوات الخمس فى أوقاتها المحدودة لها شرعا ، وصام رمضان ، وأخرج زكاة أمواله وبدنه ، وحج البيت الحرام إذا استطاع إليه سبيلا ، وتقرب إلى الفقراء والمساكين ، وتباعد عن أهل الشرور والفسوق ، ودعا الناس إلى الله جل ذكره سرا وعلانية ما قدر على ذلك ، وجعل أكبر همه الآخرة والعمل لها ، ولا يجعل همه الدنيا وزينتها والتفاخر فيها بالمال والأبناء والنساء والأحساب ، إنما زينة الحياة الدنيا بلباس التقوى وشرف العمل الصالح والإحسان إلى نفسه وأهله وإخوانه ، فمن جعل همه الدنيا ولذتها كان خادما للدنيا ومن أبنائها ، وليس له حظ من الآخرة فهو عبد درهم ودينار ، اللهم إنا نسألك التوفيق لعمل الآخرة .

وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث مشهورة فى كراهة الدنيا وشهواتها وزخارفها والزهد فيها والإقبال على الآخرة ونعيمها والتمتع بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهاك بعض آيات التنزيل فى وصف الدنيا وذم التعلق بها لمصيرها إلى الفناء قال الله تعالى : ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ [٥٢١] وقال تعالى : ﴿ **قل متاع**

٥٢١ ـ الحديد ٢٠

الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾[٥٢٢] وقال تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا ﴾[٥٢٣] وقال تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾[٥٢٤] وقال عز وجل : ﴿ فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾[٥٢٥] وقال عز ذكره ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾[٥٢٦] وقال عز وجل ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾[٥٢٧] وقال تعالى : ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا ﴾[٥٢٨] وقال جلت عظمته ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾[٥٢٩] وقال تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾[٥٣٠] إلى غير ذلك .

ونورد لك بعض أحاديث نبوية وآثار سلفية لعلنا نتعظ بها ونؤثر الآخرة على الأولى .

عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من

٥٢٢ ـ النساء ٧٧
٥٢٣ الكهف ٤٥
٥٢٤ ـ الأنعام ٣٢
٥٢٥ ـ الشوري ٣٦
٥٢٦ ـ العنكبوت ٦٤
٥٢٧ ـ الأعلي ١٦ ـ ١٩
٥٢٨ ـ النساء ١٣٤
٥٢٩ ـ هود ١٥ ، ١٦
٥٣٠ ـ الشوري ٢٠

كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة » رواه ابن ماجه ورواته ثقات كما قال الحافظ المنذرى .

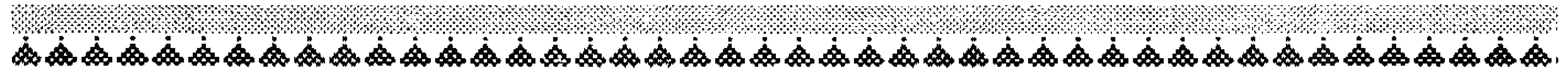
وعن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال قال : رسول الله ﷺ « **من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله كل مئونة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها** » رواه أبو الشيخ ابن حبان والبيهقى من رواية الحسن عن عمران واختلف فى سماعه منه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : « **إن الله ليحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب** » رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال : « **ينادى مناد دعوا الدنيا لأهلها دعوا الدنيا لأهلها دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر** » رواه البزار وقال : لا يروى عن النبى ﷺ إلا من هذا الوجه .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء** » رواه مسلم والنسائى وزاد « **فما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء** » واسمع قول رسول الله ﷺ : « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » فالمؤمن لا ينبغى له أن يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمئن فيها ولكن ينبغى أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يعنى جهازه للرحيل . وكان النبى ﷺ يقول : « **مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب قال فى ظل شجرة ثم راح وتركها** » .

وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول : « **إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا**



تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل» .

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : إن الدنيا ليست بدار قراركم ، كتب الله عليها الفناء وكتب الله على أهلها منها الظعن فكم من عامر موثق عن قليل يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضرنكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى .

وقال الحسن البصرى : المؤمن كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس فى عزها له شأن وللناس شأن ، لما خلق الله آدم عليه السلام أسكن هو وزوجته الجنة ثم أهبط منها ووعد الرجوع إليها وصالحى ذريتهما فالمؤمن أبدا يحن إلى وطنه الأول وحب الوطن من الإيمان كما قيل :

كم منزل للمرء يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

والحديثان أخرجهما القضاعى كما قال المصنف وقد تقدمت ترجمته ، وكتابه المسند فى المواعظ والآداب عشرة أجزاء فى مجلد واحد أسند فيه كتاب الشهاب المذكور وهو كتاب لطيف له ، جمع فيه أحاديث قصيرة من أحاديث الرسول ﷺ وهى ألف حديث ومائتان فى الحكم والوصايا محذوفة الأسانيد مرتبة على الكلمات من غير تقيد بحرف ، ورتبه على الحروف المؤلف جامع هذا الكتاب وأضاف إلى ذلك بيان المخرجين فى مجلد سماه إسعاف الطلاب بترتيب الشهاب ولا يخفى عليك حال الحديثين من قوة وضعف ، والله أعلم .

التعليق

الزهد أقرب طريق للوصول إلى الحق - تعالى - وهو وسيلة التقرب إلى الله تعالى ، وعمل الزاهد مقبول عند الله ، مبارك فيه وإن قل ، وقد عبر ابن عطاء الله السكندرى عن هذا المعنى فقال : «ما قلّ عمل برز من قلب زاهد ، ولا كثر عملٌ برز من قلب راغب» .

عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا .

وقال بعض الصحابة لصدر التابعين : أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وهم كانوا خيرا منكم . قيل : ولم ذلك ؟ قال : كانوا أزهد منكم فى الدنيا .

وعن بعض الصحابة أيضا قال : تابعنا الأعمال كلها فلم نر فى أمر الدنيا والآخرة أبلغ من الزهد فى الدنيا .

جاء فى كتاب أدب الدنيا والدين : قال النبى ـ ﷺ ـ : «تبا للذهب ، تبا للفضة» . فشق ذلك على أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : أى مال نتخذ ؟ فقال عمر رضى الله عنه أنا أعلم لكم ذلك فقال : يا رسول الله إن أصحابك قد شق عليهم فقالوا أى مال نتخذ ؟ فقال : « **لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه** »

ـ أدب الدنيا والدين ص ٢٧٢ ـ



(الله يستقرض عباده ليزيدهم من فضله)

الحديث الثامن والتسعون بعد المائة

« يَا عِبادِى أعْطَيْتُكمْ فَضْلاً وَسألْتُكمْ قَرْضاً فَمنْ أعْطَانى شَيْئاً مِمّا أعطيته طَوْعاً عَجّلْتُ لهُ فى العاجِلِ وادّخَرْتُ لهُ فى الآجِلِ وَمن أخَذْتُ منهُ ما أعْطَيْتُه كُرْهاً وَصبرَ واحْتسَبَ أوْجبْتُ لهُ صِلاتِى ورَحْمَتى وَكَتَبْتُهُ مِنَ المُهْتدينَ وَأبحْتُ لهُ النّظرَ إلىّ »

رواه الرافعى عن أبى هريرة ٥٣١ .

---

٥٣١ ـ ذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٦٢٩ ـ وهو في كنز العمال حـ ٦ ١٦١٩١ ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف حـ ١ ص ٢٧٩

شرح الحديث

الفضل الزيادة ويطلق على المال والجاه والقوة والمكنة ومنه قوله تعالى ﴿**والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق**﴾ (٥٣٢) وقوله تعالى : ﴿**لتبتغوا فضلا من ربكم**﴾ (٥٣٣) يعنى المال وما يكتسب والمراد به هنا المال دليله قوله فى الحديث «وسألتكم قرضاً» . والقرض القطع ، قال الإمام الواحدى فى تفسيره : القرض اسم لكل ما يلتمس منه الجزاء يقال أقرض فلان فلانا إذا أعطاه ما يتجازاه منه والاسم منه القرض . وهو ما أعطيته لتكافأ عليه هذا إجماع من أهل اللغة .

والطوع والإذعان والانقياد والاسم الطاعة .

والعاجل ضد الآجل ، والعجل والعجلة ضد البطء وقد تقدم تفسيره أيضا .

وأصل الادخار اذتخار يقال تذخرته وادخرته إذا أعددته للعقبى . وصلاتى - بكسر أوله - جمع صلة وهى الجائزة والعطية .

والمعنى - والله أعلم - أن الله تجلت عظمته خاطب عباده وأخبرهم أنه جل ذكره أعطاهم ومنحهم فضلا مالا ، وسألهم قرضه أى إنفاقه ، فمن أعطى الله شيئاً وتصدق على الفقراء والمساكين وأعان المحتاج وبنى المستشفيات وأصلح الطرق وتعاهد المساجد مما أعطاه الله طوعا لا كرها (يعنى عن طيب نفس وإخلاص قلب) عجل الله له الخير والثواب فى الآجل - أى فى حياته الدنيا - بأن سهل له طرق الخير ، ووفقه لعمل الحسنات ونجاه من الوقوع فى المهلكات وادخر الله له أيضا من الثواب العظيم ليوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، مالا يدخل تحت حصر .

ومن أخذ الله منه ما أعطاه ومنحه إياه فى الحياة الدنيا كرها عنه وصبر العبد على ذلك واحتسب الله فى ذلك ، قال : حسبى الله ونعم الوكيل فمن فعل ذلك أوجب الله له صلاته وجوائزه وعطياته ورحمته فى الدنيا والآخرة وكتبه من المهتدين الذين

---

٥٣٢ - النحل ٧١

٥٣٣ - الإسراء ١٢

هداهم الله لصالح الأعمال ، ووفقهم لطاعته ومنحهم رضوانه وزيادة على ذلك أباح لهم يوم القيامة النظر إلى وجهه عز وجل .

وأقرض الله تعالى مثل لتقديم العمل الصالح الذى يستحق به فاعله الثواب ، وهو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه ـ والله هو الغنى الحميد ـ شبه إعطاء المؤمن ما يرجو ثوابه فى الآخرة بالقرض كما شبه إعطاء النفوس والأموال فى أخذ الجنه بالبيع والشراء .

أخرج سعيد بن منصور ، وابن سعد ، والبزار ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال : لما نزلت ﴿**من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً**﴾[٥٣٤] قال أبو الدحداح الأنصارى[٥٣٥] : يا رسول الله إن الله ليريد منا القرض ؟ قال : نعم يا أبا الدحداح قال : أرنى يدك يا رسول الله فناوله يده قال : فإنى قد أقرضت ربىَ حائطى وله فيه ستمائة نخلة . فانظر إلى قوة يقين الصحابة وشدة إيمانهم ورحب صدورهم بما يسمعون من كلام الله جل ذكره ومبادرتهم إلى العمل به . اللهم وفقنا لذلك .

التعليق

روى القرطبى فى تفسيره قصة طريفة حول إقراض أبى الدحداح حائطه نذكرها فيما يأتى : بعد أن أقرض أبو الدحداح حائطه جاء يمشى حتى أتى الحائط ـ والحائط هو الحديقة ـ وأم الدحداح فيه وعياله ، فناداها : يا أم الدحداح . قالت : لبيك . قال : اخرجى قد أقرضت ربى ـ عز وجل ـ حائطا فيه ستمائة نخلة .

وقال زيد بن أسلم : لما نزل « **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا** » قال أبو الدحداح : فداك أبى وأمى يا رسول الله ، إن الله يستقرضنا وهو غنى عن القرض ؟

---

٥٣٤ ـ البقرة ٢٤٥ .

٥٣٥ ـ أبو الدحداح : وقيل أبو الدحداحة مشهور بكنيته ولا اسم ولا نسب له إلا أنه من الأنصار ، وقيل اسمه ثابت ذكره أسد الغابة في كنيته وذكر حديث صدقته ، وذكر له حديث «من كانت الدنيا نهمته حرم الله عليه جواري فإني بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها» أسد الغابة حـ ٦ ص ٥٦

قال : « نعم يريد أن يدخلكم الجنة به » قال : فإنى إن أقرضت ربى قرضا يضمن لى به ولصبيتى الدحداحة معى الجنة ؟ قال : « نعم » قال : ناولنى يدك ، فناوله رسول الله ـ ﷺ يده . فقال : إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة ، والأخرى بالعالية والله لا أملك غيرهما ، قد جعلتهما قرضاً لله ـ تعالى ـ .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ « اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك » .

قال : فأشهدك يا رسول الله أنى جعلت خيرهما لله ـ تعالى ـ وهو حائط فيه ستمائة نخلة .

قال : « إذن يجزيك الله به الجنة »

فانطلق أبو الدحداح وهى مع صبيانها فى الحديقة تدور تحت النخل ، فأنشأ يقول :

هداك ربي سبل الرشاد ... إلي سبيل الخير والسداد

بيني [536] من الحائط بالوداد ... فقد مضي قرضا إلي التناد[537]

أقرضته الله علي اعتمادي ... بالطوع لا مَنٌّ ولا ارتداد

إلا رجاء الضعف في المعاد ... فارتحلي بالنفس والأولاد

والبر لا شك فخير زاد ... قدمه المرء إلي المعاد

قالت أم الدحداح : ربح بيعك ، بارك الله لك فيما اشتريت ، وأجابته قائلة :

بشَّرك الله بخير وفرحْ ... مثلك أدّي ما عليه ونصحْ

قد متّع الله عيالي ومنح ... بالعجوة السوداء والزهو البلح

والعبد يسعي وله ما قد كدح ... طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما فى أفواههم ، وتنفض ما فى أكمامهم ، حتى أفضت إلى الحائط الآخر ، . فقال النبى ـ ﷺ ـ : « **كم من عِذْق**

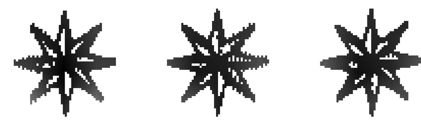
---

٥٣٦ ـ بيني : ابعدي واخرجي

٥٣٧ ـ التناد : يوم القيامة

رداح ودار فَياح لأبى الدحداح » [٥٣٨]

ـ تفسير القرطبى سورة البقرة آية رقم ٢٤٥ ـ



(افتقار الخلق إلى الله)

الأحاديث التى سبقت بمعناها ، وأعادها المؤلف هذا الحديث : ـ

الحديث التاسع والتسعون بعد المائة

« يَا عبادى كلُّكمْ ضالٌّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُ وَضعيف إلاَّ مَنْ قَوَّيتُ وَفقيرٌ إلاَّ مَنْ اَغنَيْتُ فاسْألونى أُعْطيكمْ فَلوْ أنّ أولكُم وآخركمْ وإنْسكمْ وَجنَّكم وَحيَّكمْ وَمَّيتكمْ وَرَطبكمْ ويَابسكُم اجْتَمَعوا عَلى قَلب أتْقى عَبْد منْ عبادى ما زَادَ فى مُلْكَى جَنَاحَ بَعوضَة ، ولَوْ أنَّ أولَّكمْ وآخَركمْ وَإنسكمْ وجنّكمْ وَحَّيكمْ وميتكُم وَرَطبكم وَيابسكم اجْتَمعُوا عَلى قَلب أفْجَر عَبْد هُوَ لى ما نَقصَ منْ مُلكى جَنَاحَ بَعوضَة ، ذلكَ بأنىّ وَاحدٌ ، عَذابى كلامٌ وَرَحمتى كلامٌ ، فمنْ أيقَنَ بقُدْرَتى عَلى المَغْفرِة لَمْ يَتَعاظَمْ فى نَفْسٍ أنْ أغفِرَ لهُ ذنوبه وَإنْ كَبُرَتْ »

رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط عن أبى موسى [٥٣٩]

---

٥٣٨ ـ العذَق ـ بفتح فسكون ـ : النخلة ، وبكسر فسكون : العرجون بما فيه الشماريخ ، ورداح : ثقيلة ، وفياح : بالتشديد والتخفيف : الواسع

٥٣٩ ـ رواه الطبراني في الكبير ، وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٣٨٦ .

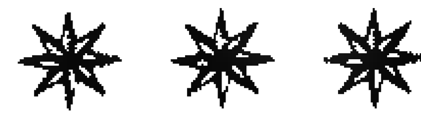
وهو في كنز العمال جـ١٥ / ٤٣٥٩٩

وفي مجمع الزوائد جـ١٠ صـ١٥٠

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ١ صـ٤٦٩

وقد تقدم هذا الحديث وأوله ، إني حرمت الظلم علي نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال الا من هديته ....،

قال الشارح : تقدم الحديث بأطول من هذا ، مع اختلاف فى الألفاظ وزيادة ونقص ، وقد شرح شرحا مطولا فارجع إليه .



(خطاب لعيسى : يخبره بخصائص أمة محمد ﷺ)

الحديث المائتان

« يَا عيسَى إنِّى بَاعثٌ منْ بَعْدكَ أمةً إنْ أصابهمْ مَا يُحبُّونَ حَمدوا وَشكروا وإنْ أصَابَهمْ ما يَكْرَهونَ احْتَسبوا وَصبَروا ولا حلْمَ ولا علم قالَ يَا رَبِّ كيْف يكون هذا لهُم ولا حلْمَ ولا علْم قال أعطيهمْ مِنْ حِلمى وعِلمى »

رواه أحمد . والطبرانى فى الكبير . والأوسط . والحكيم . وأبو نعيم . والحاكم . والبيهقى عن أبى الدرداء (٥٤٠)

شرح الحديث

ـ عيسى عليه السلام هو أحد الرسل أولى العزيمة وعبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وهو آخر أنبياء الله ورسله من بنى إسرائيل ، كما أن آخر الرسل والأنبياء من بنى الإنسان جميعا محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وذكر اسمه فى القرآن بلفظ المسيح تارة ، وهو لقب له ، وبلفظ عيسى وهو اسمه العلمى ، وهو بالعبرية ـ يسوع ـ أى المخلص إشارة إلى أنه سبب تخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم ، وبكنيته(٥٤١) ـ ابن مريم ـ تارة أخرى ، وذكر فى

٥٤٠ ـ أخرجه أحمد في مسنده جـ٦ صـ٤٥٠
وأخرجه البزار في مسنده جـ٣ / ٢٨٤٥
وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير جـ٨ / ٣٣١٥
وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب جـ ٤ صـ٥١٧
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن جـ٣ صـ٣٠١
٥٤١ ـ المعروف أن الكنية هي ما صدرت بأب أو أم كأبي بكر وأم كلثوم

القرآن كثيراً فى ثلاث عشرة سورة .

والنصارى إذا ذكروا نسب المسيح فإنما يذكرون نسب يوسف النجار بناء على أن المسيح كان يدعى يسوع بن يوسف النجار واختلف المسيحيون فى نسب المسيح الذى هو نسب يوسف النجار اختلافا ظاهرا لا مفر للمطلع عليه من الحكم بتناقض كل من إنجيل متى ولوقا فى ذلك النسب وهما المنفردان بذكره من بين سائر من كتبوا الإنجيل ، وانظر كتاب قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار .

واخترت أن أذكر ترجمة نبى الله عيسى عليه السلام من كتاب قصص الأنبياء لصديقنا الحميم الأستاذ عبد الوهاب النجار مختصرة فأقول : فنسبه ذكر فى التوراة والإنجيل أنه ابن يوسف النجار ، وينتهى إلى يعقوب بن إسحق بن إبراهيم مع اختلاف كثير ظاهر فى الأناجيل الموجودة بأيدينا من أراد تحقيق ذلك فلينظرها .

وأبو مريم عليها السلام كان اسمه عمران ، وكان رجلا عظيما بين العلماء فى بنى إسرائيل وقد حملت زوجه ، فلما أحست بالحمل نذرت ما فى بطنها محرراً لله لخدمة بيته على ما كانت عليه العادة عند بنى إسرائيل ، فلما وضعت تبينت أن الجنين الذى انفصل منها أنثى ، وكانت ترجو أن يكون ذكرا ليخدم فى بيت الله فتوجهت إلى الله تعالى كالمعتذرة أو الآسفة قائلة : ﴿ **رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾[٥٤٢] ولكن الله تقبل تلك المولودة بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسنا .

والظاهر من الآيات أن عمران والد مريم قد توفى على أثر ولادة بنته ، لذلك كانت صغيرة تحتاج إلى من يكفلها ويقوم بشأنها ، فلما قدمتها أمها إلى رعاة الهيكل اختلفوا فيمن يقوم بكفالتها وألقوا على ذلك قرعة فكان الكافل لها زكريا والد يحيى عليهما السلام ، وزوج خالة مريم ، وكان الله تبارك وتعالى يكرم مريم ويجعل لها الخوارق للعادات إعلاء لشأنها ، وتعظيما لأمرها ، ففى أثناء رعاية

---

٥٤٢ ـ آل عمران ٣٦

زكريا لها كان يجد عندها رزقا من رزق الله لم يأتها به ، ولا وجود له عند الناس فى ذاك الوقت ، فيسألها قائلا لها ومخاطبا : ﴿ **يا مريم أنى لك هذا** ﴾(٥٤٣) كما حكاه القرآن الحكيم فتجيبه قائلة : من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

وكانت ملائكة الله تعالى تأتى مريم عليها السلام وتخبرها باصطفاء الله تعالى واجتبائه إياها وتطهيرها من الأرجاس والأدناس ، وتحثها على الاجتهاد فى العبادة والقنوت لله ، هكذا نشأت مريم على الطهارة والبعد عن كل دنس.ودامت على ذلك ـ اقرأ قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض** ﴾(٥٤٤) الآيات .

وليس عند أهل الكتاب كلام فى ولادة مريم وكفالة زكريا إياها ولا نذرها ، فمن ذلك نعلم أن مريم عليها السلام نشأت نشـأة طهر وعفاف وبعد عن الإسفاف إلى رذيلة ، مكلوءة بعناية الله محروسة بحراسته ، فلما بلغت مبلغ النساء وجدت وقتا فى خلوة وحدها فلم تُرَعْ إلا بالملك جبريل الذى أرسله الله إليها جاءها على صورة فتى فأخذها الرعب وظنته يريد بها سوءاً فاستعاذت منه ووصفته بعدم التقوى قائلة : ﴿ **إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا** ﴾(٥٤٥) على أن إن نافية فأعلمها أنه مرسل من الله تعالى ليهب لها غلاما زكيا ، فأخذها العجب من ذلك إذ كيف يكون لها ولد وهى لم يمسها أحد من الناس ، فهون عليها الأمر وأحال على قدرة الله تعالى وهو الإله الذى لا يعجزه شىء ، ونفخ فى جيب درعها فإذا هى حامل ، وكان فيما أخبرها الملك به أن ابنها يسمى المسيح عيسى ابن مريم وأنه يكون وجيها فى الدنيا والآخرة وأنه يكون من المقربين وأنه يكلم الناس فى المهد وكهلا للإشارة إلى أنه يكلمهم فى المهد بكلام إنما يصدر مثله ممن كان كهلا ، وأن الله تعالى سيعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ويعطيه الإنجيل ـ أى البشارة ـ وأنه سيكون آية

٥٤٣ ـ آل عمران ٣٧
٥٤٤ ـ آل عمران ٣٣
٥٤٥ ـ مريم ١٨

للناس على قدرة الله تعالى ورحمة منه لعباده ، إذ نصب لهم به سبيل الخلاص مما هم فيه من أوحال يتركسون فيها ، إذ كان اليهود قد صاروا إلى المادية وتجاوزوا حدود الله ، ولم يراعوا كتابه فأحلوا حرامه وحرموا حلاله ، فجاء لهدايتهم وردهم عن ضلالهم ، وكتاب الأناجيل لم يتكلم أحد منهم على تبشير مريم بولادة عيسى سوى لوقا .

وهكذا شأن اليهود فى كل عصر ، فلا يصدر عنهم إلا كل شر وخبث ، وطالع كتب التاريخ وانظر ما فعلوا بالرسول الأمين محمد ﷺ وكم عفا عنهم ، وتجاوز عن خطئهم وهم مصرون على الإيذاء ، وإيصال كل شر إليه عليه الصلاة والسلام ، ولا يخفى على العالم أجمع أن هذه الحرب الضارسة ما أقامها وأصلى نارها وزج الأمم كلها فيها إلا اليهود لعنهم الله على لسان كل إنسان ، وخذلهم الله فى كل مكان وزمان ، نسأل الله أن يقصر من أجل هذه الحرب التى ابتدأت سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وألف ونحن الآن نسطر هذه الحروف يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة إحدى وستين وثلثمائة وألف نسأل الله السلامة (٥٤٦) .

حملت مريم عليها السلام بالمسيح عيسى عليه السلام بمجرد نفخ الملك فى جيبها ، وطبعى أنها قد مرت بجميع أدوار الحمل إلى أن ولدته ، والقرآن الحكيم لم يذكر عن تلك الأدوار شيئا ، واختلف العلماء فى مدة الحمل فقيل : سبعة أشهر ، وقيل ستة ، وقيل : ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره ، وقيل ساعة كما حملته نبذته والله أعلم ، ولما حان انفصال جنين مريم ألجأها المخاض إلى جذع نخلة هناك فى الموضع الذى فيه مدينة بيت لحم ، وهى على بضعة الكيلو مترات من بيت المقدس والبيضاوى رحمه الله تعالى يقول : إن زمن الولادة كان فى الشتاء والنخلة يابسة وإنما مجيئها إليها لتستر بها أو لتعتمد عليها .

---

٥٤٦ ـ يقصد الحرب العالمية الأولي التي نشبت سنة ١٩١٨ م

هنا حسبت مريم ألف حساب وحساب لما هى قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها وما سيرمونها به من الفاحشة فقالت : يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا بالكسر والفتح - منسيا وهو اللبن المشوب بالماء يترك وينسى لحقارته ، فناداها مناد من تحتها : أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتها سريا . قيل : المنادى جبريل كان فى مكان أسفل من مكانها ، وقيل : المنادى هو عيسى عليه السلام . والسرى هو النهر وقيل : الوجيه من الناس ، ويؤكد كونه نهرا قوله بعد ذلك ﴿ **وهزى إليك بجذع النخلةتساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا** ﴾ (٥٤٧) وقد أراد الله بهذا أن يسكن روعها وتعلم أن من أوجد لها الرطب من النخلة اليابسة فى الشتاء ، وأوجد لها الماء الجارى فى تلك الهضبة التى كانت عليها من الجبل قادر أن يرد عنها عيب العائبين وقذف القاذفين ، فكلى واشربى وقرى عينا ، ولا يحزنك ما يقولون ، فإذا رأيت من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما عن الكلام فلن أكلم اليوم إنسيا ، وفى ذلك الحين يتولى الله تعالى البرهنة على براءتها ، وهنا لقائل أن يقول : كيف يصح أن يولد إنسان بدون مباشرة الرجل للمرأة (فالجواب) أن هذا صنع الإله القادر الذى يأتى بالعجب العجاب ، لأن الله أوجد آدم من غير أب ولا أم ، فهو أقدر على إيجاد إنسان بدون أب فقط ، وليس هذا بأعجب من خلق السموات والأرض وما فيها من عجائب كل ذلك ناطق بأنه صنع حكيم عليم قادر قدرته فائقة الوصف والله يقول فى القرآن : ﴿ **وجعلنا ابن مريم وأمه آية** ﴾ (٥٤٨) ولم يتكلم من أصحاب الأناجيل عن الحمل بالمسيح سوى متى ولوقا وعبارة متى مختصرة .

لم يكن علم مريم ببراءة ساحتها من الدنس بالشىء الذى يطمئن به نفسها ، بل أخذت الهواجس تنتابها ، وتحسب لما سيقول الناس عنها ألف حساب ، ولقد زادت وساوسها حين أخذها المخاض ورأت ما سيحسبه الناس جريمة لها ماثلا أمام عينها ، فقالت ما قصه الله تعالى عنها فى كتابه العزيز : ﴿ **فأجاءها المخاض** ﴾ (٥٤٩) الآية ولكنها كانت تريد الجواب الذى تجيب به لوامها والمعيرين لها فقال لها

---

٥٤٧ - مريم ٢٥ ، ٢٦

٥٤٨ - المؤمنون ٥٠

٥٤٩ - مريم ٢٣

معلماومرشدا ﴿ **فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا** ﴾ (٥٥٠) وكان الصوم عن الكلام ضربا من العبادة كما يفعله اليوم فى عصرنا الحاضر بعض الزعماء كغاندى ، فلما أتت قومها وعلى يدها شيء تحمله ارتاعوا لهذا الحادث النازل وزاد فى ارتياعهم ما كانوا يعلمونه فيها من طهارة المنبت وطيب البيئة ونشأة التقوى التى نشأتها فأخرجهم ذلك إلى تعنيفها على ما أتت به من إثم فى زعمهم وقالوا لها فيما قالوا : ﴿ **يا مريم لقد جئت شيئا فريا** ﴾ (٥٥١) أى بديعا منكرا من الإثم ﴿ **يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا** ﴾ (٥٥٢) وهى ليست أخت هرون فى النسب بل كانت أخته فى العبادة والانقطاع إلى الله تعالى فلما سمعت مريم هذا القول وهى قد نذرت الصمت فأشارت إلى ابنها وهو فى المهد طالبة إليهم أن يوجهوا إليه كلامهم فعدوا ذلك منها غريباً وقالوا : ﴿ **كيف نكلم من كان فى المهد صبيا** ﴾ (٥٥٣) فلم يمهلهم عيسى عليه السلام أن أجابهم الجواب الشافى الدال على براءة أمه ، والمؤذن بأنه سيكون من أهل العلم الذين آتاهم الله الكتاب ، وأنه سيجعله نبيا ويبارك فيه أينما توجه وأن الله أوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته ، وأنه سيكون برا بوالدته وسيكون عبدا متواضعا لا جبارا شقيا ، اقرأ ذكر ذلك فى سورة مريم (٥٥٤)

وهل مر حادث حمل مريم بين اليهود دون أن يطلبوا محاكمتها ، ولا يعقل أنهم صدقوها فى دعواها أن ذلك حصل بفعل لله ، وقد سكتت الأناجيل عن ذلك وإنما ذكره القرآن الحكيم فقط ، والظاهر من عبارة القرآن أنهم رموها بالزنا كما فى قوله تعالى ﴿ **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما** ﴾ (٥٥٥)

---

٥٥٠ ـ مريم ٢٦
٥٥١ ـ مريم ٢٧
٥٥٣ ـ مريم ٢٩
٥٥٢ ـ مريم ٢٨
٥٥٤ ـ الايات ٣٠ ـ ٣٣
٥٥٥ ـ النساء ١٥٦

ولما ولد عيسى عليه السلام ختن بعد ثمانية أيام من ولادته كما ذكر فى إنجيل لوقا ، وحكاية المجوس وعيسى عليه السلام مذكورة فى إنجيل برنابا فارجع اليه ، وذهاب يوسف ومريم بالمسيح إلى مصر مذكور فى انجيل برنابا أيضا وهو مترجم بالعربية ومطبوع فى مصر ، ولم يذكر القرآن الكريم شيئا عن المسيح عيسى عليه السلام أيام صباه بعد كلامه فى المهد ، ولم يتكلم فى ذلك سوى لوقا من بين الأناجيل الأربعة وذكرها أيضا برنابا فى إنجيله فى الفصل التاسع فارجع اليه .

من مجموع ذلك نفهم أن المسيح عليه السلام نشأ نشأة محمودة لا غبار عليها وأنه كان غيوراً على الدين منذ صغره ، حريصاً على تفهم حكمه وأسراره ، غيوراً عليه وأنه كان يختلس من وقته ما يقوى به معارفه ، ويثبت به علمه ويجالس العلماء ويناقشهم ويسائلهم ويجيبهم ، فالبيئة التى تمرس بها فى صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين إلى أن جاءته النبوة .

والقرآن الحكيم لم يذكر متى كان ابتداء نبوة عيسى ولا كيف كان ذلك وأصحاب الأناجيل الأربعة وبرنابا ذكروا ذلك . وعبارتهم تدل على أن المسيح عليه السلام نبىء على رأس ثلاثين سنة ، وأن الله تعالى أعطى المسيح الانجيل وأنه كتاب تضمن الهدى والنور ، وقد أهاب ببنى إسرائيل أن يرجعوه إلى الله ويعبدوه وأنبأهم بأحداث مستقبلة ، وبشرهم باقتراب زمن النبى الذى وعد بنو إسرائيل بأن يبعثه الله وعلى يده يكون بعث شريعة جديدة ، وأنه يكون موسى صاحب شريعة مستقلة وفيه وصفه ووصف أتباعه قال تعالى : ﴿ **نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان** ﴾ [٥٥٦] وقال تعالى ﴿ **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل** ﴾ [٥٥٧] إلى غير ذلك من الآيات المتفرقات فى سور كثيرة تبين أن المسيح عليه السلام جاء إلى أصحابه بكتاب هو الإنجيل ، ولكن الناس على مر الزمان

٥٥٦ـ آل عمران ٢ ، ٣

٥٥٧ ـ آل عمران ٤٨

تركوا ذلك الإنجيل وترتب على ذلك ضياعه واستمسكوا بكتب ألف بعضها تلاميذ المسيح وبعضها تلاميذ تلاميذه أو من بعدهم ، وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة ، وفيما تقدم عن بولس تجدوه ما يؤذن بأن المغيرين أخذوا يحولون الإنجيل عن مجراه ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها و وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هى عليه من انقطاع السند وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقى أو المترجم ، ومبلغ أمانته على الدين وحرصه على الصدق ، وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقى المفضى إلى أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب .

جاءهم نبى الله عيسى عليه السلام بمعجزات تدل على صدقه وأن ما يدعيه حق والمعجزة أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد الأنبياء من عباده تصديقا لهم كأنه بخرق العادة يقول لعباده المرسل إليهم : صدق عبده فيما يبلغ عنى ، من ذلك أنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ، وأنه ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيها فيكون طيرا باذن الله ، وبين لهم أن هذه الآيات كافية فى صدقه وحملهم على الإيمان له ، وبين لهم أنه مصدق مؤمن بما فيها ، حاث على اتباعها ، وأنه يحل لهم بعض ما حرم عليهم ، فانقسم الناس فى أمره بين مصدق ومكذب ومقبل عليه ونافر منه ، اقرأ ما ورد فى سورة آل عمران والمائدة والزخرف ، وكذلك جاءت هذه المعجزات فى كتب الإنجيل ، ولقد كانت هذه الخوارق سببا لافتتان فريق من الناس به حتى وصفوه بأنه ابن الله على معنى البنوة الحقيقية ، وآخرون قالوا : إنه الله حتى عبد ، وتكلف قوم لعبادته ضروبا من المسوغات يرفضها العقل ويمقتها العلم .

وبعد أن قام بين ظهرانيهم يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وأنه رسول من عنده ويقيم لهم البراهين والمعجزات على صدقه حتى شاع أمره ، وانتشرت دعوته ، وتزعم فأحرج مكانة الكهنة والقديسين ، وبتعليمه وتجريحه إياهم فى طريقتهم وفضح رياءهم وخبثهم فأخرجهم ذلك إلى الكيد له والتدبير لقتله ، هذا ثمرة هديه لهم ومجيئه بما ينقذهم من عذاب يوم القيامة .

فلما اختمر هذا الأمر فى أنفسهم شكوا أمره إلى الوالى طبعا وزينوا شكواهم بما يستدعى اهتمام الوالى ، بأن ادعوا عليه أنه يقول إنه ملك اليهود وأنهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية ، فأرسل الوالى جنداً للقبض على المسيح عيسى ابن مريم ، فلما أتوا ولم يبق إلا القبض عليه ، والمسيح قد اهتم لهذا الأمر وخشى أن ينالوه بالأذى - أنقذه الله من أيديهم وطهره منهم وألقى شبهه على شخص آخر ، وعلم فيما بعد أنه تلميذه الخائن وعرفته الأناجيل بأنه يهوذا الاسخريوطى ، وصاربحيث أن كل من رآه لا يشك فى أنه يسوع ، فأخذ وصلب وقتل ، ونجا المسيح من شرهم وقد أعلم الله تعالى المسيح بما سيتم ، وشاع فى الناس أن يسوع الناصرى قتل بعد أن صلب وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ذلك ، بل رفعه الله إليه بروحه وجسده حيا إلى السماء وهو مذهب جمهور المسلمين والله أعلم .

وقوله « باعث » أى مرسل ، والأمة تقدم تفسيرها قريبا ، والحب والحمد والشكر والصبر ، والاحتساب تقدم الكلام عليها غير مرة فى غير حديث فلا حاجة للإعادة .

وقوله : « ولا حلم ولا علم » الحلم تقدم الكلام عليه ولا بأس من التوسع فى الكلام عليه لأنه من أحسن صفات الإنسان وأكملها .

عرف الحلم بأنه ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب وجمعه أحلام .

وقيل : الحلم تجرع الغيظ ، وقيل دعامة العقل .

وقال الأفوه الأودى : الحلم محجزة عن الغيظ .

وقالت الفلاسفة : الحلم فضيلة النفس يكسبها الطمأنينة لا يحركها الغضب بسهولة وسرعة ، والحليم المنشرح صدره لمساوى الخلق وسوء سيرتهم .

والعلم أميز صفة فى الإنسان بها ينفى صفة الجهل ، وهو إدراك الشىء بحقيقته ، وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث متواترة فى فضل العلم وأهله ذكرتها فى كتابى نموذج من الأعمال الخيرية فى إدارة الطباعة المنيرية - فارجع إليه فإنه أنفس ما كتب فى بابه .

والمعنى أن الله جلت عظمته يخاطب نبيه عيسى عليه السلام ويخبره أنه باعث ومرسل من بعده أمة غير أمته ـ وهى أمة محمد رسول الله ﷺ ، وهى خير أمة من أوصافها الجميلة ومزاياها الباهرة أنهم إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله وأثنوا عليه بما هو أهله وشكروه على ذلك ، وإن أصابهم ما يكرهونه تلقوه بالصبر والاحتساب ، والحال أن ليس لهم حلم ولا علم مكتسبان يبعثان على ذلك ، قال العلامة الطيبى طيب الله ثراه قوله « ولا حلم ولا علم » تأكيد لمفهوم صبروا واحتسبوا ، لأن معنى الاحتساب أن يبعثه على العمل الصالح الإخلاص وابتغاء مرضاة الرب ولا الحلم ولا العلم ، فحينئذ يتوجه عليه أنه كيف يصبر ويحتسب من لا علم له لا حلم ؟ ، فيقال : إذا أعطاه الله من حلمه يتحلم ويتعلم بحلم الله وعلمه .

وفى وضع العلم موضع العقل إشارة إلى عدم جواز نسبة العقل ، وهى القوة المتهيئة لقبول العلم إلى الله تعالى عن صفات المخلوقين . وقال الحكيم الترمذى : هذه أمة مختصة بالوسائل من بين الأمم ، محبوة بالكرامات مقربة بالهدايات محفوظة بالولايات ، تولى الله هدايتهم وتأديبهم يسمـــون فى التوراة صفوة الرحمن ، وفى الإنجيل حلماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء وفى القرآن أمة وسطا ، وخير أمة أخرجت للناس وقال المصنف فى شرح الجامع الصغير ، قوله « صبروا واحتسبوا » الاحتساب أن يرى ذلك الشىء الذى أخذه الله وإن كان صبره باسمه فالأصل لله ، وقوله : صبروا أى ثبتوا فلم يزل أحدهم عن مقامه بزوال ذلك الشىء عنه فإن المؤمن يقول إنا لله وها أنا بين يديه فى طاعته ، ونعمه على سابغة ، فإذا امتحنه فأزال عنه زال عن مقامه ذلك طلبا لتلك النعمة التى زالت فليس هذا إثباتا ، وقوله : « ولا حلم ولا علم » كأنه يخبر أنه تعالى قدر حلما وعلما لخلقه يتحالمون به بينهم ويعلمون فبذلك الحلم والعلم يتخلقون .

وفى حديث « **إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وكانت هذه الأمة آخر الأمم فَرَقَّ ذلك فيهم ورق ، فلو تركهم على رقة تلك الأخلاق ورقة تلك الحلوم وقلة العلم لم ينالوا من الخير إلا قليلا ، ولم يزل**

الناس ينقصون من الخلق والرزق والعمر من زمن نوح فكان أحدهم يعمر الف سنة وطوله ستون ذراعا والرمانة يقعد فى قشرتها عشرة رجال فلم تزل تنقص إلى الآن ، فانظر كم بين الخلقين والعمرين ؟ ».

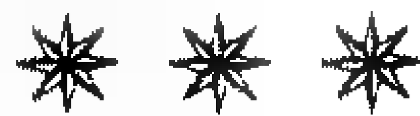
التعليق

أشار الحق سبحانه وتعالى - فى آخر سورة الفتح إلى أوصاف الأمة المحمدية فى التوارة والإنجيل فقال « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** » الفتح ٢٩

كما ورد فى سورة الصف تبشير عيسى - عليه السلام - بالنبى ﷺ - حيث قال « **وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** » الصف ٦

وروى عن النبى - ﷺ - أنه قال " « **اسمى فى التوراة أَحْيَد لأنى أحيد أمتى عن النار ، واسمى فى الزبور الماحي ، محا الله بى عبدة الأوثان ، واسمى فى الإنجيل أحمد ، واسمى فى القرآن محمد لأنى محمود فى أهل السماء والأرض** »

- تفسير القرطبى سورة الصف -



(التحذير من الأسئلة التى تثير الشك)

الحديث الحادى بعد المائة

« يَا مُحَمّدُ إنَّ أُمَّتَكَ لا يَزالُونَ يقُولونَ : مَا كَذا مَا كَذا حتّى يَقُولُوا : هَذا اللهُ خَلقَ الخَلْقَ فمَنْ خَلقَ اللهَ »

رواه أحمد . ومسلم . وأبو عوانة عن أنس [٥٥٨]

شرح الحديث

ـ قوله : « ما كذا ما كذا » يعنى يسألون كثيرا عن كل ما يخطر ببالهم ويوسوس لهم الشيطان فيسألون كيف هو ومن أى شىء هو ؟ وغير ذلك مما يوجب الوقوع فى الحيرة والشك .

وأبو عوانة هو الحافظ الثقة الكبير يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم بن يزيد الاسفرائينى النيسابورى الأصل ، صاحب الصحيح المسند المخرج على صحيح مسلم ، وله فيه زيادات عدة ، وهو أول من أدخل كتب الشافعى ومذهبه إلى اسفرائين توفى سنة ست عشرة وثلثمائة بإسفرائين .

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الله جل ذكره يخاطب نبيه ويخبره أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام لا يزالون يسألون أنفسهم ، ويستفهمون ويكثرون من الأسئلة ، ويقولون : ما كذا ما كذا أى ما الشىء الفلانى ؟ وما هذا الأمر ؟ وما حقيقته ؟ وكيف هو وأى شىء هو ؟ حتى يجرهم ذلك إلى أن يقولوا هذا الله الرب الخالق

---

٥٥٨ ـ الحديث رواه مسلم جـ١ صـ١٢١ ، ورواه أحمد في مسنده جـ٣ صـ ١٠٢ بلفظ : « إن الله تعالي قال لي : إن أمتك لا يزالون يتساءلون فيما بينهم حتي يقولوا : هذا الله خلق الناس ، فمن خلق الله ؟ »

وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ١٠٢

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ١ صـ١١٢

وهناك حديث رواه أبو هريرة بهذا المعني ولفظه : « قال الله عز وجل : لا يزال عبدي يسأل عني : هذا الله خلقني فمن خلق الله ؟ »

ـ أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة جـ١ صـ٦٤٦

خلق الخلق وأوجد العالم على هذا النظام البديع فمن خلقه وأوجده ؟ وهذا يدل دلالة واضحة على ذم كثرة السؤال وتنوع الاستفهام ، وأن ليس ممدوحا أن كل ما خطر ببالك وحضر بفكرك تسأل عنه ، لأن الشيطان يوسوس للإنسان ولا سيما إذا كان لا يقدر عليه من جهات أخرى لتحصينه منه ، فيأتيه من هذه الجهة ويورد له ذلك حتى يوقعه فى الحيرة ، ويتركه مترددا فى عقيدته شاكاً فى ربه وخالقه .

وقد أوضح هذا الحديث أحاديث أخرى فى هذا الباب ، فإذا حصل لأحدنا ذلك فليقل آمنت بالله جل ذكره ، وهاك ما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : « **جاء ناس من أصحاب النبى ﷺ فسألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم قال : ذلك صريح الإيمان** » وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : « **ولا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله** » وعنه أيضاً « **أن رسول الله ﷺ قال : يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول : الله ثم ذكر بمثله وزاد « ورسله »** .

وعنه أيضاً قال قال لى رسول الله ﷺ . لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا هذا الله فمن خلق الله ؟ قال : فبينما أنا فى المسجد إذ جاءنى ناس من الأعراب فقالوا يا أبا هريرة هذا الله فمن خلق الله ؟ قال فأخذ حصىً بكفه فرماهم ثم قال قوموا صدق خليلى» .

وعنه أيضاً قال رسول الله ﷺ «ليسألنكم الناس عن كل شىء حتى يقولوا : الله خلق كل شىء فمن خلقه ؟» .

والحديث الذى ذكره المصنف من الروايات المختصرة يوضحه أحاديث الباب .

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى فى شرح هذه الأحاديث : أما معانى الأحاديث وفقهها قوله ﷺ : «ذلك صريح الإيمان» و«محض الإيمان» معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن

النطق به فضلا عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالا محققا ، وانتفت عنه الريبة والشكوك .

واعلم أن الرواية الثانى وإن لم يكن فيها ذكر الاستعظام فهو مراد وهى مختصرة من الرواية الأولى ، ولهذا قدم مسلم رحمه الله تعالى الرواية الأولى ، وقيل : معناه أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه ، وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء ولا يقتصر فى حقه على الوسوسة ، بل يتلاعب به كيف أراد . فعلى هذا معنى الحديث سبب الوسوسة محض الإيمان أو الوسوسة علامة محض الإيمان ، وهذا القول اختيار القاضى عياض . وأما قوله ﷺ : «فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله» وفى الرواية الأخرى «فيستعذ بالله ولينته» فمعناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل والالتجاء إلى الله تعالى فى إذهابه .

قال الإمام المازرى رحمه الله تعالى : ظاهر الحديث أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر فى إبطالها . قال : والذى يقال فى هذا المعنى : أن الخواطر على قسمين فأما التى ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهى التى تدفع بالإعراض عنها ، وعلى هذا يحمل الحديث وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة فكأنه لما كان أمراً طارئاً بغير أصل دفع بغير نظر فى دليل ، إذ لا أصل له ينظر فيه وأما الخواطر المستقرة التى أوجبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر فى إبطالها والله أعلم .

التعليق

لا يجرؤ على مثل سؤال من خلق الله إلا كل غافل لا يعرف قدر الله . أما العارفون فإنهم عرفوا قدر الله ، واستغرقوا فى بحر قيوميته ، وأدركوا أنه لا حركة ولا سكون فى الكون إلا بيد الخالق الأعظم جل وعلا . .

وقد ظهرت دلائل قدرة الله أمام أعينهم ظاهرة فدلتهم على الله وعرفتهم به حتى أنسوا به واطمأنوا إليه وأدركوا مفهوم قول الشاعر

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ولابن عطاء الله السكندرى عبارات فى المناجاة تشير إلى تمكن أهل الحقائق وقوة يقينهم . يقول :

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى أظهر كل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهوالذى ظهر بكل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر فى كل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر لكل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الظاهر قبل وجود كل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أظهر من كل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الواحد الذى ليس معه شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أقرب إليك من كل شىء ؟

كيف يتصور أن يحجبه شىء ولولاه ما كان وجود كل شىء ؟

يا عجبا ، كيف يظهر الوجود فى لعدم ؟

أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم ؟

وما أصدق قول القائل :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمال

فالعارفون فنوا بأن لم يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعالى

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا فى الحال والماضى والاستقبال

ومن الأحاديث التي سبقت وأعادها المؤلف لا لتزامه بالترتيب الأبجدى الحديث الآتى :



(وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره)

الحديث الثانى بعد المائتين

«يَا مُحمَّدُ مَنْ آمنَ بىِ ولَمْ يؤُمنْ بالقَدَرِ خيْرِه وَشرِّه فَلْيَلْتَمس ربّاً غَيْرِى»

رواه الشيرازى (٥٥٩)

شرح الحديث

تقدم الحديث بلفظ «من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليلتمس رباً سواى» ، والإيمان ذكر غير مرة وقد تقدم الكلام عليه والالتماس الطلب بلين يقال التمس الشيء من فلان طلبه بلين ، والرب تقدم تفسيره .

التعريف بالشيرازى

والشيرازى هو الحافظ الإمام الجوال أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الفارسى صاحب كتاب الألقاب المتوفى سنة ٤٠٧ أو ٤١١ .

والمعنى والله أعلم أن الله تبارك وتعالى يخاطب نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام، ويخبره أن من آمن به عز وجل ، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليطلب رباً غيره تعالى .

---

٥٥٩ ـ أخرجه الشيزاري عن على مرفوعا
وهو فى كنز العمال جـ١ صـ٦٠٧
وذكره المدنى فى الإتحافات السنية مرتين إحداهما برقم ١٤٠ والأخرى برقم ٦٣١
وعلق عليه جامع الأحاديث القدسية بأنه ضعيف جدا جـ٣ صـ٨٣

أفاد أن الإيمان والتصديق بوجود الله جل ذكره والانقياد لأوامره لا يكفى لمن لا يؤمن بقدر الله خيره وشره ، بل هما متلازمان ، فالإيمان يجب بكل منهما ، وقد أطلنا الكلام فى القدر والقضاء فارجع إليه .

قال الغزالى : كأنه يقول : هذا لا يرضانا رباً حتى سخط فليتخذ رباً آخر يرضاه . وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن عقل ولمن صدق ، ولقد صدق من قال إذ سئل ما العبودية والربوبية؟ فقال : الرب يقضى والعبد يصبر وليس فى السخط إلا الهم والضجر فى الحال والوزر والعقوبة فى المآل بلا فائدة إذ القضاء نافذ فلا ينصرف بالهلع والجزع ، كما قيل :

ما قد قضى يا نفس فاصطبرى له ... ولك الأمان من الذى لم يقدر
وتيقنى أن المقدر كائن ... حتم عليك صبرت أو لم تصبرى

فمن ترك التسليم لقضاء الله وقدره فقد جمع على نفسه ذهاب ما أصيب به وذهاب ثواب الصابرين ، فهو خسران مبين ، ومن رضى بمكروه القضاء والقدر وتلذذ بالبلاء ونال ثواب الصابرين ، ومن علم من نفسه العجز فليستعذ بالله من حمله ما لا يطيق وليقل كما علمه ربنا . ﴿**ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾(٥٦٠) ويسأل المعافاة ويستعين بالله على قضائه وقدره نعم المولى ونعم النصير .

«فإن قيل» الشر والمعصية بقضاء الله وقدره فكيف يرضى به العبد ؟ قلنا : الرضا إنما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر بل الشر المقضى .

قالوا : والمقضيات أربعة : نعمة ، وشدة ، وخير ، وشر ، فالنعمة يجب الرضا فيها بالقاضى ، والقضاء ، والمقضى ، ويجب الشكر عليها ، والشدة يجب الصبر عليها ، والخير يجب الرضا فيه بالقاضى والمقضى ويجب عليه ذكر المنة من حيث أنه وفقه له ، والشر يجب فيه الرضا بالقاضى والقضاء والمقضى من حيث أنه مقضى لا من حيث أنه شر .

٥٦٠ ـ البقرة ٢٨٦

والحديث ذكره المدنى فى كتابه وزاد : « **فى الألقاب عن على** » وفيه محمد بن عكاشة الكرمانى قال الدار قطنى يضع الحديث .

التعليق

تحدث الحكماء والأدباء والعلماء كثيرا عن الإيمان بالقضاء والقدر ، ومن جميل ما أنشده الشعراء فى ذلك قول بعضهم :

إذا أراد الله أمـــراً بـامـــريء وكـان ذا عـقـل وسـمـع وبصـر
أصم أذنيـه وأعـمي عـيـنـه وسلّ مـنـه عـقـلـه سلّ الـشـعـر
حتي إذا أنـفـذ مـنـه حـكـمـه ردّ إلـيـه عـقـلـه لـيـعـتـبـر
فـلا تقل فيمـا جـري كيف جـري ؟ فـكـل شـيء بَـقـضـاء وقـدر

وإنا لنرى أن الشاعر يلتفت فى أبياته تلك إلى الأثر الذى يقول : « **اذا أراد الله نفاذ أمر سلب من ذوى العقول عقولهم . .**

وقد نبهنا الحق تعالى إلى ضرورة الصبر عند البلاء وعدم الفرح عند العطاء فقال لنا « **لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** » ـ الحديد ٢٣ ـ

ومن أسباب التصبر على البلاء الوثوق بأن الله تعالى هو المقدر له ، وهو الدافع له إذا أراد ، وصدق الشاعر إذ يقول فى ذلك :

إذا بـلـيـت فـثـق بـالله وارض بـه إن الـذي يـكـشـف الـبـلـوي هـو الله
إذا قـضي الله فـاسـتـسـلم لـقـدرتـه مـا لا مـريء حـيلة فـيـمـا قـضي الله
اليـأس يقطع أحـيـانا بـصـاحـبـه لا تـيـأسَنّ فـإن الـصـانـع الله

ومن القصص الطريفة فى التجلد ما يقصه الماوردى فى كتابه « أدب الدنيا والدين » .

قال : أخبرنى بعض أهل الأدب أن أبا أيوب الكاتب حبس فى السجن خمس عشرة سنة ، حتى ضاقت حيلته وقل صبره ، فكتب إلى بعض إخوانه يشكو له

طول حبسه فكتب إليه يقول : ـ

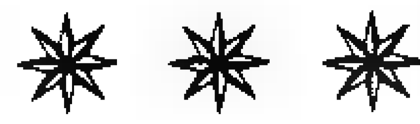
صبراً أبا أيوب صبر مبرح	فإذا عجزت عن الخطوب فمن لها ؟
إن الذي عقد الذي انعقدت له	عقد المكاره فيك يملك حلها
صبر فإن الصبر يعقب راحة	ولعلها أن تنجلي ، ولعلها ..

فأجابه أبو أيوب :

صبرتني ووعظتني وأنا لها	وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها	كرماً به أنْ كان يملك حلها

فلم يلبث بعد ذلك فى السجن إلا أياما حتى أطلق مكرما .

أدب الدنيا والدين صـ٣٦٤



(أهل الورع يدخلون الجنة بغير حساب)

الحديث الثالث بعد المائتين

« يَا مُوَسى إنَّه لَنْ يَلْقَانى عَبْدى فى حاضر القيامة إلاَّ فَتَّشْتُ عمّا فى يَده إلاَّ الورَعينَ فإنِّى أَسْتَحْييهمْ وأُجِلُّهمْ وأُكْرِمُهمْ وأُدخِلُهمُ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسابٍ »

رواه الحكيم الترمذى عن ابن عباس [٥٦١]

٥٦١ ـ أخرجه الحكيم الترمذي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ

ولفظه في الإتحافات للمدني « **قال الله تعالى : يا موسى ، إنه لن يلقاني عبدي في حاضرَ القيامة إلا فتشته عما في يديه الا ما كان من الورعين فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب** »

ورقمه في الإتحافات ٧١

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٣ صـ٤٢٧

شرح الحديث

ـ موسى بن عمران هو نبى الله ورسوله وصفيه وكليمه ابن يصهر بن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم ، وكان عُمْر عمران حين توفى مائة وسبعاً وثلاثين سنة . قال أهل التاريخ : لما مات الريان بن الوليد وهو فرعون مصر (٥٦٢) الأول صاحب يوسف الذى ولاه خزائن الأرض وأسلم على يديه جاء ملك بعده جبار وأبى أن يسلم ثم مات فملك بعده جبار آخر ، وتوفى يوسف وأقامت بنو اسرائيل بمصر وقد كثروا ونشأت لهم ذرية وهم تحت أيدى العمالقة ، وهم على بقايا من دينهم الذى كان يوسف ويعقوب واسحق وإبراهيم ﷺ شرعوه لهم متمسكين ، حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله تعالى إليه ولم يكن فى الفراعنة أعتى منه ولا أقسى قلباً منه ولا أطول عمراً فى الملك منه ولا أسوأ ملكة لبنى اسرائيل ، وكان يعذبهم ويستعبدهم وجعلهم خدماً وخولا وعاش فيهم أربعمائة سنة ، فأراد فرعون أن يقتل كل ذكر من أولادهم حتى لا يكثر عدد بنى اسرائيل فيقووا عليه ، فأمر قابلتى المصريين ، وكان اسم إحداهما شفرة والثانية فوعة ، بقتل كل ذكر تلده عبرانية ، وأما البنت فتبقى ، فلم تفعلا ما أمرتا به ولما سألهما قالتا له : إن العبرانيات قويات فهن يلدن قبل أن تأتى القابلة ، ثم أمر فرعون جنوده المتدخلين فى الأعمال أن يلقوا كل ذكر من أولاد العبرانيين فى النهر ليموت هذا ما ذكرته التوراة وهو عين ما ذكر فى القرآن إلا تفاصيل جزئية . اقرأ سورة القصص آية ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ والبقرة ٤٩ والأعراف ١٤١ وابراهيم ٦ ـ فترى أن قتل الأنبياء واستحياء النساء بلاء لا يصبر عليه ذو عقل إلا بمعونة الله ، وأن الله تعالى إنما كافأ بنى اسرائيل بنعمه الوافرة بما كان منهم من الصبر ، وإن كانوا على أخلاق جافية وطباع شاذة فى نواح أخرى من نواحى سجاياهم ، من حيث ضجرهم بالخير يسدى إليهم وطلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهاً حين مروا على قوم يعكفون على

---

٥٦٢ ـ الأولى أن يقال له ملك مصر كما جاء في القرآن ، لأن يوسف ـ كما يقول المؤرخون ـ لم يكن في عهد الفراعنة بل كان في عهد الرعاة الهكسوس الذين حكموا مصر فترة من الزمن وهم ليسوا فراعنة

أصنام لهم ، ومبادرتهم إلى عبادة العجل بلا روية ، وذلك أن أجر الصبر عند الله عظيم . ولما ولدت أم موسى ابنها موسى عليه السلام خبأته عن عيون من يطلبون أطفال بنى إسرائيل لقتل ذكرانهم فمكث عندها ثلاثة أشهر ، فلما خافت افتضاح أمرها أعلمها الله تعالى وعلمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق ، وتطليه بالقطران والزفت وتلقيه فى اليم ، ففعلت وناطت بأخته أن تتبع أثره وتعلم علمه ، وكان الله تعالى قد أعلمها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين ، فلم تزل أخته تراقبه حتى علمت أنه التقط وأدخل دار فرعون ، وأن عين زوجة فرعون وقعت عليه فألقى الله عليها محبته فاستحيته وأبقته ، ليكون قرة عينها وعين فرعون ، راجية أن ينفعها أو يتخذاه ولدا ، وهذا تدبير من الله تعالى لموسى وأمه ، لأنه سيعود إليها لتكون ظئرا له وتتقاضى على إرضاعه أجرا ، وهى آمنة كيد الكائدين وسعى الساعين .

ولما عرض على المراضع زهده الله تعالى فيها فلم يقبل على ثدى إحداهن رحمة منه تعالى بأمه ، وكانت أخته تقص أثره وتتبعه أينما سير به حتى رأت إعراضه عن الثدى ، فعرضت على آل فرعون أن تدعو لهم امرأة عبرانية ترضعه وتكفله وأنها تكون له ناصحة مشفقة تقوم له مقام الأم وكان اسم أخته مريم ، صادف قول مريم من آل فرعون أذنا مصغية وبعثوها فى طلب الظئر فجاءت بأمها وأمه على التحقيق فأقبل على ثديها ، فألقوا إليها بموسى لترضعه وهو موضع عنايتهم اقرأ سورة القصص قوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه** ﴾[٥٦٣] الآيات وسورة طه قوله تعالى : ﴿ **ولقد مننا عليك مرة أخرى** ﴾[٥٦٤] الآيات .

وطبعى أن أم موسى بعد أن أتمت رضاعته أتت به إلى بيت فرعون ، وتولى البلاط الفرعونى تربيته ، كما كانوا يربون أبناء الملوك فى ذلك العهد بواسطة الكهنة ورجال الدين ، بحسب التقاليد التى كانت لذلك البيت فى تلك الأيام ، وأن موسى عليه السلام قد تعلم تعليما راقياً ، وفى التوراة أن أم موسى ردته إلى ابنة

---

٥٦٣ ـ القصص ٧
٥٦٤ ـ طه ٣٧

فرعون فاتخذته ولداً وأسمته موسى وقالت : إنى انتشلته من الماء ، فلما كبر قتل القبطى ثم خرج خائفاً يترقب ، فلما ورد ماء مدين وهى بلاد واقعة شرقى شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة وشمال الحجاز وجنوب فلسطين جرى له هناك مع شعيب ما جرى وتزوج بنته كما أخبر الله تعالى به ، فلما قضى موسى الأجل وهو أكمل الأجلين عشر سنين ثبت ذلك فى الصحيح عن ابن عباس سار بأهله فآنس من جانب الطور نارا فجرى له ما أخبر الله به فى كتابه والله أعلم .

وقوله : « فى حاضر القيامة» أى شاهد يوم القيامة والواقف فيها ، والورعين جمع ورع التقى ، والاستحياء طلب الحياء ، والإجلال التعظيم والاحترام .

والمعنى - والله أعلم - أن الله تبارك وتعالى يخاطب نبيه وكليمه موسى عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والتسليم ، ويخبره أن العبد إذا لقيه يوم القيامة فتش ونظر عما فى يد ه من خير وشر ، فإن اكتسب خيراً جازاه عليه ، وإن اكتسب شراً عاقبه عليه ، وعبر بالتفتيش مع أن الله جل وعلا يعلم ما تكنه الصدور وتخفيه القلوب مشاكلة جرياناً على ما يألفه الخلق من التفاهم والتخاطب ، إلا الذين اتقوا الله وكفوا أنفسهم عن المهلكات وآثروا الآخرة على الحياة الدنيا فأولئك لا يدخلون تحت المراقبة والتفتيش ، لأن الله جلت عظمته يستحى أن يفتشهم ويجلهم ويحترمهم ويوقرهم ويكرمهم ، وزيادة على ذلك فإن الله تعالى يدخلهم الجنة بغير حساب لتقواهم وورعهم .

والورع تقدم الكلام عليه غير مرة ، والحديث رواه الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الأصول كما قال المصنف والله أعلم .

التعليق

فى قصص الصالحين أمثلة رائعة فى الورع ، تشير إلى علو مقامهم ، وشدة خوفهم من الله ، و تطلعهم إلى المنزلة العلياعند ربهم « **فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** »

ـ جاءت أخت بشر الحافى إلى الإمام أحمد بن حنبل تسأله : قالت إنا نغزل على سطوحنا ـ فى ضوء القمر ـ فتمر بنا مشاعل الظاهرية ، ويقع الشعاع علينا . أفيجوز لنا الغزل فى شعاعها ؟

فقال الإمام أحمد : من أنت عافاك الله ؟

فقالت : أخت بشر الحافى .

فبكى أحمد ، وقال : من بيتكم يخرج الورع الصادق . . وأفتاها بعدم جواز الغزل فى ضوئها . .

* وكان الحارث المحاسبى إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب على رأس إصبعه عرق ، فيعلم أنه غير حلال : فيكف عنه . .

* حمل إلى عمر بن عبد العزيز مسك من الغنائم فقبض على أنفه . فسئل عن ذلك . فقال : إنما ينتفع من هذا بريحه ، وأنا أكره أن أجد ريحه دون المسلمين .

* رهن أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ سطلاً له عند بقال بمكة ، فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطلين ، وقال : خذ أيهما لك . فقال أحمد أشكل على سطلى فهو لك . فقال له البقال : فخذ دراهمك . فقال أحمد : والدراهم أيضا لك .

فقال له البقال : سطلك هذا وأنا أردت أن أجربك ، فقال أحمد لا آخذه ومضى ، وترك السطل والدراهم .

هذه أمثلة نادرة نهديها إلى أهل الزمان الذين يغصبون الحقوق ويأكلون أموال الناس بالباطل ، ويستغلون ما فى يدهم وما خوله الله إياهم أسوأ استغلال نرجو الله أن يرحمنا برحمته ويتجاوز عنا بمنه وكرمه .



(رؤية الله فى الدنيا)

الحديث الرابع بعد المائتين

« يَا مُوسَى لَنْ ترَانى إنّه لَنْ يرانى حَىٌّ إلاَّ مَاتَ وَلا يَابسٌ إلاَّ تَدَهْدَهَ وَلا رَطبٌ إلاَّ تَفَرّقَ إنَّما يَرانِى أهْلُ الجَنّةِ الّذينَ لا تَمُوتُ أعيُنهمْ وَلا تَبْلَى أجْسَادُهُمْ »

رواه الحكيم عن ابن عباس(٥٦٥)

شرح الحديث

ـ قوله « تدهـده » أى تدحـرج . وبلى الجسـد : فنى . وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى ـ أن الله تبارك اسمه يخاطب نبيه موسى عليه السلام ، ويخبره إنك لن ترانى ما دمت فى هذه الحياة الدنيا لعدم استعدادك لذلك ، وظاهر هذا أن نبى الله موسى عليه السلام طلب من ربه عز وجل أن يريه ذاته كما جاء بذلك الكتاب الحكيم ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين** ﴾(٥٦٦) ولما كانت الرؤية فى الدنيا من سائر المخلوقات جائزة طلب رؤية ربه ليتمتع بذلك بعد أن سمع كلام خالقه تعالى ، فأجابه المولى أن رؤيته لا تكون فى الدنيا لعدم طاقة الخلق عليها ، وضرب له مثلا بما هو أقوى من بنيته وأثبت وهو الجبل الذى كان عليه موسى عليه السلام ، أى إن ثبت الجبل مكانه

---

٥٦٥ ـ أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء جـ١٠ صـ٢٣٥
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ٧٥ ، وهو في كنز العمال جـ١٤ ٣٩٢١٤
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٢ صـ٤٦٤
٥٦٦ ـ الأعراف ١٤٣

وسكن فسوف تراني وإن لم يسكن فإنك لا تطيق ذلك كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي ، فلما تجلى الله تبارك وتعالى وظهر للجبل جعله دكا أي ترابا ، أي استحال من الحجرية والشموخ إلى المهاد والتراب وموسى عليه السلام خر صعقا مغشياً عليه ، فهذا يدل على أن الأبصار لا تدرك الله تعالى في الدنيا ، كما أخبر الله بذلك في القرآن الحكيم ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾[٥٦٧] الآية . إلا إذا خلق لمن يريد كرامته بصراً وإدراكا يراه به كما حصل لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، حين عرج إلى السماء إلى رب العزة فرأى ربه ببصره وعيني رأسه .

وعن مالك بن أنس قال : لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً رأوا الباقي بالباقي .

قال القاضي عياض : وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة ، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه .

إمكانية رؤية الله

وقد اختلف العلماء سلفا وخلفا في رؤية الله تعالى هل هي جائزة أم لا ؟ البعض قال جائزة مطلقا ، والبعض قال بالمنع مطلقاً ، والبعض فصل فقال : هي غير جائزة في الدنيا جائزة في الآخرة ، وكل منهم أورد لنفسه دلائل وتمسك بها وللأستاذ صاحب مجلة المنار هنا كلام في تفسيره عليه حلاوة وطلاوة وتحقيق أورده لك زيادة فائدة قال :

كان جماعة الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون هذه الآيات وأمثالها ، ولا يرون فيها إشكالا وهم أعلم العرب بلغة القرآن وبمراد الله تعالى من آياته فيه ، لتلقيهم إياها من الرسول المنزلة عليه ، المأمور فيها ببيانها للناس ، ثم انتشر الإسلام ودخل فيه من الأعاجم من كانوا على أديان مختلفة ، وصاروا يتلقون لغته بالتلقين

٥٦٧ ـ الانعام ١٠٣

ويقتبسونها بمعاشرة العرب الخلص ، ثم بالتعليم الفنى ، ثم صارت السلائل العربية كذلك ثم حدثت فى الجميع الاصطلاحات العلمية والفنية لما وضعوا من العلوم الشرعية كأصول العقائد والفقه والحديث ، واللغوية كالنحو والصرف والبيان ، ولما ترجموا من كتب علوم الأوائل وما زادوا فيها من الرياضيات والعقليات والوجدانيات وسائر سنن الموجودات . فامتزجت هذه الاصطلاحات بلغة القرآن والحديث فصارت آلات لفهمهما وسبباً للخطأ فى تعيين بعض المراد منها .

ثم حدث ما هو أدعى إلى الخطأ فى الفهم وهو عصبية المذاهب و الشيع التى فرقت بين المسلمين ، على ما جاء فى التفرق والتفريق من الوعيد الشديد ، فصار كل منتم إلى شيعة وحزب لا ينظر فى الكتاب والسنة إلا بالمنظار المعبر عنه بمذهب الحزب وإن كان من أهل النظر والاستدلال ومدعى الاجتهاد والاستقلال ، والبداهة قاضية بالتضاد بين التقيد بالمذهب والاستقلال الصحيح المسمى عندهم بالاجتهاد المطلق .

وهنالك سبب آخر ، وهو حشر الاسرائيليات والروايات الموضوعة والواهية فى تفسير القرآن وكتب السنة وتقاصر الأكثرين عن تمحيصها والتمييز بين حقها وباطلها ، حتى أن بعض الاسرائيليات قد اشتبه بالأحاديث المرفوعة كما بينه بعض نقاد الحفاظ ومنهم ابن كثير فى تفسيره .

فبهذه الأسباب أبطلوا مزية كتاب الله وخاصيته فى رفع الخلاف والتفرق المفسدين لأمر الملة والأمة اتباعا لسنن من قبلهم وهم لا يشعرون لأنهم جعلوه هو موضع الخلاف أيضا ، قال تعالى : ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم** ﴾[٥٦٨]

الآية و قال تعالى : ﴿ **وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة** ﴾[٥٦٩] وقال تعالى ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله ورسوله إن كنتم**

---

٥٦٨ ـ البقرة ٢١٣

٥٦٩ ـ البينة ٤

تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾(٥٧٠)

فالرد إلى كتاب الله وما بينه من سنة رسوله لإزالة التنازع وحسم الخلاف تفاديا من التفريق والتفرق المنافى لوحدة الدين يتوقف على جعل الكتاب وبيان الرسول له فوق التنازع واختلاف المذاهب والشيع وإلا كان الدواء عين الداء .

فإن قيل : إن القرآن ليس موضوع اختلاف بين الشيع والأحزاب المختلفين فى المذاهب الإسلامية ، فهم مجمعون على أن من رد شيئا منه كان مرتدا عن الاسلام - إن كان قد عد من أهله - وإنما الاختلاف فى فهمه ، وأما السنة فاختلفوا فى رواية بعضها وفى فهم بعض ومن صح عنده منها شيء يتعلق بأمر الدين وجب الأخذ به فى كل مذهب من المذاهب التى يعتد بإسلام أهلها ، والاختلاف فى فهم ما كان غير قطعى الدلالة ضرورى لا يتناوله مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾(٥٧١)

ونجيب عن هذا (أولا) بأنهم كانوا كذلك فى كل ذلك قبل الفتن وعصبية المذاهب وأما بعدها فقد صرح بعض كبار فقهاء الحنفية بأن الأصل عندهم فى كل حكم كلام أصحابهم فإن وجدوا آية تخالفه (!!) التمسوا لها ناسخاً فإن لم يجدوا أولوها ، وإن وجدوا حديثاً مخالفاً له (!!) بحثوا فى إسناده وإن وجدوا فيه مطعناً نبذوه وإلا فعلوا فى التقصى منه ما يفعلون فى التقصى فى القرآن (٥٧٢) (!) وقد

---

٥٧٠ - النساء ٥٩

٥٧١ - آل عمران ١٠٥

٥٧٢ - لا يقبل هذا الكلام لأنه يعارض ما جاء في أصول مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه - ، لأن مذهب أبي حنية اعتمد في تكوينه علي القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس والاستحسان . وكان الامام أبو حنيفة يقول : آخذ بكتاب الله - تعالي - فما لم أجد فبسنة رسول الله - ﷺ - فما لم أجد في كتاب الله تعالي ولا في سنة رسول الله ﷺ - أخذت بقول أصحابه ، آخذ بقول من شئت منهم فأدع من شئت منهم ، ولا أخرج من قولهم إلي قول غيرهم ،

وتراه يقول : ، إذا جاءنا الحديث عن رسول الله ﷺ أخذنا به ، واذا جاءنا عن الصحابة تخيرنا ، واذا جاءنا عن التابعين زاحمناهم . هم قوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا . هم رجال ونحن رجال .... ،

راجع في ذلك : الأئمة الأربعة د .أحمد الشرباصي - كتابنا عن أبي حنيفة - وسلسلة كتب اسلامية - الأئمة الأربعة د . مضطفي الشكعة ، وكتاب أبي حنيفة - لعبد الحليم الجندي -

جرى على ذلك أهل كل مذهب إلا أفراد من كبار النظار خالفوا المذاهب فى بعض المسائل الكلامية والأصولية بالدليل ، وبعض كبار المحدثين رجحوا بعض الأحاديث الصحيحة الصريحة على المذهب ، وإن شئت فراجع بعض الشواهد على ردهم لها فى « كتاب إعلام الموقعين » للمحقق ابن القيم .

وثانيا ـ بأن الله تعالى يكلفهم أن لا يجعلوا ما ليس قطعى الدلالة سببا للتفرق والتعادى وتأليف الأحزاب والشيع التى يلقن أتباع كل منها فهم رجل أو رجال يسمونه مذهبهم ويتعلمون منه الرد على مخالفيهم وتفسيقهم أو تكفيرهم ، وبهذا كان الاختلاف ضاراً ومفسداً على المسلمين ومن كان قبلهم من أهل الملل أمور دينهم ودنياهم ، وهو المراد بقوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء** ﴾[٥٧٣] الآية ولولاه لما كان أولئك العلماء الأعلام من المعتزلة والأشعرية يتنابزون بالألقاب ويتبارون بالسباب ويتهاجون بالأشعار ، كقول الزمخشرى المعتزلى بعد تفسيره لآية الأعراف التى نحن بصدد تفسيرها : ثم تعجب من المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ؟ ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة ، فإنه من منصوبات أشياخهم ـ يعنى بالبلكفة قولهم : إنه تعالى يرى بلا كيف أى أن رؤيته ليست كرؤية أهل الدنيا بعضهم لبعض فيما يلزمها من كون المرئى جسما كثيفا يحيط به أشعة البصر ـ ثم قال والقول ما قال بعض العدلية فيهم :

وجماعة سموا هواهم سنة ... لجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفه

يعنى بالعدلية جماعته المعتزلة فإنهم سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، فانظر إلى جعله إثبات الرؤية الثابتة فى الأحاديث المتفق على صحتها منافياً للاتسام بالإسلام والتسمى بأهل السنة ، وهو يعلم أنهم ينفون التشبيه فى الرؤية بالتصريح

---

٥٧٣ ـ الانعام ١٥٩

كما ينفيه هو ، فلولا تعصب المذهب لما ألزمهم إياه بدلالة اللزوم الضعيفة التى قالوا فيها : « لازم المذهب ليس بمذهب » قيل : مطلقا . وقيل : فيما لم يدل الدليل على التزام صاحب المذهب له ، وأما ما صرح بنفيه فلا وجه لإسناده إليه البتة ومن نسبه إليه وذمه به كان ظلوما جهولا .

ولو أن الزمخشرى وشاعر العدلية لم يقولا ما قالا من الطعن والهجو فى أهل السنة بأن اكتفى الزمخشرى فى تأويل أحاديث الرؤية بما أولها به من كون الرؤية فيها عبارة عن كمال المعرفة الجلية لما جوزيا على ذلك بمثل ذنبهما أو أكثر كما قال أحمد بن المنير الاسكندرى فى (الانتصاف) حاشيته على الكشاف .

وجماعة كفروا برؤية ربهم ... حقا ووعد الله ما لن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل ... عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا إنهم ... إن لم يكونوا في لظي فعلي شفه

وللشيخ تاج الدين السبكى صاحب جمع الجوامع وغيره مثل هذا الشعر المحزن ، والبادىء بالشر أظلم ، وهؤلاء الذين هجوا عدلية المعتزلة بمثل ما هجا به شاعرهم أهل السنة كافة هم من الأشعرية[٥٧٤] الذين يقولون مثلهم بالتأويل ويشنعون على إخوانهم من الحنابلة وغيرهم من السلفيين فى بعض مسائل التفويض كالنصوص فى علو الله تعالى خلقه واستوائه على عرشه التى اتبعوا فيها إجماع السلف أو جمهورهم الأعظم فى إمرارها كما جاءت ، مع تنزيه الرب تعالى عن مشابهة الخلق والتحيز والحد والحلول ، لأن أصل عقيدتهم أنه تعالى مباين لخلقه بذاته وصفاته ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾[٥٧٥] بل أول الإمام أحمد بن حنبل نفسه

---

٥٧٤ ـ الأشعرية هم أتباع أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، من نسل أبي موسي الاشعري ، وقد ولد سنة ٢٦٠ وتوفي سنة ٣٢٤ هـ

ويسمي مذهب الأشاعرة بمذهب أهل السنة والجماعة لأنه استطاع أن يوفق بين آراء المعتزلة الذين يغالون في العقل ويحكمونه في كل شيء ، وبين السلف الذين يرفضون التحرر ويميلون إلي التحفظ في كل شيء

راجع اسلام بلا مذاهب د . مصطفي الشكعه صـ٤٩٣

٥٧٥ ـ الشوري ١١

نصوص المعية كقوله تعالى : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾[٥٧٦] فخصه بالعلم .

فالحق الواقع أن المختلفين فى فهم النصوص من المسلمين الصادقين يؤمنون بها ويعظمونها ، ولكن غلب على قوم ترجيح جانب التنزيه ، حتى انتهى ببعضهم إلى التعطيل وجعل صفات الرب تعالى سلبية بضروب من التأويل ، وغلب على قوم جانب الأخذ بالظاهر فى ذلك حتى وقع بعضهم فى التشبيه فعلا ، كأنّ الكتاب والسنة خلوا من المجاز والكناية فى ذلك ، مع العلم بأن ما عدا اسم الجلالة من ألفاظ اللغة قد وضع قبل نزول القرآن للتعبير به عن المخلوقات وشئونها ، فالفريقان أرادا تعظيم الرب تعالى وسد ذريعة القول فى ذاته وصفاته بغير الحق الذى يرضيه ، وهؤلاء خافوا التعطيل ورد شيء من النصوص أو تحكم الأهواء فى تأويلها ، وأولئك خافوا الوقوع فى تشبيه الرب سبحانه بخلقه وسد ذريعة ما يعد نقصاً فى حقه . فالنية كانت حسنة من الجانبين كما قال شيخنا الشيخ حسين الجسر الطرابلسى رحمه الله تعالى فى درسه عند قراءة شرحى السنوسية والجوهرة ، ولكن الذين ضلوا بالتأويل والتعطيل كثيرون حتى خرجت به عدة طرق من الملة بعضهم باطناً وظاهراً وبعضهم باطناً لا ظاهراً ، كالباطنية الذين تركوا أركان الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصيام ، زاعمين أن لها معانى غير ما عمل به النبى ﷺ وأجمع عليه المسلمون .

وكغلاة الصوفية الذين ذهبوا فى التأويل إلى ما وراء طور العقل والنقل وأساليب اللغة فادعوا أنهم يرون الله تعالى عيانا فى جميع الصور ويتلقون عنه كالأنبياء ، وأن فيهم من هم أفضل من الأنبياء وأعلم بالله تعالى ، ومنهم من ادعى رفع التكليف عمن بلغ مقاماتهم فى المعرفة ، بل منهم من غلا فى وحدة الوجود إلى ادعاء الربوبية للبشر والبقر والحجر والمدر ، وما يستحى أو يتنزه قلم المتدين الأديب عن ذكره وإلى عدم التفرقة بين موحد ومشرك ومؤمن وكافر وبر وفاجر وعادل وجائر وطيب وخبيث ، ولا بين نافع وضار . وطهور ورجس ويستدلون على عقائدهم أو

---

٥٧٦ ـ الحديد ٤

مزاعمهم بالآيات والأحاديث بضروب من التأويل وقد قال بعضهم :

عقد الخلائق فى الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ولم يقع من فرقة تأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فى مثل هذا الضلال البعيد ، فهؤلاء الظاهرية ومن يسمونهم غلاة الحنابلة من أقوى المسلمين إيماناً وأصحهم إسلاماً وما رموا به من التشبيه والتمثيل الذى نفاه النص والعقل ظلم سببه التعصب المذهبى ، فإذا كانوا يثبتون للرب تعالى كل ما أثبته لنفسه فى كتابه وأثبته له رسوله فيما صح من حديثه حتى فيما يفوضون كنهه إليه تعالى للاعتراف بأن عقولهم لا تحيط به فهل يعقل أن يثبتوا له ما نفاه عن نفسه بقوله (ليس كمثله شيء) وهو مما يعقلونه ولا يعقلون ضده ؟ كلا إن تعصب أصحاب النظريات الكلامية من المعتزلة ومن يقرب منهم من متأولة الأشعرية هم الذين افتأتوا عليهم بما ألزموهم إياه مما نفوه من لوازم ما صح فى الكتاب والسنة ، ومن علوه تعالى على خلقه واستوائه على عرشه ، وكونه ينزل إلى سماء الدنيا ويحب ويبغض ويضحك الخ مع استصحاب نص التنزيه ، فهم لا يرون فرقا بينها وبين كونه يسمع ويبصر ويتكلم ، وكذا يعلم ويريد ويشاء ويقدر ، فكل ذلك مما يطلق على الخلق والخالق ، مع انتفاء التشبيه ، إنما ذنبهم عندهم أنهم لا يستعملون نظريات أفكارهم فى التحكم بتأويل هذه النصوص ، ولم يكلف الله تعالى أحداً من خلقه هذه النظريات الفلسفية الكلامية ، وإنما كلفهم الإيمان بجميع ما جاءهم به رسله ﷺ وأصل الدين الذى بعث الله تعالى به جميع رسله إلى خلقه هو أن يعبدوا الله تعالى وحده ولا يشركوا به شيئا من خلقه ، وأن يعبدوه بما شرعه لهم دون غيره ، إذ ليس لغيره أن يشرع شيئا من الدين بدون إذنه فالله تعالى قد شرع الدين لجميع أفراد الأمة ، وهذه الفلسفة الكلامية من دقائق النظريات الفكرية التى انفرد بالغوص عليها أفراد معدودون من أذكياء الأمم فتفرقوا فيها واختلفوا ، لأن التفرق والاختلاف من لوازمها البينة ، فعصوا الله تعالى فى نهيه عن التفرق والاختلاف فى الدين ، فكيف يقول عاقل أن جميع المؤمنين قد كلفوها ؟ وإذا كانت

صحة الإيمان تتوقف عليها ، فكم عدد المؤمنين فى الأمة كلها ؟ وإذا كان الحق فيها واحداً كما يقولون فكم عدد أهل الحق منهم ؟ وكيف السبيل لدى كل من احتكر الحق فيها لنفسه إلى تلقين السواد الأعظم من الأمة ما يراه بحيث لا يقبل سواه ؟ فإن كان هو أصل الدين الذى لا يقبل الله غيره ففهم الدين متعذر على أكثر الأمة .

وأما ما كان عليه السلف الصالح فى صدر الأمة فكان سهلا ويسيرا كما وصف الله ورسوله هذا الدين وهذه الملة ، كان جميع المسلمين فى الصدر الأول يصفون الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسله من غير تشبيه له بأحد من خلقه ، ومن غير هذه الفلسفة الكلامية التى لم يشرعها الله تعالى ولا أنزل بها من سلطان ، ولذلك استنكر جميع أئمة السلف علم الكلام وعدوه بدعة سيئة ، ومن خاض فيه بعد ذلك من أتباعهم فلأنهم ظنوا أنه يتوقف عليه إبطال البدع وإزالة الشبهات المشكلة فى الدين لا لذاته ، وأرادوا به إزالة الخلاف ، فزادهم خلافاً وافتراقا حتى صار أكثرهم يزعم أن العقائد الصحيحة لا تعرف إلا به ، ويحصرها كل فريق فى مذهبه . ولا سلامة للمسلمين فى دينهم ودنياهم إلا الرجوع فى الدين المحض إلى ما كان عليه السلف وفى أمور الدنيا إلى ما أثبته العلم والتجارب فى هذا العصر ، وأن ينبذوا جميع الأسباب والكتب التى كانت مثار الخلاف والتفرق وراء ظهورهم ، ولا يجعلوا قول عالم من علمائهم ولا فهمه سبباً للتعادى والتفرق بينهم بل يعدوا كل ما ليس قطعيا من كتاب ربهم وسنة رسولهم وإجماع سلفهم من الاجتهاد الذى يعذر به من قام دليله عنده ومن موثق به ولا يكون حجة على غيره . وقد فصلنا القول فى هذا فى مجلتنا (المنار) مرارا . فبهذا يزول ضرر اختلاف المذاهب فى الأصول والفروع ويتراجع الجميع إلى وحدة الدين وأخوة الإسلام . فينالوا من سعادة الدنيا ثم الآخرة ما شرع الله لهم الدين لأجله انتهى .

والحديث يدل على أن رؤية الله تعالى لا تكون فى الدنيا لأن أهل الدنيا ليس عندهم استعداد للرؤية وتحصل للخلق يوم القيامة فى الجنة لاستعدادهم لذلك فإن أهل الجنة لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ، والحديث موافق لما فى القرآن والسنة الصحيحة والله أعلم .

التعليق

قال الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه إسلام بلا مذاهب

المتتبع لطبيعة العلاقة بين الفقه ، والتصوف ، أو بالأحرى بين الفقهاء والصوفية يلمس فارقا واضحا بين مفهوم كل من الفريقين للعبادة فى نطاق الشريعة ، فجانب علم الشريعة الذى يهتم بالعبادات والأحكام والمعاملات اصطلح على تسميته بعلم الفقه ، وعلماؤه الفقهاء ، وهم علماء الظاهر .

وهناك جانب آخر من علم الشريعة يهتم بالباطن المتعلق بأعمال القلوب ، وهو الذى اصطلح على تسميته بعلم التصوف ، وعلماؤه هم أرباب الباطن وأصحاب الحقائق .

وأهل الظاهر يؤثرون الأحكام الدينية الواضحة المعالم ويسعون إلى تحصيل العلم ومداومة الاطلاع والدراسة ، وأهل الباطن لا ينصرفون إلى تحصيل العلم عن طريق الدراسة ولا يحرصون على ذلك كل الحرص ، ولكن الوسيلة إلى التحصيل تكون بطريق المجاهدة والإقبال على الله فى نطاق طهارة النفس وصفاء الروح وتحرير الجسد ومحاسبة الضمير ، توقعا للتجلى الذى يمد المتصوف بأسباب المعرفة .

ومن باب إحقاق الحق ينبغى تقرير أن كبار المتصوفة من غير الغلاة كانوا ملتزمين دائما بأحكام الشرع ، وإن تجاوزوا الصيغة الحرفية إلى المفهوم الكلى الذى هو فى ذاته روح الشرع وكنه فلسفته ، بل إن بعضهم ألحوا على الالتزام بظاهر الشرع ، فهذا أبو سعيد الخراز المتوفى سنة ٢٧٧ هـ وكان من كبار المتصوفة يقول : كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل ، والقشيرى صاحب الرسالة يطالب الصوفية فى مستهل رسالته بالرجوع بالتصوف إلى سيرته الأولى .

وكان كثير من الأئمة الفقهاء يجلون أهل التصوف وينظرون إليهم نظرة احترام وإنصاف

كان أحمد بن حنبل عند الشافعى ذات يوم ، فمر أمامهما شيبان الراعى

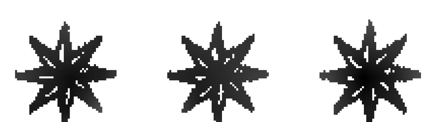
الصوفى ، فقال الإمام أحمد بن حنبل موجها الحديث إلى الإمام الشافعى : أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا - يقصد شيبان - إلى نقصان علمه ليشتغل بتحصيل العلوم .

فقال الشافعى : لا تفعل

فلم يقتنع ابن حنبل ، واتجه إلى شيبان متسائلا : ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة لا يدرى أى صلاة نسيها ؟ ما الواجب عليه يا شيبان ؟

قال شيبان : يا أحمد ، هذا قلب غفل عن ذكر الله ، فالواجب عليه أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه . فغشى على أحمد من روعة الإجابة وعمقها وسدادها . فلما أفاق قال الشافعى : ألم أقل لك لا تحرك هذا ؟

إسلام بلا مذاهب نقلا عن الرسالة القشيرية .



(من أعمال البر)

الحديث الخامس بعد المائتين

« يَا مُوسَى إنّه لَنْ يَتَصنَّعَ إلىَّ الْمُتصنِّعونَ بمثلِ الزُّهْد فى الدُّنْيا وَلَمْ يتَقرَّبْ إلىَّ المتُقرِّبونَ بمِثْلِ الوَرَعِ عمّا حَرَّمْتُ عَلَيهِمْ ولَنْ يَتَعَبَّدَ إلىّ الْمُتَعبِّدونَ بِمثْلِ البكَاءِ مِن خِيفَتى »

رواه القضاعى عن كعب [٥٧٧]

شرح الحديث

ـ التصنع التفعل والتكلف ، يقال تصنع الرجل تكلف حسن السمت والتزين وأظهر عن نفسه فعلا ليس فيه ، والزهد تقد م الكلام عليه فارجع إليه .

والورع فى الأصل الكف عن المحارم والتحرج منه يقال : ورع الرجل يرع ـ بالكسر فيهما ـ ورعا ورعة فهو ورِع وتورع من كذا ، ثم استعير للكف عن المباح والحلال .

والبكاء بالمد والقصر ـ وقيل : القصر مع خروج الدموع والمد على إرادة الصوت وقد جمع الشاعر اللغتين فقال :

---

٥٧٧ ـ ذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ٤ صـ١٥٩ من حديث لابن عباس ـ رضي الله عنهما . وفيه طول . نذكره بتمامه :ـ

قال رسول الله ﷺ :ـ « إن الله ـ جل وعز ناجي موسي بمائة ألف وأربعين كلمة في ثلاثة أيام ، فلما سمع موسي كلام الآدميين مقتهم لما وقع في مسامعه من كلام الرب ـ عز وجل ـ وكان فيما ناجاه ربه أن قال : يا موسي إنه لم يتصنع لي المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ، ولم يتقرب إلي المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ، ولم يتعبد إلي المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي . قال موسي : يا رب البرية كلها ويا مالك يوم الدين ، يا ذا الجلال والإكرام : ماذا أعددت لهم ؟ وماذا جزيتهم ؟ قال : أما الزهاد في الدنيا فإني أبحتهم جنتي يتبوءون منها حيث شاءوا ، وأما الورعون عما حرمت عليهم فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته وفتشته إلا الورعون فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم ، فأدخلهم الجنة بغير حساب ، وأما البكاءون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلي لا يشاركون فيه »

قال المنذري : رواه الطبراني والأصفهاني

بكت عينى وحق لها بكاها   وما يغنى البكاء ولا العويل

ويتعدى بالهمزة فيقال : أبكيته ويقال بكيته وبكيت عليه وبكيت له وبكّيته بالتشديد بمعنى ، وبكت السماء أمطرت [٥٧٨] .

والخيفة الحالة التي عليها الإنسان من الخوف ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى - والله أعلم - أن الله جلت عظمته يخاطب نبيه موسى عليه السلام ، ويخبره أن هناك ثلاثة أعمال من أعمال البر التى ليست لها نظير ، الأول الزهد فى الدنيا فليس عمل يتكلفه الإنسان ويتصنعه مثل الزهد فى الدنيا .

والزهد فى الشىء الإعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه ، يقال شىء زهيد أى قليل وحقير ، فالزهد فى الدنيا كثر الإشارة إلى مدحه فى القرآن الحكيم ، وكذا ذم الرغبة فى الدنيا وسبق ذكر بعضها قريباً ، ولا بأس من الزيادة فى ذلك فنقول قال الله تعالى ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى** ﴾ [٥٧٩] وقال تعالى : ﴿ **تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة** ﴾ [*] وقال تعالى فى قصة قارون ﴿ **فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ [٥٨٠] وقال حاكياً عن مؤمن آل فرعون انه قال لقومه ﴿ **يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار** ﴾ [٥٨١] .

---

٥٧٨ - هذا من قبيل المجاز قال الشاعر : « تضحك الأرض من بكاء السماء »
يعني : تزهر الأرض بالنبات فكأنها ضحكت من بكاء السماء أي من مطرها .

٥٧٩ - الأعلي ١٦ ، ١٧

* - الأنفال ٦٧

٥٨٠ - القصص ٧٩ - ٨٣

٥٨١ - غافر ٣٨ ، ٣٩

والأحاديث فى ذم الدنيا وحقارتها والزهد فيها كثيرة منها : ما رواه مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ « **مر بالسوق والناس كنفيه - أى مكتنفوه - فمر بجدى أسك ميت فتناوله ، فأخذ بأذنه فقال أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشىء وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا ؟ والله لو كان حياً لما رغبنا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت ؟ فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم** » والأسك مصطلم الأذنين مقطوعهما . وفيه أيضاً عن المستورد الفهرى عن النبى ﷺ قال : « **ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بماذا يرجع** » وخرج الترمذى من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء** » وصححه .

أقوال فى تفسير الزهد

وقد تكلم السلف ومن بعدهم فى تفسير الزهد فى الدنيا وتنوعت عباراتهم عنه ، وورد فى ذلك حديث مرفوع خرجه الترمذى وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن حليس عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر عن النبى ﷺ قال : « **الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك** » وقال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وعمرو بن واقد منكر الحديث ، قال الحافظ زين الدين ابن رجب قلت الصحيح وقفه كما رواه الإمام أحمد فى كتاب الزهد .

وقال الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل ، قال : القنوع هو الزاهد وهو الغنى فمن حقق اليقين وثق بالله فى أموره كلها ، ورضى بتدبيره له ، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاء وخوفاً ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة ، ومن كان كذلك زاهداً فى الدنيا حقيقة ، وكان من أغنى الناس وإن لم يكن له شيئ فى الدنيا ، كما قال عمار رضى الله عنه : كفى بالموت واعظا ، وكفى

بـاليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا ، ومن علامات الزهد فى الدنيا قلة الرغبة فيها كما قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : من زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات .

ومنها : أن يستوى عند العبد حامده وذامُّه فى الحق ، فإن من عظمت الدنيا عنده اختار المدح وكره الذم ، فربما حمل ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح ، فمن استوى عنده حامده وذامه فى الحق دل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلائه من محبة الحق ما فيه رضا مولاه ، كما قال ابن مسعود رضى الله عنه : اليقين أن لا ترضى الناس بسخط الله .

وكلام القوم فى الزهد كثير فعليك بمطالعة كتاب مدارك السالكين ، وطريق الهجرتين ، ومختصر شعب الإيمان تجد ما يسرك ويملأ قلبك إيماناً ويقيناً .

مفهوم الورع

الثانى من الأعمال التى أشار إليها الحديث الورع فلن يتقرب إلى الله المتقربون بمثل الكف عما حرم عليهم ، وتقدم تفسير الورع آنفاً ، وقد جمع النبى ﷺ الورع كله فى كلمة واحدة فقال : « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » رواه الترمذى وحسنه النووى ، فهذا يعم الترك لما لا يعنى من الكلام ، والنظر ، والاستماع ، والبطش ، والمشى ، والفكر ، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة ، فهذه الكلمة شافية فى الورع ، قال إبراهيم بن أدهم : الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات .

وفى الترمذى مرفوعا إلى النبى ﷺ « **يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس** » قال الشبلى : الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله .

وقال إسحق بن خلف : الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة ، والزهد فى الرياسة أشد منه فى الذهب والفضة لأنهما يبذلان فى طلب الرياسة .

وكلام القوم فى الورع كثير نسأل الله التوفيق .

البكاء من خشية الله

النوع الثالث المذكور فى الحديث البكاء من خيفة الله عز وجل ولن يتعبد إلى الله تعالى المتعبدون بمثله .

والبكاء على أنواع كما حققه العلامة ابن قيم الجوزية فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد قال : أحدهما بكاء الرحمة والرقة . والثانى بكاء الخوف والخشية . والثالث بكاء المحبة والشوق . والرابع بكاء الفرح والسرور . والخامس بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله . والسادس بكاء الحزن ، والفرق بينه وبين بكاء الخوف أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب ، وبكاء الخوف يكون لما يتوقع فى المستقبل من ذلك .

والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان ، ودمعة الحزن حارة والقلب حزين ، ولهذا يقال لما يفرح به هو قرة عين وأقر الله به عينه ، ولما يحزن هو سخينة العين وأسخن الله عينه به . والسابع بكاء الخور والضعف . والثامن بكاء النفاق ، وهو أن تدمع العين والقلب قاس فيظهر صاحبه الخشوع وهو من أقسى الناس قلباً . والتاسع البكاء المستعار والمستأجر عليه كبكاء النائحة بالأجر فإنها كما قال عمر بن الخطاب تبيع عبرتها وتبكى بشجو غيرها . والعاشر بكاء الموافقة وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم فيبكى معهم ولا يدرى لأى شىء يبكون ولكن يراهم يبكون فيبكى ، وما كان من ذلك دمعاً بلا صوت فهو بكاء مقصور وما كان معه صوت فهو بكاء ممدود على بناء الأصوات ، وقال الشاعر :

بكت عينى وحق لها بكاها   وما يغنى البكاء ولا العويل

وما كان مستدعى متكلف فهو التباكى وهو نوعان محمود ومذموم فالمحمود أن يستجلب لرقة القلب ولخشية الله لا للرياء والسمعة والمذموم أن يجتلب لأجل الخلق وقد قال عمر بن الخطاب للنبى ﷺ وقد رآه يبكى هو وأبو بكر فى شأن أسارى بدر

: أخبرني ما يبكيك يا رسول الله ؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإلا تباكيت ولم ينكر عليه ﷺ ، وقد قال بعض السلف : ابكوا من خشية الله فإن لم تبكوا فتباكوا .

والبكاء مشروع ، ويدل على لين القلب ورقته والنبى ﷺ إذا نظرت في سيرته الشريفة وجدت من شمائله عليه الصلاة والسلام أنه كان يبكى تارة بكاء رحمة للميت وتارة خوفاً على أمته وشفقة . ،وتارة من خشية الله ، وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحب للخوف والخشية ، ولما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه وبكى رحمة له وقال : تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، وبكى لما شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض ، وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء وانتهى فيها إلى قوله تعالى **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾** [٥٨٢] وبكى لما مات عثمان بن مظعون وبكى لما كسفت الشمس وصلى صلاة الكسوف وجعل يبكى فى صلاته و جعل ينفخ ويقول رب ألم تعدنى أن لا تعذبهم وأنا فيهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك ، وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته ، وكان يبكى أحيانا فى صلاة الليل ، والحديث فيه شيء والله أعلم .

التعليق

لا يوجد أكثر تأثيرا من دموع الباكين من خشية الله وحُبِّه والشوق إلى معرفته ولقائه والرغبة فيما عنده ، وقد روى أن الله إذا أراد أن يطفيء نار جهنم أتى بدموع الباكين من خشية الله فيضعها فيها فتطفأ .

عن الهيثم بن مالك أنه قال :

خطب رسول الله - ﷺ - فبكى رجلٌ بين يديه . فقال النبى - ﷺ - : لو شهدكم اليوم كل مؤمن عليه من الذنوب كأمثال الجبال الرواسي يغُفر لهم ببكاء هذا الرجل ، وذلك أن الملائكة تبكى وتدعو له ، وتقول : اللهم شَفِّع البكائين فيمن لم

٥٨٢ - النساء ٤١

يبك ـ رواه البيهقى وقال : هكذا جاء مرسلا .

ومما يؤيد هذا الخبر ما روى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية « **وقودها الناس والحجارة** » فقال : أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، وألف عام حتى ابيضت ، وألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يطفأ لهيبها ، قال : وبين يدى رسول الله ـ ﷺ ـ رجل أسود ، فهتف بالبكاء ، فنزل عليه جبريل ـ عليه السلام فقال : من هذا الباكى بين يديك ؟ قال : رجل من الحبشة . وأثنى عليه معروفا .

قال : فإن الله ـ عز وجل يقول : وعزتى وجلالى وارتفاعى فوق عرشى ، لا تبكى عين عبد فى الدنيا من مخافتى إلا أكثرت ضحكها فى الجنة .

الترغيب والترهيب جـ٤ صـ٢٣٣



(كلمة التوحيد أثقل من كل شيء)

الحديث السادس بعد المائتين

« يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوات ومَا فيها والأَرْضَ ومَا فيها وَالبحارَ ومَا فيها وُضِعُوا فى كَفَّةٍ ولَا إلهَ إلاَّ اللهُ وَضِعَتْ فى الكَفَّةِ الأخْرَى لَرَجحَتَ »

رواه أبو يعلى عن أبى سعيد (٥٨٣)

---

٥٨٣ ـ الحديث في شرح السنة جـ٥ ١٢٧
وفي الاتحافات السنية للمدني برقم ١٤٤ ، ٦٣٤
وذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ٢ صـ٦٩٤
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ١ صـ٦٧
ولفظه في هذا الجامع : « قال موسي النبي ﷺ : يا رب علمني شيئا أذكرك به ـ أو أدعوك به ـ فقال : يا موسي ، قل : لا إله إلا الله . فقال : يا رب كل عبادك يقول هذا ، إنما أريد شيئا تخصني به . قال : يا موسي ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وضعن في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله ،

شرح الحديث

ـ السموات جمع سماء . سماء كل شيء أعلاه . قال الشاعر فى وصف فرس

وأحمر كالديباج أما سماؤه فريا وأما أرضه فمحول[٥٨٤]

قال بعضهم : كل سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماء وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض إلا السماء العليا فإنها سماء بلا أرض .

وحمل على هذا قوله تعالى ﴿ **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾[٥٨٥]

والسماء المقابل للأرض مؤنث وقد يذكر ويستعمل للواحد والجمع وقد ورد فى القرآن كذلك .

والأرض الجرم المقابل للسماء وجمعه أرضون ولا تجيء مجموعة فى القرآن ، ويعبر بها عن أسفل الشيء كما يعبر بالسماء عن أعلاه .

والبحار جمع بحر ، وأصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير ، هذا هو الأصل ثم اعتبر تارة سعته المعاينة فيقال بحرت كذا أو سعته سعة البحر تشبيها به ، ومنه بحرت البعير شققت أذنه شقاً واسعاً . ومنه سميت البحيرة . وسموا كل متوسع فى شيء بحراً ، وللمتوسع فى علمه بحر ، وقد تبحر أى توسع فى كذا ، والتبحر فى العلم التوسع ، وقال بعضهم : البحر يقال فى الأصل للماء الملح دون العذب .

والكفة ـ بكسر الكاف وفتحها ـ الميزان والجمع كفف بكسر الكاف

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الله تبارك وتعالى يخبر نبيه وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام أن السموات وما فيها من عجائب ومخلوقات ، والأرض وما فيها كذلك ، والبحار وما فيها من خبايا وعجائب التى يحار العقل فيها لو وضع الكل

٥٨٤ ـ هذا البيت لطفيل الغنوي ، يصف فرسه الأحمر بأن ظهره لين أما قوائمه فقوية صلبة
وفي لسان العرب يقول : أن ظهر الفرس اسمه سماء سمي بذلك لعلوه . والأرض ما قرب من الأرض من الدابة .
٥٨٥ ـ الطلاق ١٢

فى كفة الميزان ولا إله إلا الله وضعت وحدها فى كفة الميزان الأخرى المقابل للأولى لرجحت ومالت بهن لا إله إلا الله .

وذلك لما اشتملت عليه من نفى الشرك وتوحيد الله الذى هو أفضل الأعمال وأساس الملة والدين .

وروى ابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : قال موسى عليه السلام : « **يا رب علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به قال قل يا موسى لا إله إلا الله قال : كل عبادك يقولون هذا قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله** » وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ « **أن نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله** »

والحديث يدل على أن لا إله إلا الله أفضل شىء وأعظمه ، وهو كذلك .

روى الإمام أحمد والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا « **خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير** » .

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله ونور مرقده : الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل مافى القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض .

وقد ورد فى فضل لا إله إلا الله أحاديث كثيرة . كيف لا وهى الفارقة بين التوحيد والشرك وبين الإيمان والكفر ؟ نسأل الله أن يميتنا على قول لا إله إلا الله مخلصين بها قلوبنا . وأسعد الناس يوم القيامة من قالها خالصاً من قلبه .

وهى أيضاً أفضل الذكر ، وهى مفاتيح الجنة ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال

قلت يا رسول الله : « **من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، قال رسول الله ﷺ لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه** » رواه البخارى .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « **أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله** » رواه ابن ماجه والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله** » رواه أحمد والبزار ، والله أعلم .

التعليق

جاء فى نوادر الأصول للحكيم الترمذى حديث عن أدب « لا إله الا الله »

قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة ، قيل يا رسول الله ما إخلاصها ؟ قال : أن تحجزه عن محارم الله تعالى** »

وقال ﷺ : ـ « **إن الله تعالى عهد إلى أن لا يأتينى أحد من أمتى بلا إله إلا الله لم يخلط بها شيئا إلا وجبت له الجنة . قالوا : يا رسول الله ، وما الذى يخلط بلا إله إلا الله ؟ قال : حرصا على الدنيا وجمعا لها ومنعا لها ، يقولون قول الأنبياء ، ويعملون عمل الجبابرة** »

قال الترمذى : وثمرة هذه الكلمة لأهلها ، وأهلها من رعاها حتى قام بوفائها وصدقها ، ومن لم يرعها فليس من أهل لا إله إلا الله ، إنما هم من أهل قول لا إله الا الله ـ فأهل قول لا إله إلا الله من كان مرجعه إلى القول به والعمل بهواه . وأهل لا إله إلا الله من كان مرجعه إلى إقامة هذا القول وفاء وصدقا .

قال ـ ﷺ ـ : « **لا إله إلا الله يمنع العباد من سخط الله تعالى ـ ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم ثم قالوا : لا إله إلا الله**

ردت عليهم وقال الله ـ تعالى ـ كذبتم »

أما فضل أهل لا إله إلا الله فيشير إليه الحديث الآتى « **ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى القبور ولا فى النشور كأنى أنظر إليهم وهم ينفضون التراب عن رءوسهم وهم يقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن »**

ـ نوادر الأصول جـ٢ صـ١٦٠

وإليكم حديثا آخر بنفس المعنى ذكره المناوى فى اتحافاته هو :

* * *

الحديث السابع بعد المائتين

« قالَ مُوسَى يا رَبِّ علِّمْنى شَيْئاً أذكُرُكَ وأدعوكَ به قالَ يا مُوسَى قُلْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ قالَ يا رَبِّ كلُّ عبادكَ يقُولُ هَذا قالَ قُل لا إلـهَ إلاَّ اللهُ قـالَ لا إلَهَ إلاَّ أنْتَ يا رَبِّ إنَّما أريدُ شَيْئاً تَخُصُّنى به قالَ يا مُوسَى لَوْ أنّ السّمَوات السّبْعَ وَعامرُهنّ غيْرى والأرَضينَ السَّبعِ فى كَفَّهِ ولا إلهَ إلاَّ اللهُ فى كفَّة مالَتْ بهِنّ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ »

رواه النسائى . وابن حبان . والحاكم . وأبو نعيم . وأبو يعلى والحكيم عن أبى سعيد .

شرح الحديث

ـ المعنى ـ والله أعلم ـ أن نبى الله موسى عليه السلام قال : رب علمنى شيئاً أذكرك فى خلواتى وجلواتى وأدعوك به لأنتفع بذلك ويكون ذخراً لى لديك فأجابه الله تعالى بقوله : يا موسى قل : لا إله إلا الله قال موسى لربه عز وجل : لا إله إلا أنت

يا رب إنما أريد شيئا تخصنى به يا رب وكلمة لا إله إلا الله عامة يشترك فيها الخاص والعام والتقى وغيره قال الرب تعالى لموسى يا موسى لو أن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع فى كفة ميزان ولا إله إلا الله فى كفة أخرى مالت بهن لا إله إلا الله لعظمها وكبر شأنها لأنها اشتملت على نفى الشرك وتوحيد الرب جل جلاله وقد أشبعنا الكلام على ذلك فى الحديث السابق فارجع إليه .

والحديث يدل على عدم اختصاص بعض العباد بشيء من الخيرات ، بل الخير يتناوله كل واحد على حسب قوته وجده ، والله أعلم .

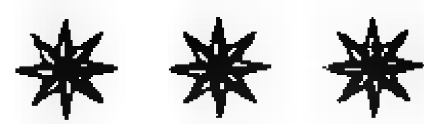
التعليق

لقد تقدم تخريج هذا الحديث وترتيبه فى الإتحافات برقم ٢٥٠ ، وقد قدمناه لمناسبته لما قبله ، بل هما حديث واحد بروايتين مختلفتين .

إن أول كلمة سمعها موسى - عليه السلام - من ربه هى : لا إله إلا الله .

وذلك حين كان عائدا إلى مصر من مدين ، ورأى النار بجانب الطور الأيمن ، فذهب إليها ، فسمع الحق يقول له « **إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى . وأقم الصلاة لذكرى** » : ١٢-١٤ .

وعلى كلمة التوحيد قام الكون ولأجلها خلق الخلق ، « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** » والعبادة أساسها التوحيد والإخلاص سرها ، وكلمة لا إله إلا الله تسمى كلمة الإخلاص . . اللهم أخلص قلوبنا بها ولها ، وأمتنا عليها وابعثنا عليها .



(حسنة واحدة تُدخل صاحبها الجنة)

الحديث الثامن بعد المائتين

« يُؤْتَى بحسَنَات العَبْد وَسَيِّئاته يَوْمَ القيامَة فَيُقْتَص بَعْضُها بِبَعْضٍ فإنْ بَقِيَتْ حسنَةٌ وَاحدة أُدْخلَ الجَنَّةَ »

رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس [٥٨٦]

شرح الحديث

- يؤتى بالحسنات يجاء بها . والحسنات جمع حسنة ويعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان فى نفسه وبدنه وأحواله .

والسيئات جمع سيئة وهى تضاد الحسنة ، وهما من الألفاظ المشتركة كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة كالفرس والإنسان وغيرهما .

ويوم القيامة يوم قيام الساعة وأصل القيامة ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة ، أدخل فيها الهاء تنبهاً على قوعها على دفعة .

والقصاص القَوَد يقال أقص الأمير فلاناً من فلان إذا اقتص له منه فجرحه مثل جرحه أو قتله قوداً .

والمعنى - والله أعلم - أن الله جل ثناؤه وتعاظمت قدرته يخبرنا أن يوم القيامة وهو يوم الساعة يؤتى ويجاء بحسنات العبد وسيئاته فتوزن بميزان العدل ليظهر أى الكفتين أرجح ، فيقتص بعضها ببعض أى يقدر الحسنات والسيئات فتسقط

---

٥٨٦ ـ أخرجه البزار من حديث ابن عباس ، وهو في كنز العمال جـ١٠ صـ٣٥٤

وذكره المدني في إتحافاته برقم ١٣٤ وقال : أخرجه الحاكم في صحيح مسلم جـ٤ ١٩٩٧ حديث يشير إلي القصاص يوم القيامة .. وهو مشهور بحديث « المفلس »

وهذا الحديث في جامع الأحاديث القدسية جـ٢ صـ٣٤١ بلفظ : « يؤتي بسيئات العبد وحسناته فيقتص أو يقضي ، فإن بقيت له حسنة وسع له في الجنة »

ورمز له بأنه حسن لغيره .

السيئات بحسب الحسنات ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، فإن بقيت حسنة واحدة بعد ذلك له أمر الله عز وجل بإدخاله الجنة .

واختلف في تسمية يوم القيامة بذلك قيل لكون الناس يقومون من قبورهم قال تعالى : ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعا** ﴾[٥٨٧] وقيل لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهما فيه .

وقيل لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : يوم يقوم الناس لرب العالمين . قال : يقوم الناس أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه ، قال ابن عمر رضي الله عنهما يقومون مائة سنة ويروى عن كعب يقومون ثلاثمائة سنة ، وروى أبو يعلى بإسناد صحيح وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (**يوم يقوم الناس لرب العالمين**)[٥٨٨] مقدار نصف يوم من خمسين ألف فيهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة**)[٥٨٩] فقيل ما أطول هذا اليوم ؟ فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة .

وقيل : إنما سمي يوم القيامة والروح فيه صفاً قال تعالى ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفا** ﴾[٥٩٠] .

قال القرطبي : القيامة قيامتان : صغرى وكبرى فالصغرى ما تقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله على عمله . والكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة . والدليل على أن كل من ما ت قامت

---

٥٨٧ ـ المعارج ٤٣

٥٨٨ ـ المطففين ٦

٥٨٩ ـ المعارج ٤

٥٩٠ ـ النبأ ٣٨

قيامته قول النبى ﷺ لقوم من الأعراب سألوه عن الساعة فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : « إن يعش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » رواه مسلم وغيره قال الشاعر :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أَقَلّ [591] الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا خروجي وتعجيلي إليه كرامتي

وموقف يوم القيامة موقف عظيم ، وهو سهل لمن حفظ حقوق الله وأداها كما أمر ، وحافظ على حقوق العباد أينما كان ، وهو صعب شديد الصعوبة وأشد من العَذاب لمن انتهك محارم الله وعبث بحقوق الناس ، وأخرج الإمام أحمد عن محمد بن أبى عميرة . والطبرانى عن عتبة بن عبد الله رضى الله عنه مرفوعا « لو أن رجلا يخر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً فى مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة » .

وأخرج ابن البارك عن كعب قال : لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبياً لخشى أن لا ينجو من ذلك اليوم .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « **يعرق الناس يوم القيامة حيت يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم** » وفى بعض ألفاظ الصحيح « سبعين باعاً » .

وأخرج مسلم عن المقداد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « **إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال - فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما** » وفى رواية له « **تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل** » قال سليم بن عامر : ما أدرى ما يعنى

591 - أقلّ : حمل

بالميل مسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال : « **فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقْوَيه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً » وأشار رسول الله ﷺ إلى فيه »** وروى الطبرانى بإسناد جيد عن ابن مسعود مرفوعاً « أن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول : يا رب أرحنى ولو إلى النار ، ويكفى فى ذلك قوله تعالى : **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾**(٥٩٢)

روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : يحشر الله العباد يوم القيامة - أو قل - الناس عراة غرلا بهماً قال قلنا وما بهماً ؟ قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الديان ، أنا الملك ، لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ، ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة قال قلنا : كيف وإنما نأتى عراة غرلا بهما ؟ قال : « الحسنات والسيئات » .

وإذا زادت سيئاته ولم يبق له حسنة طرح عليه من سيئات الغير ثم يلقى فى النار ، وفى صحيح مسلم و غيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « **المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار** » أسأل الله العظيم أن يسلمنا من هول ذلك اليوم .

---

٥٩٢ - الحج ١، ٢

والحديث لم يذكره الحافظ الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد ، وذكر ما يقاربه عن ابن عباس عن النبي ﷺ عن الروح الأمين قال : قال الرب - تبارك وتعالى - : « **يؤتى بسيئات العبد وحسناته ، فيقتص أو يقضي ، فإن بقيت له حسنة وُسِّع له في الجنة** »

رواه البزار ، ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم ، والله أعلم .

التعليق

من الآثار الطيبة التي تدل على رحمة الله بعباده يوم القيامة ما جاء في فضل العافين عن إخوانهم في القصاص :



الحديث التاسع بعد المائتين

قال الحاكم حدثنا أبو منصور محمد بن القاسم العتكي ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أنس القرشي ، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي ، أنبأ عباد ابن شيبة الحبطي عن سعيد بن أنس ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه قال : بينما رسول الله - ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال له عمر : ما أضحكك يا رسول الله ﷺ بأبي أنت وأمي ؟

قال : « **رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربِّ العزة ، فقال أحدهما يا ربِّ خذ لي مظلمتي من أخي ، فقال الله - تبارك وتعالى - للطالب : فكيف تصنعُ بأخيك ولم يبق من حسناته شيءٌ . قال : يا رب فليحملْ من أوزاري . قال : وفاضت عينا رسول الله - ﷺ - بالبكاء ، ثم قال : إن ذاك اليومَ عظيمٌ يحتاجُ الناسُ أن يُحْمَلَ عنهم من أوزارهم . فقال الله - تعالى - للطالب :**

ارفعْ بصركَ فانظر فى الجنان ، فرفع رأسه فقال : يا رب أرَى مدائن من ذهب وقصوراً من ذهب مُكَلَّلةً باللؤلؤ ، لأى نبىٍّ هذا ؟ أو لأى صِدِّيقٍ هذا ؟ أو لأى شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى الثمن .

قال : ومن يملك ذلك ؟ ؟ قال : أنت تملكه . قال بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك . قال : يا رب فإنى قد عفوتُ عنه . قال الله - عز وجل - فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة فقال رسول الله ﷺ عند ذاك : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله - تعالى - يصلح بين المسلمين » (٥٩٣)

وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله إشارة إلى أن يوم القيامة عصيب ، فيه ترد الحقوق إلى أصحابها ، وكم من إنسان يظن أنه ناج فإذا به قد غُبن ، نظرا لما أخذ منه من حسنات وأضيف إليه من سيئات . . ولذلك سمى يوم التغابن . والله - سبحانه وتعالى - يحب من عباده أن يتصافحوا فيما بينهم ويحثهم على ذلك دلالة على أنه رحيم بعباده ، ورحمتهُ وسعت كل شىء . . وفيما ورد من حثه سبحانه تعالى - عباده على أن يعفو بعضهم عن بعض ما جاء فى هذا الحديث الذى لم يذكره المناوى أيضا :



٥٩٣ - هذا الحديث لم يذكره المناوي في إتحافاته ، وذكره جامع الأحاديث القدسية جـ٢ صـ٣٤٣ وقال : أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٤ صـ٥٧٦ ، ولكنه رمز له بالضعف .
ولكن الحاكم قال عنه : انه صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
والحديث في كنز االعمال صـ٣ ٨٨٦٣ ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ٣ صـ٥١٤

الحديث العاشر بعد المائتين

« إذا كان يوم القيامة دخل أهل الجنة الجنةَ ، وأهل النارِ النارَ وبقى الذين عليهم المظالمُ ، نادى منادٍ من تحت العرش : يأيها الجمعُ تتاركوا المظالم وثوابكم على »

أخرجه ابن أبى الدنيا وابن النجار من حديث أنس (٥٩٤)

إن هذين الحديثين اللذين ذكرناهما يشيران إلى سعة رحمة الله وأن الله يحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض ، فإن الله يحب أن يتخلق عباده بأخلاقه فى العفو والرحمة والصفح والتجاوز . .

ومما أورده المؤلف من أحاديث تدور حول هذا المعنى الحديثان اللذان أوردهما فى آخر كتابه ، وقدمناهما لمناسبة المعنى . .



(ادخلوا الجنة برحمتى)

الحديث الحادى عشر بعد المائتين

« يُنادى المُنادى منْ بُطْنان العَرْش يومْ القيامة يا أمَّة محمَّد إنّ اللهَ تعالَىَ يقولُ ما كَانَ لى قِبَلكمْ فَقَدْ وَهبْته لكَمْ وَبقَيت التَّبعاتُ فتَوَاهَبُوا وَادْخُلوا الجنَّة برْحَمتى »

رواه إبرهيم المقرى فى التبصرة عن أنس .

٥٩٤ ـ هذا الحديث لم يذكره المناوى في اتحافاته وذكره جامع الأحاديث القدسية جـ٢ صـ٣٤٥ ، وقال : هو في كنز العمال جـ١٤ ٣٨٩٩١ ، ولكنه رمز له بالضعف .

شرح اللغويات

- بطنان العرش وسطه ، والتبعات جمع تبعة على وزن كلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها .



الحديث الثانى عشر بعد المائتين

« يُنادى المُنادى يا أهْلَ التَّوحيد لِيَعْفُو بعضُكم عنْ بَعْضٍ وَعلىَّ الثَّوابُ »

رواه الطبرانى عن أم هانىء

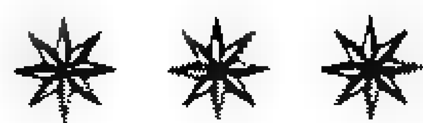
التعليق

ورد فى بعض الآثار : « **لا يدخل أحدكم الجنة بعمله** » قالوا : حتى أنت يا رسول الله ؟ قال : « **حتى أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته** »

فدخول الجنة برحمة الله تعالى ، ولهذا كان على العاقل ألا يغتر بعمله ، فإن العمل مهما بلغ من الكثرة والاجتهاد فإنه لا يفى بأقل نعمة من نعم الله الكثيرة التى تجل عن العد و الإحصاء .

وليس للعبد أن يقصر فى العمل اتكالا على الرحمة ، فإن العمل واجب شكراً لله ، وتعبُداً له ، واستجابة لأمره . . وقد خلقنا الله لعبادته بإخلاص « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** » « **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** »

اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا من أهل رحمتك ، واشملنا بعفوك ومغفرتك ، إنك أنت الحنان المنان ، وأنت أهل الرحمة يا رحمان .



الحديث الثالث عشر بعد المائتين

« يُؤْذِينى ابنُ آدمَ بِسَبِّ الدّهْرِ . وأنا الدّهْرُ بِيَدِى الأمْرُ أقَلّبُ الليل والنّهارَ »

رواه أحمد . وهناد . والشيخان عن أبى هريرة (٥٩٥)

***

الحديث الرابع عشر بعد المائتين

« يُؤْذِينى ابْنُ آدمُ بقَوْله يَا خَيْبَةَ الدّهْر فَلا يَقُولَنّ أحَدُكُمْ يا خَيْبَةَ الدّهْرِ فإنِّى أنَا الدّهْرُ أُقَلّبُ لَيْلَهُ وَنهارَهُ فإذَا شِئْتُ قَبَضْتُهما »

رواه مسلم عن أبى هريرة (٥٩٦)

شرح الحديثين

ـ الإيذاء إيصال المكروه بأحد ضروبه وإيذاء الله تعالى عبارة عن فعل ما لا يرضاه والسب الشتم والشتم تقدم فارجع إليه . والدهر فى الأصل اسم لمدة العالم

---

٥٩٥ ـ هذا الحديث أخرجه الحميدى في مسنده جـ٢ ١٠٩٦
ورواه البخاري جـ٦ صـ١٦٦
ورواه مسلم جـ٤ ١٧٦٢
وذكره المدني في إتحافاته برقم ٢٢ ونسبه إلي أحمد والشيخين وأبي داود
وقد رمز جامع الأحاديث القدسية لهذا الحديث بالصحة جـ١ صـ١٢٥
٥٩٦ ـ هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه جـ٤ صـ ١٧٦٢
ورواه أحمد في مسنده جـ١٤ ٧٦٦٩
وفي إتحافات المدني برقم ٣٠
ورمز له جامع الأحاديث القدسية لهذا الحديث بالصحة جـ١ صـ١٢٧

من مبدأ وجوده إلى انقضائه ، ثم يعبر به عن كل مدة كثيرة ، وهو خلاف الزمان فإن الزمان يقع على المدة القليلة والكثيرة . والليل والنهار معلومان والخيبة الحرمان والخسران .

والمعنى - والله أعلم بمراده أن الله - جل ذكره - يخبرنا أن ابن آدم يؤذيه ويوصل إليه المكروه ، بأن يقول فى حقه تعالى ما يكره ، بسبب سب الدهر ، وقد كان من شأن العرب أن تذم الدهر وتسبه عند النوازل والحوادث ، يقولون : أبادهم الدهر وأصابتهم قوارع الدهر وحوادثه ، ويكثرون ذكره بذلك فى أشعارهم ، وذكر الله عنهم فى كتابه العزيز فقال : ﴿ **وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ [٥٩٧] فنهاهم الله جل ذكره عن ذم الدهر وسبه ، أى لا تسبوا فاعل هذه الأشياء ، فإنكم إذا سببتموه وقع السب على الله تعالى لأنه الفعال لما يريد لا الدهر ، بيد الله الأمر يقلب الليل والنهار أى يجددهما ويبليهما ، ويذهب بالملكوت والجبابرة .

والمعنى أن الزمان يذعن لأمر الله تعالى ولا اختيار له ، فمن ذم الدهر والزمان على ما يظهر فيه صادراً عنى فقد ذمنى ، وأنا الضار والنافع ، والدهر ظرف لا أثر له .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه . وأبو عبيد . وغيرهما من الأئمة فى تفسير قوله : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » كانت العرب فى جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو ملامة قالوا : يا خيبة الدهر ، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله ، فكأنهم إنما سبوا الله سبحانه لأنه فاعل ذلك فى الحقيقة . فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار ، لأن الله هو الذى يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال ، هذا أحسن ما قيل فى تفسيره ، وهو المراد والله أعلم .

وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية فى عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث ، وقد تبين معناه فى الحديث بقوله « **أقلب الليل**

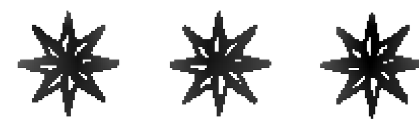
---

٥٩٧ - الجاثية ٢٤

والنهار » وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه . ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة فى أشعار المولدين كابن المعتز . والمتنبى وغيرهما . وليس من سب الدهر وصف السنين بالشدة ونحو ذلك كقوله تعالى : ﴿ **ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد** ﴾ (٥٩٨) الآية والله أعلم .

التعليق

ذكر الرواة عدة أحاديث فى هذا المعنى منها عدا ما أورده المؤلف الحديث الآتى



الحديث الخامس عشر بعد المائتين

« قال الله عز وجل : استقرضت من عبدى فأبى أن يقرضنى وسبَّنِى عبدى ، يقول : وادهراه ، وأنا الدهر »

أخرجه الحاكم ورواه أبو هريرة (٥٩٩)



---

٥٩٨ ـ يوسف ٤٨

٥٩٩ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٢ صـ٤٥٣

وهو في كنز العمال جـ٣ / ٨١٤٣

وهذا الحديث ليس في إتحافات المناوي وأضفناه من جامع الأحاديث القدسية جـ١ صـ١٢٧ ، وقد رمز له بالصحة .

والحديث الآتى

الحديث السادس عشر بعد المائتين

« لا تسبوا الدهر فإن الله عز وجل قال : أنا الدهر . الأيام والليالى لى أجددها وأبليها . وآتى بملوك بعد ملوك »

أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة [٦٠٠]



والحديث الآتى

الحديث السابع عشر بعد المائتين

« لا يقل أحدكم : يا خيبة الدهر ، قال الله ـ عز وجل ـ : أنا الدهر ، أرسلُ الليلَ والنهار ، فإذا شئت قبضتُهما ، ولا يقولن للعنب الكَرْم ، فإن الكَرْم الرجل المسلم »

أخرجه البخارى فى الأدب المفرد عن أبى هريرة أيضا [٦٠١]

هذه الأحاديث الثلاثة لم يذكرها المناوى فى كتابه « الإتحافات السنية » وذكرناها إتماما للفائدة . ولما تتضمنه من معان زائدة .

فالحديث الأول ، يشير إلى أن ما يصيب العبد فى دنياه إنما هو بمثابة قرض

---

٦٠٠ ـ الحديث في مسند أحمد جـ٢ صـ٤٩٦

وفي اتحافات المدني برقم ٧٧٠

وليس في إتحافات المناوي ، وأضفناه من اتحافات المدني ومن جامع الأحاديث القدسية جـ١ صـ١٣٠ ، وقد رمز له بالصحة .

٦٠١ ـ هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد صـ٢٦٩ ، وصـ٧٧٠

ولم يذكره المناوي في اتحافاته ، وأضفناه من جامع الأحاديث القدسية جـ١ صـ١٣١ . وقد رمز له جامع الأحاديث القدسية بأنه حسن لغيره .

استقرضه الله من عبده ، ليرده عليه ثوابا مضاعفا ، وأجراً عظيما فى الجنة . .

أما قول العبد : وادهراه ، فهو أسلوب يسميه النحاة « الندبة » وهو النداء عند التحسر والتوجع والفجيعة .

فما أجهل العبد حين يتفجع من المنحة التى أراد الله أن يمنحها إياه ولو أنها جاءت فى صورة محنة . « **وقد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت** » .

أما الحديث الثانى فيشير إلى أن الله تعالى بيده الأيام والليالى يبليها ويجددها ، وفى قبضته الملوك ويؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ولا يدوم ملك الدنيا لأحد ، فعلى الملوك أن يضعوا هذا فى اعتبارهم ، ويدركوا أن الملك لو دام لأحد ما وصل إليهم .

ويشير الحديث الثالث إلى التنبيه إلى بعض أدب الحديث . فلا ينبغى أن توضع الأسماء على غير مسمياتها . وقد جرت عادة العرب أن يسموا العنب بالكرْم .

وفى تسمية العنب بالكرْم ، قال ابن الأثير فى النهاية : سمى الكرْمُ كرماً لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء ، والكرم ، فاشتقوا له منه اسما ، فكره أن يسمى باسم مأخوذ من الكرم ، وجعل المؤمن أولى به . وقال الزمخشرى : أراد أن يقرر ويسدد ما فى قوله تعالى : - « **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** » بطريقة أنيقة ومسلك لطيف ، وليس الغرض حقيقة النهى عن تسمية العنب كرما ، ولكن الإشارة إلى أن المسلم التقى جدير بألا يشارك فيما سماه الله به .

وهذه الأحاديث مع سابقتها تنهى عن فعل الجاهليين الذين كانوا يسبون الدهر حين تحدث لهم ملمات . وقد أحسن الشاعر الذى نعى عليهم ذلك فى قوله :

يا عاتب الدهر إذا نابه ... لا تلم الدهر على غدره
الدهر مأمور ، له آمر ... وينتهي الدهر إلي أمره
كم كافر أمواله جمة ... تزداد أضعافا علي كفره
ومؤمن ليس له درهم ... يزداد إيمانا علي فقره

قال القرطبى الذى روى هذه الأبيات لأبى عبد الله الثقفى : روى أن سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيرا ما يذكر الدهر فزجره أبوه وقال : إياك يا بنى وذكر الدهر

وأنشد :

فما الدهر بالجاني لشيء كحينه ولا جالبُ البلوي فلا تشتم الدهرا
ولكن متي ما يبعث الله باعثا علي معشر يجعل مياسيرهم عُسراً

وقال أبو عبيد : ناظرت بعض الملحدة فقال : ألا تراه يقول : « فإن الله هو الدهر » ؟

فقلت : وهل كان أحد يسب الله فى آباد الدهر ، بل كانوا يقولون كما قال الأعشى :

إن مُحِلاً وإنّ مرتحلا وإنّ في السّفر إذْ مضَوا مَهَلا
استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولي الملامة الرَجُلاَ

قال أبو عبيد : ومن شأن العرب أن يذموا الدهر عند المصائب والنوائب حتى ذكروه فى أشعارهم ونسبوا الأحداث إليه . قال الشاعر :

رمتني بنات الدهر من حيث لا أري فكيف بمن يُرْمَي وليس برام
فلو أنها نَبْلٌ إذاً لا تقيتها ولكنني أُرْمَي بغير سهام
علي الراحتين مرةً وعلي العصا أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي

ـ تفسير القرطبى ـ سورة الجاثية الآية رقم ٢٤ ـ



الحديث الثامن عشر بعد المائتين

« يَقولُ اللهُ للمَلائكَة المُوكَّلينَ بأرْزاق بَنى آدمَ أيُّمَا عَبْد وَجدْتموهُ جَعلَ الهَمَّ همًّا وَاحداً فَضَمَّنوا رزْقهُ السّمَواتَ والأرْضَ وأيُّما عَبْد وَجدْتمُوهُ طَلَبَه فإنه يَجْرى العَدْلَ فَطَيِّبوا لهُ وَيسِّرُوا عَليْه وَإنْ تَعدَّى إلى خلاف ذلكَ فخَلُّوا بيْنَه وَبيْنَ ما يُريدُ ثمَّ لاَ يَنَالُ فَوْقَ الدّرَجةِ الّتى كَتَبْتُها لهُ »

رواه أبو نعيم عن أبى هريرة (٦٠٢)

شرح الحديث

ـ الملائكة جمع ملاك فى الأصل ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك بفتح اللام ، وقد تحذف الهاء فيقال . ملائك ، وقيل : أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهى الرسالة ثم قدمت الهمزة وجمع ، وهى أجسام نورانية قادرة على الشكل والظهور .

والهم فى الأصل أول العزيمة ، والعزم القوة والقصد .

والمعنى ـ والله تعالي أعلم ـ أن الله جل اسمه يقول لملائكته الموكلين بأرزاق بنى آدم أيما عبد من عبادى ذكراً كان أو أنثي وجدتموه جعل الهم هماً واحداً هم المعاد وما بعد الموت فضمنوا رزقه السموات والأرض ولا تكلفوه له ، وأيما عبد من عبادى وجدتموه طلب الرزق لسد قوته وتقويم بنيته وإصلاح جسمه امتثالا لقوله تعالى : **﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه إليه النشور ﴾** (٦٠٣) فإن العبد يتبع جريان

---

٦٠٢ ـ أخرجه الحكيم الترمذي في حلية الأولياء تحت عنوان : الأصل الحادي والسبعين والمائتين ، جـ٢ صـ٥٦٩ وهو في كنز العمال جـ٤ ٩٣٢١ ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٣ صـ٤٥٤

٦٠٣ ـ الملك ١٥

العدل فى ذلك فطيبوا له رزقه ويسروا عليه ذلك ، وإن تعدى العبد إلى خلاف ذلك بأن انهمك فى الدنيا وجعل الهم هموماً وتشعبت به الهموم أحوال الدنيا مجرداً فخلوا بينه وبين ما يريد وزيادة على ذلك ، فإن تشعب الهموم وانهماكه فى الدنيا لا يفيده ولا ينال فوق الدرجة التى كتبها الله عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿ **قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا** ﴾ [٦٠٤] وقال جلت عظمته: ﴿ **من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً** ﴾ [٦٠٥] وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **من جعل الهم هماً واحداً كفاه الله هم الدنيا ومن تشعبته الهموم لم يبال الله فى أى أودية الدنيا هلك** » رواه الحاكم والبيهقى من طريقه وغيرها وقال الحاكم صحيح الإسناد ، ورواه ابن ماجه فى حديث عن ابن مسعود وفى رواية له عن ابن مسعود أيضاً قال سمعت نبيكم ﷺ يقول : « **من جعل الهموم هماً واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديته هلك** » .

قال الشيخ السندى : فالحاصل أن ما كتب للعبد من الرزق يأتيه لا محالة إلا أنه من طلب الآخرة يأتيه بلا تعب ومن طلب الدنيا يأتيه بتعب وشدة ، فطالب الآخرة قد جمع بين الدنيا والآخرة ، فإن المطلوب من جمع المال الراحة فى الدنيا وقد حصلت لطالب الآخرة وطالب الدنيا قد خسر الدنيا والآخرة لأنه فى الدنيا فى التعب الشديد فى طلبها فأى فائدة له فى المال إذا فاتت الراحة انتهى .

والملائكة اختلف الناس فى حقيقتها بعد اتفاقهم على أنها موجودة سمعاً وعقلاً ، فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام نورانية وقيل هوائية قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى .

وقالت النصارى : إنها الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانها الصافية الخيرة .

٦٠٤ ـ النساء ٧٧

٦٠٥ ـ النساء ١٣٤

والخبيثة عندهم شياطين .

وقال عبدة الأوثان : إنها هذه الكواكب السعد منها ملائكة الرحمة والتعس ملائكة العذاب .

والفلاسفة يقولون : إنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة .

وصرح بعضهم بأنها العقول العشرة والنفوس الفلكية التى تحرك الأفلاك .

وهى عندنا منقسمة إلى قسمين : قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القَضاء وجرى به القلم ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ [٦٠٦] وهم المدبرات أمراً ، فمنهم سماوية ومنهم أرضية ولا يعلم عددهم إلا الله ، وفى الخبر « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع » وهم مختلفون فى الهيئات متفاوتون فى العظم لا يراهم على ما هم عليه إلا أرباب النفوس القدسية .

وقد يظهرون بأبدان يشترك فى رؤيتها الخاص والعام وهم على ما هم عليه قيل : إن جبريل عليه السلام فى وقت ظهوره فى صورة دحية الكلبى بين يدى المصطفى ﷺ لم يفارق سدرة المنتهى ومثله يقع للكمل من الأولياء وهذا ما رواه طور العقل وأنا به من المؤمنين .

وقد ظهر للناس فى عالم مصر تفسير سنة ١٢٤٩ أسماء ناشره الهداية والعرفان وليس له من اسمه نصيب ، وحقيق به أن يسمى الغواية والبهتان ، جرى فيه ناشره على قلب الحقائق وإنكار ما وراء الطبيعة وما لا يرى كالملائكة والشياطين والجن ، وذهب مذهب الباطنية المستحدثين ، فقامت عليه العلماء من سائر الأقطار الإسلامية ، وسفهوا تفسيره وردوا عليه بردود كثيرة ، وأخرجوه من جماعة

٦٠٦ ـ التحريم ٦

الموحدين ، وطلقوا منه زوجته بالمحكمة الشرعية بسبب ردته وإلحاده ، على رأسهم المرحوم صاحب مجلة المنار سيد رشيد رضا ، فقد كان له الكيل الأوفى ، وصادرت الحكومة نسخ التفسير ، وطردت مشيخة الأزهر من روَّجَ هذا التفسير وفصلته من معاهدها ، وبعض مروجيه خاف عاقبة أمره أن يفعل به ذلك فَحُمَّى ومات فى يومه ذلك ، ويعد هذا معجزة للدين الإسلامى وللقرآن الحكيم ، اللهم احفظه من سقطات الساقطين وتُرهَات المكذبين وإفك الملحدين والله أعلم .

التعليق

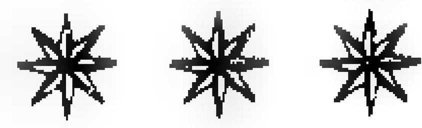
أخرج الحاكم فى المستدرك ـ كتاب التفسير ـ سورة الشورى ـ عن ابن عمر مرفوعا « **من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم آخرته ، ومن تشعبت به الهموم فى أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها وقع** » وأخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود .

وقد ألقى الحكيم الترمذى نظرة على هذا الحديث فقال : الهم للقلب وهو أمير الجسد ، وهو وعاء كنوز المعرفة ، ومنها يفرق على جنده ، فالعقل والحفظ والذهن والفهم والفطنة والروح . هؤلاء كلهم مرتزقة من عند القلب ، والقلب ينفق عليهم من كنزه الذى أعطى ، وهو المعرفة بالله تعالى والعلم به ، فإذا جاءته هموم أحوال النفس فقد تشعب قلبه شعبا وشغل القلب بشعبها فضيع الكنز ، وفرق الجند ، وبقى مأسورا فى يدى النفس وأحوالها ، فلم يبال الله فى أى أوديتها هلك . .

وإنما يصير هم المؤمن واحدا إذا نسى نفسه وأحوالها ، وهو أن ينكشف له الغطاء عن المعرفة بالله تعالى . حتى يرى الله كافيا له فى كل أمر من دنيا وآخرة ، فعندها يرفع باله عن التدبير لنفسه ويلقى ذلك كله إلى الله تفويضا . . . وقد قال الله تعالى لنبيه : ﴿ **واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا . رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا** ﴾ ـ المزمل ٧ ، ٨

فاسم الرب هو الاسم الأعظم المكنون الذى منه خرجت الأسماء ، فمن وصل إلى ذلك الاسم المكنون ، وانكشف له الغطاء عنه فقد تبتل إليه وانقطع عن الخلق ، واتخذه وكيلا ؛ فعندها بطلت وكالة النفس ، وتعطلت الهموم ، وانتصبَ ذلك الهم الواحد بين عينى فؤاده ، فامتلأ الصدر نورا ، فتتابعت أنوار حبه متواترة إلى العلا . قال ﷺ : « **من انقطع إلى الله كفاه الله مئونته ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها** » نوادر الأصول جـ٢ صـ٥٦٦

ومن الأحاديث التى سبقت بمعناها وأعادها المؤلف فى ترتيبه الأبجدى الحديث الآتى :



(حب الله سماع صوت عبده)

الحديث التاسع عشر بعد المائتين

« يَقولُ اللهُ لمَلائكَته انْطَلقُوا إلىَ عَبْدى فَصبُّوا علَيْهِ البَلاءَ صبًّا فإنّى أحِبُّ أنْ أسْمعَ صَوْتَهُ »

رواه الطبرانى عن أبى أمامة (٦٠٧)

شرح الحديث

- الصب فى الأصل الإراقة والسكب ، والبلاء الاختبار .

المعنى - والله أعلم - أن الله جل ذكره يقول لملائكته الكرام الذين لا يعصون الله ما

---

٦٠٧ - أخرجه البغوي في شرح السنة جـ٥ صـ٢٣٦ بلفظ : « إن الله - عز وجل - يقول لملائكته : انطلقوا إلي عبدى فصبوا عليه البلاء صباً ، قال : فيأتونه فيصبون عليه البلاء صباً ، فيحمد الله ، فيرجعون فيقولون : يا رب، إنا صببنا عليه البلاء صباً كما أمرتنا ، فيقول : ارجعوا فإني أحب أن أسمع صوته »
وذكره المنذري في الترغيب والترهيب جـ٤ ـ٥٢٩
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٣ صـ٧٧
وقد سبق ذكر هذا الحديث بلفظه في أول الكتاب .

أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويأمرهم بأن ينطلقوا إلى عبد من عباده ، ذكراً كان أو أنثى ، وهو موصوف عندهم باسمه وشخصه ، ويصبوا عليه البلاء صباً لأن الله جل اسمه يحب أن يسمع صوت عبده ذلك ، ليظهر لملائكته وخلقه ما يقول ، والله أعلم بما فى ضمير العبد وقلبه وما ينطق به لسانه .

والابتلاء : الاختبار ويطلق على التكاليف ، قال الراغب الأصفهانى فى مفرداته : وسمى التكليف بلاء من أوجه : أحدها أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء ، والثانى أنها اختبارات ولهذا قال الله عز وجل ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** ﴾(٦٠٨) . والثالث أن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء ، فالمحنة مقتضية للصبر ، والمنحة مقتضية للشكر ، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المحنة أعظم البلاءين ، وبهذا النظر قال عمر رضى الله عنه بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر .

ولهذا قال أمير المؤمنين : من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله . وقال تعالى : ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** ﴾(٦٠٩) ﴿ **وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا** ﴾(٦١٠) وقوله عز جل : ﴿ **وفى ذلكم بلاء من ربكم** ﴾(٦١١) راجع إلى الأمرين إلى المحنة التى فى قوله عز وجل ﴿ **يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم** ﴾(٦١٢) وإلى المنحة التى أنجاهم .

وكذلك قوله تعالي: ﴿ **وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين** ﴾(٦١٣) راجع إلى الأمرين كما وصف كتابه بقوله ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** ﴾(٦١٤) .

٦٠٨ ـ محمد ٣١
٦٠٩ ـ الانبياء ٣٥
٦١٠ ـ الأنفال ١٧
٦١١ ـ البقرة ٤٩
٦١٢ البقرة ٤٩
٦١٣ ـ الدخان ٣٣
٦١٤ ـ فصلت ٤٤

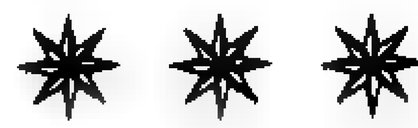
وإذا قيل ابتلى فلان كذا وأبلاه فذلك يتضمن أمرين أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره ، والثاني ظهور جودته ورداءته وربما قُصد به الأمران ، وربما يقصد به أحدهما ، فإذا قيل في الله تعالى بلا كذا أو بلاه فليس المراد منه إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل من أمره إذا كان الله علام الغيوب .

وقال العلامة الألوسي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** ﴾ أصل البلاء الاختبار وإذا نسب إليه تعالى يراد منه ما يجري مجراه من العباد على المشهور . وهو تارة يكون بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا . وتارة بهما ليرغبوا ويرهبوا ، فإن حملت الإشارة على المعنى الأول فالمراد بالبلاء المحنة ، وإن حملت على الثاني فالمراد به النعمة ، وإن حملت على الثالث فالمراد به القدر المشترك كالامتحان الشائع بينهما ، ويرجح الأول التبادر . والثاني أنه في معرض الامتنان ، والثالث لطف جمع الترغيب والترهيب .

ومعني حب الله تعالى لسماع صوت عبده المبتلي أن العبد الصادق إذا ابتلى وصبت عليه البلاياو ما يكره ويؤذيه يلتجيء إلي الله جل ذكره ويظهر العبوديه وبذلك تظهر معني الألوهية وتتحقق عظمة العبوديه ، والحديث الله أعلم بمرتبته .

التعليق

هناك أحاديث أخري تدور في هذا الفلك لم يذكرها المناوى ، ونذكرها إتماما للفائدة : منها :

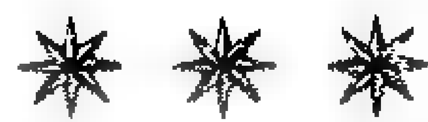


الحديث العشرون بعد المائتين

« عن أبي ذر قال : إن الله ـ تعالي ـ يقول : « يا جبريل انسخ من قلب عبدي المؤمن الحلاوة التي كان يجدها ، فيصير العبد المؤمن والهاً طالباً للذي كان يعهد من نفسه ، نزلت به مصيبة لم ينزل به مثلها قط ، فإذا نظر الله إليه على تلك الحال قال : يا جبريلُ

رُدَّ إلي قلب عبدي ما نسختُ منه فقد ابتليته فوجدته صابراً ، و سأمدُّه من قِبَلِي بزيادة ، وإن كان عبداً كذابا لم يكترث ولم يبال »

أخرجه ابن عساكر (٦١٥)



ومنها هذا الحديث :

الحديث الحادى و العشرون بعد المائتين

« إن موسي بن عمران مرَّ برجل وهو يضطرب ، فقام يدعو الله أن يعافيه ، فقيل له : يا موسي إنه ليس الذي يصيبه حظٌّ من إبليس ولكنه جوَّع نفسه لي ، فهو الذي تري . إني أنظر إليه كل يوم مرات أتعجب من طاعته لي ، فمره فليدع لك ، فإن له كلَّ يوم عندي دعوة »

أخرجه الطبراني عن أبي عباس (٦١٦)

التعليق

مر بنا الحديث المروى عن أنس رضى الله عنه ـ « **قال رسول الله ﷺ ـ قال الله ـ تعالى**

---

٦١٥ ـ الحديث فى كنز العمال جـ٤ / ١٠٤٥٧
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٣ صـ٧٠٩
، وقال عنه إنه غير مرفوع للنبى ـ ﷺ ـ
٦١٦ ـ أخرجه الطبرانى جـ١١ / ١١٦٩٥
وأخرجه أبو نعيم فى الحلية جـ٣ صـ٢٤٥
وذكره المدنى فى اتحافاته برقم ٥٠٩
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٣ صـ٨٠

: إذا وجهت إلى عبد من عبادى مصيبة فى بدنه أو فى ولده أو فى ماله فاستقبلها بصبر جميل استحييت يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا » وعلق الحكيم الترمذى على صبر المؤمن على البلاء بقوله :

الصبر ثلاث : صبر الموحدين ، وهو أن لا يسخطوا على ربهم ولا يجوروه ، فلموجب إيمانهم صبروا ، واعترفوا أنه عدل فى ذلك ، ثم أهملوا جوارحهم فى المعاصى .

والثانى صبر المقتصدين ، فإنهم صبروا بالقلب والجوارح ، فرضوا بالقلب عن ربهم ، وحفظوا جوارحهم عن المعصية بسبب ما نزل بهم ، لكن فى النفس شدة وكزة ومرارة . .

والثالث صبر المقربين ، فهو الرضاء ، لم تجد لوعة المصيبة مساغا فى قلوبهم لما فيها من الحلاوة واللذاذة بقرب الله تعالى ، لأن النور لما اشتعل فى صدورهم بعد امتلاء القلب منه لم يبق فى النفس غل ولا كزة ولا مرارة .

انتبهت النفس من نومتها وخرجت من مشيئتها ، وأفاقت من سكرتها فصارت مشيئتة الله تعالى أحلى من مشيئتة ، وصار بدل المرارة حلاوة .

كان معاذ بن جبل - رضى الله عنه - حين أصابه الطاعون ، يكاد يختنق فيقول : اخنقنى خنقك يا رب فو عزتك لا تزداد بذلك عندى إلا حبا .

كان الفضيل بن عياض من أعبد أهل زمانه ، وكان لا يرى دائما إلا حزينا ولم يُرَ مبتسما إلا يوم مات ابنه على . فسئل عن ذلك فقال : إن الله أحبَّ شيئاً فأحببت ذلك . .

فاعجب معى من أخلاقنا الآن حين يجزع أحدنا إن أصابه زكام ، أو أخطأته درجة ، أو فقد منه مال ، أو ضاع منه عرض من أعراض الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة . .

« اللهم رضنا بقضائك ، وصبرنا على بلائك ، وأوزعنا شكر نعمائك »



الحديث الثانى والعشرون بعد المائتين

« يَقولُ اللهُ يومَ القِيامَةِ أَخْرِجُوا مِنَ النّارِ مَنْ ذَكَرَنى يَوْماً أَوْ خافَنِى فى مَقامٍ »

رواه الترمذى عن أنس[٦١٧]

شرح الحديث

ـ المقام ـ بفتح الميم ـ يكون مصدرا واسم مكان القيام وزمانه ويطلق على المنزلة .

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الله سبحانه وتعالى يخاطب ملائكته يوم القيامة ، ويأمرهم بإخراج من دخل النار من عباده المؤمنين وكان قد ذكر الله ـ جل ذكره ـ يوما ما من أيام حياته أو خاف الله تعالى فى مقام ما مدة عمره .

قال المفسرون فى تأويل المقام فى قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾[٦١٨] مقام مصدر ميمى بمعنى القيام مضاف إلى الفاعل ، أى ولمن خاف قيام ربه وكونه مهيمناً عليه مراقباً له حافظاً لأحواله فالقيام هنا مثله فى قوله تعالى : ﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** ﴾[٦١٩] وهذا مروى عن مجاهد . وقتادة . أو هو اسم مكان ، والمراد به مكان وقوف الخلق فى يوم القيامة للحساب . والإضافة إليه تعالى لامية اختصاصية[٦٢٠] لأن الملك له عز وجل وحده فيه بحسب

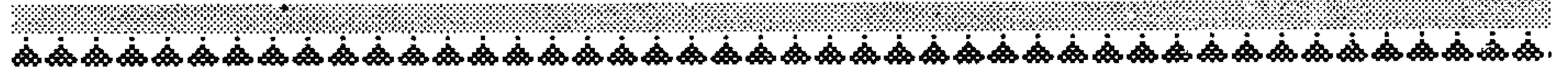
---

٦١٧ ـ أخرجه الترمذي جـ٤ ٢٥٩٤
وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ١٩٩ وبرقم ١٩٣
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٢ صـ٢١ . وعلة الضعف الإسناد ، فيه تبارك بن فضالة ، وثقه جماعة ، وضعفه النسائي

٦١٨ ـ الرحمن ٤٦

٦١٩ ـ الرعد ٣٣

٦٢٠ ـ اضافة لامية أي بمعني اللام . فمقام ربه أي مقام لربه



نفس الأمر والظاهر والخلق قائمون له ، وقيل مقامه سبحانه هو الموقف الذى يقف فيه العباد للحساب كما فى قوله تعالى : ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾[٦٢١] فالمقام مصدر بمعنى القيام ، وقيل : المعنى خاف قيام ربه عليه وهو إشرافه على أحواله واطلاعه على أفعاله وأقواله .

قال الطيبى : أراد به الذكر بالإخلاص وهو توحيد الله عن إخلاص القلب وصدق النية وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله ﷺ « **من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة** » والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصى وتقييدها بالطاعات ، وإلا فهو حديث نفس وحركة لا يستحق أن يسمى خوفا ، وذلك عند مشاهدة سبب هائل ، وإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة . قال الفضيل : إذا قيل لك : هل تخاف الله فاسكت فإنك إذا قلت لا ، كفرت وإذا قلت نعم ، كذبت : أشار به إلى الخوف الذى هو كف الجوارح عن المعاصى .

والحديث يدل على فضل الذكر والخوف من الله تعالى وقد تقدم الكلام عليه فى غير موضع من هذا الكتاب فارجع إليه ففيه الكفاية . وذكر الحافظ الترمذى هذا الحديث فى جامعه وقال : هذا حديث حسن غريب . والله أعلم .

التعليق

يقال إن هارون الرشيد أقسم مرة بالطلاق أنه من أهل الجنة ، ثم أشفق من اليمين ، وخشى أن يكون قد حنث فتطلق زوجته ، فاستدعى الفقهاء من كل مكان يطلب لديهم الفتوى ، فلم يسعفه منهم إلا الليث بن سعد فقيه مصر ، فقد قال له : يا أمير المؤمنين اقرأ سورة الرحمن ، فقرأها ، ووقف به عند هذه الآية وسأله : هل شعرت يوما بالخوف من ربك فقال هارون : أجل فقال له الليث . . أبشر فلك جنتان ، لا جنة واحدة .

---

٦٢١ ـ المطففين ٦

وفى تفسير الجنتين قال النبى - ﷺ - فيما يرويه القرطبى :

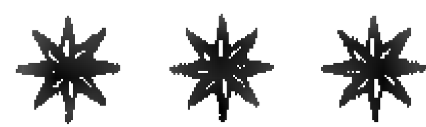
« الجنتان بستانان فى عرض الجنة ، كل بستان مسيرة مائة عام ، فى وسط كل بستان دار من نور ، وليس منها شيء إلا يهتز نعمة وخضرة ، قرارها ثابت وشجرها ثابت »

وفى أسباب نزول هذه الآية يذكر الرواة أنها نزلت فى أبى بكر - رضى الله عنه - يقال : إنه شرب يوما لبنا على ظمأ فأعجبه ، فسأل عنه فأخبر أنه من غير حل فاستقاءه ، ورسول الله - ﷺ - ينظر إليه فقال له : « رحمك الله لقد أنزلت فيك آية » وتلا عليه هذه الآية .

ويربط الحكيم الترمذى بين خوف الله ومعرفته ، ويستدل على ذلك بحديث معاذ عن رسول الله - ﷺ - : **« لو خفتم الله تعالى حق خيفته لعلمتم العلم الذى لا جهل معه ، ولو عرفتم الله - تعالى - حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال »**

وحقا ذلك فإن أشد الناس خوفا من الله العلماء العاملون قال - تعالى - **« إنما يخشى الله من عباده العلماء »** فاطر ٢٨

ويقول النبى - ﷺ - : **« أنا أقربكم إلى الله وأشدكم خشية له »**



الحديث الثالث والعشرون بعد المائتين

« يَقولُ اللهُ تَعالى يَوْمَ القِيَامة للوِلْدَان ادْخُلوا الجَنَّة فَيَقُولونَ يَا رَب حَتّى يَدْخُلَ آباؤنا وَأمهاتُنَا فَيَأتونَ فَيقُولُ اللهُ مَا لى أرَاهُم مُحْبَنْطئِينَ ادْخُلوا الجَنَّة فَيقُولونَ يَا رَبِّ آباؤُنَا فَيَقُولُ ادْخُلوا الجَنَّة أنتم وآباؤُكمْ »

رواه أحمد عن شرحبيل بن شفعة عن رجل من الصحابة [٦٢٢]

شرح الحديث

ـ الولدان كصبيان جمع وليد الصبى .

والمحبنطىء ـ بالهمز وتركه ـ المتغضب المستبطىء للشىء ، وقيل : هو الممتنع امتناع طلبة . . لا امتناع إباء ، ، يقال : احبنطأت واحبنطيت .

يقول الله ـ تعالى اسمه ـ يوم القيامة للصبيان الذين لم يبلغوا الحلم : ادخلوا الجنة فيقفون ويمتنعون من الدخول امتناع دلال لا امتناع إباء ويقولون : يا رب لا ندخلها حتى يدخل آباؤنا الذين هم أصل لنا ، وأمهاتنا اللاتى حملننا فى بطونهن تسعة أشهر وربيننا وسهرن علينا ليالى وسنين ، فيأتون أبواب الجنة ويقفون وقفة رجاء والتماس فيقول الله تبارك وتعالى ما لى أرى هؤلاء الصبيان محبنطئين وممتنعين من دخول الجنة ؟ فيأمرهم ثانياً فيقولون : يا رب آباؤنا أى الأمر بدخولهم معنا لنفرح ونسر ويتم نعيمنا فيجيبهم الله تعالى بقوله : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم فيدخلونها فرحين مستبشرين مغتبطين .

---

٦٢٢ ـ أخرجه الامام أحمد في مسنده جـ٤ صـ١٠٥
وهو في مجمع الزوائد للهيثمي جـ١٠ صـ٣٨٣
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ٢ صـ٤١١

وفى الحديث دلالة على أن الولدان أى الصبيان يدخلون الجنة فيمتنعون ويشفعون لآبائهم وأمهاتهم ، و يطلبون من ربهم تعالى أن يدخل آباءهم وأمهاتهم معهم الجنة فيجيبهم الرب تبارك وتعالى إلى طلبهم ويقبل شفاعتهم فيهم .

ترجمة شرحبيل

وشرحبيل بن شفعة المذكور فى الحديث ، هو الرحبى ويقال : العنسى الشامى أبو يزيد ، روى عن عتبة بن عبيد السلمى ، وعمرو بن العاص وأبى عتبة الخولانى وشرحبيل بن حسنة وغيرهم و عنه جرير بن عثمان ذكره ابن حبان فى الثقات ، قاله الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب . والله أعلم .

التعليق

وهذا الحديث يشير أيضا إلى سعة رحمة الله تعالى ، ويطئن المؤمنين على أن الله يستجيب لشفاعة أبنائهم فيهم ، قال تعالى فى شأن أهل الجنة « **يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين** » الواقعة ١٧ ، ١٨ . قال المفسرون : الولدان المخلدون هم ولدان المسلمين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة . .

وهذا من جملة النعم التى أنعم الله بها على ملة الإسلام ، إذا عاش أولادهم كانوا عونا لآبائهم ، وإذا ماتوا صغارا كانوا لهم شفعاء فى دخولهم الجنة إن كان الآباء مقصرين ، وكانوا قرة أعين لهم فى الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون .

جاء فى كتاب التذكرة للقرطبى :

روي مسلم عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : إنه مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله ـ ﷺ ـ حديثا تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : « **نعم صغارهم دعاميص الجنة ، يتلقى أحدهم أباه ـ أو قال أبويه ـ فأخذ بثوبه ـ أو قال بيده ـ كما آخذ أنا بضبيعة ثوبك هذا فلا يتناهى ـ أو قال فلا ينتهى ـ حتى يدخله الله وأبويه الجنة** »

ـ الدعاميص جمع دعموص ، دويبة صغيرة فى مستنقع الماء ـ

وخرج أبو داد الطيالسى قال : حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة عن أبيه أن النبى ـ ﷺ ـ كان يختلف إليه رجل من الأنصار معه ابن له . فقال له رسول ـ ﷺ ـ ذات يوم : أتحبه يا فلان ؟ فقال : نعم . قال : « **أحبك الله كما أحبه** » **ففقده النبى ـ ﷺ ـ فسأل عنه ، فقالوا : يا رسول الله مات ابنه** » فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **أما ترضى أن لا تأتى بابا من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك ؟** » فقالوا : يا رسول الله : أله وحده أم لنا كلنا ؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « بل لكلكم »

وجاء فى صحيح البخارى : عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ : « **من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابا من النار وأدخل الجنة** »

ويعنى بقوله : لم يبلغوا الحنث : لم يبلغوا الحلم



(بعث النار إلى النار)

الحديث الرابع والعشرون بعد المائتين

« يَقولُ اللهُ تَعالى يَوْمَ القِيَامَة يا آدمُ قُمْ فَجَهِّزْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ تِسْعمائةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعينَ إلى النَّار وَواحداً إلى الجَنَّة فَبَكى وَبَكى أَصْحابُه فَقالَ ارْفَعُوا رُؤُوسكمْ فَوَ الَّذى نَفْسى بيَدِه ما أُمَّتى فى الأُمَم إلا كالشَّعْرَةِ البَيْضاء فى جِلْدِ الثَّوْر الأَسْوَد »

رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء (٦٢٣)

---

٦٢٣ ـ أخرجه الامام أحمد في مسنده جـ٦ صـ٤٤١
وهو في كنز العمال جـ٢ / ٣٠١٦
وجاء في اتحافات المدني مرتين أحدهما برقم ٣٣٦ والأخري برقم ٤١٦ .
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالحسن جـ٢ صـ٣١٣
وللحديث روايات أخري ستأتي في التعليق .

شرح الحديث

ـ التجهيز التهيىء والتمييز ، والذرية أصلها الصغار من الأولاد وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معاً فى التعارف ، ويستعمل للواحد والجمع وأصله الجمع والثور الذكر من البقر

والمعنى ـ والله أعلم ـ يقول الله تبارك وتعالى لآدم يا آدم فيقول لبيك وسعديك يا ربنا يوم القيامة : قم فجهز وهيىء وميز وافرق من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين ، وألقهم إلى النار ، بسبب عصيانهم أوامرى واتباعهم شهوات أنفسهم وشياطينهم ، وواحداً منهم إلى الجنة لأنه أطاعنى وسمع كلامى وعمل بوصاياى ولم يخالفنى وحارب شيطانه وهواه ، فلما أخبر النبى ﷺ أصحابه بذلك بكى شفقة ورحمة على أمته وبكى أصحابه رضى الله عنهم ، وطأطأوا رءوسهم حزناً وخوفاً وشق عليهم ذلك ووقعت عليهم الكآبة والحزن ، فلما رأى بكاءهم أراد أن يزيل عنهم الخوف والحزن الذى اعتراهم من سماع ذلك الخبر ، فبشرهم وقال لهم : ارفعوا رءوسكم وأبشروا ، فو الله الذى نفسى بيده ما أمتى هذه ـ أعنى أمة محمد ﷺ ـ فى الأمم السابقة إلا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود لقلتها ، وكثرة الأمم التى قبلها فيؤخذ من الأمم السابقة تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحدة من أمة محمد ﷺ إلى الجنة .

والحديث رواه البخارى فى صحيحه بأوسع من هذا بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ : يقول الله عز وجل يوم القيامة « يا آدم فيقول : لبيك ربنا وسعديك فينادى بصوت أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار ، قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال من كل ألف أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعين ، فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبى ﷺ : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ، ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض ، وإنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فكبرنا ثم قال : ثلث أهل الجنة فكبرنا ، ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا .

قال الطيبى : فيه إشارة إلى أن يأجوج ومأجوج داخلون فى العدد المذكور والوعيد كما يدل قوله : ربع أهل الجنة على أن فى غير هذه الأمة أيضاً من أهل الجنة ، وقال القرطبى : قوله « **من يأجوج ومأجوج ألف** » أى منهم وممن كان

على الشرك مثلهم ، وقوله « **ومنكم رجل** » يعنى من أصحابه ومن كان مؤمناً مثلهم والله أعلم .

التعليق

ورد تحت هذا الباب أحاديث متعددة ، كلها تشير إلى رحمة الله ـ تعالى ـ بهذه الأمة التى ذكرها الله تعالى فى كتبه السسابقة بأنها الأمة المرحومة . روى عبد الله بن عمر أن رجلاً جاء إلى كعب الأحبار من بلاده باليمن ، فقال له : إن فلانا الحبر اليهودى أرسلنى إليك برسالة ، قال له كعب : هاتها قال الرجل : إنه يقول لك ، ألم تكن فينا سيدا شريفا مطاعاً ، فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة أحمد ؟

فقال له كعب : أتراك راجعا ؟

قال : نعم .

قال : فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك ، وقل له : يقول لك كعب : أسألك بالذى رد موسى إلى أمه ، وأسألك بالذى فرق البحر بموسى ، وأسألك بالذى ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم كل شيء ، ألست تجد فى كتاب الله أن أمة أحمد ثلاثة أثلاث ، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يدخلون الجنة برحمة الله ، وثلث يحاسبون حسابا عسيرا ثم يدخلون الجنة ؟ فإنه سيقول لك نعم . فقل له : يقول لك كعب اجعلنى فى أى هذه الأثلاث شئت ـ خير البشر بخير البشر لابن ظفر صـ٥٦ بتحقيقنا ـ

ولهذا الحديث شاهد من القرآن الكريم هو قوله تعالي « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير** » ـ فاطر ٣٢

وجاء الحديث الشريف بعد ذلك يقول حول هذه الآية : سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له » أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وابن مردويه والبيهقي فشكرًا لله الكريم علي هذه النعمة العظيمة أن جعلنا من خير أمه أخرجت للناس ، ونرجوه أن يختم لنا بخير ، ويتوفانا مسلمين .

ومن الأحاديث التي ذكرها الرواة في هذا المعني ولم يذكرها المناوي في إتحافاته : الأحاديث الآتية :



الحديث الخامس والعشرون بعد المائتين

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال : تلا رسول الله ﷺ - هذه الآية وعنده أصحابه : « يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم » فقال : هل تدرون أى يوم ذاك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذاك يوم يقول الله لآدم : قم فابعث بعث النار ، أو قال : بعثاً إلى النار . فيقول : يا رب من كم ؟ قال : من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النار ، وواحداً إلى الجنة . فشقّ ذلك على القوم ، ووقعت عليهم الكآبة والحزن . فقال رسول الله - ﷺ - : إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ففرحوا فقال النبى - ﷺ - : اعملوا وأبشروا فإنكم بين خليقتين لم يكونا مع أحد إلا كثرتاه : يأجوج ومأجوج ، وإنما أنتم فى الناس أوفى الأمم كالشامة فى جنب البعير ، أو كالرقمة فى ذراع الناقة ، وإنما أمتى جزء من ألف جزء »

أخرجه الحاكم (٦٢٤)

اللغة

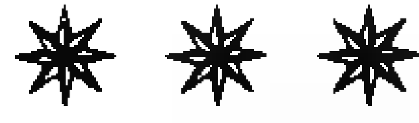
يأجوج ومأجوج : بالهمز وغيره . أمتان كثير عددهما . أصل اللفظ من أجيج النار وهو صوتها وشررها ، شبها بها لكثرتهم وشدتهم

---

٦٢٤ أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٤ صـ٥٦٨
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١٠ صـ٣٩٤
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ٢ صـ٣٠٦

الشامة : العلامة

الرقمة : الدائرة فى ذراع الناقة



الحديث السادس والعشرون بعد المائتين

عن عمران بن حصين أن النبى ـ ﷺ ـ لما نزلت « يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم إلى قوله « عذاب الله شديد » قال : « أنزلت عليه هذه وهو فى سفر فقال : أتدرون أى يوم ذلك ؟ .

فقالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : « ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعث بعث النار . فقال : يا رب ، وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . قال : فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال رسول الله ﷺ ـ قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية ، قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية ، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين ، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة فى ذراع الدابة ، أو كالشامة فى جنب البعير ، ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ، ثم قال : إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ، ثم قال : إنى لأرجو أن

تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا . قال : لا أدرى قال الثلثين أم لا »

أخرجه الترمذى وصححه (٦٢٥)



(تطيب الجنة لأهلها)

الحديث السابع والعشرون بعد المائتين

« يَقولُ اللهُ تَعالى كل يوْم للجَنّة طيبى لأهْلكِ فَتزْدادُ طِيباً فذلكَ البَرْدُ الذى يجدهُ النّاسُ سَحَراً مِنْ ذلكَ »

رواه الطبرانى فى الأوسط عن جابر

شرح الحديث

- السحر - بفتحتين - قبيل الصبح .

والمعنى - والله أعلم - أن الله جل اسمه يخاطب الجنة ويقول لها كل يوم : طيبى أى تطيبى واجعلى الطيب فيك لأهلك الساكنين فيك والذين سيسكنون ، فتزداد طيباً على طيب ، ولما كان هذا الطيب من طيب الآخرة كانت مزاياه أرقى من مزايا طيب الدنيا ، فإن الناس فى الدنيا تجد أثره وهو البرد الذى يقع آخر الليل قبيل الصبح ، وانظر ما حباه الله جل ذكره لخلقه وما أنعم عليهم به فى الدنيا والآخرة ، أفلا يكون الإنسان شاكراً نعم ربه وحامداً له فى السراء والضراء ؟ فيقبل على الطاعات

---

٦٢٥ - أخرجه الترمذي جـ٥ / ٣١٦٨ وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح قد روي من غير وجه عن عمران بن حصين .

وأخرجه الحاكم في المستدرك جـ٢ صـ٢٢٣

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ٢ صـ٣٠٨

ويجتنب المنهيات ويحافظ على حقوق العباد ، اللهم وفقنا لذلك .

والحديث ذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد ، وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه عمر بن عبد الغفار وهو متروك .

التعليق

جاء في حديث قدسي : « **أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ذخرا لهم بَلْهَ ما أطلعتكم عليه** » ثم قرأ رسول الله ﷺ ـ : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** » ـ مسند أحمد جـ٢ صـ٤٣٨ ـ الدر المنثور جـ٥ صـ١٧٦

وبَلْه : بمعنى غَيْر . .

وروى ابن ماجه عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ ذات يوم لأصحابه : « **ألا مشمراً للجنة ؟ فإن للجنة خطراً ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة** » قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله . قال : « **قولوا إن شاء الله** » ثم ذكر الجهاد وحض عليه ـ سنن ابن ماجه ٣٤٣٢ . .

وما ذكر الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ من لذائذ الجنة ونعيمها ، إنما هو تقريب للناس بما شهدوا وعلموا من لذات الدنيا ، وإلا فما هو فى الجنة إلى جانب ذلك أعظم وأجل من أن تدركه العقول ، أو تقع عليه العيون أو تتمثله الخواطر . مصداقا لقوله تعالى فى الآية الكريمة والحديث القدسى المذكورين .

قال الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ ـ : « **لو أن أقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب** »

اللهم ارزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وجنبنا النار وما قرب إليها من قول وعمل .



الحديث الثامن والعشرون بعد المائتين

« يَقولُ اللهُ تَعالىَ للعُلماء يوْمَ القيامة إذَا قَعدَ عَلى كرْسيِّه لقَضاء عباده إنِّى لمْ أجْعلَ علمى وحلمىَ فيكمْ إلا وَأنا أريد أنْ أغفِرَ لكمْ عَلى ما كانَ منْكمْ ولا أُبالىَ »

رواه الطبراني في الكبير عن ثعلبة بن الحكم الليثي [٦٢٧]

شرح الحديث

ـ المعنى ـ والله أعلم ـ أن الله جلت عظمته يخاطب علماء الأمم والمتنورين منهم يوم القيامة إذا قعد جل وعلا على كرسيه للقضاء بين خلقه ، والفصل بينهم فى حقوقهم وحقوقه تعالى ، ويقول لهم : إنى لم أجعل علمى وحلمى فيكم أيها العباد إلا وأنا أريد أن أغفر لكم ، على ما كان وقع منكم من الهفوات والزلات ، والتقصيرات فى الحقوق ومراعاة الخلق ، ولا أبالى أى لا أهتم به ولا أكترث .

تقدم الكلام على العلم والحلم غير مرة فلا حاجة للإعادة ، وإضافتهما إلى الله تعالى هنا لتعظيم المضاف ، والكرسى المذكور فى هذا الحديث هل هو الكرسى المذكور فى قوله تعالى : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ [٦٢٨] أم غيره ؟

---

٦٢٧ ـ هذا الحديث في الترغيب والترهيب للمنذري جـ١ صـ١٠٧ .
وفي كنز العمال جـ١٠ ٢٨٨٩٥
وذكره المدني في الإتحافات السنية برقم ١٩٧ ، ٧٩٩
وذكره السيوطي في كتابه « اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة » جـ١ ص٢٢١
وقال : رجاله موثوقون
ولكن الحديث رمز له كتاب جامع الأحاديث القدسية بالرضخ . قال : انه حديث موضوع . وقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ٢ / ١٣٨١ .
وهناك عدة أحاديث حول هذا المعنى
٦٢٨ ـ البقرة ٢٥٥

وعلى كل فالكرسى فى تعارف العامة ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد قال العلامة الألوسى فى قوله تعالى ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ الكرسى جسم بين يدى العرش محيط بالسموات السبع . وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كن فى سعته : أى الكرسى إلا بمنزلة الحلقة فى المفازة وهو غير العرش ، كما يدل عليه ما أخرجه ابن جرير . وأبو الشيخ . وابن مردويه عن أبى ذر أنه سأل النبى ﷺ عن الكرسى ؟ فقال : « **يا أبا ذر ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإنَّ فضلَ العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة** » .

وفى رواية الدار قطنى والخطيب عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال « سئل النبى ﷺ عن قوله تعالى : (**وسع كرسيه**) الخ قال كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره وقيل : هو العرش نفسه ونسب ذلك إلى الحسن . وقيل : قدرة الله تعالى . . وقيل : تدبيره . وقيل : ملك من ملائكته ، وقيل مجاز عن العلم من تسمية الشيء بمكانه لأن الكرسى مكان العالم الذى فيه العلم فيكون مكاناً للعلم بتبعيته لأن العرض يتبع المحل فى التحيز حتى ذهبوا إلى أنه معنى قيام العرض بالمحل ، وحكى ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، وقيل : عن الملك أخذا من كرسى الملك . وقيل : أصل الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد ، والكلام مساق على سبيل التمثيل لعظمته تعالى شأنه وسعة سلطانه وإحاطة علمه بالأشياء قاطبة . ففى الكلام استعارة تمثيلية ، وليس ثمة كرسى ولا قاعد ولا قعود ، وهذا الذى اختاره الجم الغفير من الخلف ـ فرارا من توهم التجسيم ، وحملوا الأحاديث التى ظاهرها حمل الكرسى على الجسم المحيط على مثل ذلك لا سيما الأحاديث التى فيها ذكر القدم كما قدمنا ، وكالحديث الذى أخرجه البيهقى وغيره عن أبى موسى الأشعرى ـ الكرسى موضع القدمين وله أطيط كأطيط [٦٢٩]

---

٦٢٩ ـ الأطيط : الصوت

الرحل وفى رواية عن عمر مرفوعاً « **له أطيط كأطيط الرحل الجديد إذا ركب عليه من يثقله ما يفضل منه أربع أصابع** »

وأنت تعلم أن ذلك وأمثاله ليس بالداعى القوى لنفى الكرسى بالكلية فالحق أنه ثابت كما نطقت به الأخبار الصحيحة ، وتَوهُّم التجسيم لا يُعْبأ له وإلا للزم نفى الكثير من الصفات وهو بمعزل عن اتباع الشارع والتسليم له ، وأكثر السلف الصالح جعلوا ذلك من المتشابه الذى لا يحيطون به علماً ، وفَوَّضوا علمه إلى الله تعالى مع القول بغاية التنزيه والتقديس له ـ تعالى شأنه ـ انتهى .

وقد دلت الآيات الكثيرة على فضل العلم وما للعلماء من الدرجات الرفيعة يوم القيامة ، وكذلك وردت الأحاديث الصحيحة فى التشييد برفعة العلماء ومكانتهم عند الله عز وجل ، ويكفى فى وصفهم أنهم ورثة الأنبياء .

وهذا كله فى العلماء العاملين المخلصين فى عملهم والمحافظين على مكانتهم لدى الله جل وعز ولدى الناس أجمع لأنهم القدوة .

قال الحافظ المنذرى رحمه الله تعالى فى كتابه الترغيب والترهيب بعد ما أورد هذا الحديث عن طريق ثعلبة بن الحكم الصحابى : رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات
قال الحافظ ـ يعنى نفسه ـ : وانظر إلى قوله سبحانه وتعالى « علمى وحلمى » وأمعن النظر فيه يتضح لك بإضافته إليه عز وجل أنه ليس المراد به علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل به والإخلاص انتهى ، وقد علقت عليه هناك قلت : انظر يا أخى صانك الله عن المساوى إلى كلام الحافظ وقد كان فى عصر العلم والعمل ـ وهو القرن السابع ـ فما كان يقول لو أدرك علماء عصرنا هذا ورأى توسعهم فى الملابس غير المشروعة والمآكل والتباهى بالعلم واتخاذه وسيلة لنيل حطام الدنيا من غير مبالاة بالأمر والنهى ، ومن غير خوف من يوم تهتز له القلوب وترجف منه الأجسام ، نسأل الله تعالى حفظ هذه الأمة من ذلك ، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بتهديد العلماء المتساهلين بدينهم ووعدهم بالعقاب الشديد

والعذاب الأليم ، ويحمل هذا الحديث على العلماء الذين تساهلوا ووقع منهم هفوات ثم استدركوها وتابوا إلى الله تعالى وأنابوا إليه بتوفيق البارى لهم على ذلك نسأل الله السلامة والله أعلم .

التعليق

ورد ذكر الكرسى فى آية الكرسى التى ورد فى فضلها آثار متعددة . وقد قال العلماء فى معنى الكرسى كلاما كثيرا منه أن المقصود به علم الله تعالى : ذكر ذلك ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ورجحه الطبرى فى تفسيره . قال : ومنه الكراسة التى تضم العلم ، ومنه قيل للعلماء : الكراسى ، لاعتماد الناس عليهم فى أمورهم ، وعلى ذلك قول الشاعر

يحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسىٌّ بالأحداث حين تنوب

وقيل : إن المقصود به قدرته التى يمسك بها السموات والأرض أن تزولا . والأولى أن يُسَلَّم علم هذه الغيبيات إلى الله ـ تعالى ـ لأنه أدرى بها وأعلم بشأنها ، وما علينا إلا أن نؤمن بوجودها ، ولا نحكم العقل فى معرفة تفصيلاتها .

أما فضل آية الكرسى فيشير إليه ما جاء فى نوادر الأصول : قال جبريل ـ عليه السلام ـ لموسى عليه السلام : « **إن ربك يقول : من قال فى دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات والأرض ، وكل شىء فى علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدى ذلك كله « الله لا إله إلا الله هو الحى القيوم » إلى آخرها ، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إلى منه سبعون ألف حسنة حتى ينفخ فى الصور وتشتغل الملائكة** »

والحديث يشير إلى فضل العلم وأهله .

ومن غُرر الإمام على كرم الله وجهه وهو باب مدينة العلم : « **يا كميل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة والعلم**

يزكو على الإنفاق ، وصنيع المال يزول بزواله ، يا كميل بن زياد ، معرفة العلم دين يُدان به ، به كسب الإنسان الطاعة فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه .

يا كميل بن زياد ، هلك خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة » - نهج البلاغة للإمام على صـ٣٨٦ -



(جيران الله يوم القيامة)

الحديث التاسع والعشرون بعد المائتين

« يَقُولُ الله تَعالى يوْم القيَامة أيْنَ جيرَانى فتَقولُ المَلائكة مَنْ هَذا الَّذى يَنْبغى لهُ أنْ يُجاوِركَ ؟ فيقولُ أيْنَ قُرَّاء القُرآنِ وعُمّارُ المسَاجِد »

رواه أبو نعيم عن أبى سعيد (٦٣٠)

شرح الحديث

- الجيران جمع جار المجاور فى السكن ، والملائكة تقدم الكلام عليها فارجع إليه - والقراء بتشديد الراء جمع قارىء : التالى القرآن ، والعمار جمع عامر ،

٦٣٠ - في كنز العمال جـ٧ ٢٠٣٣٩

وذكره المدني في إتحافاته برقم ٢٠٢

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ١ صـ٢٤٨

وهناك حديث آخر بهذا المعني مروي عن أنس ولفظه : ـ « إن الله لينادي يوم القيامة : أين جيراني ؟ فتقول الملائكة : ربنا ومن ينبغي أن يجاورك ؟ فيقول : أين عمار المساجد ؟ »

المطالب العالية لابن حجر جـ١ صـ٤٩٥

ورمز له جامع الأحاديث القدسية أيضا بالضعف جـ١ صـ٢٤٧

والمساجد جمع مسجد معروف .

والمعنى - والله أعلم بمراده - أن الله - تبارك اسمه - يخاطب ملائكته يوم القيامة ، ويقول لهم : أين جيرانى فى الدنيا : فيسأل عنهم الملائكة ليكرمهم ويحبوهم النعم التى يستحقونها ، فتقول الملائكة لله عز وجل : من هذا الذى ينبغى له أن يجاورك ؟ استفهاما منهم مشوباً بتعجب ، فيقول الله تعالى لهم : أين قراء القرآن فى الدنيا من عبادى ؟ وكذلك عمار المساجد الذين يعمرونها ببنائها وملازمتهم إياها فى الصلوات الخمس ؟ أولئك هم جيرانى لبيوتى وقراءة كلامى .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى ترغيب قراءة القرآن وفضل القُرَّاء الذين يعملون ويخلصون فى قراءتهم وما لهم فى الآخرة من أجر ومكانة ، ولا سيما إذا كانوا من العلماء الأخيار الذين يفقهون ما يقرأون ، ويعملون بما يفهمون .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب :

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول الرب تبارك وتعالى « **من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين - وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** » رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « **اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه** » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « **يجىء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يا رب حَلِّهِ فيلبس تاج الكرامة ثم يقول : يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقال له اقرأ**

وارق ويزاد بكل آية حسنة » رواه الترمذى وحسنه . وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وأما عمار المساجد والملازمون لها فقد وردت أحاديث كثيرة فى فضلهم ورفع منزلتهم عند الله تعالى ، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان قال الله عز وجل : « **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** » رواه الترمذى واللفظ له وقال حديث حسن غريب . وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم كلهم من طريق دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد وقال الحاكم صحيح الإسناد .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن عمار بيوت الله هم أهل الله عز وجل** » رواه الطبرانى فى الأوسط ، والله أعلم .

التعليق

جاء فى فضل تعمير المساجد وتطهيرها وصيانتها وتشييدها والإكثار من قراءة القرآن والعمل به آثار كثيرة .

من ذلك ما رواه المنذرى فى الترغيب والترهيب : عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « **عرضت علىَّ أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها** »

وعن سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ قال : أمرنا رسول الله ﷺ ـ أن نتخذ المساجد فى ديارنا وأمرنا أن ننظفها . . ومن الآداب التى يجب مراعاتها فى المساجد ، ما رواه واثلة بن الأسقع أن النبى ـ ﷺ ـ قال « **جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم ، واتخذوا على أبوابها المطاهر ، وجمروها فى الجمع** »

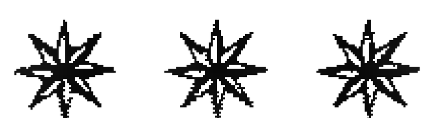
وذكـر الرواة أن النبى - ﷺ أكرم امرأة سوداء كانت تقوم على تنظيف المسجد ورعايته ، وأنه عتب على أصحابه أنهم لم يؤذنوه بوفاتها حين ماتت . فخرج إلى قبرها بعد دفنها وصلى على قبرها . .

فقد روى أبو الشيخ الأصبهانى عن عبيد الله بن مرزوق قال : كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد ، فماتت ، فلم يعلم بها النبى ﷺ - فمر على قبرها فقال : ما هذا القبر ؟ فقالوا : قبر أم محجن . قال : التى كانت تقم المسجد ؟ قالوا نعم فصف الناس فصلى عليها . ثم قال : - مخاطبا لها - : أى العمل وجدت أفضل ؟ قالوا : يا رسول الله ، أتسمع ؟ قال ما أنتم بأسمع منها . فذكر أنها أجابته : قمُ المسجد - أى كنسه وتنظيفه . .

جاء هذا الخبر فى الترغيب والترهيب جـ١ صـ١٩٧

وجاء مثله أيضا فى أسد الغابة جـ٧ صـ٢٦٣ فى ترجمة « محجنة »

هذا ولا يقتصر تعمير المساجد على التشييد والتنظيف بل يتناول فوق ذلك المحافظة على الجماعة وإقامة الصلوات . .



الحديث الثلاثون بعد المائتين

« يَقولُ اللهُ يومَ القيامَة أدْنُوا منِّى أحبّائى فَتقُولُ الملائكةُ مَنْ أحبّاؤكَ ؟ فيَقولُ فُقَراءُ المُسْلمينَ فيدْنونَ منْهُ فيَقولُ أمّا إنِّى لمْ أزوِ الدُّنيا عَنكم لهَوان كانَ بكمْ علىَّ وَلَكنْ أرَدْتُ بذلكَ أنْ أضعِّفَ لكمْ كرامَتى اليَوْمَ فتمنَّوْا علىّ ما شئْتُم اليَوْمَ فيُؤمَرُ بهِمْ إلى الجَنَّةِ قبلَ الأغنياءِ بأرْبَعينَ خَريفاً »

رواه أبو الشيخ عن أنس (٦٣١)

شرح الحديث

- أدنوا منى أحبائي قربوهم منى ، والأحباء جمع حبيب ، وأزو : أصرف وأقبض ، والهوان الذل والحقارة والضعف ، والخريف الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء .

والمعنى - والله أعلم - أن الله سبحانه وتعالى يخاطب ملائكته يوم القيامة ويقول لهم : أدنوا منى وقربوا أحبائى من عبادى ، فتقول الملائكة : من أحباؤك يا رب ؟ ! : استفهام تعجب لأنهم لا يعرفون أن الله - جل ذكره - يحب ، فيجيبهم - جل ذكره - ويقول لهم : أحبائى هم فقراء المسلمين من الأمة ، لأنهم أحبونى وتركوا لذات الدنيا وزينتها ، فعاشوا فقراء الله - جل اسمه - فى أرضه فأحببتهم ، واليوم أحبهم وأكرمهم بكرامة لا تكون لغيرهم فى الآخرة ، فيقربهم الملائكة ويدنونهم من الله - جل جلاله - وهو أقرب إلى عباده من حبل الوريد - فيخاطبهم الرب ويقول لهم : يا عبادى الفقراء فى الدنيا - وإن كنتم أغنياء النفس فيها ، أما إنى

٦٣١ - الحديث في كنز العمال جـ٦ / ١٦٦٣٠ ، وفي اتحافات المدني برقم ١٨٤ .
ولم يذكر جامع الأحاديث القدسية درجته ، بل وضع علامة استفهام وقال : لم أدر ما حاله ..

لم أزو ، وأمنع وأصرف وأقبض الدنيا من مال وعقار عنكم فيها لهوانكم عندى وذلكم واحتقاركم ، ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم وأعوضكم عن ذلك كرامتى اليوم - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - فتمنوا على يا عبادى وفقرائى فى الدنيا ما شئتم اليوم ، فإنى أمنحكم ما تطلبون وتتمنون وبعد ذلك يأمر الرب بهم إلى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً يعنى أربعين سنة .

وقد جاء وصفهم فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً** » فقيل : صفهم لنا قال : « **الدنسة ثيابهم الشعثة رءوسهم الذين لا يؤذن لهم على السدات**(٦٣٢) **ولا ينكحون المنعمات ، ، توكل بهم مشارق الأرض ومغاربها ، يعطون كل الذى عليهم ولا يعطون كل الذى لهم** » رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورواته ثقات ورواه مسلم مختصراً « **سمعت رسول الله ﷺ يقول إن فقراء أمتى المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً** » ورواه ابن حبان فى صحيحه مختصراً أيضاً وقال « **بأربعين عاماً** » .

وقال العلامة ابن قيم الجوزية فى كتابه مدارك السالكين فى الكلام على منزلة الفقر : هذه المنزلة أشرف منازل الطريق وأعلاها وأرفعها بل هى روح كل منزلة وسرها ولبها وغايتها ، وهذا إنما يعرف بمعرفة حقيقة الفقر ، والذى تريد به هذه الطائفة أخص من معناه الأصلى ، فإن لفظ الفقر وقع فى القرآن فى ثلاثة مواضع ، أحدها قوله تعالى ﴿ **للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف** ﴾(٦٣٣) الآية . أى الصدقات لهؤلاء ، كان فقراء المهاجرين نحو أربع مائة لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر ، وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد فى سبيل الله ، فكانوا وقفاً على كل

٦٣٢ ـ لا يؤذون لهم علي السدّات : السدات جمع سُدّة ، ويقصد بها الباب ، أي لا يؤذن لهم علي الأبواب لهوانهم علي الناس

٦٣٣ ـ البقرة ٢٧٣

سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أهل الصفة . هذا أحد الأقوال فى إحصارهم فى سبيل الله ، قيل : هو حبسهم أنفسهم فى طاعة الله . وقيل : حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد فى سبيل الله وقيل : لما عاد أعداء الله وجاهدوهم فى الله تعالى أحصروا عن الضرب فى الأرض لطلب المعاش ، فلا يستطيعون ضرباً فى الأرض ، والصحيح أنه لفقرهم وعجزهم وضعفهم لا يستطيعون ضرباً فى الأرض . ولكمال عفتهم وصيانتهم يحسبهم من لم يعرف حالهم أغنياء . والموضع الثانى قوله تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ﴾(٦٣٤) الآية . والموضع الثالث قوله تعالى : « **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله** »(٦٣٥)

التعليق

عن ابن عباس - رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ - : « **التقى مؤمنان على باب الجنة : مؤمن غنى ، ومؤمن فقير كانا فى الدنيا ، فأدخل الفقير الجنة وحُبس الغنى ما شاء الله أن يُحبس ، ثم أُدخل الجنة ، فلقيه الفقير فقال : يا أخىَ ، ماذا حبسك ؟ والله لقد حُبِسْتَ حتىَ خفت عليك . فيقول : يا أخى إنى حبست بعدك محبسا فظيعا كريهاً ، ما وصلت إليك حتى سال منى العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلةُ حُمْض النبات لصدرت عنه رواء** » .

رواه أحمد بإسناد جيد قوى .

وحمض النبات المالح المر الذى يظمىء البعير . .

يشير هذا الخبر إلى شدة ما يلقاه الغنى من حساب . وإلى خفة مئونة الفقير فلا حساب ولا عتاب . .

وقد أخبر النبى - ﷺ - بعض أصحابه عن منازلهم فى الجنة بناء على ما لقوا فى دنياهم من جهد وَوُجْد . .

---

٦٣٤ - التوبة ٦٠

٦٣٥ - فاطر ١٥

قال عبد الله بن أبي أوفى : خرج رسول الله ﷺ ـ على أصحابه أجمع ما كانوا ، فقال : إني رأيت الليلة منازلكم في الجنة ، وقرب منازلكم . ثم أقبل على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا أبا بكر ، إني لأعرف رجلاً ، أعرف اسمه واسم أبيه وأمه ، لا يأتي باباً من أبواب الجنة إلا قالوا : مرحبا مرحبا

فقال سلمان : من هذا المرتفع شأنه يا رسول الله ؟ فقال : هو أبو بكر بن أبي قحافة .

ثم أقبل على عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا عمر : لقد رأيت في الجنة قصرا من درة بيضاء لؤلؤه أبيض مشيد بالياقوت ، فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لفتى من قريش فظننت أنه لي ، فذهبت لأدخله فقال : يا محمد ، هذا لعمر بن الخطاب ، فما منعني من دخوله إلا غيرتك يا أبا حفص . فبكى عمر . وقال : بأبي وأمي عليك أغار يا رسول الله ؟

ثم أقبل على عثمان ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا عثمان ، إن لكل نبي رفيقا في الجنة ، وأنت رفيقي في الجنة ، ثم أخذ بيد علي ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا علي أو ما ترضى أن يكون منزلك في الجنة مقابل منزلي ؟

ثم أقبل على طلحة والزبير ـ رضي الله عنهما ، فقال : يا طلحة ويا زبير ، إن لكل نبي حواري وأنتما حواريي .

ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ فقال : لقد بطأ بك عنا من بين أصحابي حتى خشيت أن تكون هلكت ، فقلت : ما بطّأ بك ؟ فقلت : يا رسول الله من كثرة مالي ما زلت موقوفا محاسباً أسأل عن مالي من أين اكتسبته وفيم أنفقته .

فبكى عبد الرحمن وقال : يا رسول الله هذه مائة راحلة جاءتني الليلة من تجارة مصر ، فإني أشهدك أنها على فقراء أهل المدينة وأيتامهم ، لعل الله يخفف عني ذلك اليوم ـ الترغيب والترهيب جـ٤ صـ١٣٩ .



(المباهاة بزوار بيت الله الحرام)

الحديث الحادي و الثلاثون بعد المائتين

« يَقولُ اللهُ تَعالىَ انظُروا إلــى زُوّارِ بيْتى قَــدْ جاءُونى شُعثاً غُبْراً »

رواه الحاكم عن أبى هريرة (٦٣٦)

شرح الحديث

ـ الزوار جمع زائر ، والبيت أصله مأوى الإنسان بالليل لأنه يقال بات أقام بالليل كما يقال ظل بالنهار ، ثم قد يقال للمسكن بيت من غير اعتبار الليل فيه . وجمعه أبيات وبيوت لكن البيوت بالمسكن أخص والأبيات بالشعر ، والمراد بيته تعالى هنا مكة حرسها الله وزادها شرفاً .

والأشعث هو مغبر الرأس لبعد العهد بتسريح شعره وغسله والمغبر متغير اللون .

والمعنى ـ والله أعلم ـ أن الله جلت عظمته يخاطب ملائكته فى يوم الحج الأكبر ويقول لهم : انظروا زوار وحجاج بيتى مكة كيف جاءونى من بلاد بعيدة وأقطار مختلفة وسفر شاق ، حال كون السفر جعل رأسهم مغبراً أشعث من كثرة التراب والرمال ، وتغير لونهم بسبب ذلك ، ولا شك أن هذا المدح لمن كان فى حجه مخلصاً فإن الله جل ذكره سيغمرهم بالعطايا ويكرمهم ويبدل تعبهم راحة .

والحديث عام يشمل من قصد بيت الله جل ذكره لأداء فريضة الحج أو للطواف

---

٦٣٦ ـ رواه الحاكم في المستدرك جـ١ صـ٤٦٥

وأخرجه أحمد في المسند جـ١٥ ٨٠٣٣ بلفظ « إن الله ـ عز وجل ـ يباهي الملائكة بأهل عرفات يقول : انظروا إلي عبادي شعثا غبرا »

وهو في الإتحافات السنية للمدني برقم ٣٣٧ ، وبرقم ٣٧٥

ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة جـ١ صـ٣٤٠

والسعي في غير أيام الحج .

والحج فرض واجب من أركان الإسلام يتحتم علي البالغ المستطيع وقد ذكرنا ما يتعلق بالحج في كتاب مختصر شعب الإيمان فعليك به ولنذكر لك بعض ما ورد في ذلك مختصراً .

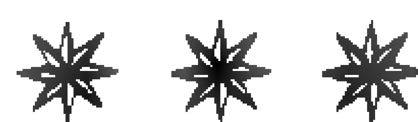
قال الله تعالي في كتابه الحكيم : ﴿ **ولله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾ (٦٣٧) وقال تعالي : ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** ﴾ (٦٣٨) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه** » رواه البخاري ومسلم والنسائي . وابن ماجه والترمذي إلا أنه قال : « **غفر له ما تقدم من ذنبه** » وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم** » رواه البزار ورواته ثقات .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « **إن الله يباهي بأهل العرفات ملائكة السماء فيقول انظروا إلي عبادي هؤلاء جاءوني شعثاً غبراً** » رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح علي شرطهما ، وهذا الحديث يفسر حديث الباب والله أعلم .

التعليق

هذا الحديث تعززه أحاديث كثيرة وردته في هذا المعني ، منها الحديث الآتي :



٦٣٧ ـ آل عمران ٩٧

٦٣٨ ـ البقرة ١٩٧

الحديث الثانى والثلاثون بعد المائتين

« ما من أيامٍ عند الله أفضل من عشر ذى الحجة : فقال رجل : يا رسولَ الله ، هُنَّ أفضلُ أم عِدَّتُهُن جهادا فى سبيل الله ؟ قال : هُنَّ أفضل من عِدَّتِهِنَّ جهادا فى سبيل الله ، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عَرَفَة ، ينزل الله - تبارك وتعالى - إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء ، فيقول : انظروا إلى عبادى جاءوا شعثا غبراً حاجِّين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ، ولم يروا عذابى ، فلمْ يُرَ يومٌ أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة »

أخرجه ابن حبان فى صحيحه عن جابر (٦٣٩)

ومن الآثار الطيبة التى تشير إلى رحمة النبى - ﷺ - بأمته ، وسعة رحمة الله تعالى - بعباده ، ما ذكره الحكيم الترمذى في نوادر الأصول ، حول دعاء النبى ﷺ - لأمته عشية عرفة وغداة المزدلفة .

قال : عن عباس بن مرداس - رضى الله عنه - « **أن رسول الله - ﷺ - دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء ، فأجابه أنى فعلت إلا ظلم بعضهم بعضا - فأما ذنوبهم فيما بينى وبينهم فقد غفرتها . قال : يا رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته ، وتغفر لهذا الظالم ، فلم يجبه تلك العشية ، فلما كان الغداة ، غداة المزدلفة اجتهد فى الدعاء ، فأجابه أنى قد غفرت لهم ، فتبسم رسول**

٦٣٩ - موارد الظمآن ١٠٠٦

ورواه البزار جـ٢ ١١٢٨

وفي إتحافات المدني برقم ٧١١ وفي الترغيب والترهيب جـ٢ صـ٣٢٥

الله ﷺ - فقيل : تبسمت في ساعة لم تكن تتبسم فيها ، فقال : تبسمت من عدو الله إبليس ، إنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمتي أهوي يدعو بالويل والثبور ، ويحثي علي رأسه ويفر»

- نوادر الأصول جـ٢ صـ٣٩ -



(من أهل الكرم ؟)

الحديث الثالث والثلاثون بعد المائتين

« يَقولُ الله تَعالىَ يوْمَ القيامَة سيَعْلمُ أهْلُ الجَمْعِ اليَوْمَ مَنْ أهْلُ الكَرَم قيلَ مَنْ أهْلُ الكَرَمِ يَا رَسولَ اللهِ ؟ قالَ أهْلُ مَجَالسِ الذِّكر فى المَساجِد »

رواه أحمد وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى (٦٤٠)

شرح الحديث

- الجمع : المجتمعون يوم القيامة ، وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى - والله أعلم بمراده - أن الله تعالى يخاطب ملائكته يوم القيامة ويقول لهم سيعلم الناس المجتمعون اليوم للعرض مَنْ أهل الكرم منهم ، الذين سيفوزون بالثواب العظيم والنعم الجسيمة ، قيل : أى بعض الصحابة رضى الله عنهم مَنْ أهل الكرم يا رسول الله ذاك اليوم العظيم يوم الموقف والعرض ؟

فأجابهم الرسول ﷺ بقوله : هم أهل مجالس الذكر فى المساجد التى بنيت

---

٦٤٠ - أخرجه الامام أحمد في المسند جـ٣ صـ٧٥ وهو في موارد الظمآن برقم ٢٣٢٠
وذكره المدني في إتحافاته برقم ٢٣٨
ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ٢ صـ٣٤

للتشييد بذكر الله جل جلاله .

فضل الذكر

وقد ورد فى فضل الذكر والحث عليه آيات كثيرة وأحاديث نبوية صحيحة وقد تقدم بعضها ولا بأس من ذكر جملة هنا استئناساً لهذا الحديث .

قال الله تبارك وتعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾[٦٤١] : وقال تعالى فى سورة آل عمران فى وصف المؤمنين : ﴿ **الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾[٦٤٢] وقال تعالى فى سورة الحديد : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق** ﴾[٦٤٣] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى قال : ذكر الله** » قال معاذ بن جبل : ما شىء أنجى من عذاب الله من ذكر الله رواه أحمد بإسناد حسن . وابن أبى الدنيا . والترمذى . وابن ماجه والحاكم . والبيهقى وقال الحاكم : صحيح الإسناد . ورواه أحمد أيضاً من حديث معاذ بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً ، وقد شرحت هذا الحديث شرحاً مطولاً أتيت فيه بفوائد عظيمة فى شرحى للكلم الطيب للعلامة تقى الدين ابن تيمية ، فعليك به فإنه خير ما وجد فى الأذكار الصحيحة .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا مجنون** » وعن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على

---

٦٤١ ـ الأحزاب ٤١، ٤٢

٦٤٢ ـ آل عمران ١٩١

٦٤٣ ـ الحديد ١٦

حلقة من أصحابه فقال : « **ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا ، قال آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا آلله ما أجلسنا إلا ذلك ، قال أما أنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبرائيل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة** » رواه مسلم والترمذي والنسائي .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قلت « **يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر ؟ قال : غنيمة مجالس الذكر الجنة** » رواه أحمد بإسناد حسن ، وحديث الباب ذكره الحافظ المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب » وسكت عنه والله أعلم .

التعليق

ورد فى فضائل الذكر آثار كثيرة ، من ذلك ما رواه الطبرانى : « **ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله ـ تعالى ـ فيها** »

وروى البزار : « ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر فى الغازين » وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **من عجز منكم عن الليل أن يكابده ، وعن العدو أن يقاتله ، وبخل بالمال أن ينفقه فليكثر من ذكر الله** » .

وروى ابن أبى شيبة « **ما من مؤمن إلا ولقلبه بيتان ، فى أحدهما الملك وفى الآخر الشيطان ، فإذا ذكر الله ـ تعالى ـ خنس الشيطان ، وإن لم يذكر الله ـ تعالى ـ وضع الشيطان منقاره فى قلبه ووسوس له** »

وقال الفضيل بن عياض : بلغنا أن الله ـ عز وجل ـ قال : « **عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما** »

وقال بعض العلماء : إن الله ـ عز وجل ـ يقول : « **أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه وأنيسه** »

وقيل لسهل بن عبد الله التسترى : ما القوت ؟ فقال : ذكر الحى الذى لا يموت .

وقال القشيرى : سمعت أبا على الدقاق - رحمه الله - يقول : الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ، ومن سُلب الذكر فقد عُزل .

ولا شك أن الاجتماع للذكر له فضل ، وقد جاء فى ذلك قوله - ﷺ - « **ما من قوم يجتمعون يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا مغفورا لكم فقد بدلت سيئاتكم حسنات** »

وقال - ﷺ - : « **مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة ، وتحف بهم الملائكة ، وتغشاهم الرحمة ، ويذكرهم الله على عرشه** »

وقال - ﷺ - : « **لأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أحب إلى مما تطلع عليه الشمس . .** »

وحديث الباب دالٌ على ذلك . - مطية السالك إلى ملك الممالك للشيخ أحمد الطاهر الحامدى صـ١٦٥ -

ومن الأحاديث القدسية التى لم يذكرها المناوى فى إتحافاته ، ولها صلة بهذا الموضوع الحديث الآتى : -



(هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)

الحديث الرابع والثلاثون بعد المائتين

جاء فى البخارى من حديث أبى هريرة : -

قال رسول الله - ﷺ - : « إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادَوْا :

هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربُهم ـ وهو أعلم منهم ـ : ما يقول عبادى ؟ قالوا : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ، ويمجدونك . قال : فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً .

قال : يقول : فما يسألوني ؟ قالوا : يسألونك الجنة قال : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة . قال : فممَّ يتعوذون ؟ قال : يقولون : من النار . قال : يقول وهل رأوهاَ ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوْهاَ ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم »

أخرجه البخارى ومسلم والترمذى [٦٤٤]

---

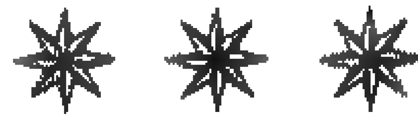
٦٤٤ ـ هذا الحديث أخرجه البخاري جـ٨صـ١٠٧ ، وأخرج مثله مسلم جـ٤ صـ٢٠٦٩
والترمذي عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد جـ٥ صـ٢٦٠٠
وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم ٢٤٣٤
وأخرجه الامام أحمد في مسنده جـ١٦ ٨٦٨٩
وأخرجه الحاكم في المستدرك جـ١ صـ٤٩٥
وفي مختلف هذه المسانيد رمز له جامع الأحاديث القدسية بالصحة . جـ٢ صـ٧ : صـ١٤

التعليق على هذا الحديث

يشير هذا الحديث إلى منزلة الذاكرين عند الله ـ تعالى ـ وأنه ـ سبحانه ـ يحبهم ويصطفيهم ويقربهم إليه ، ويكرم جلساءهم من أجلهم ولو كانوا خطائين ، ففى حديث رواه أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ : « **إن لله سيَّارةً من الملائكة ، يطلبون حلق الذكر ، فإذا أحفُّوا بهم ، ثم يقفون وأيديهم إلى السماء إلى رب العزة ـ تبارك وتعالى ـ فيقولون : ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ، ويتلون كتابك ، ويصلون على نبيك محمد ـ ﷺ ـ ويسألون لآخرتهم ودنياهم ، فيقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : غشوهم رحمتى ، فيقولون : يا ربنا إن فيهم فلانا الخطاء ، ، إنما اعتنقهم اعتناقا ، فيقول تبارك وتعالى ـ : غشوهم رحمتى فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم** »

جامع الأحاديث القدسية ٢ / ١٦ ـ الترغيب والترهيب ٢ / ٤٠٤

إن أهل الذكر ـ كما يشير ذلك الحديث ـ هم طلبةُ الملائكة ، يبحثون عنهم ، ويحضرون مجالسهم ، ويؤمنون على دعائهم ، ويرفعون أخبارهم إلى مولاهم ـ جل وعلا ـ إن مجالسهم هى رياض الجنة كما جاء ذلك فى حديث شريف ، وهم أهل الإحسان الذى هو أعلى مراتب الإيمان . . اللهم اجعلنا منهم ، وأكرمنا بصحبتهم ، وارزقنا حبهم ـ وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .



(آدم يحج)

الحديث الخامس والثلاثون بعد المائتين

« **أوْحَى اللهُ إلىَ آدمَ يا آدمُ أنْ حُجَّ هذا البيْتَ قَبْلَ أنْ يَحدُثَ عَلَيك حَدثٌ قالَ ومَا يَحْدُث يا ربِّ؟ قالَ مَا لا تَدْرى وَهو المَوْتُ قالَ وَما المَوْتُ؟ قال سَوفَ تَذوقُه قالَ مَنْ أستَخْلَفُ فى أهْلِى؟ قالَ اعرِض ذلِكَ عَلى السّمَواتِ والأرضِ والجبالِ**

فعرض علي السموات ،فأبت وعلي الأرْض فَأبتْ وعَلى الجبال فَأبتْ وَقبلهُ ابنُه قاتلُ أخيه فخَرجَ آدمُ منَ الهنْد حاجًا فمَا نزَل مَنزلاً إلاَّ حَازَ عُمْراناَ بَعْدَه وَقُرَى حَتَّى قَدمَ مكَّةَ فاستَقْبلتْه المَلائكةُ فَقالوا السّلامُ عَليكَ يَا آدمُ برَّ حَجُّكَ أمَا إنَّهُ قَدْ حُجَّ هَذا البَيت قَبْلكَ بألفَى عام والبيْتُ يؤمئذ ياقُوتة حَمرْاءُ »

رواه الديلمى عن أنس[٦٤٥]

شرح الحديث

ـ الوحى يطلق على معان مختلفة ذكرها العلامة أبو عبد الله الدامغانى فى كتابه الوجوه والنظائر وهو مخطوط عندى أسأ ل الله التوفيق لطبعه قال : الوحى على خمسة أوجه : فوجه منها الوحى يعنى الذى ينزل من الله عز وجل على الأنبياء قوله تعالى فى سورة النساء ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح** ﴾[٦٤٦] يعنى جبريل إليك ثم ذكر الأنبياء فقال : ﴿ **وأوحينا إلى إبراهيم** ﴾[٦٤٧] وقال تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ **وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به** ﴾[٦٤٨] .

والوجه الثانى الوحى ـ يعنى الإلهام فى القلب ـ قوله تعالى فى سورة المائدة ﴿ **وإذ أوحيت إلى الحواريين** ﴾[٦٤٩] أى ألهمت وكقوله تعالى فى سورة النحل : ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل إن اتخذى** ﴾[٦٥٠] يقول وألهم ربك النحل .

---

٦٤٥ ـ هذا الحديث بأطول من هذا في الترغيب والترهيب للمنذري جـ٢ صـ٢٧١ ورمز له جامع الأحاديث القدسية بالضعف جـ١ صـ٣٦٨

٦٤٦ ـ النساء ١٦٣

٦٤٧ ـ النساء ١٦٣

٦٤٨ ـ الأنعام ١٩

٦٤٩ ـ المائدة ١١١

٦٥٠ ـ النحل ٦٨

والوجه الثالث الوحى الكتاب قوله تعالى فى سورة مريم ﴿ **فأوحينا إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا** ﴾ (٦٥١) يعنى كتب إليهم .

والوجه الرابع الوحى يعنى الأمر قوله تعالى فى حم السجدة ﴿ **وأوحى فى كل سماء أمرها** ﴾ (٦٥٢) يقول أمر فى كل سماء أمرها وكقوله تعالى فى سورة الأنعام ﴿ **شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض** ﴾ (٦٥٣) وكقوله تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون** ﴾ (٦٥٤) يعنى يأمرونهم بالوسوسة .

والوجه الخامس الوحى يعنى القول فذلك قوله تعالى فى سورة الزلزلة ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها** ﴾ (٦٥٥) أى قال لها انتهى بحروفه ، والمراد به هنا ما ينزل على الأنبياء من عند الله تعالى ، والحج أصله القصد للزيارة قال الشاعر :

يحجون بيت الزبرقان المعصفر (٦٥٦)

خُصَّ فى تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامة للنسك .

والحدث الأمر الحادث المنكر الذى ليس بمعتاد ولا معروف .

وأبت امتنعت .

والهند بلاد واسعة الأطراف .

والقرى ـ بضم القاف جمع قرية .

وبر حجك : بفتح الباء الموحدة مبنى للفاعل ، وبضم الباء مبنى للمفعول : جعله مبرورا . والحج المبرور : الذى لا يخالطه شيء من المآثم ، وقيل هو المقبول

---

٦٥١ ـ مريم ١١
٦٥٢ ـ فصلت ١٢
٦٥٣ ـ الأنعام ١١٢
٦٥٤ ـ الأنعام ١٢١
٦٥٥ ـ الزلزلة ٥
٦٥٦ ـ هذا عجز بيت للمخبل السعدي ، وهو بتمامه :

وأشهد من عوفٍ حلولاً كثيرةً يحجون سبَّ الزبرقان المزعفرا

والسِّب ـ بكسر السين ـ العمامة ، وهو الصوابُ في رواية البيت لمناسبة المزعفر للعمامة ..

المقابل بالبر وهو الثواب .

والياقوت نوع من الجواهر حجر صلب رزين صاف شفاف الواحدة ياقوتة والجمع يواقيت ، وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة .

والمعنى - والله أعلم بمراده - أن الله - تبارك اسمه - أوحى إلى آدم وألقى إليه بواسطة أمين الوحي ألا وهو جبريل عليه السلام فأمره أن يحج إلى بيت الله - جل ذكره قبل أن يحدث عليه حدث - وهو الموت - فلا يستطيع زيارته وحجه ، ولما كان آدم عليه السلام لم يعرف الموت بعد فسأل عنه الرب - جل اسمه - فأخبره أن سيذوقه فيعرفه . ولما وجد الحج محتما عليه ولابد من قصد بيت الله ليسن سنة العالم فيقتدون به ويسيرون بسيره - وهو وحيد في تلك البلاد غريب ومعه أهله - فسأل الله عمن يستخلفه في أهله إذا هو حج البيت وقصده وترك أهله . فأجابه الله تبارك وتعالى إلى أن يعرض ذلك على السموات والأرض والجبال ، فان رضين بذلك فاستخلفهن ، وإلا فانظر من تريد فعرض ذلك آدم على السموات وخاطبها بلسان الحال أو المقال : احفظي ولدي بالأمانة فأبت ، فعرض ذلك على الأرض ، فأبت كذلك ، فعرض ذلك على الجبال فأبت وامتنعت من قبول ذلك ، وبعد ذلك قبل الاستخلاف في أهله ابنه قابيل قاتل أخيه هابيل ، وقال له : نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك ، فلما سمع ذلك استراح باله ، فخرج من الهند ، حاجاً فكان لا ينزل منزلا إلا حاز [٦٥٧] عمراناً بعده وقرى وما عداه مفاوز وقفاراً، حتى وصل مكة فحينئذ استقبلته الملائكة بإذن الله تعالى وأمره فقالوا : السلام عليك يا آدم : بَرَّ حجك واجعله مبروراً خالياً من كل إثم وذنب ، وأخبروه أن هذا البيت قد حج وقصد من قبل أن يقصده آدم عليه السلام بألفي عام ، والبيت - شرفه الله وزاده شرفاً - يومئذ ياقوتة من يواقيت الجنة حمراء لأن الله تعالى أنزل ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت والله أعلم .

---

٦٥٧ - حاز : أصبح

وحاصل قصة آدم أن الله جلت أسماؤه خلق آدم من تراب وعلمه الأسماء وأمر الملائكة بالسجود له فسجدت وأطاعت كلها إلا ابليس لعنه الله ، فأبى وادعى الأفضلية تكبراً وحسداً وعناداً ، لأمر أراده الله جل ذكره ، فطرد ابليس من الجنة وأدخل آدم الجنة ، وخلق الله منه زوجته وأباح الله له جميع ما فى الجنة إلا شجرة فإنه نهى عن الأكل منها ، فتحيل ابليس ووسوس لآدم بأن يأكل من هذه الشجرة ورغبه فى الأكل منها ، ولما كان المقدر الذى فى عالم الغيب وقوع ذلك من آدم مال ورغب فى أكلها ، فأكل منها إلى آخر القصة التى ذكرها المولى جل ذكره فى القرآن الحكيم فى غير موضع ، ثم أمر الله جل ذكره أن يهبطوا الى الأرض . وهم آدم وحواء والحية وابليس فهبطوا .

واختلف العلماء فى مكان هبوطهم فقيل أهبط آدم فى بلاد الهند ، وحواء بجدة ، وابليس بميسان ، والحية باصبهان ، وقيل غير ذلك قال الإمام أبو جعفر الطبرى فى تاريخه : وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجىء مجىء الحجة ولا يعلم خبر فى ذلك ورد كذلك غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والانجيل والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء اهـ .

وقال الحافظ المؤرخ ابن كثير فى تفسيره : المراد بالخطاب فى هبوط آدم وحواء وإبليس والحية ومنهم من لم يذكر الحية ، والله أعلم ،والعمدة فى العداوة آدم وابليس ولهذا قال تعالى فى سورة طه ﴿ **قال اهبطا منها جميعا** ﴾ (٦٥٨) الآية ، وحواء تبع لآدم ، والحية وإن كان ذكرها صحيحا فهى تبع لإبليس .

وقد ذكر المفسرون الأماكن التى هبط فيها كل منهم ، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الاسرائيليات والله أعلم بصحتها ، ولو كان فى تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين فى أمر دينهم أو دنياهم لذكرهم الله تعالى فى كتابه أو رسوله ﷺ انتهى .

---

٦٥٨ ـ طه ١٢٣

ولما هبط آدم إلى أرض الهند مكث مدة وهو يجول فى أرضها فأمره الله تعالى بأن يحج فما كان ينزل منزلا يستريح به أو يتخذه سكنا مؤقتاً إلا حاز عمرانا وأصبح عامراً ، وهذا القدر كفاية وإذا أردت أن تحيط علما أكثر من هذا فعليك بكتب التاريخ .

والحديث ذكره الحافظ المنذرى فى كتابه الترغيب والترهيب بصيغة التضعيف - روى - وزاد فى آخره : قال أنس قال رسول الله ﷺ : « **والبيت يومئذ ياقوتة حمراء جوفاء لها بابان من يطوف يرى من فى جوف البيت ومن فى جوف البيت يرى من يطوف ، فقضى آدم نسكه فأوحى الله تعالى إليه يا آدم قضيت نسكك ؟ قال : نعم يا رب ، قال : فسل حاجتك فقط ، قال : حاجتى أن تغفر لى ذنبى وذنب ولدى . قال : أما ذنبك يا آدم فقد غفرناه حين وقعت بذنبك ، وأما ذنب ولدك فمن عرفنى وآمن بى وصدق رسلى وكتابى غفرنا له ذنبه** »

رواه الاصبهانى انتهى ، وقصة هابيل وقابيل ذكرها الله تعالى فى القرآن الحكيم مفصلة والله أعلم [٦٥٩] .

التعليق

مر قبل ذلك حديث يتعارض مع ما ذكره الشارح من أن آدم هو الذى عرض على السموات والأرض والجبال الأمانة . هذا الحديث هو : « **يا آدم إنى عرضت الأمانة على السموات والأرض فلم تطقها . . . .** » إلخ . .

والنص القرآنى صريح فى ذلك « **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها . . .** » الآية .



٦٥٩ - راجع في ذلك كتابنا : سلسلة القصص القرآني الجزء الأول

(دعاء آدم)

الحديث السادس والثلاثون بعد المائتين

روى الطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الدعوات أنه « لما أهبط الله آدم إلى الأرض طاف بالبيت سبعاً ، وصلّى خلف المقام ركعتين ، ثم قال : اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى ، وتعلم ما عندى فاغفر لى ذنوبى ، أسألك إيمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبنى إلا ما كتب لى ، ورَضِّنى بقضائك ، فأوحى الله إليه : يا آدم ، إنك قد دعوتنى بدعاء أستجيب لك فيه وغُفِرت ذنوبك ، وفُرِّجت همومك وغمومك ، ولن يدعو به أحد مَن ذريتك من بعدك إلا فعلت ذلك به ، ونزعت فقره من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر ، وأتته الدنيا وهى كارهة وإن لم يُرِدْها »

رواه الطبراني والبيهقى عن بريدة [٦٦٠]

لم يذكر المناوى هذا الحديث فى اتحافاته ، وقد أضفناه لتعلقه بما قبله وهناك محاورة طريفة جرت تتعلق بحج آدم وهى ما يتضمنها هذا الحديث : -



٦٦٠ - الحديث في كتاب الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور للمناوي جـ٢ صـ١١٤ وفي كنز العمال جـ٥ ١٢٠٣٤

الحديث السابع والثلاثون بعد المائتين

أخرج الديلمى عن أبى سعيد :-

« لما أسكن الله آدم البيت قال : إنك قد أعطيت كل عامل أجره فأعطنى أجرى ، فأوحى الله إليه : إنى قد غفرت لك إذ طُفْتَ به .

قال : يا رب زدنى . قال : قد غفرت لمن طاف به من ولدك . قال : يا رب زدنى . قال : قد غفرت لمن استغفروا له .

فقام إبليس على المأزمين [٦٦١] فقال : يا رب جعلتنى فى دار الفناء ، وجعلت مصيرى إلى النار ، وجعلت معى عدوى آدم ، وقد أعطيته فأعطنى كما أعطيته .

قال : قد جعلتك تراه ولا يراك . قال : يا رب زدنى . قال : قد جعلت قلبه مسكناً لك . قال : يا رب زدنى . قال : قد جعلتك تجرى منه مجرى الدم .

قال : فقام آدم فقال : يا رب قد أعطيت إبليس فأعطنى . قال : قد جعلتك تهم بالسيئة ولا تعملها فلا أكتبها عليك وأكتب لك مكانها حسنة .

---

٦٦١ ـ المأزمين : والمأزم كل طريق ضيق بين جبلين ، وموضع الحرب أيضا مأزم ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر الحرام وبين عرفة مأزمين .

قال : يارب زدنى . قال : واحدة لى وواحدة بينى وبينك ، وأخرى لك فضل منى عليك ، فأما التى لى : تعبدنى ولا تشرك بى شيئا ، وأما التى بينى وبينك فمنك الدعاء ومنى الإجابة ، وأما التى لك فإنك تعمل الحسنة فأكتبها بعشرة أمثالها ، وأما التى فضل منى عليك فتستغفرنى فأغفر لك وأنا الغفور الرحيم » (٦٦٢)

التعليق على هذا الحديث

لعل مما يشير إليه فى هذا الحديث قوله ـ تعالى ـ **« واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا »** الإسراء ٦٤ ـ

جاء فى قصص الأنبياء للثعلبى : عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن إبليس قال : يا رب إنك أخرجتنى من الجنة من أجل آدم ، وإنى لا أستطيع القدرة عليه إلا بسلطانك . قال : فإنك مسلط عليه .

قال : يا رب زدنى . قال : لا يولد له ولد إلا ولد لك مثلاه .

قال : يا رب زدنى . قال : « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم » .

ولكن آدم استغاث بالله وقال : يا رب سلطته على ، وأنا لا أمتنع منه إلا بك .

قال : لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء .

---

٦٦٢ ـ الحديث في كنز العمال جـ٥ ١٢٠١١

وفي جامع الأحاديث القدسية جـ١ صـ٣٧٠ ورمز له بأنه ضعيف جداً وجاء بلفظ مقارب في إتحافات المدني برقم ٦٩٩

قال : يا رب زدنى . قال : الحسنة بعشرة أمثالها وأزيد ، والسيئة بمثلها واحدة وأمحوها .

قال : يا رب زدنى . قال : « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** »

قال : يا رب زدنى . قال : التوبة لا أنزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم .

قال : يا رب زدنى . قال : أغفر ولا أبالى .

قال آدم : حسبى . .

ومن الطرائف أيضا ما يذكره الثعلبى . .

قال إبليس : يا رب لعنتنى ، وأخرجتنى من الجنة ، وجعلتنى شيطانا رجيما مذموما مدحورا ، وبعثت فى بنى آدم الرسل ، وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى ؟

قال : الكهنة .

قال : فما حديثى ؟ قال : الكذب .

قال : فما قراءتى ؟ قال : الشعر .

قال : فما مؤذنى : فال : المزمار .

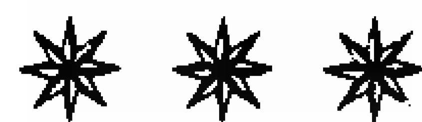
قال : فما مسجدى ؟ قال : السوق .

قال : فما طعامى ؟ قال : ما لم يذكر اسم الله عليه .

قال : فما شباكى ومصايدى ؟ قال : النساء .

- قصص الأنبياء للثعلبى صـ٣٩ -

وراجع سلسلة القصص القرآنى من تأليفنا جـ١ صـ٥٣



الحديث الثامن والثلاثون بعد المائتين

« أَوْحَى اللهَ لمُوسَى يا مُوسَى أَتُحبُّ أنْ أسْكنَ مَعكَ بَيْتكَ فخرَّ للهِ ساجداً ثمّ قالَ يا رَبِّ وكيفَ ذلكَ؟ فَقَالَ يا مُوسَى أمَا عَلمتَ أنّيَ جَليسُ مَنْ ذكَرَنى وَحيْثما التَمَسَنى عَبْدى وَجدنى »

رواه ابن شاهين عن جابر (٦٦٣)

شرح الحديث

ـ الوحى تقدم الكلام عليه ، وموسى عليه السلام تقدمت ترجمته ، والالتماس الطلب وباقى ألفاظ الحديث ظاهرة .

المعنى ـ والله أعلم ـ أن الله ـ جل ذكره ـ أوحى إلى نبيه وكليمه موسى عليه السلام بواسطة جبريل أمين الوحى عليه السلام : يا موسى أتحب أن أسكن معك بيتك الذى أنت ساكنه فى الدنيا ؟ فلما سمع موسى هذا خر لله ـ عز وجل ـ ساجدا استحياء من الله تعالى ، وإظهاراً لعطف الله له ومخاطبته بذلك ، ولما كان هذا مستبعداً فى حد ذاته طلب من الله ـ جل وعلا ـ شرح هذا وبيانه ليذهب ما فى نفس موسى من الغموض والتعجب والاستبعاد ، فأجابه الله ـ عز وجل ـ بما يكشف ما خاطب به فقال : يا موسى لا تعجب ليس المراد المعنى الذى يتبادر إلى الأفهام وهو السكن الحقيقى ـ وهو مستحيل فى حقه تعالى ـ وإنما أردت معنى آخر ، وهو أنى

---

٦٦٣ ـ الحديث في كنز العمال جـ١ ١٨٦٥

وذكره المدني في إتحافاته برقم ٥٣٤ ، وعلق عليه الشيخ النواوي في تعليقه علي الكتاب بقوله : الله ـ تعالي ـ مع عباده الذاكرين كما يعلم سبحانه ، وإذا قيل : إن هذا الكلام مسوق لتصوير قرب الله ـ سبحانه من عبده الذاكر كان ذلك متمشيا مع أساليب التخاطب والبيان العربي وعلق علي هذا الحديث جامع الأحاديث القدسية بالضعف ، جـ٢ صـ٣٦ وعلق جامعه قائلا : رحم الله الشيخ فلست أدري لم كلف نفسه هذا التأويل ، والحديث ساقط واهي الإسناد كما هو بين ، وكذلك يصنع غير مرة في شرحه لأحاديث الإتحافات ، وفيها أحاديث ساقطة باطلة ، فيقع شرحه لها ، وتعليقه عليها أحيانا موقع المثبت لمعناها مما قد يوهم القاريء بصحة متونها .

جليس من ذكرني ، وأنت تعلم ذلك فإذا أكثرت من ذكري فكأني معك جالس ، لأن العبد حيثما التمسني وطلبني وجدني ، وفيه الترغيب في الجلوس لذكر الله جل جلاله وقد تقدم قريباً ما يتعلق بالذكر والحث عليه فلا حاجة للإعادة .

والحديث ذكره المدني في كتابه وقال : أخرج ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن جابر : وفيه محمد بن جعفر المدائني قال أحمد : لا أحدث عنه أبداً عن سلام ابن أسلم المدائني متروك عن زيد العمي ، والعمي ليس بالقوي اهـ . والله أعلم .

التعليق

مَرَّت أحاديث كثيرة تحض على الذكر وتبين فضله ، ويكفي في شرف الذاكر أن يكون جليس الله - جل وعلا -

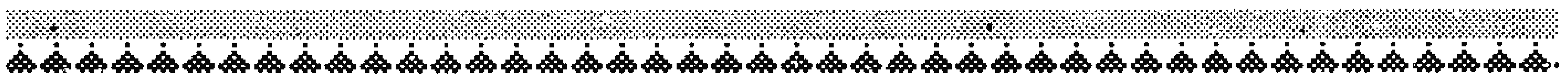
عن أبي المخارق - رضي الله عنه - قال : قال النبي - ﷺ -: مررت ليلة أُسْرِي بي برجل مغيب في نور العرش . قلت : من هذا ؟ أهذا ملَك ؟ قيل : لا . قلت : نبي ؟ قيل : لا . قلت : من هو ؟ قال : هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله ، وقلبه معلق بالمساجد ، ولم يستسب لوالديه .

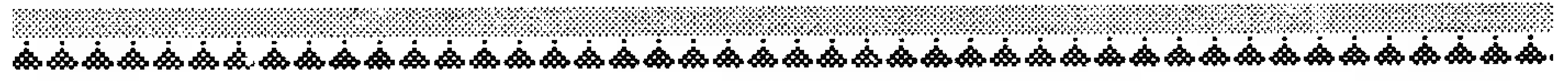
- الترغيب والترهيب جـ٢ صـ٣٩٥ -

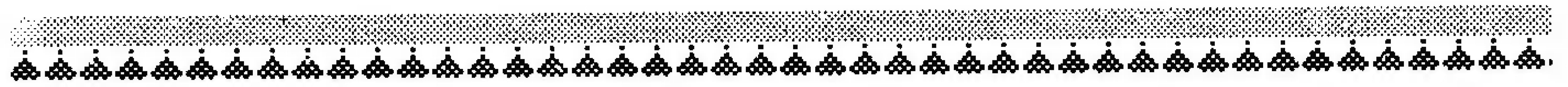
ومعنى لم يستسب لوالديه : لم يشتمهما ولم يعقهما .

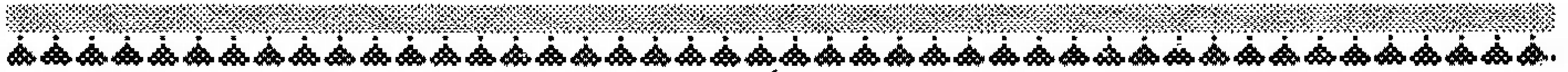


فهرس المجلد الأول









الموضوع	الصفحة

يطلب من مكتبات الأهرام
وسائر مكتبات الجمهورية

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٩٥ / ١١٣٤٧